تراثنا



النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى

٨١٣ - ٨٧٤ هـ



الجزء السابع

طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحابته والمسلمين

الجزء السابع[1]

من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

ذكر ولاية الملك المُعِزّ أَيْبَك التُّرْكُمانىّ على مصر

هو السلطان الملك المُعِزّ عِزّ الدين أَيْبَك بن عبد الله الصالحىّ النَّجْمِىّ المعروف بالتُّرْكُمانىّ، أوّل ملوك الترك بالديار المصرية . وقد ذكرهم بعض الناس فى أبيات مواليًا إلى يومنا هذا، وهم الملوك الذين مَسَّهم الرِّق، غير أولادهم، فقال :

أَيْبَكْ قُطُزْ يَعْقُبو بِيبَرْس[2] ياذا الدين * بعدو قَلَاوون بعدو كَتْبغَا لاچين

بِيبَرْس بَرْقُوق بعدو شيخ ذو التبيين * طَطَر بَرْسْبَاى جقمق صاحب التمكين

قلت : هذا قبل أن يتسلطن الملك الأشرف إينال العلائى ، فلمّا ملك إينال قلت أنا :

---

(١) يلاحظ أنه ابتداء من سنة ٥٦٧ ﻫ التى تسلطن فيها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر إلى سنة ٧٤٥ ﻫ التى تسلطن فيها الملك الكامل شعبان على مصر وجد مصدر آخر لهذه السنين ، نقل عن نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس ، وهى محفوظة بالدار تحت رقم ٥٦١٦ تاريخ ، وهذا غير المصدر الذى روجعت عليه الأجزاء السابقة ، وهو النسخة المصوّرة عن نسخة مكتبة أياصوفيا بالأستانة ، والمحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ . وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك فى المقدّمة .

(٢) هذا بيبرس العلائى البندقدارى ، وأما الثانى فهو بيبرس الجاشنكير المنصورى .

أيبكُ قُطُز يَعقُبو بِيبَرْس ذو الإكمال * بعدو قلاوون بعدو كَتْبُغَا المِفضال

لاچين بِيبَرْس برقوق شيخ ذو الإفضال * ططر بَرْسَباى جقمق ذو العلا إينال

وقد خرجنا عن المقصود . ولنعُدْ إلى ذكر الملك المعزّ أَيْبَك المذكور ، فنقول :

أصله من مماليك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيّوب ، اشتراه فى حياة والده الملك الكامل محمد ، وتنقّلت به الأحوال عنده . ولازم أستاذَه الملك الصالح فى الشرق حتّى جعله جَاشْنَكِيرَه[1] ، ولهذا لمّا أمّره كان عَمِل رَنْكَه[2] صورةَ خَوَانْجَا . وٱستمرّ على ذلك إلى أن قُتِل المعظّم تُوران شاه ومَلَكت شجرةُ الدُّرّ بعده ؛ ٱتّفق الأمراء على سلطنة الملك المُعزّ أَيْبَك هذا وسلطنوه بعد أن بَقِيت الديارُ المصريّة بلا سلطانٍ مدّة ، وتَشَوّف إلى السلطنة عِدّةُ أمراء ، فخِيف من شرّهم ؛ ومال الناس إلى أَيْبَك المذكور ، وهو من أوسطِ الأمراء ، [و] لم يكن من أعيانهم ؛ غير أنّه كان معروفًا بالسَّدَاد وملازمة الصلاة ، ولا يشرب الخمر ؛ وعنده كرمٌ وسَعَةُ صدرٍ ولِينُ جانبٍ . وقالوا أيضا : هذا متى أردنا صرفَه أمكنَنا ذلك لعدم شَوْكته . وكونه من أوسط الأمراء . فبايعوه وسلطنوه وأجلسوه فى دَسْت المُلْك فى أواخر شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وأربعين وستّمائة . وحُمِلت الغاشِية[3] بين يديه ، وركب

(١) الجاشنكير : هو الذى يتصدى لذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا من أن يدس عليه فيه سم ونحوه . وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما « جاشنا » بجيم فى أوّله قريبة فى اللفظ من الشين ومعناه الذوق ولذلك يقولون فى الذى يذوق الطعام والشراب الشيشنى ، والثانى « كير » وهو بمعنى المتعاطى لذلك ، و يكون المعنى الذى يذوق (عن صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٠) .

(٢) الرنك : كلمة فارسية معناها الشعار ، وخوانجا : كلمة فارسية أيضا معناها الخوان أو المائدة الصغيرة ، والمقصود من هذه العبارة هو أن الملك الصالح أيوب لما جعل المعز أيبك جاشنكيرا عمل شعاره صورة مائدة لكى يتفق مع وظيفته وهى الإشراف على مائدة الملك .

(٣) المقصود بها هنا قطعة من الجلد المبطن على شكل وسادة مخروزة بالذهب ، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، وتحمل بين يدى السلطان عند الركوب فى المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها ؛ يحملها الركابدار رافعا لها على يديه يلفتها يمينا وشمالا . وهى من خواص الدولة الأيوبية (صبح الأعشى ج ٤ ص ٧) .

بشعائر[1] السلطنة، وأوّل من حَمَل الغاشيةَ بين يديه الأميرُ حُسام[2] الدّين بن أبى علىّ، ثمّ تداولها أكابرُ الأمراء واحدًا بعد واحد. وتمّ أمره فى السلطنة وخُطب له على المنابر، ونُودِى فى القاهرة ومصرَ بسلطنته، إلى أن كان الخامسُ من جُمَادَى الأُولى بعد سلطنته بخمسة أيّام ثارت المماليك البَحْرِيّة الصالحيّة وقالوا: لابدّ لنا من سلطانٍ يكون من بنى أيّوب يجتمع الكلُّ على طاعته؛ وكان الذى قام بهذا الأمر الأميرُ فارس الدين أَقْطاى الجَمَدار[3]، والأميرُ ركن الدين بِيبَرْس البُنْدُقْدارِىّ، والأميرُ سيف الدين بلبان[4] الرشيدىّ، والأمير شمس الدين سُنْقُر الرُّومِىّ؛ وٱتفقوا على أن يكون الملك المُعِزّ أَيْبَك هذا أتابَكًا[5] عليهم، وٱختاروا أن يُقيموا صبيًّا عليهم من بنى أيّوب يكون له ٱسمُ السلطنة، وهم يُدَبِّرونه كيفما شاءوا ويأكلون الدنيا به!

كلّ ذلك والملك المُعِزّ سامع مطيع. فوقع الاتّفاق على المَلِك الأشرف مظفَّر الدين موسى ٱبن الملك الناصر يوسف ٱبن الملك المسعود أَقْسِيس ٱبن السلطان الملك الكامل محمد ٱبن السلطان الملك العادل أبى بكر ٱبن الأمير نجم الدين أيّوب؛ وكان هذا الصبىّ عند عَمّاته القُطْبِيّات[6]، وتقديرُ عُمره عشرُ[7] سنين، فأحضروه

(١) لعله: «بشعار السلطنة». (٢) هو حسام الدين محمد بن أبى على الهذبانى نائب السلطنة بمصر. وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٥٨ هـ. (٣) الجدار: هو الذى يتصدّى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه، وأصله: جامادار فحذفت الألف بعد الجيم وبعد الميم إستثقالا وقيل «جدار». وهو فى الأصل مركب من لفظين فارسيين: أحدهما «جاما». ومعناه الثوب، والثانى دار ومعناه ممسك، فيكون المعنى ممسك الثوب (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩).

(٤) ضبط بالقلم فى تاريخ سلاطين المماليك (بفتح الباء واللام). وفى كترمير: (Belban).

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (٦) فى الأصل: «عند عمّاته بالقطبية». وتصحيحه عن المنهل الصافى وتاريخ الواصلين وما سيأتى ذكره للمؤلف فى هذه الترجمة. وعمّاته هن بنات الملك العادل الكبير ٱبن أيوب المعروفات بالقطبيات نسبة إلى شقيقهن الملك المفضل قطب الدين ٱبن الملك العادل (راجع تاريخ الواصلين فى حوادث سنة ٦٤٨ هـ).

(٧) فى خطط المقريزى (ج ٢ ص ٢٣٧) والسلوك: «وعمره نحو ست سنين».

وسلطنوه وخَطَبوا له ، وجعلوا الملك المعزَّ أَيْبَك التُّرْكمَانِىَّ أتابكَه ، وتمّ ذلك . فكان التوقيع يخرُج وصورتُه : « رُسِم بالأمر العالِى المَوْلَوِىّ السلطانىّ المَلَكىّ الأشرفىّ والمَلَكِىّ المُعِزِّىّ » . وٱستمرّ الحال على ذلك مدّةً ، والمعزّ هو المستولِى بالتدبير و يُعلِّم على التواقيع ، والأشرف المذكور صورة

و بينماهم فى ذلك ورد الخبرُ عليهم بخروج السلطان الملك الناصر(١) صلاح الدِّين يوسف صاحب الشام وحلب ، خرج من دِمَشْق إلى المِزَّة(٢) يريد الديارَ المصريّة ليَمْلِكَها لمّـا بلغه قتلُ ٱبنِ عمّه الملك المعظم تُوران شاه . فاجتمع الامراءُ عند الملك المُعِزِّ أَيْبَك وأجمعوا على قتـاله وتأهّبُوا لذلك ، وجهّزوا العساكر وتهيَّئوا للخـروج من مصر .

وأمّا الملك الناصر فإنّه سار من دِمَشْق نحوَ الديارالمصرية بإشارة الأمير شمس الدين لؤلؤ [الأَمِينِىّ](٣) ، فإنّه ألَحّ عليه فى ذلك إلحاحًا كان فيه سببا لحضور منيّته ، وكان لؤلؤُ المذكور يستهزِئُ بالعساكر المصريّة ، ويستخفّ بالممـاليك ، ويقول : آخذها بمائتى قِناع(٤) ، وكانت تأتيه كتبٌ من مصر من الأصاغر فيظنّها من الأعيان ، ودخلوا الرَّمْل ودَنَوْا من البلاد ، وتقدّم عسكرُ الشام ومعهم الأمير(٥) جمال الدين بن يَغْمُور نائب الشام وسيفُ الدين المُشِدّ وجماعةٌ ، وٱنفرد شمس الدين لؤلؤ ، والأمير ضياء الدين القَيْمُرِىّ ، وخرجت العساكرُ المصريّة إليهم ، وٱلتقَوْا معهم وتقاتلوافٱنهزم المصريّون ونُهِبتْ أثقالُهم ، ووصلتْ طائفـةٌ منهم من البَحْرِيّة على وجوههم إلى الصعيـد ،

(١) هو الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب . (٢) المزة (مزة كلب) : قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) زيادة عن السلوك (ص ٣٨٠) . (٤) يريد مائتى امرأة . (٥) هو جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك بن سليمان بن عبد الله أبو الفتح الأمير . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٦٣هـ .

وكانوا قد أساءوا إلى المصريّين ونهبوهم وآرتكبوا معهم كلّ قبيح ، فخافوا منهم فتوجّهوا إلى الصعيد . وخُطِب في ذلك النهار بالقاهرة ومصر والقلعة للملك الناصر[1] صلاح الدين يوسف المذكور وفي جميع البلاد . وأيقن كلٌّ أحد بزوال دولة الملك المُعِزّ أَيْبَك . وبات في تلك الليلة[2] جمالُ الدين بن يَغْمور بالعَبّاسة[3]، وأَحْمَى الحَمّام للملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وهيّأ له الإقامة . كلّ ذلك والملك الناصر ما عنده خبرٌ بما وقع من القتال والكَسْرة ، وهو واقف بسَنَاجقه[4] وأصحابِه ينتظِر مايرد عليه من أمر جيشه .

وأمّا أمر المصريّين فإنّه لمّا وقعت الهزيمةُ عليهم ساق الملكُ المعزّ أيبك وأَقْطَاى الجَمَدار المعروف بـ«أقطيا» في ثلثمائة فارس طالبين الشامَ هاربين ، فعثروا في طريقهم بشمس الدين لؤلؤ المقدَّم ذكرُه والضِّياءِ القَيْمُرىّ ، فساق شمس الدين لؤلؤ عليهم فحملوا عليه فكسروه وأَسَروه وقتلوا ضياءَ الدين القَيْمُرىّ ، وجىء بشمس الدين لؤلؤ إلى بين يدى الملك المُعِزّ أَيْبَك ، فقال الأمير حُسَام الدين بن أبي علىّ : لا تقتلوه لنأخذ به الشام ، فقال أَقْطَاى الجَمَدَار : هذا الذى يأخذ مصر منّا بمائتى قِناع ! وجعلَنا مخَانيثَ ، كيف نتركه ! وضربوا عنقه ، وساقوا على حَمِيّة إلى جهة ، فاعترضوا طُلْب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فوقع المَصَافّ بينهم ،

(١) عبارة عقد الجمان : « وخطب ذلك اليوم (حادى عشر ذى القعدة سنة ٦٤٨ هـ) للملك الناصر يوسف صاحب حلب بالقلعة وجامع مصر ، وأما بالقاهرة فلم تقم بجامعها جمعة وتوقفوا ليتحققوا » . وفى المنهل الصافى فى ترجمة المعز أيبك : « ولم يبق إلا تملك الناصر ويخطب له فى قلعة الجبل » .

(٢) فى الأصل : «ومات» . والتصويب عن عيون التواريخ لابن شاكر ونزهة الأنام فى تاريخ الإسلام لابن دقاق والسلوك . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٤) لما تكلم صاحب صبح الأعشى فى (ج ٤ ص ٨) فى الفصل الذى عقده لذكر رسوم الملك وآلاته على الأعلام ، قال : ومنها رايات صفر صغار تسمى السناجق . وفى عهد الحكم العثمانى بمصر كانوا يستعملون كلمة سنجق وجمعها سناجق لكل من يتولى رياسة جماعة من الجند المكلفين بحفظ الأمن العام فى الأقاليم .

فخامر على الملك الناصر جماعةُ من المماليك العَزِيزِيّة من مماليك أبيه، وجاءوا إلى الملك المُعِزّ أَيْبَك التُّرْكُمانىّ، وقالوا له : إلى أين تتوجّه ؟ هـذا السلطان واقفٌ فى طُلْبه ليس له عِلْمٌ بكسرتهم، فعطفوا على الطُّلْب، وتقـدمتْهم العزيزيّة فكَسروا سَنَاجِق السلطان وصناديقه ونَهبوا مالَه، ورَمَوه بالنُّشّاب، فأخذه نَوْفل الزُّبيدىّ[1] وجماعة من مماليكه وأصحابه وعادوا به إلى الشام، وأَسَر المصريّون الملك المعظم [تُوران شاه][2] ابن السلطان صلاح الدين بعـد أن جرحوه وجرحوا ولدَه تاج الملوك، وأخذوا الملك الأشرف صاحب حِمْص[3]، والملك الزاهرَ عمَّه، والملك الصالح إسماعيل صاحب الوقائع مع الملك الصالح نجم الدين أيّوب، وجماعةً كثيرة من أعيـان الحلبيّين؛ ومات تاج الملوك من جِراحته فحُمِل[4] إلى بيت المقدس ودُفِن به؛ وضُرِب الشريف المرتَضَى فى وجهـه بالسيف ضربةً هائلةً عَرْضًا وأرادوا قتـله، فقال : أنا رجلٌ شريف وآبنُ عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فتركوه؛ وتمزّق عساكرُ دِمَشق كلَّ مُمَزَّق، ومشَوْا فى الرمل أيّاماً .

وأمّا المصريّون فإنّهم لمّـا وقعتْ لهم هذه النُّصْرة عادوا إلى القاهرة بالأسارَى، وسناجق الناصر مقلوبةٌ وطبولُه مشقّقة، ومعهم الخيولُ والأموالُ والعُدَدُ وشقّوا القاهرة، فلمّا وصلت المماليكُ الصالحيّة النَّجْميّة إلى تُرْبة أستاذهم الملك الصالح نجم الدين أيّوب بين القصرين أخذوا الملك الصالح إسماعيـل الذى أَسَرُوه فى الوقعة،

(١) فى الأصل : «نوفل البدوى» . وتصحيحه عن المنهل الصافى والسلوك . وهو الأمير ناصر الدين سيد عرب زبيد، كان ذا حرمة ووجاهة ومكانة . توفى سنة ٦٧٥ هـ (عن المنهل الصافى) .

(٢) زيادة عن السلوك . وهو الملك المعظم فخر الدين أبو المفاخر توران شاه آبن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٥٨ هـ .

(٣) هو الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن المنصور إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٦٢ هـ .

(٤) فى الأصل : « من جراحة كانت به » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .

وكان عدوّ أستاذهم الملك الصالح المذكور، ووقفوا به عند التُّربة، وقالوا: يا خَوَنْد، أين عينك ترى عدوّك أسيراً بأيدينا! ثمّ سحبوه ومَضَوْا به إلى الحبس، فحبسوه هو وأولادَه أيّاما ثم غيّبوه إلى يومنا هـذا، ولم يُسمع عنه خبرٌ إلّا ما تحدّثَ به العوامّ بإتلافه.

وأمّا عساكر الناصر الذين كانوا بالعَبّاسة (أعني الذين كسروا الملكَ المعزّ أَيْبَكَ أوّلًا) فإنّ المعزّ لمّا تمّ له النصرُ وهَزَم الناصرَ ردّ إلى المذكورين في عَوْده إلى القاهرة، ومال عليهم بمن معه قتلًا وأسرًا حتى بدّد شَملهم، ورحل إلى القاهرة بمَن معه من الأسارَى وغيرِهم. ولمّا دخل الملكُ المعزّ أَيْبَك هذا إلى القاهرة ومعه المماليك الصالحيّة مالوا على المصريّين قتلًا ونهبًا ونَهبوا أموالَهم وسبَوْا حريمَهم وفعلوا بهم ما لم يفعله الفرنج بالمسلمين.

قلت: وسببُ ذلك أنّه لمّا بلغهم كَسْرةُ المعزّ فَرِحُوا وتباشروا بزوال المماليك من الديار المصريّة، وأسرعوا أيضا بالخُطْبة للملك(١) صلاح الدّين يوسف صاحب الشام المقدّم ذكره. وكان وزيرُ(٢) الملك الصالح إسماعيل المقدّم ذكره مُعْتَقلًا(٣) بقلعة الجبل هو وناصر الدين [إسماعيل](٤) بن يَغْمور نائب الشام وسيف الدين القَيْمُرِيّ والخُوَارَزْميّ صِهرُ الملك الناصر يوسف، فخرجوا من الجُبّ(٥) وعصَوْا بقلعة الجبل، فلم يوافقهم سيف الدين القَيْمُرِيّ بل جاء وقعد على باب الدار التي فيها أعيان الملك المعزّ أَيْبَك وحماها من النهب، ولم يَدَعْ أحدا يَقْرَبها؛ وأمّا الباقون فصاحوا:

(١) في أحد الأصلين: «لما ملك الناصر صلاح الدين ... الخ».
(٢) هو أمين الدولة السامري أبو الحسن بن غزال المسلماني. سيذكره المؤلف في حوادث هذه السنة.
(٣) سبق الكلام عليها في الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة.
(٤) زيادة عن السلوك (ص ٣٧٨).
(٥) سبق الكلام عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٢٥٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

« الملك الناصر يامنصور ! » . فلما جاء الترك فتحوا باب القلعة ودخلوها، وأخذوا من كان عَصَى فيها، وشنَقُوا وزير الصالح وآبن يَغْمور والخُوارزمىّ متقابلين، وشنقوا أيضا مُجِيرَ الدين بن حَمْـدان ، وكان شابًّا حسنا ، وكان تعدّى على بعض المماليك وأخذ خيلَه .

وأمّا الملك الناصر يوسف فإنّه سار حتّى وصل إلى غَزّة وأقام ينتظر اصحابه ، فوصل إليه منهم مَنْ سَلِم من عسكر الشام وعسكر المَوْصِل ومضَوْا إلى الشام .

وأمّا العسـاكر المصريّة فإنّ الملك المُعِزّ أَيْبَك المذكور لمـّا دخل إلى مصر بعد هذه الوقعة عظُم أمرُه وثبتتْ قواعدُ مُلْكه ورَسَخَتْ قدمُه . ثمّ وقع له فصول مع الملك الناصر يوسف المذكور يطول شرحها . محصول ذلك : أنّه لمـّا كانت سنةُ إحدى وخمسين وستّمائة وقع الآتّفاق بينه وبين الملك الناصر المذكور على أن يكون للمُعِزّ وخُشْدَاشِيّته(١) المماليك الصالحيّة البحريّة الديارُ المصريّة وغَزّة والقُدْس، وما بقى بعد ذلك من البلاد الشاميّة تكون للملك الناصر صلاح الدين يوسف . وأَفْرج الملك المُعِزّ عن الملك المعظّم توران شـاه آبن الملك الناصر صلاح الدين يوسف المذكور وعن أخيه نُصْرة الدين وعن الملك الأشرف صاحب حِمْص وغيرِهم من الآعتقال ، وتوجّهوا إلى الشام .

ولمـّا فرَغ الملك المُعِزّ من ذلك أخذ ينظر فى أمره مع فارس الدِّين أَقْطاى الجَمْدار فإنّه كان أمرُه قد زاد فى العظمة وآلتفّتْ عليه المماليك البحريّة، وصار أقطاى المذكور

---

(١) خشداشية : جمع خشداش وهو معرب اللفظ الفارسى «خوجاتاش» أى الزميل فى الخدمة . والخشداشـية — فى آصطلاح عصر المـاليك بمصر — : الأمراء الذين نشئوا مماليك عند سيد واحد فنبتت بينهم رابطة الزمالة القديمة (راجع هامش السلوك رقم ٣ صفحتى ٣٨٨، ٣٨٩) .

يركب بالشاويش[(١)] وغيره من شعار المُلْك، وحدّثته نفسه بالمُلْك، وكان أصحابه يسمّونه « الملك الجوّاد » فيما بينهم . كلّ ذلك والمعزّ سامع مطيع ، حتّى خطب أقطاى بنتَ الملك المظفّر تقيّ الدين محمود صاحب حماة[(٢)] وكان أخوها الملك المنصور هو يومئذ صاحب حماة بعد موت أبيه. وتحدّث أقطاى مع الملك المعزّ أيبك أنه يريد يُسكنها فى قلعة الجبل لكونها من بنات الملوك، ولا يَليق سكناها بالبلد، فاستشعر الملك المعزّ منه بما عزَم عليه، وأخذ يدبّر أمره وعمِل على قتله فلم يقدر على ذلك . فكاتب الملك المعزّ السلطانَ صلاحَ الدين يوسف وآستشاره فى الفتك به، فلم يُجبه فى ذلك بشىء، مع أنّه كان يُؤْثِر ذلك ، لكنّه علِم أنّه مقتول على كلّ حال، فترك الجواب . ثم سيّر فارسُ الدّين أقطاى الجمدار المذكور جماعةً لإحضار بنت صاحب حماة إليه، فخرجتْ من حماة ووصلت إلى دِمَشْق بتجمّل عظيم فى عِدّة مَحفّات[(٣)] مغشّاة بالأطلس وغيره من فاخر الثياب وعليها الحُلِىّ والجواهر، ثم خرجتْ بمَن معها من دِمَشْق متوجّهةً إلى الديار المصريّة .

وأمّا الملك المعزّ فإنّه لمّا أبطأ عليه جوابُ الملك الناصر صلاح الدين فى أمر أقْطاى وتحقّق أن بنت صاحب حماة فى الطريق بقى متحيّرًا، إن منعه من سُكْنَى القلعة حصلت المباينة الكلّيّة، وإن سكنه قويت أسبابُه بها ولا يعود يتمكّن من إخراجه، ويترتّب على ذلك آستقلال الأمير فارس الدين أقْطاى بالمُلْك فعمِل على معاجلته؛

(١) فى صبح الأعشى فى الكلام على هيئة السلطان فى أسفاره ج ٤ ص ٤٨ : «وصاحت الجاويشية بين يديه » والظاهر أنهم الذين يركبون فى مقدمة موكب الملك أثناء سفره .

(٢) هو الملك المنصور محمد آبن الملك المظفر محمود الذى ولى حماة بعد موت أبيه سنة ٦٤٢ ﻫ وعمره حينئذ عشر سنين (عن تاريخ أبى الفدا إسماعيل فى حوادث سنة ٦٤٢ ﻫ) .

(٣) جمع محفة وهى الهوادج المغطاة بالقماش التى تحمل على ظهور الجمال حيث يجلس فيها المسافرون .

فدخل أقطاى عليه على عادته ، وقد رتّب له الملك المُعزّ جماعةً للفتك به، منهـم : الأمير سيف الدين قُطُز المُعزى (أعنى الذى تسلطن بعد ذلك)، فلمّا دخل أقطاى وثبُوا عليه وقتلوه فى دار السلطنة بقلعة الجبل فى سـنة آثنتين وخمسين وستمـائة ؛ فتحرّك لقتله جماعةٌ من خُشْدَاشيّتِه البحريّة ، ثم سكن الحـال ولم ينتطح فى ذلك شاتان ! .

ولـمّا وقع ذلك آلتفت الملك المُعزّ إلى خلع الملك الأشرف مظفّر الدين موسى الأيوبى، فخلعه وأنزله من قلعة الجبل إلى حيث كان أوّلا عنـد عمّاته القُطْبيّات[1] . وركب الملك المُعزّ بالسناجق السلطانيّة وحملت الأمراءُ الغاشـية بين يديه واستقلّ على المُلْك بمفرده آستقلالا تامّا إلى أن قصدت المماليكُ العَزِيزيّة القبضَ عليه فى سنة ثلاث وخمسين ، فشعر بذلك قبل وقوعه فقبَض على بعضهم وهَرَب بعضهم . ثم وقعت الوَحْشة ثانيًا بين الملك المُعزّ هذا وبين الملك الناصر صلاح الدين يوسف، فمشى الشيخ نجم الدين البَادَرَائى[2] بينهما حتّى قرّر الصلحَ بين المُعزّ وبين الناصر، على أن تكون الشام جملةً للملك الناصر، وديار مصر للملك المُعزّ، وحدّ ما بينهما بئر القاضى[3]،

(١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٥ من هذا الجزء .

(٢) البادرائى : نسبة إلى بادرايا ، قرية من عمل واسط . وهو نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن عبد الله البغدادى . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٥٥ هـ .

(٣) لـمّا تكلم صاحب صبح الأعشى على مراكز البريد فى آخر الجزء الرابع عشر ص ٣٧٨ ذكر بئر القاضى ضمن مراكز البريد الواقعة فى الطريق بين مصر وغزة . وبعد أن ذكر مركز الورادة قال : «ثم منها إلى بئر القاضى والمدى بينهما بعيد جدا ، يمله السالك ومنها إلى العريش» . ومن هذا يفهم أن بئر القاضى كانت أقرب إلى العريش منها إلى الورادة . وبالبحث عن مكان هـذه البئر فى الطريق المذكورة تبين أنها كانت واقعة فى الجهة التى تعرف اليوم باسم عقرة الزول على بعـد عشرة كيلو مترات غربى العريش بالقرب من السكة الحديدية من الجهة البحرية .

وهو فيما بين الوَرَادة(١) والعَرِيش(٢)؛ وآستمرّ الحالُ على ذلك . ثم إنّ الملك المُعِزّ تزوّج بالملكة شجرة الدُّرّ أمّ خَليل فى هذه السنة ودخل بها، وكان زواجُه بها سبَباً لقتله على ما تقدّم فى ترجمتها، وعلى ما يأتى فى هذه الترجمة أيضا .

ولمّا تزوّجها وأقام معها مدّة أراد أن يتزوّج ببنت الملك الرحيم صاحب الموصل، وكانت شجرة الدرّ شديدة الغَيْرة، فعَمِلت عليه وقتلتْه فى الحَمّام، وأعانها على ذلك جماعةٌ من الخُدّام . وقد ذكرنا ذلك كلّه مفصّلا فى ترجمة شجرة الدرّ فيما مضى . وكان قتل الملك المُعِزّ فى يوم الثلاثاء الثالثِ والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة خمس وخمسين وستّمائة . وكان مَلِكاً شجاعاً كريما عاقلا سَيُوساً كثيرَ البَذْل للأموال، أطلق فى مدّة سلطنته من الأموال والخيول وغير ذلك مالا يُحصى كثرةً حتّى رضِى الناسُ بسلطانٍ مسّه الرِّق. وأمّا أهل مصر فلم يرضَوْا بذلك إلى أن مات، وهم يُسْمِعونه مايكره، حتّى فى وجهه إذا ركب ومرّ بالطرقات، ويقولون: لانريد إلّا سلطاناً رئيسا مولودًا على الفِطْرة . على أنّ الملك المعزّ كان عفيفا طاهرَ الذَّيْل بعيدا عن الظلم والعَسْف كثيرَ المداراة لخُشْداشيّتِه والآحتمال لتجنّيهم عليه وشرّ أخلاقهم، وكذلك مع الناس . وخلّف عِدّة أولاد منهم الملك المنصور علىّ الذى تسلطن بعده، وناصر الدين قان .

(١) ورد فى كتاب أحسن التقاسيم وفى معجم البلدان : أن الورادة من نواحى الجفار فى وسط الرمل فى طريق مصر والشام فى الجنوب الغربى للعريش وعلى مسيرة يوم منها . وبالبحث تبين أن مكانها يعرف اليوم باسم « المزار » بقرب محطة المزار الواقعة على بعد ١١٠ كيلومتر شرقى القنطرة الشرقية فى الطريق الحديدى بينها وبين العريش، بقسم سينا الشمالى . و يوجد فى الشمال الشرقى لمحطة المزار على بعد تسعة كيلومترات آثار مدينة قديمة يقال لها الفلوسيات واسمها الرومى « أوستراسين » واقعة فى إحدى جزر سبخة البردويل . وفى الشمال الشرقى لأطلال هذه المدينة على بعد كيلومترين آثار قلعة الفلوسيات الشهيرة بقلعة الزرانيق . و جغرافيو الافرنج يخلطون بين الفلوسيات والورادة و يقولون إنهما جهة واحدة فى حين أن إحداهما بعيدة عن الأخرى .

(٢) سبق الكلام عليها فى الحاشية رقم ٤ ص ١٥٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

قال الشيخ قُطْب الدين اليُونِيني[١] فى الذيل على مرآة الزمان : « ورأيتُ له ولداً آخرَ بالديار المصريّة فى سنة تسع وثمانين وستمائة، وهو فى زِىّ الفقراء الحَرِيريّة[٢] » . انتهى . وكان للمُعزّ بِرٌ ومعروف وعمائر، من ذلك : المدرسة المُعزيّة[٣] على النيل بمصر القديمة ووقف عليها أوقافا . ودِهْليز المدرسة متّسعٌ طويلٌ مُفْرِط؛ قيل : إنّ بعض الأكابر دخل إلى هذه المدرسة المذكورة فرآها صغيرة بالنسبة إلى دهليزها، فقال : هذه المدرسة مجاز بلا حقيقة! انتهى . وكان مدرّسها القاضى بُرهان[٤] الدين الخِضْر ابن الحسن السِّنْجَارىّ إلى أن مات . وكانت مدّةُ سلطنة الملك المُعِزّ على مصر سبعَ سنين . ومات وقد ناهز السّتّين سنة — رحمه الله تعالى — .

قلت : وقد تقدّم أنّ الملك المعزّ أَيْبَك هـذا هو أوّل مَنْ ملك الديار المصريّة من الأتراك الذين مَسّهم الرِّقّ . وقـد ذكرنا مبـدأ أمره وما وقع له من الحروب

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) يريد بهم أتباع الشيخ على الحريرى الذى تقدّمت وفاته سنة ٦٤٦ هـ .

(٣) ورد فى الجزء الرابع من كتاب الانتصار لابن دقـاق أن هذه المدرسة أنشأها الملك المعز أيبك فى شهور سـنة ٦٥٤ هـ برحبة دار الملك التى تعرف برحبة الخرّوب لبيعه بها والتى كانت فى زمن المقريزى تعرف برحبة الحناء . ولـما تكلم المقريزى فى الجزء الأول من خططه ص ٣٤٥ على ساحل النيل بمدينة مصر ووصل إلى موضع الجامع الجديد الذى أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون قال : وقد شرع خواص السلطان فى العمارة على شاطئ البحر من قبالة موضع الجامع الجديد إلى المدرسة المعزية . ثم لـما تكلم فى هذا الجزء على المنشأة ووصل إلى جسر الأفرم قال : إن هذا الجسر فى طرف مصر (مصر القديمة) فيما بين المدرسة المعزية وبين رباط الآثار (قرية أثر النبى) . وكان الجسر مطلا على النيل دائمـا أى أنه كان على حافة شاطئ النيل . وذكر مؤلف هذا الكتاب بأعلاه إن صاحب الترجمة أنشأ المدرسة المعزية على النيل بمصر .

وأقول يتضح ممـا ذكر أن هذه المدرسة كانت واقعة على شاطئ النيل وبالبحث تبين أن مكانها اليـوم جامع عابدى بك الشهير بجامع الشيخ رويش المطل على النيل فى آخر شارع مصر القديمة من الجهة الجنوبية . وعرف هذا الجامع باسم أمير اللواء عابدى بك لأنه جدده فى سنة ١٠٧١ هـ . ثم اشتهر باسم الشيخ رويش لمجاورته لضريحه الكائن بحارة الخوخة بالجهة الشرقية القبلية من الجامع المذكور .

(٤) هو برهان الدين السنجارى قاضى القضاة أبو محمد الخضر بن الحسن بن على الشافعى وسـيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٦ هـ .

وغيرها على سبيل الاختصار . ولنذكر هنا أيضًا من عاصره من ملوك الأقطار ليعلم الناظر فى هـذه الترجمة بأصل جماعة كبيرة من الملوك الآتى ذكرهم فى الحوادث، وأيضا بحدّ مملكة الملك المُعِزّ يوم ذاك، وحد تحكُّمه من البلاد؛ ومع هذا كان له من المماليك والحَشَم والعساكر أضعاف ما لملوك زماننا هذا مع اتّساع ممالكهم . انتهى . ونذكر أيضا من أمر النار التى كانت بأرض الحجاز فى أيّام سلطنته فى سـنة أربع وخمسين وستمـائة، فنقول :

استهلّت سنة أربع وخمسين المذكورة والخليفةُ المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله العباسىّ ببغداد ، وسلطان مصر الملك المُعِزّ أَيْبَك التُّرْكمانِىّ هذا، وسلطان الشام إلى الفرات الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبىّ ماخلا حَماة وحِمْص والكَرَك وبلادا أُخَر نذكر ملوكَها فيما يأتى — إن شاء الله تعالى — وهم: صاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيّوب . وصاحب الكرك والشوبك الملك المُغِيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العـادل أبى بكر بن أيّوب . وصاحب صِهْيَوْن [1] و بَرْزَيه [2] و بَلَاطُنُس [3] الأمير مظفَّر الدين عثمان ابن الأمير ناصر الدين منكورس . وصاحب تَلّ باشِر [4] والرَّحْبة [5] وتَدْمُر الملك الأشرف مظفَّر الدين موسى بن إبراهيم بن شِيرِكوه بن محمد بن شِيرِكوه بن شادِى . وصاحب الموصل وأعمالها الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأَتَابَكِىّ . وصاحب ميّافارِقين

(١) كذا ضبطناها فيما سبق نقلا عن معجم البلدان لياقوت وقد ضبطها بالعبارة . وضبطها صاحب تقويم البلدان بالعبارة أيضا : (بفتح الصاد المهملة وسكون الهاء وضم المثناة التحتية وسكون الواو وبعدها نون) . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة

(٥) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة

وديار بكر وتلك الأعمال الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك المظفّر شهاب الدين غازى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب . وصاحب ماردين الملك السعيد إيلغازى الأُرتُقِىّ . وصاحب إرْبِل(١) وأعمالها الصاحب تاج الدين بن صلايا(٢) العَلَوِىّ من جهة الخليفة . والنائب فى حصون الإسماعيليّة الثمانية بالشام رضىّ الدين أبو المعالى(٣) . وصاحب المدينة الشريفة — صلوات الله وسلامه على ساكنها — الأمير عِزّ(٤) الدين أبو ملك مُنِيف بن شِيحَة بن قاسم الحُسَيْنِىّ . وصاحب مكّة المشرّفة — شرّفها الله تعالى — الشريف قَتَادَة الحُسَيْنِىّ . وصاحب اليَمَن الملك المظفّر شمس الدين يوسف بن عمر .

وأمّا ملوك الشرق : فسلطان ما وراء النهر وخُوَارِزْم السلطان(٥) ركن الدين وأخوه عِزّ(٦) الدين والبلاد بينهما مُنَاصفة ، وهما فى طاعة هولاكو ملك التّتار .

وأمّا أمر النار التى ظهرت بالحجاز قال قاضى المدينة سِنان الحُسَيْنِىّ(٧) : « لمّا كان ليلة الأربعاء ثالث جُمَادَى الآخرة سنة أربع وخمسين وستّمائة ، ظهر بالمدينة الشريفة

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) هو الصاحب تاج الدين أبو المكارم محمد بن نصر بن يحيى بن على المعروف بابن صلايا نائب الخليفة بإربل . توفى سنة ٦٥٦ هـ (عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والحوادث الجامعة لابن الفوطى)

(٣) سيذكرها المؤلف بتفصيل واف فى آخر ترجمة الظاهر بيبرس .

(٤) فى الأصل : « شهاب الدين أبو ملك سيف بن شيحة » . والتصويب عن تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للإمام زين الدين المراغى (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٥ تاريخ) . والتعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة للحافظ جمال الدين (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٦٤ تاريخ) . وعن تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة للقاضى أبى البقا المعروف بابن الضياء المكى (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٧٠ تاريخ) . والسلوك .

(٥) هو ركن الدين قليج أرسلان بن غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد .

(٦) هو عز الدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد .

(٧) هو شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسينى قاضى المدينة (عن عقد الجمان والذيل على الروضتين وعيون التواريخ) .

دويّ عظيمٌ ثم زَلْزَلَة عظيمة رجَفتْ[1] منها المدينةُ والحيطان والسُّقوف ساعةً بعد ساعة إلى يوم الجمعة خامس الشهر المذكور ظهرت نار عظيمة ، وقد سالت أوديةٌ منها بالنّار إلى وادى شَظَا[2] حيث يَسيل المـاء، وقد سدّت مسيل شَظَا وما عاد يسيل . ثم قال : والله لقـد طَلَعْنا جماعةً نُبْصِرُها فإذا الجبـال تسـيل نِيراناً ، وقـد سَدّت الحَرّة طريقَ الحاجّ العراقيّ ، وسارت إلى أن وصلت إلى الحرّة فوقفت[3] بعـد ما أشْفَقْنا أن تجيء إلينا؛ ورجعت تسير فى الشرق، يخرج من وسطها مهودٌ وجبالُ نيرانٍ تأكل الحجارة[4] ، كما أخبر الله فى كتابه العزيز فقال عزّ من قائل : ﴿ إِنَّهَـا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَتُ صُـفْرٌ ﴾ . قال : وقـد كتبتُ هـذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين والنار فى زيادة ما تغيّرت ؛ وقد عادت إلى الحَرّة وفى قُرَيْظة طريقِ الحاجّ العراقيّ .

وأمّا أمرُ النار الكبيرة فهى جبالُ نيرانٍ حُمْر، والأمّ الكبيرة النارُ التى سالت النيران منها من عند قُرَيْظَةَ وقد زادت ، وما عاد الناس يَدْرُون أىّ شيء يتمّ بعد ذلك، والله يجعـل العاقبة إلى خير ؛ وما أقدر أصِف هذه النار » . انتهى كلام القاضى فى كتابه .

وقال غيره بعد ما ساق من أمر النار المذكورة عجائبَ نحواً ممّـا ذكرناه وأعظمَ إلى أن قال : « وقد سال من هـذه النار وادٍ يكون مقدارُه أربعة فراسخ وعَرْضُه

(١) فى الأصلين : « خفقت منهـا المدينة » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان وعيون التواريخ . (٢) وادى شظا ويقال له وادى الشظاة : واد يأتى من شرق المدينة من أماكن بعيدة عنها إلى أن يصل إلى السدّ الذى أحدثته نار الحرّة التى ظهرت فى المدينة (عن تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، وعن التعريف بمـا أنست الهجرة من معالم دار الهجرة) .

(٣) كذا فى عيون التواريخ والذيل على الروضتين وعقد الجمان . وفى الأصلين : « إلى أن وصلت آخره توقفت » . (٤) فى الأصلين : « تأكل الحجارة منها » . ورواية عقد الجمان وعيون التواريخ والذيل على الروضتين : « فيها نموذج عما أخبر الله تعالى ... الخ » .

أربعةَ أميالٍ وعمقُه قامة ونصفا، وهى تجرى على وجه الأرض، وتخرجُ منها أمهادٌ وجبالٌ صِغار تسير على الأرض، وهو صخر يذوب حتّى يبقى مثلَ الآنُك(١)، فإذا جمد صار أسود، وقبل الجمودِ لونُه أحمر؛ وقد حصل بسبب هذه النار إقلاعٌ عن المعاصى والتقرُّب إلى الله تعالى بالطاعات؛ وخرج أميرُ المدينة عن مظالمَ كثيرة» .

ثم قال قُطْب الدين فى الذَّيل : « ومن كتاب شمس الدين سِنان بن نُمَيْلة الحُسَينىّ قاضى المدينة إلى بعض أصحابه يصف الزَّلزلة إلى أن ذكر قِصّة النار وحَكَى منها شيئًا إلى أن قال : وأشفَقْنا منها وخِفْنا خوفًا عظيمًا، وطَلَعْتُ إلى الأمير وكلّمته وقلتُ : قد أحاط بنا العذاب، اِرجِعْ إلى الله! فأعتَقَ كلَّ مماليكه، وردّ على جماعةٍ أموالهم، فلمّا فعل هذا قلت له : اِهبِط الساعة معنا إلى النبىّ — صلّى الله عليه وسلّم — فهبَط، وبِتْنَا ليلةَ السبت والناسُ جميعُهم والنسوان وأولادهم، وما بَقِى أحدٌ لا فى النخيل ولا فى المدينة إلّا عند رسول الله — صلّى الله عليــه وسلّم — وأشفقْنا منها وظهر ضوءها إلى أن أُبصِرت من مكّة، ومن الفلاةِ جميعها. ثم سال من ذلك نهرٌ من نار وأخذ فى وادى أُحَيْلِين(٢) وسدّ الطريق ثم طلع إلى بَحْرَة الحاجّ ، وهو بحرُ نار يجرى وفوقه جَمْرٌ يسير إلى أن قطعت الوادى : وادى الشَّظَا ، وما عاد يجرى ســيلٌ قطُّ لأنّهــا حفرَتْه نحو قامتين . والمدينة قد تاب جميعُ أهلها ولا بَقِى يُسْمع فيها رَبَاب ولا دُفٌّ . ثمّ ذكر أشياء مهولة من هــذا الجنس إلى أن قال : والشمس والقمر من يوم طلعت النار ما يَطْلُعان إلّا كاسِفَيْن ! قال : وأقامت هــذه النارُ أكثر من شهرين » . وفيها يقول بعضهم :

---

(١) الآنك : كلمة فارسية معناها الرصاص الأسود . وفى الأصلين : «الأزك» وهو تحريف .

(٢) كذا وجد مضبوطا بالقلم فى التعريف بما أنست الهجرة، من معالم دار الهجرة، وتحقيق النصرة، بتلخيص معالم دار الهجرة . وفى تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة : «أخيلين» بالخاء المعجمة . وفى الذيل على الروضتين : « أجلين » بالجيم . وفى الأصلين : « أحلين » بالحاء المهملة .

يا كاشفَ الضُّرِّ صَفْحاً عن جرائمنا * لقد أحاطت بنا يا ربِّ بأساءُ
نشكو إليك خُطوباً لا نُطيق[1] لها * حَمْلًا ونحن بها حقًّا أَحِقَّاءُ
زلازلًا تَخْشَع الصمُّ الصِّلابُ لها * وكيف يَقْوَى على الزِّلْزَال شَمَّاءُ
أقام سبعاً يُرَجُّ الأرضَ فانصدعتْ * عن مَنْظَرٍ منه عينُ الشمس عَشْواءُ[2]

والقصيدة طويلة جدًّا كلُّها على هذا المِنْوال. ولولا خشيةُ الإطالة لذكرنا أمرَ هذه النار وما وقع منها، فرأينا أنّ الشرح يطول، والمقصود هنا بقيّة ترجمة السلطان الملك المُعِزّ أَيْبَك .

ولمّا مات المُعِزُّ رثاه سِراج الدِّين الوَرّاق[3] بقصيدة أوّلها :

نُقِيمُ عليه مَأْتَمًا بعد مَأْتَمٍ * ونَسْفَحُ دمعاً دون سَفْحِ المقطَّمِ
ولو أنّنا نبكي على قدر فَقْدِه * لدُمْنا عليه نُتْبِع الدَّمْعَ بالدمِ
وسَلْ طَرْفِيَ يُنبِيك عنِّي أنّني * دعوتُ الكَرَى من بعده بالمحرَّمِ

ومنها في ذكر ولده الملك المنصور عليّ — رحمه الله — :

بَنَى اللهُ بالمنصور ما هدَّم الرَّدَى * وإنّ بِناءَ اللهِ غيرُ مُهَدَّمِ
مليكُ الوَرَى بُشْرَى لمُضْمِر طاعةٍ * وبُؤْسَى لطاغٍ في زمانك مُجْرِمِ
فما للذى قَدَّمتَ من متأخِّرٍ * ولا للذى أخّرتَ من متقدِّمِ

وأَيْبَك صوابه كما هو مكتوب، وهو لفظ تركيّ مركّب من كلمتين. فأَيْ هو القمر، وبَك أمير، فمعنى الاسم باللغة العربية أمير قمر، ولا عِبْرةَ بالتقديم والتأخير في اللفظ، وأَيْبَك (بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة من تحت وتفخيمهما معا) وبَكْ معروف لا حاجة إلى التعريف به . انتهى .

(١) في الأصلين : «لا نليق لها» . والتصويب عن الذيل على الروضتين وعيون التواريخ والسلوك للقريزي (ص ٣٩٩) . (٢) في الأصلين : «عشراء» . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين .
(٣) هو سراج الدين عمر بن محمد بن حسن الوراق الشاعر المشهور. وسيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٥ﻫ

*
* *

السـنة التى حكم فى محرّمهـا الملكُ المعظّم تُوران شـاه آبن الملك الصالح نجم الدين ، ثم فى صفر والربيعَيْن منهـا الملكةُ شجرة الدُّرّ أمُّ خَليل الصالحيّة ، ثمّ فى باقيهـا الملك المعِزّ أَيْبَك صاحب الترجمة، ومعه الملك الأشرف مظفّر الدين موسى، والعُمْدة فى ذلك على المُعِزّ هذا، وهى سنة ثمـانٍ وأربعين وستّمائة .

فيها كانت كَسْرةُ الفرنج على دِمْياط وقُبِض على الفرنسيس كما تقدّم .

وفيها قُتِل الملك المعظّم تُوران شاه، وقد مرّ أيضا .

وفيها كانت الوقعة بين الملك الناصر صلاح الدين يوسف وبين الملك المُعزّ هذا.

وفيها حجّ طائفةٌ من العراق، ولم يَحُجّ أحد من الشام ولا مصر فى هذه السنة .

وفيها ثارت الجُنْد ببغداد لقطع أرزاقهم . وكلّ ذلك كان من عمل الوزير آبن العَلْقَمِىّ الرافضىّ [1]، فإنّه كان حريصا على زوال دولة بنى العبّاس ونقلها إلى العَلَويين، وكان يُرْسِل إلى التتار فى السرّ والخليفة المستعصم لا يطّلع على باطن الأمور .

وفيها لمـّا فرغوا من حرب دِمْياط وتفرّق أهلها نقلوا أخشاب بيوتهم وأبوابهم منها وتركوها خاويةً على عروشها، ثم بُنِيت بعد ذلك بُلَيْدةٌ بالقرب منها تسمَّى المنشية [2]. وكان سور دِمْياط من أحسن الأسوار .

---

(١) هو محمد بن محمد بن على الوزير الكبير مؤيد الدين أبو طالب العلقمى البغـدادى الرافضى وزير المستعصم بالله . توفى سنة ٦٥٦ هـ ، كما فى شـذرات الذهب ، والحوادث الجامعـة لابن الفوطى ، وقلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر لأبى محمد محمد الطيب (نسخة مأخوذة بالتصـوير الشمسى ثلاثة أجزاء فى ستة مجلدات محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٧ تاريخ)، أو فى سنة ٦٥٧ هـ كما فى المنهل الصافى وفوات الوفيات لآبن شاكر .

(٢) هى بذاتها مدينة دمياط الحالية حيث أنشأها السكان بجوار دمياط القديمة وآنتقلوا إليها وسموها المنشية ، لأنها فى عرفهم حديثة بالنسبة إلى دمياط القديمة ، ولكن الجغرافيين احتفظوا باسم دمياط إلى اليوم ، لأن المنشية المستجدة تجاور أطلال المدينة القديمة . ويؤيد ذلك ما ورد فى كتاب السلوك للقريزى (ج ١ ص ٣٧٢) .

وفيها تُوُفِّيت أرغوان[1] الحافظيّة عتيقةُ الملك العادل أبي بكر بن أيّوب، سمّيت الحافظيّة لأنّها ربّت الملك الحافظ صاحب [قلعة] جَعْبَر[2]، وكانت امرأةً عاقلةً صالحةً، وكانت مدّةَ حبس الملك المُغيث ابن الملك الصالح نجم الدين أيّوب بدمشق تُهيّئُ له الأطعمة والأشربة وتبعث له الثياب، فحَقَد عليها الملك الصالح إسماعيل فصادرها وأخذ منها أموالًا عظيمةً، يقال: إنّه أخذ منها أربعمائة صندوق. ولها تربة ومسجد ووقفتْ عليهما أوقافا.

وفيها قُتل الأمير شمس الدين لؤلؤ بن عبد الله مقدّم عسكر حَلَب، وهو الذى قتلتْه المماليكُ الصالحيّة في الوقعة التي كانت بين الناصر والمُعزّ صاحب الترجمة. وكان أميرًا شجاعا مِقداما زاهدا مدبّرا عظيم الشأن، وكان فيه قوّة وبأس غير أنّه كان مستخفًّا بالمماليك، ويقول: كلُّ عشرة من المماليك في مقابلة كُرِّيّ، ولا زال يُمْعِن في ذلك حتى كانت منيته بأيدى المماليك الصالحيّة كما تقدّم ذكره.

وفيها تُوُفّي أبو الحسن المُتَطَبِّب[3] وزير الملك الصالح إسماعيل، وهو الذى كان السببَ زوال مُلْك مخدومه، فإنّه كان سيئُ السِّيرة كثير الظلم قليلَ الخير، وكان يتستّر بالإسلام، وكان يُرْمَى في دينه بعظائم؛ وقيل: إنّه كان أوّلًا سامريًّا فلم يحسُن إسلامُه؛ وظهر له بعد موته من الأموال والجواهر والتُّحَف والذخائر مالا يوجد في خزائن الخلفاء، وأقاموا ينقُلُونه مدّة سنين. وقيمةُ ما ظهر له غير ما ذهب عند الناس ثلاثة آلاف ألف دينار؛ ووُجِد له عشرة آلاف مجلَّد من الكتب النفيسة والخطوط المنسوبة. قال الشيخ إسماعيل [بن عليّ] الكُورَانِيّ[4] يومًا وقد زاره الوزير

(١) في الأصلين ونزهة الأنام: «أرغون». وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام للذهبي وعقد الجمان وشذرات الذهب وعيون التواريخ. (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان وعيون التواريخ. (٣) راجع ما كتب عنه في الحاشية رقم ١ ص ٣٤٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٤) تقدّمت وفاته سنة ٦٤٤ هـ فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبي.

المذكور : لو بَقِيتَ على دِينك كان أصلح لأنّك تمسّك بدِين فى الجملة ، وأمّا الآن فأنت مُذَبْذَب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ! .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّى الإمام أبو محمد إبراهيم بن محمود بن سالم بن الخَيِّر(١) فى شهر ربيع الاخر، وله خمس وثمانون سنة. والحافظ شمس الدين يوسف بن خليل الدِّمَشقىّ الأدَمِىّ بحلب فى جُمادَى الاخرة، وله ثلاث وتسعون سنة. والقاضى أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الحَبّاب(٢) التّمِيمىّ السّعْدِىّ ، وله سبع وثمانون سنة فى شهر رمضان . والمحدِّث أبو محمد عبد الوهاب ابن رَوَاح(٣)، وآسمه ظافر بن علىّ بن فتوح القُرَشِىّ المالكىّ، وله أربع وتسعون سنة. وأبو المنصور مظفَّر بن عبد الملك بن الفُوِّىّ المالكىّ . ونائب الملك الناصر الأمير شمس الدين لؤلؤ قُتِل فى جماعة فى الوقعة الكائنة بين المصريّين والشاميّين .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وأربع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبعان .

*
* *

السنة الثانية من ولاية السلطان الملك المُعِزّ أَيْبَك الصالحىّ النَّجْمِىّ التُّرْكُمَانِىّ على مصر، وهى سنة تسع وأربعين وستمائة .

---

(١) فى الأصلين : « ابن الحر » . والتصويب عن تاريخ الإسلام للذهبى وشذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ .   (٢) فى تاريخ الإسلام للذهبى وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ : « ابن الجباب » بالجيم . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٣) هو عبد الوهاب بن ظافر بن على بن إبراهيم رشيد الدين بن رواح كما فى تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والسلوك .

فيها عاد الملك الناصر صلاح الدين يوسف من غَزّة إلى دِمَشق، وأرسل المُعِزّ عسكرَ مصر فنزل إلى غزّة والساحل[(١)]، ثم عادوا إلى القاهرة .

وفيها أيضا أخذ الملك المُغيث آبن الملك العادل آبن الملك الكامل الكَرَك والشَّوبَك، أعطاه إيّاهما الخادم[(٢)] . ولمّا سمع الملك المعزّ بذلك جهّز الأميرَ فارس الدين أقطاى الجَمَدَار في ألف فارس إلى غَزّة .

وفيها نقلوا تابوتَ الملك الصالح نجم الدين أيّوب إلى تربته بالقاهرة ببين القصرين، ولبِس الأمراء ثيابَ العزاء وناحوا عليه ببين القصرين، وتصدّقت جاريته شجرة الدّرّ في ذلك اليوم بمالٍ عظيم .

وفيها أخرب التركُ دِمْياط[(٣)] وحَمَلوا[(٤)] آلاتها إلى مصر وأخربوا الجزيرة[(٥)] (أعنى الروضة) وأخلَوْها .

وفيها كثُر الظلم بالديار المصريّة وعظُم الجَوْر والمصادرات لكلّ أحد حتى أخذوا مال الأوقاف ومال الأيتام على نيّة القَرْض، ومن أرباب الصنائع كالأطباء والشهود[(٦)] .

---

(١) عبارة نزهة الأنام : « فيها عاد الملك الناصر يوسف من غزة إلى دمشق وجاء عسكر مصر فنزل غزة والساحل ونابلس وحكموا البلاد على الشريعة وجهز الملك الناصر صلاح الدين عسكره وجاءته نجدة وساروا إلى غزة فعاد الترك إلى مصر راجعين الخ» . وقريب من هذا عبارة مرآة الزمان وعيون التواريخ .

(٢) هو بدر الدين الصوابى الصالحى نائب الملك الصالح نجم الدين . راجع حوادث سنة ٦٣٨ هـ من الجزء السادس من هذه الطبعة، وتاريخ أبى الفدا في حوادث السنة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) في نزهة الأنام وعيون التواريخ : «ونقلوا أهلها إلى مصر» .

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٦) هذه اللفظة لا يحتملها السياق . ولم نعثر على هذا الخبر في المصادر التي تحت أيدينا وعبارة نزهة الأنام : «وفيها أحدث بمصر ظلامات كثيرة على الرعية وذلك باشارة الأسعد الفائزى» . ولم يأت فيه بالعبارة الأخيرة منه .

وفيها تُوُفِّى الفقيه بهاء الدين علىّ بن هِبَة الله بن سَلامة بن الجُمَّيْزِىّ، كان إماما فاضلا عارفا بمذهب الشافعىّ دينًا، وكان يخالط الملوك . ولما حجّ قَبِل هدية صاحب اليمن فأعرض عنه الملك الصالح نجم الدين أيّوب لذلك . وكانت وفاته فى ذى الحجة بمصر، ودُفِن بالقرافة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفى الإمام عبد الظاهر ابن نَشْوان السَّعْدىّ[(١)] المقرئ النحوىّ الضرير فى جُمادى الأولى . وأبو نصر عبد العزيز ابن يحيى بن الزبيدىّ، وله تسع وثمانون سنة . والإمام أبو المظفَّر محمد بن مُقْبِل ابن فِتْيان النَّهْرَوانِىّ بن المَنِّىّ فى جُمادى الآخرة . وأبو نصر الأعزّ بن فَضائل ببغداد فى رجب . والأمير الصاحب جمال الدين يحيى بن عيسى المصرى ابن مطروح الأديب . وأبو القاسم عيسى بن أبى الحرم[(٢)] مَكِّىّ بن حسين العامرىّ المصرىّ المقرئ فى شوّال . والإمام أبو محمد عبد الخالق بن الأنجب بن المعمَّر النَّشْتَبْرِىّ[(٣)] بماردين فى ذى الحجة . والإمام العلامة بهاء الدين أبو الحسن علىّ بن هِبَة الله بن سَلامة بن الجُمَّيْزِىّ فى ذى الحِجّة، وله تسعون سنة وأُسبوعان . والفقيه عُبَيد[(٤)] الله بن عاصم خطيب رُنْدَة[(٥)]، وله سبع وثمانون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانىَ عشرةَ ذراعا وثمانىَ عشرةَ إصبعا .

---

(١) فى تاريخ الإسلام للذهبى وشذرات الذهب وغاية النهاية : « ابن نشوان الجذامى » .

(٢) كذا فى الأصلين وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب . وفى غاية النهاية وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ : « عيسى بن أبى الحزم » بالزاى المعجمة .

(٣) فى الأصلين : « التسترى » وهو تحريف . وتصحيحه عن المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى وتاريخ الإسلام ومعجم البلدان . والنشتبرى : نسبة الى نشتبرى، قرية كبيرة ذات نخل وبساتين تختلط بساتينها ببساتين شهرابان فى طريق خراسان من نواحى بغداد .

(٤) فى الأصلين : «عبد الله» . والتصويب عن تاريخ الإسلام وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ .

(٥) رندة : حصن من حصون الأندلس بين إشبيلية ومالقة .

*
* *

السنة الثالثة من ولاية الملك المُعِزّ أَيْبَك التُّرْكُمَانِيّ على مصر، وهى سنة خمسين وستمـائة .

فيهـا وصلت التّتار إلى الجزيرة ونهبوا ديار بكر ومَيّافارِقين [1]، وجاءوا إلى رأس عَيْن وسَرُوج [2] وغيرها، وقتلوا زيادةً على عشرة آلاف إنسان، وصادفوا قافلةً خرجت من حَرّان [3] تقصد بغداد، فأخذوا منهـا أموالًا عظيمة: منها ستمّائة حِمْل سكّر مصرىّ وستمـائة ألف دينار، قاله أبو المظفّر فى مرآة الزمان، قال: وقتلوا الشيوخ والعجائز وساقوا من النساء والصِّبْيان ما أرادوا، ثم رجعوا إلى خِلَاط [4]. وقطع أهلُ الشرق الفُرات وخاض الناسُ فى القَتْـلَى من دُنَيْسر [5] إلى الفـرات . قال بعض التّجار: عددتُ على جِسْر بين حَرّان ورأس عين فى مكان واحد ثلثمائة وثمانين قتيـلًا من المسلمين؛ ثم قُتِل ملك التّتار كشلوخان .

وفيهـا حُجّ بالناس من بغداد بعد أن كان بَطَل الحجّ منذ عشر سنين من سنة مات الخليفة المستنصر.

وفيها قدِم الشيخ نجم الدين البَادَرَانِيّ [6] رسولا من الخليفة وأصلح بين المُعِزّ أيبك صـاحب الترجمة و بين الناصر يوسف، وقـد تقدّم ذلك، وكان كلّ واحد من الطائفتين قد سَئِم [7] وضرس من الحرب، وسكنت الفتنةُ بين الملوك وآستراح الناس .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٨٢ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٣ من الجزء الخامس من هـذه الطبعة . (٤) راجع الكلام عليهـا فى الجزء الثالث من هـذه الطبعة ص ٢٢٠، ٢٧٨ (٥) دنيسر: بلدة عظيمة مشهورة من نواحى الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان (عن معجم البلدان لياقوت) . (٦) فى الأصلين هنا: «بدر الدين» . والتصويب عما تقدم ذكره للؤلف فى ترجمة المعز ونزهة الأنام وعيون التواريخ . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢ من هذا الجزء . (٧) يلاحظ أن آستعمال هذا الفعل لايناسب المقام هنا و إن كان المراد واضحا .

وفيهـا تُوفِّى العلّامة رضِىّ الدين أبو الفضائل الحسن بن محمـد بن الحسن بن حَيْدَر بن علىّ القُرَشىّ العَدَوىّ العُمَرىّ الصاغانىّ (١) الأصل الهِنْدىّ اللاهُورِىّ (٢) المولد البَغْدادىّ الوفاة المحدِّث الفقيه الحنفىّ اللغوىّ الإمام صاحب التصانيف، وُلِد بمُنْيَة لاهُور فى عاشر صفر سنة سبع وسبعين وخمسمائة ونشأ بغَزْنة (٣)، ودخل بغدادَ فسمع الكثير فى عِدّة بلادٍ ورحَل . وكان إليـه المنتَهى فى علم العربيـة واللغة، وصنَّف كتاب «مجمع البحرين» فى اللغة، آثنا عشر مجلَّدا، وكتاب «العُبَاب الزاخر» فى اللّغة أيضا عشرون مجلدا ، وأشياء غير ذلك. قال الحافظ الدِّمْياطى (٤) : وكان شيخا صَدُوقًا صالحا صَمُوتا عن فضول الكلام إماما فى اللّغة والفقه والحديث ؛ قرأتُ عليـه يوم الأربعاء وتُوفِّى ليـلة الجمعة تاسع عشر شعبان ، وحضرتُ دفنَـه بداره بالحريم الطاهرىّ (٥) ببغداد. ثم ترجمه الدمْياطى ترجمة طويلة وأثنى على علمه وفضله ودينه .

وفيها تُوفِّى الشيخ شمس الدين محمد بن سعد [بن عبد الله بن سعد بن مُفْلِح بن هبة الله (٦)] الكاتب المَقْدِسىّ نشأ بقاسيُون على الخير والصلاح وقرأ النحوَ والعربيّـة وسمع الحـديث الكثير، وبَرَع فى الأدب . وكان ديِّنـا حسنَ الخط وكتب للملك الصالح إسماعيل وللملك الناصر داود . ومن شعره :

---

(١) الصاغانى : نسبة إلى الصاغانيان (بفتح الصاد المهملة والغين المعجمة وألف ونون ومثناة تحتية ونون فى الآخر) مدينة فيما وراء النهر فتحها قتيبة بن مسلم الباهلى فى خلافة عمر بن الخطاب .

(٢) نسبة الى لاهور وهى حاضرة إقليم بنجاب ببلاد الهند فتحها محمود الغزنوى سنة ١٠١٣م = ٤٠٤هـ وكما يقال فيهـا لاهور كساجور، يقال أيضا لهور كجعفر، ولوهور بفتح اللام وسكون الواوين و بينهما هاء مفتوحة وفى آخرها راء، كما يقال فيها لهاوور بواوين . (٣) غزنة هى مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان وهى الحدّ بين خراسان والهند وهى هكذا ينطق بها العامة والعلماء ينطقونها غزنين و يعربونها فيقولون جزنة (عن معجم البلدان لياقوت). (٤) هو عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف الدمياطى أبو أحمد وأبو محمد شرف الدين . (عن تذكرة الحفاظ والدرر الكامنة وشذرات الذهب والمنهل الصافى) وسيذكره المؤلف فى حوادث ٧٠٥هـ. (٥) الحريم الطاهرى : دار محمد بن عبد الله بن طاهر فى الجانب الغربى من بغداد . وراجع الحاشية رقم ٥ ص ١٢٦ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٦) الزيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

لنا بقدوم طلعتك الهناءُ * وللأعداء وَيحَهم الفَناءُ
قدِمتَ فكنتَ شِبْهَ الغيث وافَى * بلادًا قد أُحِلّ بها الظَّماءُ

قلت : ويعجبنى فى هذا المعنى قولُ القائل ولم أُدرِ لِمَنْ هو :

قدومُك أشهى من زُلالٍ على ظما * وأحسن من نيل المُنَى فى المآربِ
حكى الغيثَ وافى الأرضَ من بعد جَدْبِها * وأَطْلَع فيها النبتَ من كلّ جانبِ

وفيها تُوفّى الأمير الصاحب جمال الدين (١) أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم ابن الحسين بن علىّ بن حمزة بن إبراهيم بن الحسين (٢) بن مطروح . كان أصله من صعيد مصر (٣)، وولِد به ونشأ هناك، ثم قدِم القاهرةَ وآشتغل وبرَع فى الأدب والكتابة وآتّصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيّوب . قال أبو المظفّر : كان فاضلًا كيّسًا شاعرا . ومن شعره لمّا فتح الناصرُ داود بُرْجَ داود بالقُدْس، قال :

المسجد الأقصى له عادةٌ * سارت فصارت (٤) مثلًا سائرًا
إذا غدا للكفر مستَوْطَنًا * أن يبعث الله له ناصرا
فناصرٌ طهّره أوّلًا * وناصر طهّره آخرا

قال : وتوفى فى شعبان ودفن بسارية (٥) بالقرافة وكانت له أخبار عظيمة، وكان قد دخل بين الخُوارَزْمِيّة والصالح أيّوب، وآستنابه أيّوب بالشام ولبِس ثياب الجند وما كانت تليق به. ثمّ غضِب عليه الصالح وأعرض عنه إلى أن مات، فأقام خاملًا

(١) هو الذى تقدّمت وفاته فيمن ذكر الذهبى وفاتهم فى السنة الماضية ووافق الذهبى فى ذلك ابن خلكان وعقد الجمان وعيون التواريخ وشذرات الذهب ونزهة الأنام .
(٢) فى الأصلين : «ابن الحسن» . والتصويب عن المصادر عينها .
(٣) فى شذرات الذهب وابن خلكان وتاريخ الإسلام : «وكانت ولادته بأسيوط» .
(٤) فى الأصلين : «وصارت» . وما أثبتناه عن ديوانه ومرآة الزمان .
(٥) فى ابن خلكان والمنهل الصافى : «ودفن بسفح جبل المقطم» .

إلى أن مات . وقد كان جَوَادًا ذا مُروءة متعصِّبًا سمحا حليما حسن الظنّ (١) بالفقراء عارفا فاضلا . انتهى كلام أبي المظفَّر . قلت : وديوان شعره مشهور . ومن شعره القصيدة المشهورة :

هى رامةٌ فخُــذُوا يمين الوادِى * وذَرُوا السيوف تقرّ فى الأغمادِ
وحَذارِ من لحَظات أعينِ عِينِها * فلكم صَرَعْنَ بهـا من الاسادِ
مَن كان منكم واثقا بفـؤادِه * فهنـاك ما أنا واثق بفؤادى
يا صاحِبَىَّ ولى بجَرعاءِ الحِمَى * قلبٌ أسيرٌ ماله من فادى
سلبتْـه منّى يوم بانوا مُقـلةٌ * مكحولةٌ أجفانهـا بسواد
وبحُبّ (٢) من أنا فى هـواه ميِّتٌ * عَيْنٌ على العُشّاق بالمِرْصادِ
وأغنّ مِسْكِىّ اللّمى معسـولَه * لولا الرقيب بلغتُ منه مرادى
كيف السبيلُ إلى وصال محجَّبٍ * ما بين بِيض ظُبًا وسُمْرِ صِعادِ
فى بيت شَـعْر نازلٍ من شعره * فالحسن منه عاكفٌ فى بادى
حرسوا مُهفْهَفَ قَـدِّه بمثقّف * فتشـابه الميّـاسُ بالميّـادِ
قالت لنا ألِفُ العـذار بخدّه * فى ميم مَبْسِمه شفـاءُ الصادى

وهى أطول من ذلك آختصرتُهـا خوفَ الإطالة . ويعجبنى قصيـدة الجزّار (٣) فى مدح آبن مطروح هذا . أذكر غزلهـا :

هــو ذا الرَّبْعُ ولى نفْسٌ مَشُوقَهْ * فاحبِس الركبَ عسَى (٤) أقضى حقوقَهْ
فقبيحٌ بِىَ فى شَرْع الهَــوَى * بعــد ذاك البِرّ أن (٥) أرضى عُقُوقَهْ

(١) فى الأصلين : « حسن النظر » . والتصحيح من مرآة الزمان .
(٢) رواية ديوانه : * ولحى من أنا فى هواه ميت *
(٣) هو جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبـد العظيم بن يحيى بن محمـد بن على المعروف بالجزار . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٩ هـ .
(٤) فى الأصلين : « حتى أقضى ... إلخ » .
(٥) فى الأصلين : «أن أقضى» . وما أثبتناه عن ابن خلكان .

لستُ أَنْسَى فيـه ليـلاتٍ مضتْ * مع مَنْ أَهْوَى وساعاتٍ أنيقة

ولئن أَضْحَى مَجازًا بعــدهم * فغرامى فيــه مازال حقيقـة

يا صــديقِى والكريمُ الحُــرُّ فى * مثل هذا الوقت لا يَنْسَى صديقَهْ

ضــع يدًا منـك على قلبى عَسَى * أن تهـدِّى بين جَنْبَىَّ خُفُوقَهْ

فاض دمعى مُذْ رأى ربعَ الهوى * ولكمْ فاض وقــد شــامَ بُرُوقَهْ

نَفِــد اللــؤلؤ من أدمعــه * فغــدا ينـثُر فى التُّرْبِ عَقِيقَـه

قف [معى] وآستوقف الركبَ فإنْ * لم يقِف فاتْرُكْهُ يمضى وطريقَــهْ
(١) (٢)

فهى أرضٌ قلّمــا يلحَقُهــا * آمِـلٌ والرَّكْبُ لم أَعْدَم لُحُوقَهْ

طالمــا آسـتجْلَيتُ فى أرجائهــا * من يَتِيهُ البــدرُ إذْ يُدْعَى شقيقَهْ

يفضَــح الوردَ آحمــرارًا خدُّه * وتَوَدُّ الخمــرُ لو تُشْــبِه ريقَــهْ

فبــه الحسنُ خَلِيقٌ لم يزل * والمعــالى بابن مطــروحٍ خليقــه

وله بيتان ضمَّنهما بيتَ المتنبِّى الذى هو أوّل قصيدته، وهو :

تذكّرتُ ما بين العُــذَيْبِ وبارِقِ * مَجَــرَّ عوالينــا ومَجْــرَى السوابقِ

فقال آبن مطروح مضمِّنًا :

إذا ماسقــانى ريقَــه وهو باسمٌ * تذكّرتُ ما بين العُــذَيْبِ وبارقِ

ويُذْكِرُنى من قَــدِّه ومــدامعى * مَجَــرَّ عوالينــا ومَجْــرَى السوابِقِ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هــذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّى أبو البركات، هبــة الله ابن محمد بن الحُسَين [المعروف با] بن الواعظ المَقْدِسىّ ثم الإسكندرانىّ عن إحدى
(٣)

(١) التكلة عن ابن خلكان . (٢) فى الأصلين : « يمضى فى طريقه » . وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام .

وثمانين سنة. وأبو القاسم يحيى بن أبي السعود [نصر][١] بن قُمَيْرة[٢] التاجر في جمادى الأولى، وله خمس وثمانون سنة. والعلّامة أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن العَدَوِى العُمَرِى الصَّغَانِى النحوى اللغوى. والأديب شمس الدين محمد بن سعد بن عبدالله المَقْدِسى الكاتب في شوّال. والمسنِد رشيد الدين أحمـد بن المُفَرِّج[٣] بن على [بن عبد العزيز][٤] بن مَسْلَمة العَدْل في ذى القعدة.

§ أمر النيل في هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وسبع أصابع. مبلغ الزيادة ثمانىَ عشرةَ ذراعا وسبع عشرة إصبعا.

* * *

السنة الرابعة من ولاية الملك المُعِزّ أَيْبَك الصالِحِى النَّجْمِى التُّرْكُمانِى على مصر، وهى سنة إحدى وخمسين وستمائة.

فيها كانت الوقفة الجمعة.

وفيها عظُم بمصر أمرُ الأمير فارس الدين أَقْطاى الجَمَدار ورُشِّح للسلطنة، وكان من حزبه من خُشْدَاشِيَته بِيبَرْس البُنْدُقْدارِى، وبَلَبان الرَّشِيدى، وسُنْقُر الرُّومى، وسُـنْقُر الأشقر[٥]. وصار الملك المُعِزّ في خوف. وقـد تقدّم ذكـر هذه الحكاية في ترجمة المُعِزّ.

وفيها كان الغـلاء بمكّة المشرّفة، وأبيع فيهـا الشَّرْبَةُ المـاء بدرهم، والشاة بأربعين درهما.

---

(١) الزيادة عن شذرات الذهب والسلوك. (٢) كذا في شذارات الذهب والوافى بالوفيات للصفدى وتاريخ الإسلام للذهبي والقصيدة اللامية في التاريخ والسلوك. وقد ضبط في الوافى بالقلم (بضم القاف وفتح الميم). وفي الأصلين: «ابن نهيرة». وهو خطأ.

(٣) في الأصلين: «ابن الفرج». وما أثبتناه عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي.

(٤) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبي. (٥) في الأصلين: «وسنقر الأعسر». وما أثبتناه عن المنهل الصافى وما تقدّم ذكره للمؤلف في ترجمة المعز أيبك.

وفيها تُوُفِّى الشيخ الإمام سعد الدين محمد بن المؤيَّد[١] [بن عبد الله بن علىّ] بن حَمّويه ابن عمّ شيخ الشيوخ صَدْرالدين[٢] . مات بخُرَاسان ، وكان زاهدا عابدا ديِّنا متكلِّما فى الحقيقة ، وله مجاهدات و رياضات ، وقدِم الشام[٣] وحجّ وسكن بدِمَشْق ، ثمّ عاد إلى الشرق بعد أن آفتقر بالشام ، وآجتمع بملك التّتار فأحسن به الظنّ وأعطاه مالا كثيرا ، وأسلم على يده خلقٌ كثير من التّتار ، و بنى هناك خانقاه وتُرْبة إلى جانبها ، وأقام يتعبّد ، وكان له قبول عظيم هناك — رحمه الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى أبو البَقاء صالح بن شُجَاع بن محمد بن سيّدهم المُدْلِجىّ الخيّاط فى المحرّم . وسِبْط السِّلَفِىّ[٤] أبو القاسم عبدالرحمن بن أبى الحَرَم مكّىّ بن عبدالرحمن الطّرابُلُسِىّ الإسكندرانىّ فى شوّال عن إحدى وثمانين سنة . وأبو محمد عبد القادر بن حسين [بن محمد بن جَمِيل][٥] البَنْدَنِيجىّ البوّاب آخر من روَى عن عبد الحق اليُوسُفِىّ[٦] .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وثمانى أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .

⁂

السنة الخامسة من ولاية الملك المُعِزّ أَيْبَك الصالحىّ النَّجْمِىّ التُّرْكُمانىّ على مصر، وهى سنة آثنتين وخمسين وستمائة .

(١) التكملة عن المنهل الصافى وشذارات الذهب ، وذكر فيها أن وفاته كانت سنة ٦٥٠ ه .

(٢) هو صدر الدين محمد بن عمر بن علىّ بن محمد بن حمويه الجوينى . تقدّمت وفاته سنة ٦١٧ ه .

(٣) فى عقد الجمان ونزهة الأنام « وقدم مصر ... الخ » .

(٤) هو أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ أبو طاهر . تقدّمت وفاته سنة ٥٧٦ ه .

(٥) الزيادة عن نزهة الأنام .

(٦) هو أبو الحسين عبد الحق بن عبدالخالق اليوسفى وقد ذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٥٧٥ ه فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى .

فيها وصلت الأخبار من مكّة بأنّ نارًا ظهرت فى أرض عدن[1] فى بعض جبالها، بحيث يطير شررُها إلى البحرِ فى الليل، ويصعَدُ منها دُخَان عظيمٌ فى النهار، فما شكُّوا أنّها النار التى ذكر النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم أنّها تظهر فى آخر الزمان. فتاب الناس وأقلعوا عمّا كانوا عليه من المظالم والفساد، وشرعوا فى أفعال الخير والصدقات.

قلت: وقد تقدّم ذكر هذه النار بأوسعَ من هذا فى ترجمة الملك المعزّ[2] هذا.

وفيها وصلت الأخبار من الغرب بآستيلاء إنسان على إفريقيّة وآدّعى أنّه خليفة، وتلقّب بالمستنصر[3]، وخُطِب له فى تلك النواحى، وأظهر العدلَ وبنى بُرْجا وأجلس الوزيرَ والقاضىَ والمحتسبَ بين يديه يحكمون بين الناس، وأحبّته الرعيّة وتمّ أمرُه.

وفيها تُوفّى الإمام عبد الحميد بن عيسى الخُسْرُوشَاهِى[4]. كان إماما فاضلا فى فنون، وصحِب الفخر الرازى آبن خَطيب الرَّى، وأقام عند الملك الناصر داود سنينَ كثيرةً بدمشق والكَرَك، وكان متواضعا كبير القدر كثير الإحسان. مات بدمشق ودفن بقاسِيون فى تربة المعظّم عيسى.

(١) عدن: أهم ميناء فى جنوب بلاد العرب، تبعد عن باب المندب زهاء مائة ميل وخمسة. وهى قلعة حصينة تشبه جبل طارق فى الغرب، دخلت فى حوزة الانجليز سنة ١٨٣٩م واستعملت مستودعا للفحم لتموين البواخر الانجليزية، وقد تضاعفت أهميتها بعد فتح قناة السويس ومرور البواخر بالبحر الأحمر، وهى فوق ذلك مرفأ تجارى لحاصلات بلاد العرب الصمغ والبن وغيرها [القاموس الجغرافى طبع لندن سنة ١٩٠٥م]. (٢) يلاحظ أن النار التى تقدّم ذكرها للؤلف فى ترجمة المعز أيبك هى النار التى ظهرت بالمدينة سنة ٦٥٤ هـ وليست بالنار التى ظهرت بعدن. (٣) هو المستنصر بالله أمير المؤمنين محمد بن أبى زكريا يحيى الحفصى صاحب تونس تولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٤٧ هـ ودخل فى بيعته شرق الأندلس، واستفزوه للجهاد ضد الفرنج، ثم بايع له شريف مكة بالخلافة سنة ٦٥٢ هـ وخطب له بمكة.

وفى أيامه تحوّلت الحملة الصليبية من الشرق إلى الغرب، فكانت الحملة التاسعة والأخيرة بينه وبين لويس التاسع ملك فرنسا سنة ٦٦٨ هـ وآنتهت بموت لويس التاسع المعروف عند العرب بالفرنسيس وقد توفى المستنصر هذا سنة ٦٧٥ هـ، [راجع ترجمته فى تاريخ ابن خلدون من ص ٤١٠ — ٤٤٦ الجزء الأوّل طبع الجزائر سنة ١٢٦٣ هـ ١٨٤٧ م بعناية المستشرق البارول رسلان]. (٤) الخسروشاهى: نسبة إلى خسروشاه، قرية من قرى تبريز، بينهما ستة فراسخ. (عن طبقات الشافعية ومعجم البلدان لياقوت).

وفيها تُوفِّى الشيخ الإمام العلّامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله (١)[ابن أبى القاسم الخضِر بن محمد بن على] بن تَيْمِيّة الحَرّانى الحَنْبَلى جَدّ الشيخ تَقِى الدين (٢) ابن تَيْمِيّة . وُلِد فى حدود سنة تسعين (٣) وخمسمائة وتفقّه فى صغره على عمّه الخَطيب نَخْر الدين (٤)، وسمع الكثيرَ ورحل البلاد وبرَع فى الحديث والفقه وغيره ، ودرّس وأفتى وآنتفع به الطلبة، ومات يوم الفطر بحَرّان .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفى سَديد [الدين](٥) أبو محمد مكّى [بن أبى الغنائم](٥) بن المسلم [بن مكّى](٥) بن عَلّان القَيْسى فى صفر ، وله تسع وثمانون سنة . والرشيد إسماعيل بن أحمد بن الحسين العِراقىّ الحنبلىّ عن نيّف وثمانين سنة فى جُمادى الأولى . والمفتى كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة النَّصِيبِىّ بحلب عن سبعين سنة . وأبو البقاء محمد بن على بن بقاء [بن](٦) السَّبّاك . والعلّامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم ابن تَيْمِيّة بحَرّان يوم الفطر عن آثنتين وستين سنة . وأبو الغَيْث فرج [بن عبد الله](٧) الحَبَشِىّ فتى أبى جعفر القُرْطُبى (٨) فى شوّال . والإمام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخُسْرُوشاهِىّ بِدمَشْق . وأبو العزائم عيسى بن سَلّامة بن سالم الخَيّاط بحَرّان فى أواخر السنة (٩)، وله مائة وسنة . والفارس أَقْطاى مقدّم البحريّة ، قتله المُعِزّ بمصر .

---

(١) زيادة عن شذرات الذهب وغاية النهاية والمنهل الصافى . (٢) هو تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٢٨ هـ .
(٣) فى الأصلين : «فى حدود سبعين وخمسمائة» . والتصويب عن غاية النهاية وشذرات الذهب والمنهل الصافى وما يفهم من عبارة السلوك . (٤) فى الأصلين هنا : «عز الدين» . والتصويب عن مختصر طبقات الحنابلة وشذرات الذهب والمنهل الصافى ، وهو فخر الدين بن تيمية أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الخضر ابن محمد بن الخضر بن على بن عبد الله . ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٢٢ هـ . (٥) التكملة عن عيون التواريخ . (٦) تكملة عن شذرات الذهب . (٧) الزيادة عن عقد الجمان وشذرات الذهب وابن كثير والذيل على الروضتين . (٨) هو أبو جعفر أحمد بن على القرطبى المقرئ إمام الكلاسة . ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٩٦ هـ . (٩) فى أحد الأصلين : «فى أوّل السنة» .

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ المـاء القديم أربع أذرع وستّ أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .

٭٭٭

السـنة السادسة من ولاية الملك المُعِزّ أَيْبَك الصالحىّ النَّجْمِىّ التُّرْكُمانىّ على مصر، وهى سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

فيها عزمت المماليك العَزِيزيّة على القبض على الملك المُعِزّ وكاتبوا الملك الناصر فلم يوافقهم أَيْدُغْدِى العَزِيزىّ، وآستشعر الملك المعزّ منهم بذلك وعلم الخبر، وعلموا هم أيضا فهربوا على حَمِيّة، وكبيرهم آقوش البرنلى، ولم يهرب أَيْدُغْدِى وأقام بخيمه، فجاء الملك المُعِزّ راكبا إلى قرب خَيْمته فخرج إليه أيدغدى فأمر المعزّ بحمله، وقبض أيضا على الأمير الأَتابَكى ونُهبت خيامُ العَزِيزيّة وكانوا بالعَبّاسة، والأعيان الذين هربوا : هم بَلَبان الرَّشِيدىّ، وعزّ الدين أَزْدَمُر، وبيبَرْس البُنْدُقْدارِىّ، وسُنْقُر الأَشْقَر، وسيف الدين قَلَاوون الأَلْفِى، وبَدْر الدين بَيْسَرِى، وسُنْقُر الرُّومِى، وبَلَبان المُسْتَنصِرىّ[(١)] .

وفيها عاد الملك الناصر داود من الأنبار إلى دِمَشْق بعد أن حبسه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بقلعة حِمْص ثلاث سنين وبعث به إلى بغـداد ، ثم عاد إلى دمشق وأقام بهـا ، ثم عاد فى سنة ثلاثَ وخمسين إلى العراق، وحجّ وأقام بالحِلّة[(٢)]، وكان قد جرَى بين الحجّ العِراقىّ وأصحاب أمير مَكّة فتنةُ، فأصلح بينهم .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى المفتى ضياء الدين صَـقْر بن يحيى بن سالم الحَلَبِىّ فى صَفَر عن نيِّف وتسعين سـنة . والمحـدّث

(١) فى عيون التواريخ : «بلبان المستعرب» . وفى نزهة الأنام والسلوك : «بلبان المسعودى» .

(٢) المراد بها حلة بنى مزيد ؛ راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

شهاب الدين أبو العَرَب إسماعيل بن حامد الأنصارى القُوصِىّ فى شهر ربيع الأوّل عن ثمانين سنة . والنور محمد بن أبى بكر بن أحمد بن خَلَف البَلْخِىّ ثم الدِّمَشْقِىّ فى شهر ربيع الآخر، وقد رأى السِّلَفِىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وآثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء .

❖

السـنة السابعة من ولاية الملك المعزّ أَيْبَك الصالحىّ النَّجْمِىّ التُّرْكُمانِىّ على مصر، وهى سنة أربع وخمسين وستمائة .

فيهـا فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف مدرسته التى أنشأها بدمشق بباب الفَرَاديس .

وفيهـا غَرِقتْ بغدادُ الغَرَقَ العظيمَ الذى لم يُعهد مثله بحيث آنتقل الخليفةُ، ودخل المـاء إلى دار الوزير وغَرِقت خزائنُ الخليفة ، وجرى شىء لم يَجْرِ مثلُه ، وكان ذلك فى شهر ربيع الآخر وجُمادَى الأولى .

وفيها تُوفّى الشيخ الزاهد العابد الورِع المجاهد عِماد الدين عبد الله [بن أبى المَجْد الحسن بن الحسين بن علىّ الأنصارىّ](١) آبن النحّاس ، خدَم فى مبادئ أمره الملوكَ، وولِى الوزارةَ لبعضهم ، ثم آنقطع فى آخر عمره بقاسِيون بزاويته ، فأقام بها ثلاثين سنة صائمًا قائمًا مشغولا بالله تعـالى ويَقْضِى حوائج الناس بنفسه وماله ، ودُفِن بقاسِيون، وكان له مشهد هائل .

---

(١) التكلة عن شذرات الذهب وعيون التواريخ .

وفيها كان ظهور النار العظيمة بالمدينة الشريفة وهى غير التى ذكرناها فى السنة الماضية [١] ، وهذه النار التى تقدّم ذكرها فى ترجمة الملك المعزّ هذا .

وفيها آحترق مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى شهر رمضان ، وهذا غير النار التى ظهرت بنواحى المدينــة ، فإن هـذا الحريق له سبب [٢] ، آبتدأ من زاوية الحرم النبوىّ [الغربية من الشمال] [٣] ، فعلِقت فى آلات الحرم ثم دبّت فى السُّقُوف، فما كان إلّا ساعةٌ حتّى آحترقت سقوفُ المسجد أجمع ، ووقع بعضُ أَساطينه ، وكان ذلك قبل أن ينام الناس، وآحترق أيضا سقف الحجرة، وأصبح الناس فى يوم الجُمُعة فعزلوا موضعًا للصلاة . ونظَم فى حريق المسجد غيرُ واحد من الشعراء، فقال مُعين الدين بن تولو المَغربىّ :

قل للروافِض بالمَدينــة مَالكُمْ * يقتـادُكُم للـذّمّ كلُّ سفيهِ
ماأصبح الحَرَمُ الشريف محرّقًا * إلّا لسبّكم الصحابةَ فيـــه

وقال غيره :

لم يحـترق حَرَمُ النبي لحادثٍ * يُخْشَى عليـه ولا دهاه العـارُ
لكنها أَيدِى الروافِضِ لامَسَتْ * ذاك الجنـابَ فطهّرته النـارُ

قال : وعُدّ ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من جملة الآيات .

وقال أبو شامة : فى ليلة السادسِ عشر من جُمادى الآخرة خَسَفَ القمر أوّل الليل، وكان شديدَ الحُمْرة ثم آنجلى ، وكَسَفَتِ الشمس فى غده ، إحمـرّت وقت طلوعها

---

(١) يشير إلى ما ورد عن هذه النار فى سنة ٦٥٢ ﻫ وراجع أمر هـذه النار من ص ١٦ — ١٩ من هذا الجزء . (٢) فى شذرات الذهب أن احتراق المسجد النبوى كان ليلة الجمعة أول ليلة من رمضان بعـد صلاة التراويح على يد الفراش أبى بكر المراغى بسقوط ذبالة من يده .

(٣) زيادة عن عيون التواريخ وعقد الجمان والذيل على الروضتين .

و[قريب][1] غروبها، وآتضح بذلك ما صوره الإمام الشافعىّ من آجتماع الخسوف والكسوف، وآستبعده أهل النّجامة .

وفيها تواترت الأخبار بوصول هُولَاكُو إلى أذْرَبِيجان قاصدًا بلادَ الشام ، فتصالح العسكر المصرىّ والشامىّ على قتاله وتهيّأ كلٌّ منهم للقاء التّتَار .

وفيها تُوفّى الأمير مجاهد الدين إبراهيم بن أُونبا [بن عبدالله][2] الصَّوابى نائب دمشق، وليها بعد حُسام الدّين بن أبى علىّ، وكان فى أوّل أمره أمير جانْدار[3] الملك الصالح نجم الدين أيّوب، وكان أميرا كبيرا عاقلا فاضلا شاعرا . ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

أَشْبهكَ الغصنُ فى خِصالٍ * القَدّ واللّين والتثنّى

لكنْ [تَجَنّيك][4] ما حكاه * الغصنُ يُجْنَى وأنت تَجْنِى

وفيها تُوفّى الإمام العلّامة عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن الحسن زكىّ الدين أبو محمد البغدادىّ ثم المصرىّ المعروف بآبن أبى الإصْبَع . كان أحد الشعراء المجيدين، وهو صاحب التصانيف المفيدة فى الأدب وغيره . ومولده فى سنة خمس وقيل سنة تسع وثمانين وخمسمائة بمصر وتُوفّى بها . ومن شعره فى نوع «التصدير» وسمّاه الأوائل «ردّ العَجُز على الصدر» على خلاف وقع فى ذلك :

اِصبِرْ على خُلْقِ مَنْ تصاحبُه[5] * وآصحَبْ صَبُورًا على أَذَى خُلُقِكْ

---

(١) التكملة عن الذيل على الروضتين . (٢) فى الأصلين: «مجاهد بن إبراهيم» . والتصحيح والزيادة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والمنهل الصافى . (٣) أمير جاندار، هو لقب الذى يستأذن السلطان للأمراء وغيرهم فى أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل . وهو مركب من ثلاثة ألفاظ : أمير، وجان ومعناه الروح ودار ومعناه ممسك فيكون المعنى : الأمير الممسك للروح قال صاحب صبح الأعشى : ولم يظهر لى وجه ذلك إلا أن يكون المراد أنه الحافظ لدم السلطان فلا يأذن عليه إلا لمن يأمن عاقبته . (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦١) . (٤) التكملة عن شذرات الذهب وعيون التواريخ والمنهل الصافى . (٥) فى كتابه تحرير التحبير (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلاغة) : «من تعاشره» .

وذكر أيضا فى نوع « المـدح فى مَعْرِض الذم » أبياتا يعارض بهـا القاضى السعيد آبن سَنَاء المُلْك فى قوّاد . فقال هو فيمن آدّعى الفقهَ والكرم :

إنّ فلانًا أكرمُ النـاس لا * يمنع ذا الحـاجة من فَلْسِــه[1]
وهو فقيه ذو آجتهـادٍ وقـد * نَصّ على التقليـد فى درســه
فيُحْسِنُ البحثَ على وجهــه * ويُوجِبُ الدَّخْـلَ على نفســه

وأمّا قولُ آبن سناء الملك فى قوّاد :

لى صاحبٌ أَفْديه مِنْ صاحبٍ * حُـلْوُ التأتّى حسنُ الإحتيال
لو شاء من رِقّــة ألفاظـه * ألّف [ما][2] بين الهُدَى والضلال
يَكْفيــكَ منــه أنّه ربّمـا * قاد إلى المهجور طيفَ الخيال

قلت : ويُعْجِبُنى قول من قال فى هذا المعنى — أعنى فى قوّاد — :

إذا كانَ الذى تهواه غُصْنًا * وأقسم لا يَرِقُّ لمن يَهِيـمُ[3]
فدونك والنَّسِـيمَ له رســولًا * فإنّ الغصن يَعْطِفُه النسيم

وأحسن من هذا قول من قال :

لى صاحب ما زلتُ أشكر فعلَه * قـــد عمّنى بلطائف الإحسانِ
لو لم يكن مثلَ النسيم لطافةً * ما كان يَعْطِف لى غصونَ البانِ

---

(١) رويت هذه الأبيات فى كتاب البديع فى صناعة الشعر المعروف بتحرير التحبير هكذا :

ان فلانا لكريم غدا * لا يمنـع السائل من فلسـه
وهو فقيـه ذو اجتهاد فقد * نص على التقليـــد فى درسه
يستحسن البحث على وجهـه * ويوجب الشـغل على نفسه

(٢) تكملة عن ديوانه (نسـخة مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٣١ أدب) . (٣) فى الأصلين :

إذا كان من تهـواه غصنا * وأقســم لا يرق لمن يهيـم
فدونك والنسيم له رســول * فان الغصن يعطفه النسيم

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام الفقيه الواعظ المؤرّخ العلّامة شمس الدين أبو المظفّر يوسف بن قِزَأُوغْلِى بن عبد الله البَغْدادىّ ثم الدِّمَشْقِىّ الحنفىّ سِبْط الحافظ أبى الفرج آبن الجَوْزِىّ . كان والده حُسَام الدين قزأوغلى من مماليك الوزير عَوْن الدين يحيى آبن هُبَيْرة(١)، وكان عنده بمنزلة الولد، ربّاه وأعتقه وأدّبه . ومولد الشيخ شمس الدين هذا فى سنة آثنتين وثمانين وخمسمائة ببغداد، وبها نشأ تحت كَنَف جدّه لأمّه الحافظ أبى الفرج آبن الجَوْزِىّ إلى أن مات فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وآشتغل وبرَع فى عدّة علوم، ووعظ ببغداد وغيرها ، وقدِم دمشقَ وآستوطنها، ونالته السعادة والوجاهة عند الملوك ، لا سيّما الملك المعظّم عيسى، فإنّه كان عنده بالمنزلة العُظْمَى؛ ورحَل البلادَ وسمِع الحديثَ وجلس للوعظ فى الأقطار، وكان له لسان حُلْوٌ فى الوعظ والتّذْكار، ولكلامه موقع فى القلوب، وعليه قابليّة من الخاص والعام؛ وله مصنّفات مفيدة : تاريخه المسمّى « مرآة الزمان » وهو من أجلّ الكتب فى معناها . ونقلتُ منه فى هذا الكتاب معظم حوادثه . وكانت وفاته فى ذى الحِجّة . رحمه الله تعالى . وقد آستوعبنا ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » بأوسع من هذا؛ إذ هو كتاب تراجم وليس للإطناب فى ذكره هنا محلّ، كَوْن أنّنا شرطنا فى هذا الكتاب ألّا نُطْنِب إلا فى تراجم ملوك مصر الذين تأليف هذا الكتاب بصددهم، وما عداهم يكون على سبيل الآختصار فى ضمن الحوادث المتعلقة بالمترجَم من ملوك مصر . إنتهى .

وفيها تُوفّى الأمير سيف الدين أبو الحسن يوسف بن أبى الفوارس بن مُوسَك القَيْمُرِىّ واقف المارَستان بجبل الصالحيّة(٢)، كان أكبرَ الأمراء فى آخر عمره وأعظمَهم

(١) هو الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعد بن حسن الشيبانى عون الدين أبو المظفر. تقدّمت وفاته سنة ٥٦٠ هـ . (٢) فى عقد الجمان : « المارستان الذى بسفح جبل قاسيون » . والصالحية : قرية كبيرة ذات أسواق وجامع فى لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق .

مكانة ، وجميع أمراء الأكراد القَيْمُرِيّة(١) وغيرهم كانوا يتأدّبون و يقفُون فى خدمته إلى أن مات فى شعبان، وهو أجلّ الأمراء مرتبة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة، قال : وفيها تُوفّى العماد أبو بكر عبد الله بن أبى المجد الحسن بن الحسين الأنصارىّ آبن النحّاس الأَصَمّ فى المحرّم ، وله آثنتان وثمانون سنة . والإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد [بن عبد الرحمن](٢) بن وَثِيق الإشبيلىّ المُقرِئ بالإسكندريّة ، وله سبع وثمانون سنة، توفّى فى شهر ربيع الآخر . والقاضى أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام بن المَقْدِسيّة السَّفَاقِسِى(٣)، آخرُ من حضر على السِّلَفِىّ فى جُمادَى الأولى . والمفتى شمس الدين عبـد الرحمن بن نوح المَقْدِسِىّ . والواعظ شمس الدين يوسف بن قِزَأُوغلى سِبْط ابن الجَوْزىّ فى ذى الحجّة.

§ أمر النيل فى هذه السنة ـــ المـاء القديم أربع أذرع وستّ عشرةَ إصبعا . مبلغ الزيادة ثمـانىَ عشرةَ ذراعا وثلاثُ أصابع .

(١) عبارة الأصلين : « وجميع أمراء الأكراد والقيمرية » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .
(٢) التكملة عن شذرات الذهب وغاية النهاية .
(٣) السفاقسى : نسبة إلى سفاقس : ميناء تونس على خليج قابس ، وهى مدينتان السفلى التجارية والعليا . وميناؤها على عمق ٢٢ قدما ، تصدر القطن والصوف والفاكهة والزيت والعطور ، وقد اتصلت بقابس بخط حديدى سـنة ١٩٠٠ م . وسكانها ١٥ ألف نسمة منهم ثلاثة آلاف بين افرنج و يهود (قاموس لينكويس الجغرافى) .

ذكر سلطنة الملك المنصور علىّ بن أَيْبَك التُّرْكُمانى على مصر

السلطان الملك المنصور نور الدين علىّ ابن السلطان الملك المُعِزّ عِزّ الدين أَيْبَك التُّرْكُمانىّ الصالحىّ النجمىّ، ملك الديارَ المصريّة بعد قتل أبيه المُعِزّ أَيْبَك فى يوم الخميس خامس عشرين شهر ربيع الأوّل سنة خمس وخمسين وستمائة، وتمّ أمرُه وخُطِب له من الغد فى يوم الجمعة سادس عشرينه على منابر مصر وأعمالها . والمنصور هذا هو الثانى من ملوك مصر من الترك بالديار المصريّة .

وتسلطن المنصورُ هــذا وعمرُه خمسَ عشرةَ سنة، وركب فى يوم الخميس ثانى شهر ربيع الآخر بشعار السلطنة من القلعة إلى قُبــة النصر(١) فى موكب هائل، ثم عاد ودخل القاهرةَ من باب النصر، وترجّل الأمراءُ ومشَوْا بين يديه ما خلا الأَتَابَك علم الدين سَنْجَر الحلبىّ، ثم صعِد المنصور إلى القلعة وجلس بدار السلطنة ومدّ السِّماط للأمراء فأكلوا، ووزر له وزيرُ أبيــه شَرَف الدين الفائزىّ(٢) وانفضّ الموكبُ . وفى يوم الجمعــة ثالث(٣) شهر ربيــع الآخر خُطِب للملك المنصور وبعــده لأَتَابَكه

(١) ذكر المقريزى فى الجزء الثانى من خططه (ص ٤٣٣) عند الكلام على قبة النصر وص (١١١) من الجزء المذكور عند الكلام على ميدان القبق : أن هــذه القبة كانت زاوية يسكنها فقراء العجم، وهى خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الأحمر تجاه قبة الأمير يونس الدوادار الظاهرى بآخر ميدان القبق من بحريه . جددها الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ويستفاد مما ذكره السخاوى فى التبر المسبوك فى حوادث سنة ٨٥٤هـ : أن السلطان أمر بإقامة صلاة استسقاء فى الصحراء، فخرج سائر النــاس ونصب للامام منبر بين تربة الظــاهر برقوق وبين قبــة النصر بالقرب من الجبل .

من هذا يتبين أن القبة المذكورة كانت واقعــة فى الفضاء الكائن شرقى خانقاه الســلطان برقوق وقبة الأمير يونس الداودار بينهما وبين الجبل الأحمر وقد اندثرت هــذه القبة . وأما خانقاه السلطان برقوق فلا تزال موجودة وتعرف اليوم باسم تربة برقوق بجبانة المماليك . وأيضا قبة الأمير يونس لا تزال موجودة شمال تربة السلطان برقوق .

(٢) هو شرف الدين أبو ســعيد هبة الله بن صاعد الفائزى الوزير (راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة) . (٣) فى الأصلين : « هنا ثامن شهر ربيع الأول » . والتصحيح عما تقدّم ذكره للؤلف فى ترجمة الملك المنصور هذا والتوفيقات الالهامية .

عَلَم الدين سَنْجَر الحلَبِىّ[1] المذكور. وفَوّض القضاءَ بالقاهرة وأعمالها إلى القاضى بدر الدين السِّنْجارِىّ[2]، وعزَل تاج الدين ابن بنت الأعزّ[3] وأبقَى عليه قضاءَ مصر القديمة وأعمالها. وفى عاشر شهر ربيع الآخر قبَض الأمير قُطُز وسَنْجر [الغَتمى][4] و بَهادُر وغيرُهم من الأمراء المُعِزّيّة على الأتابَك سَنْجر الحلَبِىّ، وأنزلوه إلى الجُبّ[5] بالقلعة، وكان القبض عليه لأمور: أحدها أنّه كان طمِع فى السلطنة بعد قتل الملك المُعِزّ أَيْبَك لمـّا طلبته شجرة الدُّرّ وعرَضتْ عليه الملك، والثانى أنه بلغهم أنه ندِم على ترك الملك وهو فى عزم الوثوب؛ فعاجلوه وقبضوا عليه. ولمـّا قُبِض عليه آضطربت خُشْداشيتُه من المماليك الصالحيّة النَّجْمِيّة وخاف كلُّ أحد على نفسه، فهرب أكثرُهم إلى جهة الشام، فخرج فى إثرهم جماعةٌ من الأمراء المُعِزّيّة وغيرِهم، وتقنطَر بالأمير عِزّ الدين أَيْبَك الحلَبِىّ[6] الكبير فرسُه، وكذلك الأمير خاصّ تُرْك الصغير فهلكا خارجَ القاهرة وأُدْخِلا ميتَيْن، وكانوا ركبوا فى جماعة من المماليك الصالحيّة فى قصد الشام أيضا. وآتّبع العسكرُ المهزومين إلى الشام، فقُبِض على أكثرهم وحُمِلوا إلى القلعة وآعتُقِلوا بها. وقُبِض أيضا على الوزير شَرَف الدين الفائزى. وفُوِّض أمرُ الوزارة إلى القاضى بدر الدين يوسف السِّنجارِىّ مضافا إلى القضاء، وأُخِذ موجودُ الفائزى

(١) كان قد وصل إلى أن صار أتابك المنصور هـذا ثم قبض عليه بعد ذلك واعتقل وأقيم سيف الدين قطز نائب السلطنة وصار مدبر الدولة (راجع تاريخ أبى الفدا ج ٣ ص ٢٠١ والسلوك ص ٤٠٥).

(٢) هو بدر الدين السنجارى الشافعى قاضى القضاة يوسف بن الحسن بن على. سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٣ هـ. والسنجارى: نسبة إلى سنجار، وراجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٣) هو قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر أبو محمد المصرى الشافعى صدر الديار المصرية ورئيسها. سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٥ هـ.

(٤) زيادة عن عقد الجمان وعيون التواريخ.

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٥٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

(٦) فى المنهل الصافى: «الأمير سيف الدين أيبك بن عبد الله الصالحى الحلبى أحد المماليك الصالحية».

وكان له مال كثير . ثم قُبِض على بهاء الدين علىّ [بن محمد بن سليم](١) بن حِنّا وَزِير شجرة الدُّرّ، وأُخِذ خطّه بستّين ألف دينار . ثم خلَع الملك المنصور على الأمير أَقْطاى(٢) المُسْتعرِب بآستقراره أتابكًا عِوضًا عن سَنْجَر الحلبىّ . ثم فى شهر رجب رُفِعت يدُ القاضِى بدر الدين السِّنْجارِىّ من الوزارة وأُضيف إليه قضاءُ مصرَ القديمة ، فكمل له قضاء الإقليم بكماله ، ووِلى القاضى تاج الدين آبن بنت الأَعَزّ الوزارة .

ثم فى شعبان كثُرت الأراجيفُ بين الناس بأنّ الأمراء والأجناد آتّفقوا على إزالة حكم مماليك الملك المعزّ من الدولة ، وأنّ الملك المنصور تغيّر على الأمير سيف الدين قُطُز المعزّىّ ، وآجتمع الأمراء فى بيت الأمير بهاء الدين بُغْدِى(٣) مقدّم الحلْقة ، وتكلّموا إلى أن صلح الأمر بين الملك المنصور و بين مملوك أبيه الأمير قُطُز . وخلَع عليه وطيّب قلبه ؛ ثم وقع الكلام أيضا من المُعِزّيّة وغيرِهم. فلمّا كان رابع شهر رمضان ركب الأمير بُغْدِى و بدر الدين(٤) بلغان وآنضاف إليهما جماعة ووقفوا بآله الحرب ، فخرج إليهم حاشيةُ السلطان فقاتلوهم وهزموهم وقبضوا على بُغْدِى بعد أن جُرِح وعلى بلغان وحُمِلا إلى القلعة ؛ ودخلت المُعِزّية إلى القاهرة، فقَبضوا على الأمير عزّ الدين أَيْبَك الأسمر وأَرْزَن الرُّومىّ وسابق الدين بُوزنا الصَّيْرَفِىّ وغيرهم من المماليك الأشرفيّة ونُهِبت دورهم ، فآضطربت القاهرة حتّى نُودِى بالأَمَان لمن دخل فى الطاعة وسكن الناس، وركب السلطان الملك المنصور فى خامس

(١) التكملة عما تقدم ذكره للؤلف فى حوادث سنة ٦٤٨ هـ . (٢) هو أقطاى بن عبد الله النجمى الصالحى الأمير فارس الدين ، كان أصله مملوكا لنجم الدين محمد بن يمن ، ثم انتقل إلى ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ولهذا كان يقال له أقطاى المستعرب . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٧٢ هـ .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٤) فى نزهة الأنام والسلوك (ص ٤٠٦) : « سيف الدين » .

شهــر رمضان وشقّ القــاهرةَ وفى خدمتــه الأمير قُطُز وباقى ممــاليك أبيه ، ثم نزل أيضا فى عيد الفطر وصلّى بالمصلّى. وركب وعاد إلى القلعة ومُدّ السِّماط .

ثم ورد كتاب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام وحلَب على الملك المنصور بمُفَارقة البَحْريّة والصالحيّة له (أعنى الأمراءَ والمــاليكَ الذين خرجوا من القاهرة بعــد القبض على علم الدين سَــنْجَر الحَلَبِىّ المقدّم ذكْرُه) . فلمّــا وقف المصريّون على الكتاب ظنّوا أن ذلك خديعةٌ من الملك الناصر فآحترزوا لأنفسهم . ثم جهّز الملك المنصور عسكرا من المماليك والأمراء ومقدّمهم الدِّمياطىّ[1] إلى الشام ، فتوجّهوا ونزلوا بالعَبّاسة ؛ فوردت الأخبار على السلطان الملك المنصور بأنّ عساكر الملك الناصر وصلت إلى نابُلُس لقتال البَحْريّة الذين قدِموا عليه من مصر ثُمّ فارقوه ، وكان البحرية نازلين بغَزّة ، ثم وردت الأخبارُ بأنّ البَحْريّة ، وكان مقــدّم البحريّة بَلَبَــان الرَّشِيدِىّ وبِيبَرْس البُنْدُقْدَارِىّ ، خرجوا من غَزّة وكبَسوا عسكر الملك الناصر وقتلوا منهــم جماعة كثيرة ليــلا . ثم ورد الخبر ثانيــا بأنّ عسكر الملك الناصر كسروا البحريّة وأنّ البَحْريّة آنحازوا إلى ناحية زُغَر[2] من الغَوْر . ثم ورد الخــبر أيضا بمجىء البَحْريّة إلى جهة القــاهرة طائعين للسلطنة ، فقــدِم منهم الأمير عزّ الدين أَيْبَــك الأَفْرَم ومعه جماعة ، فتُلُقُّوا بالإكرام ، وأُفرِج عن أملاك الأفرم وأرزاقه ونزل بداره بمصر . ثم بلغ السلطانَ أنّ البحرية (أعنى الذى بقِىَ منهــم) رحلوا من زُغَر طالبين بعض الجهات ، فآتّضح من أمرهم أنّهم خرجوا من دِمَشْق على حَمِيّة وأنّهم قصدوا القُدْس الشريف ، ومُقْطَع القدس يوم ذاك سيفُ الدين كَبَك من جهة الملك الناصر

(١) هو الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الدمياطى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٦ هـ .

(٢) زغر (كزفر) : قرية بمشارف الشام . (عن معجم البلدان لياقوت) وشرح القاموس . وفى الأصلين : « رعر » بالعين المهملة . وهو تصحيف .

يوسف صاحب الشام وحلب، فطلبوا منه البحرية أن يكون معهم فآمتنع فآعتقلوه، وخطبوا بالقدس للملك المُغيث بن العادل بن الكامل بن العادل بن أيوب. ثم جاءوا إلى غزّة وقبضوا على واليها (أعنى نائبها) وأخذوا حواصل الملك الناصر من غزّة والقُدْس وغيرهما[(١)]. ثم إنّهم أطمعوا الملك المغيث صاحب الكَرَك فى مُلْك مصر، وقالوا له: هذا مُلْك أبيك وجَدِّك وعمّك، ثم عزموا على قصد الديار المصريّة، فجاء الخبر إلى مصر بذلك فخرج إليهم العسكر المصرى، وآجتمعوا بالصالحيّة[(٢)] وأقاموا بها، فلمّا كان سَحَر ليلة السبت منتصَف ذى القعدة وصلت البَحْريّة بمَنْ معهم من عسكر الملك المُغيث، ووقعتِ الحربُ بين الفريقين[(٣)] وآشتدّ القتالُ بينهم وجُرِح جماعة، والمصريّون مع ذلك يزدادون كثرةً وطلعت الشمسُ، فرأت البحريّة كثرة المصريّين فآنهزموا وأُسر منهم بَلَبان الرَّشيدىّ وبه جِراحاتٌ وهو من كِبَار القوم، وهَرب بيبرس البُنْدُقْدَارِىّ وبَدْرُ الصَّوابى[(٤)] إلى الكَرَك، وبعضُ البَحْريّة دخل فى العسكر المصرى، ودخل العسكر المصرى القاهرة، وزُيِّن البلدُ لهذا النصر وفَرِح الملك المنصور والأمير قُطُز بذلك.

وأمّا البَحْريّة فإنّهم توجّهوا إلى الملك المُغيث صاحب الكَرَك وحسّنوا له أن يركب ويجىء معهم لأخذ مصر فأصغَى لهم وتجهّز وخرج بعساكره من الكَرَك فى أوّل سنة ستّ وخمسين وستّمائة، وسار حتّى قدِم غَزّة، وأمرُ البَحْريّة راجعٌ إلى بيبرس البُنْدُقْدَارِىّ. فلمّا بلغ ذلك المصريّين خرج الأميرُ سيف الدين قُطُز بعساكر

---

(١) فى أحد الأصلين: «وغيره». وفى الآخر: «وغيرهم». (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٣) فى الأصلين: «ووقفت العرب بين الفريقين وآشتدّ القتال الخ ...». (٤) هو بدر بن عبدالله الصوابى الأمير بدر الدين أبو المحاسن الصوابى الطواشى الحبشى، أصله من خدام الطواشى صواب العادلى. سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٨ ه.

مصر ونزل بالَعبّاسة ، فلمّا تكامل عسكرُه سار منه قاصداً الشامّيين ، وخرج الملك المُغيث من غَزّة إلى الرمل فآلتـقى بالعسكر المصرىّ وتقاتلا قتالاً شـديدا فى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر ، فآنكسر الملك المُغيث بمَنْ معه من البَحْريّة ، وقُبِض على جماعة كثيرة من المماليك البَحْرِية الصالحيّة ، وهم : الأمير عِزّ الدين أَيْبَك الرُّومى وعزّ الدين أَيْبك الحَمَوِىّ وركن الدين الصَّيْرفى(١) وآبن أَطْلَس خان الخُوَارَزْمىّ وجماعةُ كثيرة ، فأُحضِروا بين يدى الأمير سيف الدين قُطُز والأمير القَيْمِىّ والأمير بهَادُر المعِزّيّة فأمَروا بضرب أعناقهم فضُرِبت ، وحُمِلت رءوسهم إلى القاهرة وعُلّقت بباب زُوَيلة ، ثم أُنزلت من يومها لمّا أنكر قتلَهم على المعزّية بعضُ أمراء مصر وآستشنَع ذلك .

وأمّا الملك المغيث فإنّه هرب هو والطواشى بدر الصَّوابِىّ وبيبَرْس البُنْدُقْدارِىّ ومن معهم ، ووصلوا إلى الكَرَك فى أسوأ حال بعد أن نُهِب ما كان معهم من الثِّقَل والخيام والسلاح وغير ذلك وأقاموا بالكَرَك ؛ وبينما هم فى ذلك أرسل الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام جيشاً مقدّمه الأمير مُجير الدين(٢) إبراهيم [بن أبى بكر](٣) بن أبى زكرى والأمير نور الدين علىّ بن الشجاع الأكتع فى طلب البحريّة ، وخرجت البحريّة لمّا بلغهم ذلك إلى غَزّة ، وآلتقَوْا مع العسكر الشامىّ وتقاتلوا فآنكسر العسكر الشامىّ ، وقُبِض على مُجير الدين ونور الدين وحملوهما البحريّة إلى الكرك ، وقوِىَ أمرُ البحريّة بهذه الكسرة وآشتدّوا .

وأمّا الملك الناصر لمّا بلغه كسرُ عسكره تجهّز وخرج بنفسه لقتال البحريّة ، وضَرب دِهليزه قبلى دِمَشْق ، فلمّا بلغ البَحْريّة ذلك توجّهوا نحو دِمشق وضربوا

(١) فى الذيل على مرآة الزمان : « الصرفى » . (٢) فى الأصلين : « محيي الدين » وهو تحريف ، وتصحيحه عن المنهل الصافى وعيون التواريخ . وما سيأتى ذكره للؤلف فى حوادث سنة ٦٥٨ هـ . (٣) تكملة عن المنهل الصافى وعيون التواريخ .

أطراف عساكر الملك الناصر، وخَفَّ بِيبَرْس البُنْدُقْدَارِيّ حتّى إنه أتى فى بعض الأيام وقطع أطنابَ خَيْمة الملك الناصر المضروبة، وذلك قبل خروج الناصر من دمشق. وبينما الناس فى ذلك ورد الخبرُ بأخذ التّتار لبغداد وقتل هولاكو الخليفةَ المستعصمَ بالله وإخراب بَغْداد.

قلت: نذكر سببَ أخذ هولاكو لبغداد ثم نعود إلى أمر المصريّين والشاميّين والبحـــريّة.

فأمّا أمر هولاكو فإنّه هُولَاكُو: وقيل: هولاو [وقيل هُلَاوُون] (١) بن تولى خان ابن جِنكِزْخان المُغْلِيّ، ولِي المُلْكَ بعد موت أبيه تولىقان، واتّسعتْ ممـالكُه وعظُم أمرُه وكَثُرتْ جيوشُه من المُغلِ والتّتار، ولا زال أمره فى زيادة حتى ملك مدينـة أَلَمُوت (٢) وقتل متولّيها شمس الشموس (٣) وأخذ بلاده، ثم أخذ الروم وأبقى بها ركن الدين كَيْقُبَاد بن غِياث الدين كَيْخُسْرُو صـورةً بلا معنى والحكمُ والتصرّفُ لغيره؛ وكان وزير الخليفـة المستعصم بالله مؤيّد الدّين بن العَلْقَمِيّ ببغداد، وكان رافضياً خبيثاً حريصا على زوال الدولة العباسيّة ونقل الخلافة إلى العلويّين، يدبِّر ذلك فى الباطن ويُظهر للخليفة المستعصم خلاف ذلك، ولا زال يُثِير الفِتَن بين أهل السُّنّة والرافضة حتّى تجالدوا بالسيوف، وقُتِل جماعةٌ من الرافضة ونُهِبوا، فآشتكى أهلُ باب البَصْرة إلى الأمير مجاهد الدين (٤) الدّوَادار وللأمير أبى بكر آبن الخليفـة فتقدّما إلى الجند بنهب

(١) زيادة عن المنهل الصافى وأخبار الدول وآثار الأول لأبى العباس القرمانى.

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١١٧ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

(٣) هو شمس الشموس ابن علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن المنتسب الى نزار بن المستنصر بالله العلوى صاحب مصر (عن الذيل على مرآة الزمان للقطب اليونينى). وراجع الحاشية رقم ١ ص ٣٢٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

(٤) فى الأصلين هنا وفى موضع آخر من هذه الترجمة «ركن الدين». والتصحيح عن الحوادث الجامعة وعيون التواريخ وذيل مرآة الزمان وما سيأتى ذكره للؤلف. وهو مجاهد الدين أيبك بن عبد الله الدوادار. قتل صبرا بيد التتار سنة ٦٥٦ هـ (عن المنهل الصافى).

الكَرْخ فركبوا من وقتهم وهجموا على الرافضة بالكَرْخ وقتلوا منهم جماعةً وآرتكبوا معهم[1] العظائم فخَنِق الوزير آبن العَلْقَمِى ونَوَى الشرّ فى الباطن وأمر أهلَ الكَرْخ الرافضة بالصّبر والكفّ عن القتال ، وقال لهم : أنا أكفيكم[2] فيهم وكان الخليفة المستنصر بالله قد آستكثر من الجند قبل موته حتّى بلغ عددُ عسكره مائةَ ألف ، وكان الوزير آبنُ العَلْقَمِىّ مع ذلك يُصانع التّتار فى الباطن ويكاتبهم ويُهادِيهم ، فلمّا آستُخْلِف المستعصم بعد موت أبيه المستنصر ، وكان المستعصم خَلِيًّا من الرأى والتدبير، فأشار عليه آبنُ العَلْقَمِىّ المذكور بقطع أرزاق أكثر الجند ، وأنّه بمصانعة التتار وإكرامهم يحصل بذلك المقصود، ولاحاجة لكثرة الجند ففعل الخليفةُ ذلك!

قلت : وكلمة الشيخ مطاعة !

ثم إنّ الوزير بعد ذلك كاتب التّتار وأطمعهم فى البلاد سِرًّا ، وأرسل إليهم غلامه وأخاه وسهّل عليهم فتحَ العراق وأخذَ بغداد ، وطلب منهم أن يكون نائبَهم بالبلاد فوعدوه بذلك ، وتأهّبوا لقصد بغداد وكاتبوا لؤلؤا[3] صاحب المَوْصِل فى تهيئة الإقامات والسلاح ، فكاتب لؤلؤ الخليفةَ سِرًّا وحذّره ، ثم هيّأ لهم الالات والإقامات . وكان الوزير آبنُ العَلْقَمِىّ المذكور ليس لأحد معه كلامٌ فى تدبير أمر الخليفة ، فصار لا يُوصِّل مكاتبات لؤلؤ ولا غيره للخليفة ، وعمّى عنه الأخبار والنصائح ، فكان يقرؤها هو ويُجيب عنها بما يختار، فنتج أمرُ التّتار بذلك غاية النّتاج وأخذ أمرُ الخليفة والمسلمين فى إدبار ! وكان تاج الدين بن صلايا نائب الخليفة بإرْبِل[4]

---

(١) فى الأصلين : « منهم » . (٢) عبارة عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان : « فأمرهم بالكف والتغاضى وأضمر هذا الأمر فى نفسه » . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) فى الأصلين : «نائب الخليفة ببغداد» . وتصحيحه عن الذيل على مرآة الزمان وعيون التواريخ والحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة لابن الفوطى . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦ من هذا الجزء .

حذّر الخليفة وحرّك عزمه ، والخليفةُ لا يتحرّك ولا يستيقظ ! فلمّا[(١)] تحقّق الخليفةُ حركَةَ التّتار نحوَه سيَّر إليهم شرف الدين بن محيي الدين آبن الجوزى[(٢)] رسولا يعدهم بأموال عظيمة ، ثم سيَّر مائةَ رجل إلى الدَّرْبَنْد يكونون فيــه يطالعون الخليفة بالأخبار ، فمضَوْا فلم يطلُع لهم خبر، لأنّ الأكراد الذين كانوا هناك دلّوا التّتار عليهم، فهجموا عليهم وقتلوهم أجمعين .

ثم ركب هُولَاكُو بن تُولى خان بن جِنْكِز خان فى جيوشــه من المُغْل والتّتار وقصــدوا العراق، وكان على مقدّمته الأمير بَايْجُونُوين[(٣)]، وفى جيشــه خلْقٌ من أهل الكَرْخ الرافضة ومن عسكرِ بركة خان آبنِ عمّ هولاكو ، ومَدَدٌ من صاحب المَوْصل مع ولده الملك الصالح ركن الدين إسمـاعيل ، فوصلوا قرب بغداد وآقتتلوا من جهة البرّ الغربىّ عن دِجْلة ، فخرج عسكرُ بغداد وعليهم ركن الدين الدَّوَادار ، فالتقَوْا على نحو مرحلتين من بغــداد ، فآنكسر البغداديّون وأخذتْهم السيوف، وغَرِق بعضهم فى المــاء وهرب الباقون . ثم ساق بايْجُونُوين مقدّمةَ هولاكو فنزل القرية[(٤)] مقابل دار الخلافة و بينه وبينها دِجْلة لاغير . وقصد هولاكو بغداد من البرّ الشرقىّ ،وضرب سُورًا وخَنْدقًا على عسكره وأحاط ببغداد ، فأشــار الوزير آبنُ العَلْقَمِىّ على الخليفة المستعصِم بالله بمصانعتهم . وقال له : أَخْرُجُ إليهم أنا فى تقرير الصلح فخرج إليهم، وآجتمع بهولاكو وتوثّق لنفسه وردّ إلى الخليفة ، وقال : إنّ الملك قــد رَغِب

(١) فى الأصلين : « فلمــا تحقق ابن صلايا ... الخ » . والتصحيح عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ .

(٢) هو شرف الدين عبــد الله بن محيي الدين يوسف بن أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى . قتل فى وقعة التتار فى حوادث ٦٥٦ هـ (عن شذرات الذهب)

(٣) فى الأصلين : «ناحونوين» . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان والحوادث الجامعة لابن الفوطى .

(٤) القرية : محلة ببغداد فى حريم دار الخلافة فيها محال وسوق كبيرة (عن معجم البلدان لياقوت)

فى أن يُزَوِّج بنته بآبنك الأمير أبى بكر، ويُبقيك على مَنْصِب الخلافة كما أبقى صاحب الروم فى سلطنته، ولا يطلب إلّا أن تكون الطاعة له كما كان أجدادُك مع السلاطين السَّلْجوقيّة، وينصرف هو عنك بجيوشه ! فتُجيبه يامولانا أمير المؤمنين لهذا، فإنّ فيه حَقْنَ دماءِ المسـلمين ، ويمكن أن تفعل بعد ذلك ما تريد ! والرأىُ أن تخرج إليه ؛ فسَمِع له الخليفة وخرج إليه فى جَمْع من الأعيان من أقارِبه وحواشيه وغيرهم . فلمّا توجّه إلى هُولاكو لم يجتمع به هولاكو وأُنزِل فى خيمة؛ ثم رَكِب الوزير وعاد إلى بغداد بإذن هولاكو ، وآسـتدعى الفقهاءَ والأعيـانَ والأماثلَ ليحضُروا عَقْدَ بنت هولاكو على آبن الخليفة ، فخرجوا من بغـداد إلى هولاكو ، فأمر هولاكو بضرب أعناقهم ! ثم مُدّ الجِسْرُ ودخل بايْجُونُوين(١) بمن معه إلى بغداد وبذلوا السيف فيهـا وآستمرّ القتـلُ والنهبُ والسَّبْىُ فى بَغْـداد بضعة وثلاثين يوماً ، فلم ينجُ منهم إلّا مَن آختفى. ثم أمر هولاكو بعدّ القَتْلَى فبلغوا ألفَ ألفٍ وثمانمائة ألف وكسرا . وقال الذهبىّ — رحمه الله — فى تاريخ الإسلام : والأصحّ أنّهم بلغوا ثمانمائة ألف . ثم نُودِى بعد ذلك بالأمان ، فظهر مَنْ كان آختفى وهم قليل من كثير .

وأمّا الوزير آبن العَلْقَمىّ فلم يتمّ له ما أراد، وما آعتقد أنّ التّتار يبذُلُون السيف مطلقًا فى أهل السُّنّة والرافضة معا، وراح مع الطائفتين أيضا أُمَمٌ لايُحْصَوْن كثرةً، وذاق آبنُ العَلْقَمِىّ الهـوانَ والذّلّ من التّتار ! ولم تطُل أيامه بعـد ذلك كما سيأتى ذكره . ثم ضرَب هولاكو عُنُق مقدّم جيشه بايْجُونُوين لأنّه بلغـه عنه من الوزير آبن العَلْقَمىّ أنّه كاتب الخليفة المستعصم لمّـا كان بالجانب الغربىّ .

وأمّا الخليفة فيأتى ذكره فى الحوادث على عادة هذا الكتاب فى محلّه غير أنّنا نذكره هنا على سبيل الآستطراد . ولمّـا تمّ أمرُ هُولَاكو طلب الخليفةَ وقتله خَنْقًا . وقيل

(١) فى الأصلين هنا : « باكونوين » .

غُمّ فى بِساط ، وقيل جعله هو وولده فى عِدْلَيْن وأمر برَفْسِهما حتّى ماتا . ثم قتل الأمير مجاهد الدين الدَّوادَار[١]، والخادم إقبال الشَّرَابى صاحب الرِّباط بحرم مكّة ، والأستادار محيي الدين[٢] ابن الجَوْزِى وولداه[٣] وسائر الأمراء الأكابر والحُجّاب والأعيان ، وانقضت الخلافة من بغداد وزالت أيامهم من تلك البلاد ، وخرِبَت بغدادُ الخراب العظيم ، وأُحْرِقت كتب العلم التى كانت بها من سائر العلوم والفنون التى ما كانت فى الدنيا ؛ قيل : إنّهم بَنَوْا بها جِسْرًا من الطين والماء عِوَضا عن الآجُرّ ، وقيل غير ذلك . وكانت كَسْرة الخليفة يوم عاشوراء من سنة ستّ وخمسين وستّمائة المذكورة ، ونزل هُولاكُو بظاهر بغداد فى عاشر المحرّم ، وبَقِى السيفُ يعمل فيها أربعةً وثلاثين يوما وآخر جُمُعةٍ خَطَب الخطيب ببغداد ؛ كانت الخطبة : الحمد لله الذى هدَم بالموت مشيِّد الأعمار ، وحكَمَ بالفناء على أهل هذه الدار ، إلى أن قال : اللهمّ أَجِرْنا فى مصيبتنا التى لم يُصَبِ الإسلامُ وأهلُه بمثلها ، و إنّا لله و إنّا إليه راجعون ! ثم عمِل الشعراءُ والعلماءُ قصائدَ فى مراثى بغدادَ وأهلها ، وعمل الشيخ تقى الدين إسماعيل [بن إبراهيم][٤] بن أبى اليُسْر [شاكر بن عبد الله التَّنُوخِى][٤] قصيدَته المشهورة ، وهى :

لسائلِ الدَّمْع عن بغداد أخبارُ * فما وقوفُك والأحبابُ قد ساروا
يازائرين إلى الزَّوْرَاء لاتَفِدوا * فما بذاك الحِمَى والدارِ دَيّارُ
تاجُ الخلافةِ والرَّبْعُ الذى شَرُفَتْ * به المعالمُ قد عفّاه إقفارُ

(١) فى المنهل الصافى وشذرات الذهب أن وفاته كانت سنة ٦٥٣ هـ .

(٢) هو يوسف بن أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى .

(٣) عبارة شذرات الذهب وعيون التواريخ : « وقتل معه أولاده الثلاثة : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن يوسف ، وشرف الدين عبد الله بن يوسف ، وتاج الدين عبد الكريم بن يوسف » .

(٤) زيادة عن المنهل الصافى وشذرات الذهب ، وما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٢ هـ .

أضحى لعَطْفِ البِـــلَى فى رَبْعه أثرُ * وللـــدُّموع عـــلى الآثارِ آثارُ
يا نارَ قلبىَ من نارٍ لحـــربِ وَغًى * شَبَّتْ عليـــه ووافى الرَّبْعَ إعصارُ
علا الصليبُ عـــلى أعلى منـــابرها * وقام بالأمر مَن يَحْـويهِ زُنَّارُ

ومنهـــا :

وكم بُدورٍ على البَدْرِيَّة(١) انخسفتْ * ولم يَعُـــد لبدور منـــه إبدارُ
وكم ذخائر أضحتْ وهى شائعـــةٌ * من النِّهاب وقـــد حازتْه كُفَّارُ
وكم حدودٍ أقيمت من سيوفهمُ * على الرِّقاب وحُطَّتْ فيه أوزارُ
ناديتُ والسَّبْىُ مهتوكٌ يَجُـرُّهُمُ * إلى السِّفاح من الأعداء دُعَّارُ

ومنهـــا :

وهم يُساقُون للموت الذى شَهِدوا * النار يا ربِّ ... ...(٢) ولا العارُ
يا للرِّجالِ لأحداثٍ(٣) تحـــدِّثنـــا * بمـــا غدا فيـــه إعذارٌ و إنـــذارُ
من بعد أَسْرِ بنى العبّاسِ كُلِّهِمِ * فـــلا أَنارَ لوجه الصُّبْحِ إسفـــارُ
ماراق لى قطُّ شىءُ بعـــد بَيْنِهِم * إلّا أحاديثُ أَرْوِيهـــا وآثارُ
لم يبقَ للدِّين والدنيا وقـــد ذَهبوا * شوقٌ لمجدٍ وقد بانوا وقد باروا
إنّ القيامة فى بغدادَ قد وُجِدتْ * وحدّها حين للإقبـــال إدبار
آلُ النّبىّ وأهل العلم قـــد سُبِيُوا(٤) * فمَنْ ترى بعدهم تَحْـوِيه أمصارُ.
ما كنتُ آملُ أن أبقى وقد ذهبوا * لكن أَبَى دون ما أختـــار أقدارُ

---

(١) البذرية : نسبة إلى بدر مولى المعتضد ، والمراد بها قصر المنصور ، فقد ورد فى تاريخ بغـــداد (ج ١ ص ١٠٨) «قال أبو بكر : و زاد بدر مولى المعتضد من قصر المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية فى ذلك الوقت» . (٢) هكذا فى الأصلين ولعله : النار يارب نُصلاها ولا العار. (٣) فى الأصلين : «بأحداث» . (٤) هكذا فى الشعر وهو خطأ والصواب «سبوا» و إن كان لا يتزن به البيت .

وهى أطول من ذلك . وجملة القصيدة ستة وستون بيتًا . وقال غيره فى فقد الخلافة من بغداد بيتا مفردا وأجاد :

خَلَتِ المنابرُ والأَسِرَّةُ منهمُ * فعليهم حتّى المماتِ سلامُ

انتهى ذكر بغداد هنا، ولا بدّ من ذكر شىء منها أيضا فى الحوادث .

وأمّا أمر البحريّة فإنّه لمـّا دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة رَحَل الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام بعساكرَ فى أثر البَحْريّة، فاندفعوا البحريّة أمامه إلى الكَرَك، فسار الناصر حتى نزل بركة زَيْزاء[1] ليحاصر الكَرَك، وصُحْبتُه الملك المنصور صاحب حَمَاة؛ فأرسل الملك المغيث عمر بن العادل[2] بن الكامل صاحب الكَرَك رُسُلَه إلى الملك النـاصر يطلب الصلح، وكان مع رُسُله الدارُ[3] القُطْبِيَّة ابنة الملك المفضل[4] قُطْب الدّين بن العـادل، وهى من عَمّـات الناصر والمُغيث يتضرّعون إلى الناصر ويطلبون الصلح ورضاه على ابن عمه المُغيث، فشرَط عليه الناصر أن يَقبِض علىَ مَنْ عنده من البحريّة، فأجاب إلى ذلك وقَبَض عليهم وجهّزهم إلى الملك النـاصر على الجمـال، وهو نازل ببركة زَيْزاء . فحملهم الملك الناصر إلى حَلَب واعتقلهم بقلعتها ما خلا الأميرَ بِيبَرْس البُنْدُقْدارِىّ، فإنّه لمـّا أحسّ بما وقع عليه الصلح هرب من الكَرَك فى جماعة من البَحْريّة وأتى إلى الملك النـاصر صلاح الدين المذكور داخلًا تحت طاعته، فأكرمه الملك الناصر وأكرم رُفقته إكراما زائدًا؛ وعاد النـاصر إلى دِمَشْق وفى خدمته الأميرُ ركن الدين بِيبَرْس البُنْدُقْدارِىّ وغيرُه من البَحْريّة .

(١) زيزاء : من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) فى الأصلين : « على بن العـادل » . وتصحيحه عن شذرات الذهب ما سيأتى ذكره للؤلف فى حوادث سنة ٦٦٢ هـ . وهى سنة وفاته .

(٣) عبارة تاريخ أبى الفـداء وتاريخ الواصلين : « والقطبية بنت الملك الفضل قطب الدين أحمد ابن الملك العادل » . (٤) راجع الحاشية رقم ١٦ ص ١٧٢ من الجزء السادس من هذه الطبعة . وفى الأصلين هنا : « الأفضل » .

وأمّا المصريّون فإنّه لمـّا بلغ الملك المنصـورَ عليًّا والأميرَ قُطُزْ المعزّىّ ما وقع للبحريّة فَرِحَا فرحًا زائدا ، وزُيِّنت مصر أيّاما لذلك؛ وصـفا الوقت للأمير قُطُز . و بينما هو فى ذلك ورد الخبرُ عليه بنزول هُولاكو على مدينة آمِدَ من ديار بكر، وأنّه فى قَصْد البلادِ الشاميّة ، وأنّ هولاكو بعث رسلَه إلى الملك السعيد نجم الدين إيلغازى صاحب ماردِين يستدعيه إلى طاعته وحضرته ، فسيّر إليه الملك السعيدُ ولدَه الملكَ المظفَّر قرا أَرْسلان[1] وقاضىَ القُضَاة مهذّب الدين محمد [بن مجلّى][2] والأمير سابق الدين بَلَبان وعلى أيديهم هديّة ، وحمّلهم رسالةً تتضمّن الاعتذار عن الحضور بمرض مَنَعه الحركةَ، ووافق وصولُهم إلى هولاكو أخذَه لقلعة اليمـانيّة و إنزاله مَنْ بها من حريم صـاحب مَيّافارِقين وأولاده وأقاربه ، وهم : ولده الملك الناصر صـلاح الدين يوسف جفتاى ، والملك السعيد عمر وآبن أخيـه الملك الأشرف أحمد وتاج الدين على آبن الملك العادل، فأدّوا الرسالة؛ فقال هُولاكو : ليس مرضه بصحيح، و إنّمـا هو يتمارض مخافةَ الملك الناصر صاحب الشام، فإن آنتصرتُ عليه آعتذر لى بزيادة المرض، و إن آنتصر علىّ كانت له اليدُ البيضاءُ عنده، ثم قال : ولو كان للملك الناصر قوّةٌ يدفعنى لم يمكّنى من دخول هذه البلاد ؛ وقد بلغنى أنّه بعث حريمَه إلى مصر؛ ثم أمر بردّ القاضِى وحدَه فردّ القاضى وأخبر الملكَ السعيد بالجواب .

وأمّا هُولَاكو فإنّه لا زال يأخذ بلدًا بعـــد أخرى إلى أن آسـتولى على حلب والشام، واضمحلّ أمر الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام بعد أمور ووقائع وقعت له ، وآنفلّ عنه أصحابُه . فلمّا وقع ذلك فارقه الأمير بِيبَرْس البُنْدُقْدارِىّ وقدِم إلى مصر ومعــه جماعةُ من البَحْرِيّة طائعا للملك المنصور هـذا فأكرمه قُطُز

(١) هو قرا أرسلان بن إيلغازى بن أرتق بن غازى بن ألبى بن تمرتاش السلطان الملك المظفر فخر الدين . توفى سنة ٦٩١ هـ (عن المنهل الصافى) . (٢) زيادة عن عيون التواريخ .

وأكرم رفقته وصاروا الجميع من عساكر مصر على العادة أوّلاً . يأتى تفصيل ذلك فى ترجمة الملك المظفَّر قُطُز . إن شاء الله تعالى .

ولـمّا آستفحل أمر قُطُز بديارِ مصر وصار هو المشارَ إليه فيها لصغر السلطان الملك المنصـور علىّ ، ولكثرة حواشى قُطُز المذكور ، ثم تحقّق قُطُز مجىء التّتار إلى البلاد الشاميّة ، وعلِم أنّه لا بدّ من خروجه من الديار المصريّة بالعساكر للذّبّ عن المسلمين ، فرأى أنّه لا يقع له ذلك ، فإنّ الآراء مغـلولةٌ لِصغَر السلطان ولاختلاف الكلمـة ، بجمع قُطُز كمالَ الدِّين بن العَدِيم الحنفىّ وغيرَه من الأعيـان والأمراء بالديار المصريّة ، وعرّفهم أنّ الملك المنصور هذا صبىٌّ لا يُحسِن التـدبير فى مثل هذا الوقت الصَّعْب ، ولا بدّ أن يقوم بأمر المُلْك رجلٌ شَهْـمٌ يطيعه كلّ أحد ، و ينتصب للجهاد فى التّتار ، فأجابه الجميع : ليس لها غيرُك! وكان قُطُز قبـل ذلك قد قَبَض على الملك المنصور علىٍّ هذا وعوّقه بالدور السلطانيّة ، فخُلِـعَ الملك المنصور فى الحال من الملك و بُويِـعَ الأميرُ قُطُز ولُقِّبَ بالملك المظفّر سـيف الدين قُطُز ، وآعتقل الملكَ المنصور ووالدته بالدور السلطانيّة من قلعة الجبـل ، وحلّف قُطُز النـاس لنفسه وتمّ أمره ، وذلك فى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سـنة سـبع وخمسين وستمـائة . وكانت مدّةُ الملك المنصور فى السلطنة بالديار المصريّة سنتين وسـبعة[1] أشهر وآثنين وعشرين يوما ، و بقى معتَقَلاً[2] سنين كثيرةً إلى أن تولّى الملك الظاهر ركن الدين بيبَرْس البُنْدُقْدَارِىّ ، فنفاه هو ووالدته وأخاه ناصر الدين قاقان[3] إلى بلاد الأشكرى[4] فى ذى القعدة سنة ثمـانٍ وخمسين وستمائة .

---

(١) فى الجوهر الثمين والسلوك : « فكانت مدّة مملكة المنصور سنتين وثمانية شهور وثلاثة أيام » . وفى عقد الجمان : « فكانت مدّة مملكته سنتين وستة أشهر » .

(٢) لعلها « شهورا كثيرة » لأن قطز لم يستمر فى الملك إلا سنة واحدة كما سيأتى .

(٣) فى الأصلين : « قان » . والتصويب عن السلوك للقريزى وعقد الجمان.

(٤) المقصود ببلاد الأشكرى هى الامبرَاطورية ==

قلت : والملك المظفر قُطُز هـذا هو أوّل مملوك خَلَع آبنَ أسـتاذه من الملك وتسلطن عِوضَه ، ولم يقع ذلك قبلَه من أحد من الملوك . وتمّت هذه السُّنّة السيّئة فى حاصد إلى يوم القيامة . وبهذه الواقعة فسَدَت أحوالُ مصر .

⁂

السـنة الأولى من ولاية الملك المنصور علىّ آبن الملك المعزّ أَيْبَك التُّرْكُمَانِىّ على مصر، وهى سـنة خمس وخمسين وسِتّمائة ، على أنّ والده الملك المعزّ حَكَم فيها نحواً من ثلاثة أشهر .

فيهـا أرسل الملك الناصر يوسف صاحب الشام ولَدَه الملك العزيز بهديّة إلى هُولاكو ملك التّتار وطاغيتهم .

وفيهـا قَتلت الملكةُ شجرة الدرّ الملكَ المعزّ أَيْبَك ، ثم قُتِلت هى أيضاً . وقد تقدّم ذكرُ ذلك كُلّ واحد على حِدَته فى ترجمته من هـذا الكتاب ، فلا حاجة إلى الإعادة .

وفيهـا تُوُفّى الأمير عزّ الدين أَيْبَك (١) بن عبد الله الحلبىّ الكبير ، كان من أعيان المماليك الصالحيّة النجميّة ، وممّن يُضاهِى الملك المعـزّ أيبك التُّرْكُمَانِىّ فى مَوْكِبه، وكانت له المكانة العُظْمَى فى الدولة ، كان الأمراء يعترفون له بالتقدّم عليهم، وكان له عدّة ممـاليك نجباء صاروا من بعده أمراء ، منهم : ركن (٢) الدين إياجى الحاجب، وبدر الدين بِيلِيك الخاشْنَكِير، وصارم الدين أُزْبك (٣) الحلبىّ وغيرهم . ولـمّا قُتِل الملك

= البيزنطية ، وكان صاحبها فى تلك السنة «تيودور بن لاسكريس» الثانى اليونانى . والأشكرى محرفة عن «لشكرى» وهـذه عن لاسكريس والد الملك المذكور ، وقد غلب هذا اللقب فيا بعـد على جميع أباطرة المملكة البيزنطية . (١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٤٢ من هذا الجزء . (٢) فى المنهل الصافى : «سيف الدين إياجى بن عبد الله الحاجب الأمير» . توفى سنة ٦٨٦ هـ . (٣) فى المنهل الصافى : «أزبك بن عبد الله الحلبى العزى الأمير سيف الدين» . توفى سنة ٦٧٩ هـ .

المعزّ أيبك التركمانىّ حدّثته نفسه بالسلطنة ، فلمّا قبض قُطُز على الأمير سَنْجَر الحلبى ، ركب أَيْبَك هــذا ومعه الأمراء الصالحيّة فتقنطر به فرسُــه فهلك خارج القاهرة وأُدخل إليها ميتا ؛ وكذلك وقع للامير خاصّ تُرْك . وقد تقدّم ذكر ذلك فى ترجمة الملك المنصور .

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام العلّامة نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن ابن عبد الله البغدادىّ البادَرَائِىّ ، وُلِد فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، وسمع الكثير وتفقّه وبَرَع وأفتى ودرّس ، وترسّــل عن الخليفــة إلى ملوك الشام ومصر غير مرّة إلى هذه السنة ، ولى قضاء القضاة ببغداد . ومات فى سَلْخ ذى القعدة .

وفيها تُوُفّى الشيخ الأديب أبو الحسن علىّ بن محمد بن الرضا المُوسوىّ الحُسَينىّ الشريف المعروف بآبن دفتر خُوَان . وُلِد سنة تسع وثمانين بحَمَاة ، وكان فاضلًا وله تصانيف وشعر جيّد ، من ذلك قوله :

إذا لُمْتُ قلبى قال عيناك أبصرتْ * وإن لمتُ عينى قالت الذنبُ للقلبِ
فعينى وقلبى قــد تشارَكْنَ فى دمى * فيارَبِّ كن عونى على العين والقلبِ

وفيها تُوُفّيت الصاحبيّة غازِيّة خاتون بنت الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر ابن أيّوب ، والدة الملك المنصور صاحب حَمَاة[1] . كانت صالحةً ديّنــة دَبَّرت مُلْك ولدها المنصور بعد وفاة زوجها الملك المظفَّر أحسنَ تدبير ، وهى والدة الملك الأفضل نور الدين أبى الحسن علىّ أيضا . وكانت وفاتها فى أواخر ذى القعدة أو فى ذى الحِجّة من السنة .

---

(١) هو الملك المنصور ناصر الدين ابو المعالى محمد آبن الملك المظفر تقىّ الدين محمود آبن المنصور محمد ابن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب (عن شذرات الذهب فى حوادث سنة ٦٨٣ هـ) .

وفيها تُوُفِّىَ الشيخ الإمام العالم العلّامة المقرئ أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم [قاسم][1] بن فِيرُّه[2] بن خَلَف الرُّعَيْنِىّ[3] الشاطبىّ الأصل المصرىّ المولد والدار الضَّرير راوى القصيدة[4] المشهورة فى القراءات التى لم يُسْبَق إلى مثلها التى سمّاها « حِرْز الأمانى ووجه التهانى » . ومولده فى حادى عشر ذى الحجّة سنة ست أو سبع وسبعين وخمسمائة بمصر، وتُوُفِّىَ بها فى حادى عشر شوّال ودُفن من يومه بسَفْح المقطّم، ولم يخلف بعدَه مثلُه . وكان الشيخ كثيرًا ما يُنْشِدُ هذا اللُّغْزَ وهو « نعش الموتى » واللُّغز المذكور للخطيب أبى زكريّا يحيى بن سلامة الحَصْكَفِىّ ، وهو :

أتعرِف شيئًا فى السماء نظـــيره * إذا سار صاح الناس حين يسيرُ
فتَلْقَاه مركوبًا وتلقاه راكبًا * وكلُّ أمـــيرٍ يعتليه أســـيرُ
يَحُضُّ على التَّقْوى وتكره قُرْبَه * وتَنْفِر منـــه النفسُ وهو نذيرُ

وفيها تُوُفِّىَ الوزير الصاحب شرف الدين هِبَة الله بن صاعد الفائزىّ ، كان أوّلا نصرانيًّا يُلقب بالأسعد، وهو منسوب بالفائزىّ إلى الملك الفائز إبراهيم آبن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب ، ثم أسلم وتنقّل فى الخِدم حتّى ولى الوزارةَ . وكان عنده رياسةٌ ومكارم وعقل وحسن تدبير، وخدَم عدّةَ ملوك وكان محظوظاً عندهم، وهو الذى هجاه الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح ، وقيل بهاء الدين زُهَيْر بقوله :

لعن الله صاعدًا * وأباه فصاعـــدًا
وبنيـــه فنـــازلًا * واحـــدا ثم واحـــدًا

---

(١) تكملة عن غاية النهاية وما تقدّم فى ترجمة أبيه فى حوادث سنة ٥٩٠ هـ . (٢) فى الأصلين : « خيرة » . والتصويب عن غاية النهاية . (٣) فى الأصلين : « الرعيانى » . والتصحيح عن غاية النهاية وما تقدّم . (٤) فى الأصلين : « صاحب القصيدة » . والتصويب عن غاية النهاية .

وفيها تُوُفّى أبو الحسن المغربِىّ المورِقِىّ[1] الشيخ نور الدين ، كان من أقارب المورقى الملكِ المشهور ببلاد الغرب ، مات بِدمَشق ودُفِن بقاسِيون ، وكان فاضلاً أديبا شاعرًا . ومن شعره من أبيات :

القُضْبُ راقصةٌ والطيرُ صادحةٌ * والستر مُرْتفِعٌ والماء منحدِرُ
وقد تَجلّت من اللذات أوجُهُهَا * لكنّها بظِلال الدَّوْح تستتِرُ
فكلُّ وادٍ به موسى يُفجّرُهُ * وكلُّ رَوْضٍ على حافاته الخضَرُ

قلت : وهذا يُشبِه قول من قال فى مَلِيح حَلِيق :

مرّت المُوسَى على عارضه * فكأنَّ الماءَ بالآس غُمِرْ
مجمعُ البحرين أضحى خَدُّهُ * إذ تلاقى فيه موسى والخَضِرْ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفّى المحدّث أبو محمد عبد الرحمن بن أبى الفهم اليَلْدانِىّ[2] فى شهر ربيع الأوّل ، وله سبعٌ وثمانون سنة . والإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى الفضل السُّلَمِىّ المُرْسِىّ فى نصف شهر ربيع الأوّل ، وله ست وثمانون سنة . والإمام نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبى الوفاء البَادَرَائِىّ الشافعىّ فى ذى القعدة ببغداد .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وخمس وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الثانية من ولاية الملك المنصور علىّ ابن الملك المُعِزّ أَيْبَك على مصر، وهى سنة ست وخمسين وستمائة .

---

(١) كذا فى الأصلين وذيل مرآة الزمان . وفى الذيل على الروضتين : « الميروقى » . وفى عيون التواريخ : « الميورقى » . ولعل هذه النسبة الأخيرة هى الصواب ، نسبة إلى جزيرة ميورقة إحدى جزر البليار التابعة الآن لأسبانيا .

(٢) يلدان : قرية من قرى دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) .

فيها آستولى الطاغية هولاكو على بَغْداد ، وقتل الخليفةَ المستعصم بالله ومعظمَ أهل بغداد، وقد تقدّم ذلك

وفيها كان الوباء العظيم بِدَمشق وغيرِها .

وفيها تُوفِّى الأديب البارع شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبى الوَفَا الربعىّ الموصلىّ المعروف بابن الحُلاوِى الشاعر المشهور، كان من أحسن النـاس صورةً وألطفِهم أخلاقا مع الفضيلة التـامة ، ورحَل البلادَ ومدح الخلفاءَ والملوكَ وخدَم الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤا صاحب الموصل ولبِسَ زِىَّ الجند . وشـعره فى نهاية الرِّقة والجَزَالة[1]، وهو صاحب القصيدة التى أوّلهـا :

حكاه من الغُصْن الرَّطيب وَرِيقُهُ * وما الخمرُ إلّا وجنتـاه ورِيقُـــهُ
هـــلالٌ ولكنْ أفْقُ قلبى مَحَـلُّهُ * غَزالٌ ولكنْ سَـفْحُ عينى عَقِيقُهُ
وأَسْمَرَ يَحْكِى الأسمـرَ اللَّدْنَ قَـدُّه * غَدَا راشـقًا قلبَ المحُبِّ رَشـيقُهُ
على خَدِّه جَمْرٌ من الحُسنِ مُضْرَمٌ * يُشَـبُّ ولكن فى فؤادى حريقُـهُ
أقَرّله من كلّ حُسْـــنٍ جَليلُهُ * ووافقه مِن كلّ معنًى دَقِيقُـهُ
بــديعُ التَّثَنِّى راح قلبى أَسِـــيرَهُ * على أنّ دمعى فى الغـرام طَلِيقُـهُ
على سَـالِفيــه للعِــذَار جَرِيرَةٌ * وفى شــفتيه للسُّـلَافِ عتيقُـهُ
يُهَدِّد منه الطَّرْفُ مَنْ ليس خَصْمَهُ * ويُسْـكِر منـه الرِّيقُ مَنْ لايَذُوقُهُ
على مثلِه يَسْتَحْسِنُ الصَّبُّ هَتْكَهُ * وفى حُبِّه يجفو الصديقَ صـديقُهُ
من التُّرْك لا يُصْبِيه وَجْدٌ إلى الحِمَى * ولا ذكْرُ بانات الْغُوَيْرِ تَشُـــوقُهُ
ولا حَلّ فى حَىٍّ تلوحُ قِبـابُهُ * ولا سار فى رَكْبٍ يُساق وُسُـوقُهُ

(١) فى الأصلين : « الزجالة » وهو تحريف . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان .

ولا بات صَبًّا بالفُريقِ(١) وأهلِهِ * ولكن إلى خاقانَ يُعزَى فريقُهُ
له مَبْسِمٌ يُنْسِي المُدَامَ بريقِهِ * ويُخْجِلُ نُوَّارَ الأقاحِي بَرِيقُهُ
تداويتُ من حَرِّ الغرام بِبَرْدِه * فأضرم من ذاك الحريق رَحِيقُهُ
إذا خَفَقَ البَرْقُ اليمانِيُّ مَوْهِنًا * تَذَكَّرته فاعتاد قلبي خُفُوقُهُ
حَكَى وجهُهُ بدرَ السماء فلو بَدَا * مع البدر قال الناس هذا شقيقُهُ
رآني خيالًا حين وافَى خيالُهُ * فأطرق من فَرْط الحَيَاء طَرُوقُهُ
فأشبهتُ منه الخَصْرَ سُقْمًا فقد غدَا * يُحَمِّلُنِي كالخَصْرِ ما لا أُطِيقُهُ
فما بالُ قلبي كُلُّ حبّ يَهِيجُهُ * وحتّامَ طَرْفي كُلُّ حُسنٍ يَرُوقُهُ
فهذا ليومِ البَيْنِ لم تَطْفَ نارُه * وهذا لبُعْدِ الدارِ ما جَفَّ مُوقُهُ
ولله قلبي ما أَشَدَّ عَفَافَهُ * وإن كان طَرْفِي مستمِرًّا فُسوقُهُ
فما فاز إلّا من يبيتُ صَبُوحُهُ * شرابُ ثَنَاياه ومنها غَبُوقُهُ

وفيها تُوفِّي الأمير بَكْتُوت بن عبدالله سيف الدين العَزِيزِيّ أستادار الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، كان من أكابر الأمراء في الدولة الناصريّة، وكان حسن السِّيرة مليحَ الشكل مُتَجَمِّلًا، كان موكبُه يُضاهي مواكبَ الملوك .

وفيها تُوُفِّي الملكُ الناصر أبو المظفَّر وقيل أبو المفاخر داود صاحب الكَرَك ابن الملك المعظَّم عيسى صاحب الشام ابن الملك العادل أبي بكر صاحب مصر ابن الأمير نجم الدين أيّوب . مولِدُه في جُمَادَى الآخرة سنة ثلاث وستمائة، ووقع له أمور وحوادثُ ومِحَنٌ تكرّر ذكرُها في عِدّة تراجم من هذا الكتاب. وكان تغلّب على الشام بعد موت عمّه الملك الكامل محمد، وقَدِم مصرَ بعد ذلك غيرَ مرّة وتوجّه إلى الشَّرْق، ووقع له أمورٌ يطول شرحها إلى أن مات في جمادَى الأولى . وكان مَلِكا شجاعا

(١) الفريق : اسم موضع بتهامة (عن معجم البلدان لياقوت) .

مِقداما فاضلا أديبا شاعرا، وقد تقدّم من شعره عِدّةُ أبيات يستعطف بهـا الملك الصالح نجم الدين أيّوب فى ترجمة الملك الصالح المذكور . ومن شعره أيضا :

لئن عاينتْ عينـاى أعلامَ جِلّقٍ * و بان من القَصْر المَشيد قِبَـابُه
تيقّنتُ أنّ البَيْن قد بان والنّوَى * نأى شَخْصُها والعيش عاد شـبابه (١)

وفيها تُوُفّى العلّامة المُفْتَن أبو الفضل وقيل أبو العَلاء بهـاء الدين زُهَيْر بن محمد ابن على بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن المنصور بن عاصم الأَزْدِىّ المَكّىّ القُوصىّ المنشأ المصرىّ الدار، الكاتب الشاعر المشهور المعروف بالبهاء زهير صاحب الديوان المشهور . مولِدُه بوادى نَخْلة بقرب مكّة فى خامس ذى الحجّة سـنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وَرُبِّىَ بصعيد مصر بقُوص (٢)، وقرأ الأدبَ وسمع الحديثَ وبَرَع فى النَّظْم والنَّثر والترسُّل، وله الشعر الرائق الفائق، وكان رئيساً فاضلا حسن الأخلاق، اتّصل بخدمه الملك الصالح نجم الدين أيّوب فى حياة أبيه الملك الكامل ، ودام فى خدمته إلى أن تُوُفّى . وقد تقدّم من ذكره فى ترجمة الملك الصالح نبذةٌ جيّدة. وكانت وفاة البهـاء زُهَيْر هذا فى يوم الأحد قبل المغرب رابع ذى القعدة وقيـل خامسه . ومن شعره — رحمه الله — :

ولمّـا جفـانِى مَنْ أُحِبّ (٣) وخاننى * حفِظْت له الودّ الذى كان ضيّعا
ولو شئتُ قابلتُ الصدودَ بمثـله * ولكننى أبقيتُ للصلح موضعـا
وقد كان ما قـد كان بينى و بينـه * أكيـدًا ولكنّى رعيتُ وما رَعَى
سـعى بيننا الواشى ففـــرّق بيننا * لك الذنب يامَن خاننى لا لمن سعى

(١) كذا فى فوات الوفيات لابن شاكر . وفى الأصلين : * نوى شخصه والعين عان شبابه * وهو تحريف .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٣) بحثنا على هذه الأبيـات فى ديوانه المطبوع فى أوربا ومصر، وفى المنهل الصافى فلم نعثر عليها

ومن شعره أيضا قصيدتُه التى أوّلها :

رُوَيْدَكَ قد أفنيتَ يا بينُ أَدْمُعِى * وحسبُكَ قد أحرقتَ ياشوقُ أضلُعِى
إلى كم أقاسِى لَوْعَة بعــد لَوْعَةٍ * وحتّى متى يا بينُ أنت معى معى
وقالوا علمنا ما جرى منك بعــدنا * فلا تظلمونى ما جرى غير أدمُعى

وفيها تُوُفّى الإمام الحافظ الحجّة أبو محمد زكىّ الدين عبد العظيم بن عبد القَوِىّ ابن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد المُنْذِرِىّ[(١)] الدِّمَشْقِىّ الأصل المصرىّ المولِد والدار والوفاة . ولِد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، وسمِــع الكثير و رحَل وكتب وصنّف وخرّج وأملى وحــدّث بالكثير ، وتخرّج به جماعةُ ، وهو أحد الحُفّــاظ المشهورين .

وفيها تُوُفّى الخليفة أمير المؤمنين المستعصِم بالله أبو أحمد عبــد الله ابن الخليفة المستنصِر بالله منصور ابن الخليفة الظاهر بأمر الله محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد ابن الخليفة المستضىء بالله أبى محمد الحسن ابن الخليفة المستنجِد بالله أبى المظفَّر يوسف ابن الخليفة المقتفى بالله أبى عبــد الله محمد ابن الخليفة المستظهِر بالله أبى العبّاس أحمــد ابن الخليفة المقتدى بالله أبى القاسم عبد الله ابن الأمير محمد الذَّخيرة، وهو غير خليفة، ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أبى العباس أحمــد ابن الأمير إسحاق، و إسحاق غير خليفة، ابن الخليفة المقتدِر بالله أبى الفضل جعفر ابن الخليفة المعتضِد بالله أبى العباس أحمد ابن الأمير طَلْحة الموفَّق، وطلحة غير خليفة أيضا ، ابن الخليفة المتوكّل على الله أبى الفضــل جعفر ابن الخليفة المعتصِم بالله محمــد ابن الخليفة الرشــيد بالله هارون ابن الخليفة

(١) فى الأصلين : «ابن عبد السلام» . والتصويب عن تذكرة الحفاظ للذهبى والمنهل الصافى وفوات الوفيات وشذرات الذهب .

المهدىّ بالله محمد ٱبن الخليفة أبى جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن العبّاس بن عبـد المطلب الهاشمىّ البغدادىّ ، آخر خلفاء بنى العباس ببغداد ، و بموته ٱنقرضت الخلافة من بغـداد . ولى الخلافَة بعـد وفاة والده المستنصر بالله فى العشرين من جمادى الأولى سـنة أربعين وستمائة ، ومات قتيلًا بيـد هولاكو طاغية التّتار فى هذه السنة . وقد تقدّم كيفية قتله فى ترجمة الملك المنصور علىّ هذا ، وكانت مدّة خلافته خمس عشرة سنة وثمانيةَ أشهر وأيّامًا . وتقديرُ عمره سبعٌ وأربعون سـنة . وكان قليـلَ المعرفة بتدبير الملك نازل الهمة مُهْمِلًا للأمور المِهمّة مُحِبًّا لجمع الأموال يُقْدم على فعل ما يُستقبَح ، أهمل أمرَ هولاكو حتّى كان فى ذلك هلاكُه . وشَغَرت الخلافةُ بعـده سنينَ ، و بقِيت الدُّنْيـا بلا خليفة حتّى أقام الملك الظاهر بيبَرْس البُنْدُقْدارِىّ بعضَ بنى العبّـاس فى الخلافة . على ما يأتى ذكر ذلك فى ترجمة الظاهر بيبرس البندقدارىّ إن شاء الله تعالى .

وفيها تُوُفّى الأمير الأديب الشاعر سيف الدين أبو الحسن علىّ بن عمر بن قزل المعروف بالمُشِـدّ الشاعر المشهور . مولده بمصر فى شوّال سـنة ٱثنتين وستمائة ، وتولّى شَـدّ[1] الدواوين بمصر مدّةَ[2] سنين ، وكان من أكابر الأمراء الفضلاء وهو قريب[3] الأمير جمال الدين بن يَغْمُور ، وله ديوان شعر مشهور بأيدى الناس ، وتُوُفّى بِدَمَشْق فى يوم عاشوراء . و رثاه[4] بعض الفضلاء ، فقال :

(١) شـدّ الدواوين : موضوعها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير متحدثا فى ٱستخلاص الأموال ، وما فى معنى ذلك ، وعادتها إمرة عشرة (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢) . (٢) وقد تولى أيضا شدّ الدواوين بدمشق كما فى المنهل الصافى وفوات الوفيات . (٣) فى نزهة الأنام : « وهو ٱبن عم الأمير جمال الدين » . وفى المنهل الصافى وفوات الوفيات : « وهو نسيب الأمير جمال الدين بن يغمور » .

(٤) هو تاج الدين بن حوارى . وهذان البيتان من قصيدة مطلعها :

أأخىّ أى دجنة أو أزمة * كانت بغير السيف عنا تنجلى

(راجع فوات الوفيات ج ٢ ص ٨٠ وذيل مرآة الزمان) .

عاشــورُ يومٌ قد تعاظم ذنبُــهُ * إذ حَلَّ فيه كُلُّ خَطْبٍ مُشْكِل
لم يَكْفِهِ قتلُ الحسين وما جَرى * حتّى تعــدَّى بالمصاب عَلَى عِلِى

ومن شعره — رحمه الله — بيتٌ مفرد كلّ كلمة منه قلبُ نفسها وهو :

ليــلٌ أضاء هلالُهُ * أنّى يضىء بكوكبِ

ومن شعره أيضا، قوله :

وشادِنٍ أوردنى حبُّــــهُ * لهيبَ حَرِّ الشوقِ والفُرْقَهْ
أصبحتُ حَرَّانا إلى رِيقِهِ * فليتَ لى من قلبه الرِّقَّهْ

وله أيضا مضمِّنا مُقْتَبِسا :

وافى إلىَّ وكأسُ الراح فى يدِهِ * نخلتُ من لطفه أنّ النسيم سَرَى
لا تدرك الراحُ معنًى من شمــائلِهِ * والشمس لاينبغى أن تُدرك القَمَرا

وله فى خَوْد عمياءَ :

عِلِقتُها نجلاءَ مثــلَ المهـا * فخان فيها الزمنُ الغادرُ
أذهب عَيْنَيْهـا فإنسانُهـا * فى ظلمةٍ لا يهتــدى حائرُ
تجْـرَح قلبى وهى مكفوفةٌ * وهكذا قــد يفعــل البـاترُ
ونرجس اللحــظ غدا ذابلاً * واحســـرتا لو أنّه ناظرُ

وله فى لاعب شِطْرَنج :

لعِبتُ بالشِّطْرنج مع شادِنٍ * رشاقة الأَغْصانِ من قَدِّه
أَحُلُّ عقدَ البَنْد من خصْرِه[1] * وألثَم الشاماتِ من خَــدِّهِ

---

(١) فى الأصلين : «من خصره» . والتصويب عن المنهل الصافى وفوات الوفيات .

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام الأديب الرّبانِيّ جمال الدين أبو زكريّا يحيى بن يوسف ابن يحيى بن منصور بن المُعَمَّر بن عبد السلام الصَّرْصَرِىّ(١) الضَّرير الشاعر المشهور. كان من العلماء الفضلاء الزُّهّاد العُبّاد، وكان له اليد الطُّولَى فى النظم، وشعره فى غاية الجَوْدة، ومدَح النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بقصائد لا تدخل تحت الحصر كثرةً؛ قيل: إنّ مدائحه فى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم تقارب عشرين مجلّدا. ومن شعره من المدائح النبويّة قوله:

زار وَهْنًا ونحن بالزَّوْراءِ * فى مقامٍ خلا من الرُّقَباءِ
من حبيبِ القلوب طيفُ خيالٍ * فجلا نُــورُه دُجَى الظَّلْماء
يا لها زَوْرةً على غير وَعْــدٍ * بِتُّ منها فى ليـلةٍ سَــرّاءِ
نَعِمتْ عِيشتى وطابت حيــاتى * فى دُجاها يا طلعــةَ الغَــرّاءِ

ومنها:

يا هلالَ السرور يا قمــرَ الأُنْـ * ـسِ ونجمَ الهُـدَى وشمسَ البَهَاءِ
يا ربيعَ القلوب يا قُـــرّةَ العيـ * ـنِ وباب الإحسان والنَّعْماءِ

ومنها:

ســيّدٌ حُبُّــه فخار وتشريـ * ـفٌ وعِزٌّ باقٍ لأهـــل الصَّفاء
أحمدُ المصطفى السِّراجُ المنيرُ الـ * ـخــير(٢) خــاتَمُ الأنبيــاءِ

ومن شعره فى عدد الخلفــاء بنى العبّاس إلى المستعصِم آخرِ خلفاء بنى العبّـاس ببغداد، قال

(١) الصرصرى: نسبة إلى صرصر، قرية على فرسخين من بغداد. (عن لب اللباب).

(٢) كذا فى الأصلين. والشطر الأخير ناقص كلمة، كأن يكون أصـله: «المنير الناشر الخير» أو نحوه.

لكَرْبِ بنى العَبَّاس سَفّاحهم جلا * وجرّ لمنصـورٍ ومهـدىّ الولا
وهادٍ وهارون الرشـيد تلاهمـا * أمينُ ومأمونُ ومعتصمُ الملا
وواثقهم من بعـده متوكِّـل * ومنتصر والمستعين بنو العُـلا
وطاب بمعـتزّ جَنَى مهتـدٍ كما * بمعتضـد عيشٌ لمعتمـد حلا

قلت : لعله ما قال إلا :

... ... كما * بمعتمـد عيشٌ لمعتضـد حلا

لأن المعتمد عم المعتضد وتولى المعتضد الخلافة بعده . انتهى .

ومكتفيًا فاْعدُد ومقتدرًا وقـد * تـلا قاهرا راضٍ لمُتَّـقِي تـلا
ومستكفيًا ثم المطيـعَ وطائعًـا * وقادرَهم والقائمَ اْعدُدْ محصّـلا
و بالمقتدى مستظهرٌ ساد مثلمـا * بمسترشـدٍ والراشـد المقتفِي علا
بمسـتنجدٍ والمستضيءِ وناصرٍ * وظاهرَ والمستنصر اجل مقفّلا
ومستعصم لا زال بالنصر قاهرًا * لأعدائه ما حنّت العِيسُ فى الفلا

قال الذهبىّ : « حكى لنـا شيخنا اْبن الدَّبّاهىّ (١) — وكان خالَ أمّه (يعنى الصَّرْصَرىّ) — قال : بلَغَنا أنّه دخل عليه التتارُ وكان ضريراً ، فطَعنَ بعُكّازه بطنَ واحد فقتله ، ثم قُتِل شهيدًا بيد التّتار» . انتهى .

قلت : كلّ ذلك فى واقعة هولاكو المقدّم ذكرها .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفّى الأمير سيف الدين المُشِدّ الشاعر صاحب الديوان ، واْسمه علىّ بن عمر بن قزل فى المحرّم . والشيخ يحيى ابن يوسف بن يحيى الصَّرْصَرىّ الزاهـد صاحب « الديوان » ، اُسْتُشْهِد ببغـداد

(١) الدّباهى : نسبة إلى دباهى ، قرية من نواحى بغداد . وهو محمد بن أحمد بن أبى نصر الدّباهى البغدادى شمس الدين أبو عبد الله الحنبلى الزاهد . توفى سنة ٧١١ هـ (عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب) .

فى صَفَر فى أمم لا يُحْصَوْن: منهم المستعصم بالله أبو أحمد عبدالله بن المستنصر، وله سبع وأربعون سنة، وكانت خلافته ستّ عشرة سنة . ومنهم أستاداره محيى الدين يوسف بن الشيخ أبى الفرج بن الجَوْزِىّ . ومدرّس المستنصريّة الإمام أبو المناقب محمود بن أحمـد بن محمود الزَّنْجانِىّ (١) الشافعىّ، وله ثلاث وثمـانون سنة . والمحدّث شمس الدين علىّ بن المظفَّر بن القاسم النَّشَبِىّ (٢) فى شهر ربيع الأوّل . وأبو عَمْرو عثمان ابن علىّ القُرَشِىّ بن خطيب القرافة فى شهر ربيع الآخر، وله أربع وثمانون سنة . وأبو العِزّ عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن محمد بن صديق المؤدّب الحَرّانِىّ بدِمَشْق . والملك الناصر أبو المظفَّر داود بن الملك المعظَّم بن العادل فى جُمادَى الأولى ، وله ثلاث وخمسون سنة . والمحدّث نجيب الدين نصر الله [بن المظفَّر بن عقيل بن حمزة (٣) أبو الفتح] بن أبى العِزّ الشَّيْبانِىّ بن شُقَيْشِقَة فى جُمادَى الآخرة، وقد جاوز السبعين . وأبو الفضل عبد العزيز بن عبد الوهاب بن بنان (٤) الكَفَرْطابِىّ فى شوّال ، وله تسـع وسبعون سـنة . والأديب شرف الدين الحسين (٥) بن إبراهيم الإرْبِلِىّ اللغوىّ فى ذى القعدة ، وله ثمـانٍ وثمانون سـنة . والحافظ زكىّ الدين عبـد العظيم ابن عبد القَوِىّ المُنْذِرِىّ فى ذى القعدة، وله ستٌّ وسبعون سنة . والبهاء زُهَيْر بن محمد ابن علىّ المُهَلَّبِى الكاتب الشاعر . والعارف أبو الحسن علىّ بن عبد الله بن عبد الجبّار (٦)

---

(١) الزنجانى : نسبة الى زنجان ، مدينة على حد أزربيجان (عن لب اللباب) .

(٢) فى الأصلين: « المنشىّ » . والتصويب عن الذيل على الروضتين وشذرات الذهب والقاموس وشرحه . والنشبي كسلمى : نسبة إلى نشبة على غير قياس أبى قبيلة من قيس .

(٣) التكملة عن عيون التواريخ .

(٤) فى شذرات الذهب : « ابن بيان » .

(٥) فى الأصلين : « شرف الدين الحسن » . والتصويب عن شذرات الذهب والذيل على الروضتين والمنهل الصافى وعيون التواريخ .

(٦) فى السلوك : «على بن عبد الله بن عبد الحق» . والشاذلى : نسبة إلى شاذلة وهى قرية بافريقية (عن شذرات الذهب وعقد الجمان) .

الشّاذِلىّ الضَّرير [بصحراء][1] عَيْذاب[2] فى ذى القعدة . وأبو العبّاس القُرْطُبِى أحمد بن عمر بن إبراهيم العَـدْل بالإسكندريّة، وله ثمـانٍ وسبعون سـنة . وخطيب مَرْدا[3] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد الحَنْبلِىّ فى ذى الحِجّة . والحافظ صدر الدين أبو على الحسن بن محمد بن محمد بن محمد البَكْرِىّ بالقاهرة فى ذى الحِجّة، وله آثنتان وثمـانون سنة . والشيخ أبو عبـد الله الفَاسِىّ محمـد بن حسن شيخ الإقراء بحلب فى شهر ربيع الآخر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وتسع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس أصابع .

⁂

السنة الثـالثة من ولاية الملك المنصور علىّ آبن الملك المُعِزّ أَيْبَك على مصر، وهى سنة سبع وخمسين وستمـائة .

---

(١) زيادة عن شـذرات الذهب وعقد الجمان والسـلوك .

(٢) عيذاب : يستخلص مما ورد فى كتب رحلتى ابن جبير وابن بطوطة والخطط المقريزية أن عيـذاب كانت فرضة على بحر القلزم الذى يعرف الآن بالبحر الأحمر فى صحراء لاعمارة فيها ، ولكنها كانت من أشهر المراسى فى البحار، تأتى إليها سفن اليمن والحبشة والهند ، وكانت فى الزمن المـاضى طريق الحج المصرى يسير إليها الحجاج عن طريق قوص ثم يركبون البحر منها الى جدة .

وقد أقام حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتى سـنة يتوجهون الى الحجاز عن طريق صحـراء عيذاب ثم بطل استعمال هذا الطريق فى سـنة ٧٦٦ هـ . وورد فى الخطط التوفيقية (ج ١٤ ص ٥٦) عنـد الكلام على عيذاب أنها كانت فى محل مدينـة بيرينيس القديمة (برنيقه) الواقعـة على البحر الأحمر تجاه مدينة أسوان .

وأقول : إن عيـذاب قد اندثرت من القرن العاشر الهجرى ، وتلاشى طريقهـا وتحوّل عنهـا طريق الحجاج والقوافل التى كانت تسير بين عيذاب وقوص الى طريق السويس فالعقبة فالساحل الشرقى للبحر الأحمر إلى جدّه . ولم تكن عيـذاب محل مدينـة بيرينيس كما ذكر مبارك باشا فان هـذه تقع على البحر الأحمر عند رأس بناس على خط عرض ٢٣ درجة و ٥٥ دقيقة ، يقابلها من الغرب على النيل أسوان . وأما عيذاب فكانت واقعة على البحر الأحمر جنوبى رأس أبو فاطمة على خط عرض ٢٢ درجة و ٢٠ دقيقة، يقابلها من الغرب على النيل قرية أبو سنبل التى بمركز الدر والواقعة شمال بلدة وادى حلفا على بعد ٦٦ كيلومترا منها .

(٣) مردا : قرية قرب نابلس ، لايتلفظ بها إلا بالقصر (عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٤٩٣) .

فيها خُلِـع الملك المنصور علىّ المذكور بمملوك ابيه الملك المظفر قُطُز المُعِزّى . وقد تقدّم ذلك .

وفيهـا دخل هولاكو ديار بكر قاصـدًا حلب . يأتى ذكر ذلك كلّه فى ترجمة الملك المظفّر قُطُز إن شاء الله تعالى .

وفيهـا توفى الملك الرحـيم(١) أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبـد الله الأَتابَكِىّ صاحب الموصل ، كان من أجلّ الملوك . وطالت أيّامُه بالمَوْصل لأنّه أقام بتدبير أستاذه نور الدين أَرْسلان شاه بن عزّ الدين مسعود بن مودود بن زَنْكِى بن آق سُنْقُر التُرْكىّ ، فلمّا تُوُفّى نور الدين قام بتدبير ولده الملك القاهر عزّ الدين مسعود ، فلما تُوُفّى الملك القاهر سنة أربع عشرة وستمائة أقام صَبِيَّيْن من ولده هما آبنا بنت مظفّر الدين(٢) صاحب إِرْبِل [ثم إنّه أخنى على أولاد أستاذه فقتلهم غِيلَةً(٣)] واحدا بعـد واحد ، ثم بعد ذلك آستبدّ بمملكة المَوصل وأعمالها سبعًا وأربعين سنةً . وكان كثيرَ التجمّل بالرُّسُل والوافدين عليه ، وكان له هِمّة عالية ومعرفة تامّة ، وكان شديدَ البحث عن أخبار رعاياه مايَخْفَى عنه من أحوالهم إلّا ماقلّ ، وكان يَغْرَم على القُصّاد والجواسيس فى كلّ سـنة مالًا عظيمًا ، وكان إذا عدِم من بلاده ما قيمته مائة درهم هان عليه أن يبذُل عشرة آلاف دينار ليبلُغَ غرضَه فى عَوْده ، ولا يذهب مالُ رعيّته .

قلت : لله درّ هذا الملك ! ما أحوج الناسَ إلى مَلِكٍ مثل هذا يَملِك الدنيا بأسرها . وكانت وفاته بالمَوْصل وهو فى عشر التسعين سنة .

---

(١) يلاحظ أن هذا الملك هو الذى قد جمع له الشيخ عز الدين بن الأثير كتابه الكامل فى التاريخ فأجازه عليه وأحسن اليه . راجع عقدا الجمان فى حوادث سنة ٦٥٦ ﻫ .

(٢) هو مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على بكك بن بكتكين صاحب إربل . تقدمت وفاته سنة ٦٣٠ ﻫ .

(٣) التكملة عن عقد الجمان .

وفيها تُوفّى الأديب الفاضل أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن مكّى بن محمد بن الحسن القرشىّ الدمشقىّ العدل المعروف بابن الدَّجاجيّة، كان فاضلًا شاعرا مطبوعا . ومن شعره قوله :

كم تَكتُمُ الوجدَ يا مُعَنَّى * منّا وما يختفى اللّهيبُ
سَلْ عَرَبَ الوادِيَيْنِ عمّن * بانوا فما بيننا غريبُ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال وفيها تُوفّى أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد الأنصارىّ الإشبيلىّ بن السَّرّاج مسند الغَرْب بِبجاية[1] فى صفر، وله سبع وتسعون سنة، وكانت الرِّحْلة إليه من الأقطار . وصدر الدين أسعد بن عثمان [بن أسعد][2] بن المُنَجّى، ودُفِن بمدرسته الصَّدْرِيّة[3] فى شهر رمضان، والمقرئ شمس الدين أبو الفتح محمد [بن علىّ][4] بن موسى الأنصارىّ بدمَشْق فى المحرّم . والملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فى شعبان .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبع واحدة .

(١) بجاية (بالكسر وتخفيف الجيم) : مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) التكملة عن المنهل الصافى . (٣) هى مدرسة للحنابلة بدمشق .
(٤) التكملة عن الذيل على الروضتين وغاية النهاية فى طبقات القراء .

ذكر سلطنة الملك المظفَّر قُطُزْ على مصر

السلطان الملك المظفَّر سيف الدين قُطُزْ بن عبد الله المُعِزّى الثالث من ملوك الترك بالديار المصريّة . وقُطُزْ (بضم القاف والطاء المهملة وسكون الزاى) ، وهو لفظ مُغْلِىّ . تسلطن بعد خلع آبن أستاذه الملك المنصور علىّ آبن الملك المُعِزّ أَيْبَك فى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة ، وذلك بعد أن عظُمت الأراجيفُ بتحريك التَّتار نحوَ البلاد الشاميّة وقطعِهم الفُرات وهجمهم بالغارات على البلاد الحَلَبيّة ، وكان وصل إليه بسبب ذلك الصاحبُ كمال الدين[(١)] عمر بن العَديم رسولًا من الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام يطلب منه النَّجْدَة على قتال التَّتار ، فأنزله قُطُزْ بالكَبْش[(٢)] وجمع القضاةَ والفقهاءَ والأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه فى أمر التّتار وأن يُؤخذ من الناس ما يُستعان به على جهادهم ، فحضروا فى دار السَّلْطنة بقلعة الجبل ، وحضر الشيخ عِزّ الدين آبن عبد السلام والقاضى بدر الدين السِّنْجَارِىّ قاضى الديار المصرية وغيرُهما من العلماء ، وجلس الملك المنصور علىّ فى دَسْت السلطنة ، وأفاضوا فى الحديث ، فكان الآعتماد على مايقوله آبنُ عبد السّلام ، وخُلاصة ما قال : إنّه إذا طرق العدوُّ بلاد الإسلام وجب على العالم قتالُهم ، وجاز لكم أن تاخذوا من الرعيّة ما تستعينون به

---

(١) هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة الصاحب العلامة كمال الدين أبو القاسم العقيلى الحلبى المعروف بابن العديم . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٠ هـ .

(٢) الكبش : اسم يطلق على الجزء الشمالى الغربى من جبل يشكر حيث المنطقة الواقعة غربى جامع ابن طولون ، بدليل أن المقريزى لما تكلم فى الجزء الأوّل من خططه (ج ١ ص ٣٤٤) على ساحل النيل بمدينة مصر (مصر القديمة) ووصل إلى ذكر الحمراوات قال : وبآخر الحمراء القصوى الكبش وجبل يشكر . ثم لما تكلم فى الجزء الثانى من خططه (ج ٢ ص ١٣٣) على مناظر الكبش قال : إن هذه المناظر كانت على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى ، وإن الملك الصالح نجم الدين أيوب لما أنشأ هذه المناظر سماها الكبش (لوقوعها فوق هذا الجبل) ولا تزال هذه المنطقة تعرف إلى اليوم باسم قلعة الكبش بشارع مراسينا بقسم السيدة زينب .

على جهادكم، بشرط ألّا يبقى فى بيت المال شىء، وتبيعوا مالكم من الحوائص[(1)] المذهبة والالات النفيسة، ويقتصر كلّ الجند على مركوبه وسلاحه ويتساووا هم والعامّة. وأمّا أخذ الأموال من العامّة مع بقايا فى أيدى الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا، وٱنفضّ المجلس على ذلك، ولم يتكلّم السلطان بكلمة فى المجلس لعدم معرفته بالأمور ولصغر سنّه؛ فلهج النّاس بخلع المنصور وسلطنة قُطُز حتّى يقوم بهذا الأمر المهمّ، وٱتّفق ذلك بعد أيّام، وقبض قُطُز هذا على الملك المنصور علىّ، وٱحتجّ لكمال الدّين بن العديم وغيره بأنّه صبىّ لا يحسن تدبير الملك، وفى مثل هذا الوقت الصّعب لا بدّ أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يطيعه النّاس وينتصب للجهاد. وكان الأميران: علم الدين سنجر [الغتمى المعظّمى][(2)] وسيف الدين بهادر حين جرى هذا الأمر غائبين فى الصيد، فاغتنم قُطُز لغيبتهما الفرصة، فلمّا حضرا قبض عليهما وٱعتقلهما، وتسلطن. وركب بشعار الملك، وجلس على كرسىّ السلطنة وتمّ أمره. ولمّا وقع ذلك تقدّم قُطُز إلى برهان الدين الخضر[(3)] أن يتوجّه فى جواب رسالة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام صحبة الصاحب كمال الدين ابن العديم، ويعد الملك الناصر بالنّجدة وإنفاذ العساكر إليه؛ فتوجّها ووصلا إلى دمشق وأدّيا الرسالة، ولم يزل البرهان بدمشق إلى أن رحل الملك الناصر من دمشق إلى جهة الديار المصريّة جافلًا من التّتار.

(١) كان من عادة السلطان أنه إذا ركب للعب الكرة بالميدان فرق حوائص من ذهب على بعض الأمراء المقدمين (راجع صبح الأعشى فى الكلام على الخلع والتشاريف (ج ٤ ص ٥٢ — ٥٥).

(٢) زيادة عن السلوك (ص ٤١٨) وتاريخ أبى الفداء، وعقد الجمان.

(٣) فى الأصلين: «الحصرى». وتصحيحه عن تاريخ الواصلين وهو برهان الدين السنجارى أبو محمد الخضر بن الحسن بن على قاضى القضاة. سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٦ هـ.

وكان الناصر لمّـا تحقّق بحـركة التّتار رحَل إلى بَرْزَةَ شمالى دِمَشق، ونزل بها بعساكره وآجتمع إليه أُممٌ عظيمة من العرب والعجم والتُّرْكُمَان والأتراك والمطوِّعة؛ فلم يُعجِب الناصرَ حالُه لِمَـا رأى من تخاذل عسكره، وعلم أنّه إذا لاقى التّتار لم يَثْبُت عسكرُه لهم لكثرتهم ولقوّتهم، فإنّ هولاكو فى خَلْق لا يُحْصِيهم إلّا الله تعـالى من المُغُـل والكُرْج والعجم وغيرهم، ولم يكن من حين قدومهم على بلاد المسلمين من سنة ستّ عشرة وستمـائة إلى هذه السنة يلقاهم عسكرٌ إلّا فَلُّوه سوى وقائع كانت بينهـم و بين جلال الدين بن خُوَارَزْم شاه(١)، انتصف جلالُ الدين فى بعضها، ثمّ كبسوه على باب آمِد و بدّدوا جَمْعَـه، وأعقب ذلك موتُ جلال الدين بالقُرْب من ميّافارِقين.

وأمّا أمر هُلَاكُو فإنّه فى جُمَادى الأولى من هذه السنة نَزَل حَرَّان وآستولى عليها ومَلَك بلاد الجزيرة، ثمّ سيّر ولده أشموط(٢) بن هولاكو إلى الشام وأمره بقطع الفُرات وأخذ البلاد الشاميّـة، وسيّره فى جمع كثيف من التّتار فوصل أشموط إلى نهر الجوز(٣) وتلّ باشِر(٤)، ووصل الخبرُ إلى حلب من البِيرة(٥) بذلك. وكان نائب السلطان صلاح الدين يوسف بحلب آبنَهُ الملك المُعظّم تُورَان شاه، فجفَـل الناس بين يدى

(١) هو جلال الدين محمد بن خوارزم شاه تكش بن أرسلان شاه بن أتسز. تقدّمت وفاته سنة ٦٢٨ هـ.

(٢) فى الأصلين وعيون التواريخ وتاريخ الواصلين: «أشموط». وفى تاريخ ابن الوردى وأبى الفدا: «سموط» بدون ألف و بالسين المهملة. وورد فى عقد الجمان «أشموط وأسموط» بالشين والسين. وفى هامش السلوك المطبوع بدار الكتب ص ٤١٩ الذى وضع حواشيه الدكتور محمد مصطفى زيادة: «يشموط» بالياء التحتية والشين. (٣) فى الأصلين: «بحر الجدن» وهو تحريف. وما أثبتناه عن معجم البلدان (ج ٢ ص ١٥١) وتاريخ الواصلين. ونهر الجوز: ناحية ذات قرى وبساتين ومياه بين حلب والبيرة التى على الفرات، وهى من عمل البيرة.

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

التّتار إلى جهة دِمَشْق وعظُم الخَطْب ، وآجتمع النـاس من كلّ فَجٍّ عنـد الملك الناصر بدمشق ، وآحترز الملك المعظّم تُورَان شاه آبن الملك الناصر بحلب غاية الآحتراز . وكذلك جميع نوّاب البلاد الحلبيّة ؛ وصارت حلب فى غاية الحَصَانة بأسـوارها المُحْكَمة البناء وكثرة الآلات . فلمّـا كان العَشْر الأخيرُ من ذى الحجّة [(١) سـنة سبع وخمسين وستمائة] قصد التّتار حلب ونزلوا على قرية يقال لهـا سَلَمْية(٢) وآمتدوا إلى حَيْلَان(٣) والحارى(٤)، وسيّروا جماعة من عسكرهم أشرفوا على المدينة . فخرج عسكر حلب ومعهم خَلْق عظيم من العوام والسُّوقة ، وأشرفوا على التّتار وهم نازلون على هذه الأماكن ، وقد ركبوا جميعُم لآنتظار المسلمين ، فلمّا تحقّق المسلمون كثرتهم كَرُّوا راجعين إلى المدينة ؛ فرَسم الملك المعظّم بعد ذلك ألّا يخرج أحد من المدينة .

ولمـّا كان غدُ هـذا اليوم رحلت التَّتَار من منازلهم طالبين مدينـة حلب ، وآجتمع عسكر المسلمين بالنَّواشير ومَيْدان(٥) الحصا وأخذوا فى المَشُورة فيما يعتمدونه ، فأشار عليهم الملك المعظّم أنّهـم لا يخرجون أصـلًا لكثرة التَّتَار ولقوّتهم وضعف المسلمين على لقائهم ، فلم يُوافقه جماعة من العسكر وأبَوْا إلّا الخروجَ إلى ظاهر البلد لئلّا يَطْمَع العدوُّ فيهم ؛ فخرج العسكر إلى ظاهر حلب وخرج معهم العوامُّ والسُّوقة وآجتمعوا الجميع بجبل بَانْقُوسَا(٦) ؛ ووصل جمـعُ التَّتَار إلى أسفل الجبل فنزل إليهم جماعةٌ من العسكر ليقاتلوهم ؛ فلما رآهم التّتار آندفعوا بين أيديهم مَكْرًا منهم وخديعةً ،

---

(١) زيادة عن عيون التواريخ وتاريخ الواصلين . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٩ من الجزء الثانى من هذه الطبعة . (٣) حيلان : من قرى حلب ، تخرج منها عين فوّارة كثيرة المـاء تسيح الى حلب وتدخل إليها فى قناة ، وتتفرّق إلى الجامع و إلى جميع مدينة حلب (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) هكذا فى الأصلين . وفى تاريخ الواصلين : « والحاربى » وقد أطلنا البحث فى المصـادر التى تحت يدنا فلم نعرف وجه الصواب فيهـا . (٥) كذا فى الأصلين . وعبارة كتاب تاريخ الواصلين : « وآجتمع عسكر المسلمين بالنواشـير وأخذوا فى إجالة الرأى فيما يعتمدونه » .

(٦) جبل بانقوسا : جبل فى ظاهر حلب (عن شرح القاموس) .

فتَبِعهم عسكر حلب ساعةً من النهار ، ثم كرّ التّتار عليهم فولّوْا منهزمين إلى جهة البلد والتّتار فى أَثَرِهِم . فلما حاذُوا جبل بَانْقُوسَا وعليه بقيّةُ عسكر المسلمين والعوامّ آندفعوا كلُّهم نحو البلد والتّتار فى أعقابهم ، فقتلوا من المسلمين جمعًا كثيرا من الجند والعوامّ . وممّن آستُشْهِد فى ذلك اليوم الأمير علم الدين زُرَيْق العَزِيزِىّ — رحمه الله — وكان من أعيان الأمراء . ونازل التّتارُ المدينةَ فى ذلك اليوم إلى آخره ، ثم رحلوا طالبين أَعْزاز فتسلّموها بالأمان .

ثم عادوا إلى حلب فى ثانى صفر من سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة وحاصروها حتّى آستَوْلَوْا عليها فى تاسع صفر بالأَمَان ، فلمّا ملكوها غَدَرُوا بأهل حلب وقتلوا ونهبوا وسَبَوْا وفعلوا تلك الأفعال القبيحة على عادة فعلهم . وبلغ الملكَ الناصرَ يوسُفَ أخذُ حلب فى منتصف صفر ، فخرج الناصر من الشام بأمرائه نحو القبلة . وكان رُسُل التّتار بقرية حَرَسْتَا[1] فأُدخِلوا دِمَشْق ليلة الآثنين سابع عشر صفر . وقرِئ بعد صلاة الظهر فرَمَان (أعنى مرسوما) جاء من عند ملك التّتار يتضمّن الأمان لأهل دمشق وما حولها ، وشَرَع الأكابرُ فى تدبير أمرهم . ثم وصلت التّتار إلى دِمَشْق فى سابع عشر شهر ربيع الأوّل ، فلقِيَهم أعيان البلد أحسن مُلْتَقًى وقرِئ ما معهم من الفَرَمان المتضمّن الأمان ، ووصلت عساكرُهم من جهة الغُوطَة مارّين من وراء الضِّيَاع إلى جهة الكُسْوة[2] وأهلكوا فى ممرّهم جماعة كانوا قد تجمّعوا وتحزّبوا[3] . وفى السادس والعشرين منه جاء منشورٌ من هولاكو للقاضى كمال الدين عمر بن بُنْدار[4]

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٣٠ من الجزء الثانى من هذه الطبعة . (٢) الكسوة : قرية هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) فى الأصلين : «وتحزموا» . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .

(٤) فى الأصلين : « عمر بن العـديم » . والتصويب عن عيون التواريخ والذيل على الروضتين وعقد الجمان . وسيذكر المؤلف وفاته فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي سنة ٦٧٢ هـ .

التَّفايسيّ بتفويض قضاء القضاة إليـه بمدائن الشام إلى الموصـل وميّافارِقين وغير ذلك، وكان القاضي قبـله صدر الدين أحمد بن سَنِيّ الدولة (١) . وتوجّه الملك الناصر نحوَ الديار المصريّة ونزل العريش ثم قَطْيَاً (٢) بعـد أن تفرّق عسكرُه عنـه وتوجّه معظَمُ عسكره إلى مصر قبـله مع الأثقال . فلمّا وصل الناصر إلى قَطْيَاً عاد منهـا إلى جهة الشـام لشيء بلغه عن الملك المظفّـر صاحب مصر، ونزل بوادِي موسى (٣) ثم نزل بِرْكة زَيْزَاء (٤) ، فكَبَسه التّتار بهـا وهو في خواصّـه وقليلٍ من ممـاليكه ، فآستأمن الناصرُ من التّتار وتوجّه إليهم ، فلمّا وصـل إليهم آحتفظوا به وبَقِي معهم في ذُلّ وهَوَانٍ إلى أن قُتل على ما يأتي ذكره في محلّه إن شاء الله تعالى .

وأمّا التّتار فإنّه بلغت غارتهم إلى غَزّة (٥) وبلد الخليل — عليه السلام — فقتلوا الرجال وسَـبَوْا النساء والصّبيانَ وآسـتاقوا من الأَسْرى والأبقار والأغنام والمواشي شيئًا كثيرًا . كلُّ ذلك والسلطان الملك المظفَّر قُطُزْ سلطان مصر يتهيأ للقاء التّتـار .

---

(١) هو صـدر الدين أحمـد آبن شمس الدين أبي البركات يحيى بن هبة الله بن سنى الدولة . سيذكره المؤلف فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي سنة ٦٥٨ هـ .

(٢) قطيا ، يستفاد مما ورد في معجم البلدان لياقوت وفي الآنتصار لآبن دقماق ، وفي كتاب الحقيقة والمجاز للنابلسي أن قطيا — وتكتب أيضا قطية — هي قرية من نواحي الجفار في الطريق بين مصر والشام في وسط الرمل قرب الفرما ، وبها جامع ومارستان (مستشفى) وبهـا والى طبلخاناة مقيم لأخذ العشر من التجار ، وبهـا قاض وناظر وشهود ومباشرون ، ولا يمكن أحد من الجواز من مصر إلى الشـام وبالعكس إلا بجواز مرور فهي مزم الدرب ، لا يمكن الدخول إلى مصر إلا منها ، وكان بها مكان أخذ المكس من القـادمين إلى مصر . وأقول : قد اندثرت هـذه القرية ، ولم يبق إلا أطلالها في الطريق بين القنطرة والعريش في الجنوب الشرقي من محطة الرمانة (الروماني قديما) وعلى بعد عشرة كيلو مترات منها .

(٣) وادي موسى ، منسوب إلى موسى بن عمران عليه السـلام ، وهو واد في قبلي بيت المقـدس بينه وبين أرض الحجاز (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٤) في الأصلين : « بركة برى » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وتاريخ أبي الفـدا . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٥٣ من هذا الجزء .

(٥) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

فلمّا آجتمعت العساكر الإسـلاميّة بالديار المصريّة ألقى الله تعـالى فى قلب الملك المظفّر قُطُزْ الخروج لقتالهم بعد أن كانت القلوب قد أيِسَتْ من النُّصْرة على التّتار، وأجمعوا على حفظ مصر لا غير لكثرة عَدَدهم وآستيلائهم على معظم بلاد المسلمين، وأنّهم ما قصـدوا إقليمًا إلّا فتحوه ولا عسكرا إلّا هزموه، ولم يبق خارج عن حكمهـم فى الجانب الشرقىّ إلّا الديار المصريّة والحجاز واليمن، وهَرَب جمـاعة من المغاربة الذين كانوا بمصر إلى الغَرْب، وهَرَب جماعة من الناس إلى اليمن والحجاز، والباقون بَقُوا فى وَجَل عظيم وخَوْف شديد يتوقّعون دخول العـدوّ وأخذ البلاد؛ وصمّم الملك المظفّر — رحمـه الله — على لقاء التّتار، وخرج من مصر فى الجَحَافل(١) الشاميّة والمصريّة فى شهر رمضان، وصحبته الملك المنصور صاحب حَمَـاة؛ وكان الأَتَابَك فارس الدين أُقطاى المسـتعرِب، الأُمور كلّها مفوّضـة إليه؛ وسيّر الملك المظفّر قُطُزْ إلى صاحب حَمَاة، وهو بالصالحيّة، يقول: له لا تحتفل فى مَدّ سِمَاط، بل كلّ واحد من أصحابك يُفْطِر على قطعـة لحم فى صَـوْلَقه(٢). وسافر الملك المظفّر بالعساكر من الصالحيّة ووصل غَزّة والقلوب وَجِلَةٌ.

وأما كَتْبُغَانُوِين(٣) مقدّم التّتار على عسكر هولاكو لـمّا بلغه خروج الملك المظفّر قُطُزْ كان بالبقاع؛ فآستدعى الملكَ الأشرفَ [موسى(٤) آبن المنصور صاحب حِمْص] وقاضىَ القضـاة مُحْيِي(٥) الدين وآستشارهم فى ذلك، فمنهم مـن أشار بعـدم المُلْتَقَى

---

(١) فى الأصلين: «المحافل». (٢) الصولق: مخلاة من جلد يضعها الشخص فى حزامه من الجهة اليمنى. والجمع صوالق. (راجع الخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٣٥). (٣) ضبطه صاحب عقد الجمان بالعبارة فقال: (بضم النون وكسر الواو وسكون الياء آخر الحروف). ومعناه: أمير عشرة آلاف، وكل آسم من أسماء ملوكهم فى آخره نوين معناه: رأس عشرة آلاف. وضبطه صاحب صبح الأعشى (ج ٦ ص ٣٣) بالعبارة أيضا (بضم النون وفتح الواو وسكون الياء). وضبط فى السلوك كضبط صبح الأعشى، وقال: إن معناه مقدّم ألف. (٤) الزيادة عن السلوك. (٥) هو قاضى القضاة محى الدين محمد بن يحيي المعروف بابن الزكى. كما فى عيون التواريخ فى حوادث سنة ٦٥٨ هـ.

والاندفاع بين يدى الملك المظفّر إلى حيث يجيئه مَدَدٌ من هولاكو ليَقْوَى على ملتقى العسكر المصرى، ومنهم من أشار بغير ذلك وتفرّقت الآراء، فاقتضى رأى كَتْبُغَانُوِين الملتقى، وتوجّه من فَوْره لِمَا أراد الله تعالى من إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشّرك وحزبه، بعد أن جمع كَتْبُغَانُوِين مَنْ فى الشام من التّتار وغيرهم، وقصد محاربة المسلمين، وصحبته الملك السعيد [حسن] (١) ابن الملك العزيز عثمان. ثم رحل الملك المظفّر قُطُز بعساكره من غزّة ونزل الغَوْر بعَين جَالُوت (٢)، وبه جموع التّتار فى يوم الجمعة خامس عشرين شهر رمضان، ووقع المصافّ بينهم فى اليوم المذكور، وتقاتلا قتالا شديدًا لم يُرَ مثلُه حتّى قُتِل من الطائفتين جماعة كثيرة وانكسرت مَيْسرة المسلمين كسرةً شنيعةً، فحمَل الملك المظفّر — رحمه الله — بنفسه فى طائفة من عساكره وأردف الميسرة حتّى تحايَوْا وتراجعوا، واقتحم الملك المظفّر القتال وباشر ذلك بنفسه وأبلى فى ذلك اليوم بلاءً حسنا، وعظُم الحرب وثبت كلٌّ من الفريقين مع كثرة التتار. والمظفّر مع ذلك يُشَجّع أصحابه ويُحَسّن إليهم الموت، وهو يكُرّ بهم كَرّةً بعد كَرّة حتّى نصر الله الإسلام وأعزّه، وانكسرت التّتار وولّوا الأدبار على أقبح وجهٍ بعد أن قُتِل معظمُ أعيانهم وأُصيب مُقَدّم العساكر التّتاريّة كَتْبُغَانُوِين، فإنّه أيضا لمّا عظُم الخَطْب باشر القتالَ بنفسه فأخزاه الله تعالى وقُتل شرّ قِتْلَة. وكان الذى حَمل عليه وقتله الأمير جمال الدين آقوش الشّمْسِى — رحمه الله تعالى — وولّوا التّتار الأدبار لا يَلْوُون على شىء، واعتصم منهم طائفةٌ بالتّل المجاور لمكان الوقعة، فأحدقتْ بهم العساكرُ وصابروهم على القتال حتّى أفْنَوْهم قتلًا، ونجا مَنْ نجا. وتبِعهم الأمير ركن الدين بِيبَرْس البُنْدُقْدَارِى فى جماعةٍ من الشُّجْعان إلى أطراف البلاد،

(١) زيادة عن السلوك للمقريزى (ص ٤٣١). (٢) عين جالوت: بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين (عن معجم البلدان لياقوت).

وآستوى أهلُ البلاد والضِّياع من التَّتار آثارَهم، وقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة حتّى إنّه لم يسلَم منهم إلّا القليل جدًّا .

وفى حال الفراغ من المصافّ حضر الملك السعيد [حسن] آبن الملك العزيز عثمان آبن الملك العادل بين يدى السلطان الملك المظفّر قُطُز، وكان التّتار لمّا ملكوا قلعة البِيرَة وجدوه فيها مُعْتَقَلا فأطلقوه وأعطَوْه بَانْيَاس وقلْعة الصُّبَيْبَة[(١)] فآنضمّ على التّتار وبَقِى منهم، وقاتل يوم المَصَافّ[(٢)] المسلمين قتالا شديدًا، فلما أيّد الله المسلمين بنَصْره وحضر الملوكُ عند الملك المظفّر لحضر الملك السعيد هذا من جملتهم على رَغْم أنفه، فلم يقبل المظفّر عُذْرَه، وأمر بضرب عُنُقه فضُرِبتْ فى الحال . ثم كتب الملك المظفّر كتابا إلى أهل دِمَشْق يُخبِرهم فيه بالفتح وكَسْر العدوّ المخذول و يعِدُهم بوصوله إليهم ونَشْر العدل فيهم ، فسُرّ عوامُّ دمَشْق وأهلُها بذلك سرورًا زائدا ، وقتلوا فخر الدين محمد بن يوسف بن محمد الكَنْجِىّ[(٣)] فى جامع دمشق، وكان المذكور من أهل العلم ، لكنّه كان فيه شَرٌّ ، وكان رافضيًّا خبيثًا وآنضم على التّتار . وقتلوا أيضا بِدمَشْق من أعوان التّتار آبن الماسكينى[(٤)] ، وآبن النُّفَيْل[(٥)] وغيرهما . وكان النّصارَى بِدمَشْق قد شَمَخُوا وتجرءوا على المسلمين وآستطالوا بتردُّد التّتار إلى كنائسهم . وذهب بعضهم إلى هولاكو وجاءوا من عنده بفَرَمان يتضمّن الوصيّة بهم والآعتناء بأمرهم ، ودخلوا بالفَرَمان من بابِ تُوما[(٦)] وصُلبانُهم مرتفعةٌ ، وهم ينادون بآرتفاع دينهم وآتِّضاع دين المسلمين، و يَرُشّون الخمر على الناس وفى أبواب المساجد ، فحصل

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٥٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٢) فى الأصلين : « وقاتل يوم المصاف مع المسلمين » . والسياق يأباه . (٣) الكنجى : نسبة إلى كنجة . راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) فى عيون التواريخ : « الشمس بن الماكسينى » . (٥) فى الذيل على الروضتين : « ابن البغيل » بالغين المعجمة . (٦) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٥٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

عند المسلمين[1] من ذلك همٌّ عظيمٌ . فلمّا هَرَب نُوّابُ التّتار حين بلغتْهم الكَسْرة أصبح النّاس وتوجّهوا إلى دُور النّصارَى ينهبونها ويأخذون ما آستطاعوا منها، وأخربوا كنيسة اليعاقبة[2] وأحرقوا كنيسة مريم[3] حتّى بقيت كُوَمًا، وقتلوا منهم جماعة وآختفى الباقون . وكانت النصارى فى تلك الأيام ألزموا المسلمين بالقيام فى دكاكينهم للصَّليب، ومَنْ لم يقم أَخْرَقُوا[4] به وأهانوه، وشَقُّوا السُّوقَ على هذا الوجه إلى عند القنطرة آخر سُوَيْقة كنيسة مريم؛ فقام بعضهم على الدُّكّان الوُسْطَى من الصف الغربىّ بين القناطر وخطَب وفضّل دينَ النّصارَى ووضَع من دين الإسلام، وكان ذلك فى ثانى عشرين شهر رمضان . ثم من الغد طلع المسلمون مع قُضاتهم وشهودهم إلى قلعة دِمَشْق وبها التّتَار فأهانوهم التتار، ورفعوا قِسِّيسَ النّصارَى عليهم، ثم أخرجوهم بالضرب؛ فصار ذلك كلّه فى قلوب المسلمين . اِنتهى .

ثمّ إنّ أهل دِمَشْق هموا أيضا بنهب اليهود فنهبوا منهم يسيرًا، ثم كَفُّوا عنهم . ثمّ وصل الملك المظفّر قُطُز إلى دِمَشق مؤيَّدا منصورا فآنجبرتْ بذلك قلوبُ الرّعايا وتضاعف شكرهم لله تعالى . وآلتقاه أهلُ دِمَشْق بعد أن عَفَّوا آثار النصارَى وخرّبوا كنائسَهم جزاءً لما كانوا سلَفوه من ضرب النواقيس على رءوس المسلمين، ودخولهم بالخمر إلى الجامع . وفى هذا المعنى يقول بعض شعراء دِمَشْق :

---

(١) فى الأصلين : «على المسلمين» . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٢) اليعاقبة واليعقوبية : هم أتباع « دسقورس » بطريق الاسكندرية ، كان اسمه يعقوب قبل توليته (راجع الكافى لشاروبيم بك ج ١ ص ٣٥٤ — ٣٥٥) . (٣) كنيسة مريم، كانت كنيسة عظيمة فى جانب دمشق الذى فتحه خالد بن الوليد بالسيف فبقيت بيد المسلمين . وكان ملاصق الجامع كنيسة ، من الجانب الذى فتحه أبو عبيدة بالأمان فبقيت بيد النصارى . فلما ولى الوليد بن عبد الملك الخلافة خرب الكنيسة الملاصقة للجامع وأضافها اليه ولم يعوض النصارى عنها . فلما ولى عمر بن عبد العزيز عوضهم عنها بكنيسة مريم فعمروها عمارة عظيمة ، وبقيت كذلك حتى خربها المسلمون فى هذه السنة (عن تاريخ ابن الوردى وتاريخ أبى الفدا إسماعيل) . (٤) كذا فى الأصلين : ولعلها أحدقوا به .

هَـــلَكَ الكفرُ فى الشّام جميعًا * وآستجدّ الإسلام بعد دُحُوضِهْ
بالمليـــك المظفّـــر الملكِ الأرْ * وَعِ سيفِ الإسلامِ عند نهوضِهْ
مَلِكٌ [جاءنا] (١) بعَـــزمٍ وحَزْمٍ * فآعتززنا بسُـــمْرِه وبِبيضِـــهْ
أوجب اللهُ شـــكرَ ذاك علينـــا * دائمًـــا مثـــلَ واجباتِ فُروضِهْ

وفى نُصْرة الملك المظفّر هذا يقول الشيخ شهاب الدين أبو شامة :

غَلَبَ التّتارُ على البلاد فجاءهم * من مصرَ تركىٌّ يجـــود بنفسِهِ
بالشام أهلكهم وبَدّد شَمْلَهُمْ * ولكلّ شىءٍ آفـــةٌ من جنسِهِ

ثم قَدِم الخبرُ على السلطان بدِمَشْق فى شوّال بأنّ المنهزمين من رجال التّتَار ونسائهم لحِقهم الطُّلُبُ من الأمير ركن الدين بِيبَرْس البُنْدُقْدارِىّ ، فإنّ بيبرس كان تقدّم قبل السـلطان إلى دِمَشق يتتبّع آثار التّتَار إلى قرب حلب ، فلمّا قَرُب منهم بيبرس سَيَّبُوا ما كان فى أيديهم من أُسَارَى المسلمين ، ورَمَوْا أولادَهم فتخطّفهم النّاس ، وقاسَوْا من البلاء ما يستحقّونه .

وكان الملك المظفّر قُطُز قد وَعَد الأميرَ بِيبَرْس بحلب وأعمالها ، فلمّا آنتصر على التّتار آنثنى عزمُه عن إعطائه حلب ، وولّاها لعلاء الدّين [علىّ آبن بدر الدين لؤلؤ] (٢) صاحب الموصل ، فكان ذلك سببَ الوحشة بين بِيبَرْس و بين الملك المظفّر قُطُز . على ما يأتى ذكره .

ولـمّـا قدِم الملك المظفّر إلى دِمَشق أحسن إلى النـاس وأجراهم على عوائدهم وقواعدهم إلى آخر أيّام الملك النـاصر صلاح الدين يوسف . وسيّر الملكُ الأشرفُ صاحبُ حِمْص يطلب منه أمانًا على نفسه وبلاده ، وكان الأشرف أيضًا ممّن آنضاف

(١) التكملة عن عقد الجمان وتاريخ أبى الفدا إسماعيل وتاريخ ابن الوردى .
(٢) التكملة عن عيون التواريخ والمنهل الصافى وتاريخ أبى الفدا إسماعيل وتاريخ ابن الوردى .

إلى التّتار فأمّنه وأعطاه بلادَه وأقرّه عليها؛ فحضر الأشرفُ إلى خدمة الملك المظفّر ثم عاد إلى بلده . ثم توجّه الملك المظفّر صاحب حماة إلى حَمَاة على ما كان عليه، وكان حضر مع الملك المظفر قُطُز من مصر .

قلت : والملك المظفّر قُطُز هو أوّل مَن ملك البلاد الشاميّة وآستناب بها من ملوك الترك .

ثمّ إنّ الملك المظفّر قُطُز رتّبَ أمورَ الشام وآستناب بِدمَشق الأمير علم الدين سَنْجَر الحَلَبِيّ الكبير . ثم خرج المظفّر من دِمَشق عائدًا إلى مصر إلى أن وصل إلى القُصَيْر[(١)]، وبَقِيَ بينه وبين الصالحيّة مَرْحَلةٌ واحدةٌ، ورحلت العساكر إلى جهة الصالحيّة وضُرِب الدهليز السلطانيّ بها وبَقِيَ المظفّر مع بعض خواصّه وأمرائه؛ وكان جماعة قد آتفقوا مع الأمير بِيبَرْس البُنْدُقْدارِيّ على قتل الملك المظفّر : منهم الأمير سيف الدين أنص[(٢)] من مماليك [نجم الدين][(٣)] الرومى الصالحى ، وعلم الدين صنغلى[(٤)]، و[سيف الدين بَلَبان][(٥)] الهارونيّ وغيرهم؛ كلّ ذلك لِكَمِين كان فى نفس بِيبَرْس، لأجل نيابة حلب . وآتّفق عند القُصَيْر بعد توجّه العساكر إلى الصالحيّة أن ثارتْ أرنبٌ فساق الملك المظفّر قُطُز عليها، وساق هؤلاء المتّفقون على قتله معه، فلمّا أبعدُوا ولم يبق معه غيرهم ، تقدّم إليه الأمير بِيبَرْس البُنْدُقْدارِيّ وشَفَع عنده

(١) القصير، وردت بهذا الاسم أيضا فى كتاب السلوك للقريزى ، والخطط المقريزية (ج ٢ ص ٣٠١) وبالبحث تبين لى أن هذه المنزلة هى القرية التى تعرف اليوم باسم الجعافرة إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقية . (٢) فى عيون التواريخ والسلوك للقريزى : «أنس» بالسين بدل الصاد . (٣) زيادة عن تاريخ ابن الوردى وتاريخ أبى الفدا إسماعيل . (٤) فى تاريخ أبى الفدا إسماعيل : « صغن أغلى » وفى تاريخ ابن الوردى : « طغان أوغلى » . (٥) زيادة عن عيون التواريخ والسلوك .

شفاعةً فى إنسان فأجابه، فأهوى بِيبَرْس لِيُقَبِّل يده فقبض عليها، وحمَلَ أنص[1] عليه، وقد أشغل بِيبَرْس يده، وضربه بالسيف، ثم حَمَل الباقون عليه و رمَوْه عن فرسه، ورشَقُوه بالنُّشَّاب فقتلوه، ثم حَمَلوا على العسكر وهم شاهرون سيوفهم حتّى وصلوا إلى الدِّهليز السلطانىّ بالصالحيّة، فنزلوا ودخلوا والأتَابَك[2] على باب الدِّهليز فأخبروه بمـا فعلوا، فقال: مَنْ قتله منكم؟ فقال بِيبَرْس: أنا، فقال: يا خَوَنْد، اجلس على مرتبة السلطان! يأتى بقية ذلك فى أوّل ترجمة الملك الظاهر بِيبَرْس البُنْدُقْدَارِىّ المذكور. إن شاء الله تعالى.

ولمّـا وقع ذلك و بلغ الأميرَ علَم الدين سَـنْجَر الحَلَبِىّ الكبير نائب دِمَشق عَزَّ عليه قتل الملك المظفّر، ثم دعا الناسَ لنفسه وآستحلفهم وتلقّب بالملك المجاهـد. على ما يأتى ذكره أيضا. أمّا الملك المظفّر قُطُز فإنّه دُفِن موضعَ قتله — رحمه الله تعـالى — وكثُر أسفُ الناس وحزنُهم عليه. قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبىّ فى تاريخه — رحمه الله تعالى — بعد ما سمّاه ونعته قال:

وكان المظفّر أكبرَ مماليك الملك المعزّ أَيْبَك التُّرْكُمَانِى، وكان بطلاً شجاعا مِقْداماً حازمًا حسن التدبير، يَرْجِع إلى دينٍ و إسلامٍ وخيرٍ، وله اليدُ البيضاءُ فى جِهاد التّتار، فعوّض الله شَبَابه بالجنّة و رضِى عنه. وحَكَى الشيخ شمس الدين[3] الجَزَرِىّ فى تاريخه

---

(١) رواية السلوك وآبن إياس وعيون التواريخ: «فأخذ بيبرس يد السلطان ليقبلها، وكانت إشارة بينه و بين الأمراء فبادره الأمير بكتوت بالسيف». ورواية عقـد الجمان وتاريخ أبى الفدا إسماعيل وتاريخ ابن الوردى أن الذى تقدّم إليه أنص وشفع عند قطز فى إنسان فأجابه إلى ذلك فأهوى ليقبل يده وقبض عليها فحمل عليـه بيبرس البندقدارى وضربه بالسـيف.

(٢) هو فارس الدين أقطاى المستعرب. وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٣ من هذا الجزء.

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٣٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

عن أبيه، قال : كان قُطُز فى رِقّ ابن الزعيم بدِمَشْق[١] فى القصّاعين[٢]، فضربه أستاذه فبكى ولم يأكل شيئًا يومَه ، ثم رَكِب أستاذُه للخدمه وأمر الفرّاش أن يترضّاه ويُطْعِمَه ، قال : فحدّثنى الحاجّ علىّ الفرّاش قال : فجئته وقلت : ما هذا البكاء من لَطْشة ؟ فقال : إنّما بكائى من لعنة أبى وجدّى وهم خيرٌ منه ، فقلت : مَنْ أبوك ؟ واحد كافر ! فقال : والله ما أنا إلّا مسلم ٱبن مسلم ، أنا محمود بن ممدود[٣] ٱبن أخت خوارزم شاه من أولاد الملوك ، فسكّتُّه وترضّيتُه . وتنقّلَتْ به الأحوال إلى أن تملّك مصرَ ، ولمّا تملك أحسن إلى الحاج علىّ الفرّاش المذكور ، وأعطاه خمسمائة دينار وعَمِل له راتبًا . قال الذهبىّ أيضا : ولمّا تسلطن لم يَبْلَع ريقه ولا تَهَنّى بالسلطنة حتى ٱمتلأت الشامات المباركة بالتّتار ، ثم ساق الذهبىّ أمره مع التّتار بنحو ما حكيناه .

وقال الشيخ قُطْب الدين : حُكِى عن الملك المظفّر قُطُز أنّه قُتِل جَوَادُه يوم القتال مع التّتار ، ولم يصادف المظفّر أحدًا من الأوشاقيّة[٤] فبقى راجلًا ، فرآه بعض الأمراء الشُجْعَان فترجّل له وقدّم له حِصانَه ، فٱمتنع المظفّر من ركوبه وقال : ما كنتُ لأمنع المسلمين الٱنتفاع بك فى هذا الوقت ! ثم تلاحقت الأوشاقيّة إليه .

وقال ٱبن الجَزَرىّ فى تاريخه : حدّثنى أبى قال حدّثنى أبو بكر بن الدُّرَيْهِم الإسْعِرْدِىّ والزكىّ إبراهيم أستاذ الفارس أقطاى قالا : كُنّا عند سيف الدين قُطُز لمّا تسلطن أستاذه الملك المُعِزّ أَيْبَك التّرْكمانىّ ، فأمرنا قُطُز بالقعود ، ثم أمر المنجّم فضَرَب الرمل ،

(١) عبارة عقد الجمان : « وحكى ابن أبى الفوارس قال : كان هذا قطز مملوكا لابن العديم أو قال لابن الزعيم رجل من دمشق » . (٢) القصاعين : درب بدمشق حذاء سوق القسقار واسمه اليوم سوق مدحت باشا (عن تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢١٥) . (٣) فى عقد الجمان : « محمود بن مودود » . (٤) فى الأصلين : « الوشاقية » والأوشاقية كما فى السلوك ص ٤٣٣ . ويقال : (أوجاقية كما فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٤) وهو لقب الذى يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة .

ثم قال له قُطُز : اضرب لمن يَملِك بعد أستاذى الملك المعزّ أيبك ، ومَنْ يَكْسِر التتار ، فضرب وبقِى زماناً يحسب ، فقال : يطلع معى خمسُ حروف بلا نَقْط . فقال له قُطُز : لِمَ لا تقول محمود بن ممدود ، فقال : ياخَوَنْد لا ينفع غير هذا الأسم ، فقال : أنا هو ، أنا محمود بن ممدود ، وأنا أَكْسِر التَّتَار وآخُذ بثأر خالى خُوَارَزْم شاه ، فتعجّبنا من كلامه ، وقلنا : إن شاء الله يكون هذا يا خَوَنْد ، فقال : آكتُموا ذلك ، وأعطى المنجِّمَ ثلثمائة درهم .

قلتُ : ونقل الشيخ قطب الدين اليُونِينِيّ فى تاريخه الذى ذيّله على مرآة الزمان ، فقال فى أمر المنجِّم غيرَ هـذه الصورة . وسنذكرها فى سـياق كلام قطب الدين المذكور . قال (أعنى قطب الدين) : كان المظفَّر أخصَّ ممـاليك الملك المُعزّ وأقربَهم إليه وأوثقَهم عنده . وهو الذى قَتَل الأمير فارس الدين أقطاى الجَمدار . قال : وكان الملك المظفَّر بطَلًا شجاعا مِقْـداما حازماً حسن التدبير لم يكن يوصف بكَرَمٍ ولا شُحّ بل كان متوسّطا فى ذلك ، وذكر حكايته لمـّا أن قُتِل جوادُه يوم الوقعة بنحوٍ ممّا حكيناه ، لكنّه زاد بأن قال : فلام المظفَّرَ بعضُ خواصّه على عدم ركوبه ، وقال : يا خَوَنْد ـــ لو صادفك ، والعياذ بالله تعـالى ـــ بعضُ المُغْل وأنت راجل كنتَ رحتَ وراح الإسلام ! فقال : أما أنا فكنت رُحْتُ إلى الجنّة ـــ إن شاء الله تعالى ـــ وأما الإسلام فما كان الله لِيُضيعَه ؛ فقد مات الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وقُتِل بعده آبنه الملك المعظّم تُوران شاه ، وقُتِل الأمير فخر الدين آبن الشيخ مقدّم العساكر يوم ذاك ، ونصر الله الإسلام بعد الياس من نَصْره ! (يعنى عن نوبة أخذ الفرنج دِمْياط) . ثم قال قطب الدين ، بعـد ما سـاق توجّهه إلى دِمَشْـق وإصلاح أمرها إلى أن قال : وقُتِـل الملك المظفّر قُطُز مظلوماً بالقُرْب من القُصَيْر وهى المنزلة التى بقرب الصالحية ، وبقِى مُلْقًى بالعَرَاء فدفنه بعضُ مَن كان فى خدمته

بالقُصَيْر ، وكان قبرُه يُقصد للزيارة دائمًا . قال : واجتزْتُ به فى شهر رمضان سنة تسع وخمسين وستمائة ، وترحّمتُ عليه وزُرْتُه . وكان كثيرَ الترحُّم عليه والدعاء على مَنْ قتله . فلمّا بلغ بيبَرْس ذلك أمر بنَبْشه ونقله[1] إلى غير ذلك المكان وعُفِّى أثرُه ، ولم يُعفَ خبرُه — رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام خيرًا — قال : ولم يُخلِّف ولدًا ذكرًا ، وكان قتلُه يومَ السبت سادس عشر ذى القعدة سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة .

قلت : فعلى هـذا تكون مدّةُ سلطنة الملك المظفّر قُطُز سنةً إلّا يومًا واحدًا ، فإنّه تسلطن فى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة من سنة سبع وخمسين وستمائة ، وقُتِل فيما نقله الشيخ قطب الدين فى يوم السبت سادس عشر ذى القعدة من سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة : انتهى . قال : حَكَى لى المَوْلَى علاءَ الدين بن غانم فى غُرّة شوّال سنة إحدى وتسعين وستمـائة ببَعْلَبَك ، قال : حدّثنى المَوْلَى تاج الدين أحمد[2] ابن الأثير — تغمده الله برحمته — ما معناه : أنّ الملك الناصر صلاح الدين يوسف — رحمه الله — لمـّا كان على بَرْزَة فى أواخر سنة سبع وخمسين وصـله قُصّادٌ من الديار المصريّة بكتب يُخبرونه فيهـا أنّ قُطُز تسلطن وملك الديار المصريّة وقَبض على ابن أستاذه ، قال المَوْلى تاج الدين — رحمه الله — : فطلبنى السلطان الملك الناصر قرأت عليه الكتب ، وقال لى : خذ هذه الكتبَ ورُح إلى الأمير[3] ناصر الدين القَيْمُرِىّ ، والأمير[4] جمال الدين بن يَغْمور أَوْقِف كلًّا منهما عليها ، قال : فأخذتُهـا

(١) فى السلوك للقريزى (ص ٤٣٥) : «وحمل قطز بعد ذلك إلى القاهرة فدفن بالقرب من زاوية الشيخ تق الدين قبل أن تعمر، ثم نقله الحاج قطز الظاهرى الى القرافة ودفن قريبا من زاوية ابن عبود» .

(٢) هو أحمد بن سـعيد بن محمد الصاحب تاج الدين بن الأثير الحلبى الموقِّع . وأولاد ابن الأثير هؤلاء غير بنى الأثير الموصليين . باشر الإنشاء بدمشق ثم بمصر للملك الظاهر بيبرس . توفى سـنة ٦٧١ هـ كما فى المنهل الصـافى . (٣) هو الأمير ناصر الدين أبو المعالى حسين بن عزيز بن أبى الفوارس القيمرى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٦٥ هـ . (٤) هو موسى بن يغمور بن جلدك الياروقى ، كان من جملة الأمراء وناب عن السلطان بمصر ودمشق . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٣ هـ .

وخرجت فلما بعُدتُ عن الدِّهليز لقينى حُسام الدين البركة خانى (١) وسلّم علىّ، وقال : جاءكم بَرِيدىٌّ أو قُصَّادٌ من الديار المصريّة ؟ فورّيتُ وقلت : ما عنــدى علمٌ بشىء من هذا، قال: قُطُز تسلطن وتملَّك الديار المصريّة ويَكْسِر التّتار ؛ قال تاج الدين: فبقيت متعجّبا من حديثه، وقلت له : إيش هذا القول، ومن أين لك هــذا ؟ قال : والله هذا قُطُز خُشْدَاشِى، كنت أنا وإيّاه عنــد الهَيْجاوى (٢) من أمراء مصر ونحن صِبْيان، وكان عليه قَمْــلٌ كثير، فكنت أُسَرِّح رأسه على أنّنى كلّمــا أخذت منه قَمْــلةً أخذت منه فَلْسا أو صفعتُه، ثم قلت فى غضون ذلك : والله ما أشتهى إلا أنّ الله يرزقنى إمْرَة خمسين فارسا، فقال لى : طيِّب قلبك، أنا أُعطيك إمْرَة خمسين فارسا، فصفَعته وقلت : أنت تعطينى إمرة خمسين ! قال : نعم فصفَعته، فقال لى : وألك (٣) عِلّة ! إيش يلزم لك إلّا إمرةُ خمسين فارسًا ؟ أنا والله أُعطيك، قلت : ويلك ! كيف تُعطينى ؟ قال : أنا أَمْلِك الديار المصريّة، وأَكْسِر التّتار وأُعطيــك الذى طلبت، قلت : ويلك أنت مجنون ! أنت بقَمْلك تَمْلِك الديار المصرية ؟ قال : نعم، رأيت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى المنام وقال لى : أنت تَمْلِك الديار المصريّة وتَكْسِر التّتار، وقول النبىّ صلّى الله عليــه وسلّم حقٌّ لا شكَّ فيــه، قال: فسكتُّ وكنت أعرف منه الصدق فى حديثه وعدَمَ الكذب. قال تاج الدين: فلمّــا قال لى هــذا، قلت له : قد وردت الأخبار بأنّه تسلطن، قال لى : والله وهو يَكْسِر التّتار. قال تاج الدين : فرأيت حسام الدين البركة خانى ـــ الحاكى ذلك ـــ بالديار المصريّة بعــد كَسْر التّتار فسلّم علىّ، وقال : يامولاى تاج الدين،

(١) فى الأصلين : « حسام الدين البركزخانى » . وفى شــذرات الذهب : « البردخانى » . والتصويب عن عقد الجمان وعيون التواريخ والسلوك .
(٢) هو ركن الدين الهيجاوى، كان من الأمراء زمن الملك الكامل . راجع حوادث سنة ٦٣٦ هـ .
(٣) فى الأصلين هنا وما سيأتى بعد قليل : « والك » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب .

تذكُر ما قلتُ لك فى الوقت الفلانىّ؟ قلت : نعم ، قال : واللهِ حالما عاد الملك الناصر من قَطْيا دخلتُ الديار المصريّة أعطانى إمرة خمسين فارسًا كما قال ، لا زائد على ذلك . قال : وحكى لى عزّ الدين[1] محمد بن أبى الهَيْجاء ما معناه : أنّ سيف الدين بُلْغَاق حدّثه أنّ الأمير بدر الدين بَكْتُوت الأَتابكىّ ، حكَى لى قال : كنتُ أنا والملك المظفّر قُطُز والملك الظاهر بِيبَرْس — رحمهما الله تعالى — فى حال الصِّبا كثيرا ما نكون مجتمعين فى ركوبنا وغير ذلك ، فاتّفق أنْ رأينا منجِّما فى بعض الطريق بالديار المصريّة ، فقال له الملك المظفّر قُطُز : أَبْصِر نجْمِى ، فضَرَب بالرّمل وحسب وقال : أنت تَمْلِك هذه البلادَ وتَكْسِر التّتار ، فشرَعْنا نهزأ به . ثم قال له الملك الظاهر بِيبَرْس : أَبْصِر نجْمِى ، فقال : وأنت أيضا تَمْلِك الديار المصريّة وغيرها ، فتزايد استهزاؤنا به ، ثم قالا لى ، لا بدّ أن تبصر نجمك ، فقلت له : أَبْصِرْ لى نجمى ، فحسب وقال : أنت تخلص لك إمرة مائة فارس ، يعطيك هذا ، وأشار إلى الملك الظاهر ، فاتّفق أن وقع الأمرُ كما قال ، ولم يُخْرَم منه شىء . وهذا من عجيب الاتّفاق . انتهت ترجمة الملك المظفّر قُطُز . ويأتى ذكر حوادثه على عادة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

⁂

السنة التى حكم فيها الملك المظفّر قُطُز على الديار المصريّة ، وهى سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة على أنّه حَكَم من سنة سبع شهرين وقُتِل قبل انقضاء السنة أيضًا بشهرين .

فيها كانت كائنة التّتار مع الملك المظفّر قُطُز وغيره ، حسب ما تقدّم ذكره من أنّهم ملكوا حلب والشام ثم رحلوا عنها .

(١) هو محمد بن أبى الهيجاء بن محمد الأمير الفاضل عز الدين الهذبانى الإربلى الشيعى الرافضى والى دمشق . توفى سنة ٧٠٠ هـ (عن المنهل الصافى) .

وفيها غلت الأسعار بالبلاد الشاميّة .

وفيها تُوُفّى الملك السعيد نَجْم الدين إيلْغَازى آبن الملك المنصور ناصر الدين أبى المظفّر أَرْتُق بن أَرْسلان[(١)] بن نجم الدين إيلْغَازى آبن أَلْبِى بن تِمِرْتَاش بن إيلغازى آبن أَرْتُق ، السلطان أبو الفتح صاحب مَارِدين . كان ملكا جليلا كبير القَدْر شجاعا جَوَادًا حازما مُمَدَّحا . مات فى ذى الحجّة ، وملك ماردين بعـده آبنه الملك المظفّر رحمه الله .

وفيها تُوُفّى الملك المعظَّم فخر الدين أبو المفاخر تُورَان شاه آبن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب ، كان قد كَبِرت سِنّه وصار كبير البيت الأيوبىّ ، وكانت نفســه لا تُحــدِّثه بالوثوب على الأمر ، فلذلك عاش عيشا رَغَدًا وطال عمره . وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام يُعَظِّمه ويحترمه ويثق به . وهو غير الملك المعظم تُورَان شاه آبن الملك الصالح نجم الدين أيوب . وقد تقدّم قتلُ هذاك فى كائنة دِمْياط ، وعُدّ أيضا من ملوك مصر . وتوران شاه هــذا هو ابن عم الملك الكامل محمد جدّ تُورَان شاه هذاك . وهو أيضا غير تُورَان شاه آبن الملك الكامل محمد المعروف بأَقْسِيس[(٢)] . انتهى . ومولد تُورَان شاه هذا بالقاهرة فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة ومات فى شهر ربيع الأوّل من هذه السنة بحلب .

وفيها قُتِل الأمير كَتْبُغَانُوِين مقدّم عساكر التّتار الذى قُتِل فى الوقعة التى كانت بينه وبين المظفّر قُطُز بعَيْن جالوت المقــدّم ذكرها . كان كَتْبُغَانُوِين عظيماً عند

---

(١) فى المنهل الصافى والسلوك : « الملك السعيد إيلغازى آبن المنصور أرتق بن إيلغازى ... الخ » بإسقاط كلمة « ابن أرسلان » . (٢) قد تقدّم فى الجزء السادس فى غير موضع أن آبن الملك الكامل المسمى بأقسيس هو الملك المسعود صلاح الدين أبو المظفر يوسف آبن الملك الكامل صاحب اليمن ، ولم يسم بتوران شاه كما ذكره المؤلف هنا .

التّتار يعتمدون على رأيه وشجاعته وتدبيره، وكان بَطَلًا شجاعا مِقداماً خبيرا بالحروب وٱفتتاح الحصون والاستيلاء على الممالك، وهو الذى فَتَح معظَم بلاد العجم والعراق . وكان هولاكو مَلِك التتار يَثِق به ولا يُخالفه فيما يُشير إليه ويتبرّك برأيه . يُحْكَى عنه عجائبُ فى حروبه ، وكانت مَقْتلته فى يوم الجمعة خامس عشرين شهر رمضان فى المصافّ على عَيْن جالوت .

قلت : إلى سَقَر وبئس المصير، ولقد ٱستراح الإسلام منه ، فإنّه شرّ عِصَابة على الإسلام وأهله . ولله الحمد على هلاكه .

وفيها تُوُفّى الملك المظفّر أبو المعالى ناصر الدين محمد ٱبن الملك المظفّر غازى بن أبى بكر محمد[1] العادل بن أيّوب صاحب مَيّافَارِقين وتلك البلاد. مَلَكها فى سنة خمس[2] وأربعين وستّمائة عقيب وفاة والده، [و] دام فى الملك سنين إلى أن جَفَل من التّتار بعد أن كان يُدارِيهم سنين ، وقَدِم على الملك الناصر صلاح الدين يوسف بِدِمَشْق وٱستنجده على التّتار فوعده الناصر بالنَّجْدة ، وآخر الأمر أنّه رجع إلى بلاده ، وحصره التّتار بها نحو سنتين حتّى ٱسْتُشْهِد بأيديهم — رحمه الله تعالى وعفا عنه — .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفِّى وٱسْتُشْهِد بحلب خلائق لا يُحْصَوْن؛ منهم، إبراهيم بن خليل الأَدَمِىّ . والرئيس أبو طالب عبد الرحمن ٱبن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن العَجَمِىّ، تحت عذاب التّتار . وبِدِمَشْق عبد الله ٱبن بركات بن إبراهيم [المعروف بابن][3] الخُشُوعِىّ فى صفر . والعِمَاد عبد الحميد بن عبد الهادى المَقْدِسِىّ فى شهر ربيع الأوّل عن خمس وثمانين سنة . والملك المعظّم

(١) فى الأصلين : « ابن أبى بكر بن محمد العادل » . والتصويب عن السلوك وشذرات الذهب والمنهل الصافى . (٢) فى الأصلين : « ملكها فى سنة ٱثنتين وأربعين وستمائة » وهو خطأ ، والتصويب عن شذرات الذهب والمنهل الصافى وما يفهم من السلوك .

(٣) الزيادة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب .

تُوران شاه ابن السلطان صلاح الدين فى شهر ربيع الأول، وله إحدى وثمانون سنة. والشمس محمد بن عبد الهادى أخو العماد بقرية ساوية [1] [من عمل نابلس] شهيدا. وقاضى القضاة صدر الدين أحمد ابن شمس الدين [2] أبى البركات يحيى بن هبة الله بن سَنِىّ الدولة ببعْلَبَكّ، وقد قارب السبعين [3] فى جُمادى الآخرة. وأبو الكرم لاحق بن عبد المنعم الأَرْتاحِىّ [4] بالقاهرة، وله خمس وثمانون سنة. والحافظ المفيد مُحِبّ الدين عبد الله بن أحمد المَقْدِسِىّ. والفقيه الكبير أبو عبد الله محمد بن أبى الحسين [أحمد] [5] بن عبد الله اليُونِينِىّ [6] فى رمضان، وله سبع وثمانون سنة فى المحرّم [7]. والحافظ البليغ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القُضَاعِىّ البَلَنْسِىّ [8] الكاتب المعروف بالأَبّار بتُونِس مقتولا. والملك الكامل الشهيد ناصر الدين محمد ابن المظفّر شهاب الدين غازى بن العادل. والملك المظفّر الشهيد سيف الدين قُطُز فى ذى القعدة، فتكوا به فى الرمل. وصاحب الصُّبَيْبَة الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل، قُتِل صَبْرًا يوم عَيْن جالوت بأمر الملك المظفّر. وفى آخرها صاحب مارِدِين الملك السعيد نجم الدين إيلغازى بن أُرْتُق. والملك كَتْبُغانُوِين رأس التتار يوم عَيْن

(١) فى الأصلين : « بقرية شاوية » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ والمنهل الصافى. (٢) فى الأصلين : « ابن شمس الدين بن أبى البركات» وتصحيحه عن شذرات الذهب وطبقات الشافعية والمنهل الصافى والسلوك. (٣) فى الأصلين : « وقد قارب الستين » . والتصويب عن عقد الجمان والسلوك وعيون التواريخ وشذرات الذهب والمنهل الصافى.

(٤) فى الأصلين : « الأرياحى » . والتصحيح عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وما تقدّم ذكره للؤلف فى حوادث سنة ٦٠١ هـ. (٥) زيادة عن شذرات الذهب وتذكرة الحفاظ والسلوك. (٦) اليونينى : نسبة إلى يونين من قرى بعلبك.

(٧) فى شذرات الذهب وعقد الجمان وتذكرة الحفاظ : « فى تاسع عشر رمضان » .

(٨) فى الأصلين : « التنسى » . والتصحيح عن تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب.

جالوت ، قتله آقوش الشَّمْسِىّ(١) . وحُسام الدين محمد بن أبى علىّ الهَذَبانِىّ(٢) نائب السلطنة بمصر . والأمير مُجِير الدين إبراهيم [بن أبى بكر](٣) بن أبى زكرى بنابُلُس شهيدًا بعد أن قَتَل جماعة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وست عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا .

---

(١) هو آقوش بن عبد الله الشمسى الأمير جمال الدين أصله من مماليك الأمير شمس الدين سنقر الأشقر . توفى سنة ٦٧٨ هـ (عن المنهل الصافى) . (٢) تقدّم فى الجزء السادس من هذه الطبعة فى غير موضع باسم « حسام الدين بن أبى على » . وفى كتاب أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء تأليف محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبى : « أبو على بن محمد الأمير أبى على بن باساك الأمير الكبير حسام الدين الغريانى المعروف بابن أبى على » . (٣) التكملة عن عيون التواريخ والمنهل الصافى .

ذكر سلطنة الملك الظاهر بِيبَرْس البُنْدُقْدارِىّ (١) على مصر

السلطان الملك القاهر ثم الظاهر ركن الدين أبو الفتوح (٢) بِيبَرْس بن عبد الله البُنْدُقْدارِىّ الصالِحىّ النَّجْمِىّ الأَيُّوبِىّ التُّرْكىّ، سلطان الديار المصريّة والبلاد الشاميّة والأقطار الحجازيّة، وهو الرابع من ملوك الترك. مولده فى حدود العشرين وستمائة بصحراء القِبْجَاق (٣) تخمينًا والقِبْجَاق قبيلة عظيمة فى التّرك، وهو (٤) (بكسر القاف وسكون الباء ثانية الحروف وفتح الجيم ثم ألف وقاف ساكنة)، وبِيبَرْس (بكسر الباء الموحدة ثانية الحروف وسكون الياء المثناة من تحتها ثم فتح الباء الموحدة وسكون الراء والسين المهملتين) ومعناه باللغة التركيّة: أمير فَهْد. انتهى.

قلت: أُخِذ بيبرس المذكور من بلاده وأُبيع بدمشق للعماد الصائغ. ثم اشتراه الأمير علاء الدين أَيْدِكِين الصالحى البُنْدُقْدارِىّ وبه سُمِّى البُنْدُقْدارِىّ.

قلت: والعجيب أن علاء الدين أَيْدِكِين البُنْدُقْدارِىّ المذكور عاش حتّى صار من جملة أمراء الظاهر بِيبَرْس هذا. على ما سيأتى ذكره مفصّلا — إن شاء الله تعالى — حَكَى شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الأنصارىّ الحَمَوِىّ (٥) قال:

---

(١) البندقدارى: نسبة الى البندقدار، وهو لفظ فارسى مركب معناه حامل جراوة أى كيس البندق خلف الأمير أو السلطان، وقد سمى بيبرس هذا باسم البندقدارى لأنه كان فى أول أمره مملوكا للأمير أيدكين البندقدار، ثم انتقل إلى الملك الصالح نجم أيوب وصار من مماليكه البحرية (عن صبح الأعشى (ج ٥ ص ٤٥٨ وعن الحاشية رقم ٢ ص ٣٥٠ من كتاب السلوك).

(٢) فى العقد الثمين والمنهل الصافى والذيل على مرآة الزمان: «أبو الفتح».

(٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٥٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

(٤) ضبطه صاحب صبح الأعشى (ج ٤ ص ٤٥٦) بالعبارة فقال: (بفتح القاف ... الخ).

(٥) هو شيخ الشيوخ الصاحب شرف الدين عبد العزيز ابن محمد بن عبد المحسن بن منصور الأنصارى الأوسى الدمشقى الشافعى. سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٦٢ ه.

كان الأمير علاء الدين البُنْدُقْدارِى الصالحى لمّـا قُبِض عليه وأُحضِر إلى حَمَاة وآعتُقل بجامع قلعتها آتفق حضور ركن الدين بِيبَرْس مع تاجر، وكان الملك المنصور[1] (يعنى صـاحب حماة)[2] إذ ذاك صبيـا وكان إذا أراد شراء رقيق تُبْصِرُه الصاحبـة والدته، فأُحضِر بِيبَرْس هذا مع آخر فرأتهما من وراء السِّتْر فأمرتْ بشراء خُشْدَاشه، وقالت: هـذا الأسمر لا يكون بينك و بينه معاملة فإنّ فى عينَيْه شَرًّا لائحًا فردّتهما جميعا؛ فطلب البُنْدُقْدَارِى الغلامين يعنى بِيبَرْس و رفيقَه فآشتراهما وهو مُعْتَقَل، ثم أُفرِج عنه فسار إلى مصر، وآل أمر ركن الدين إلى ما آل .

وقال الذهبى: اشتراه الأمير علاء الدين البُنْدُقْدَارِى الصالحى فطلَع بطلا شجاعا نجيبًا لا ينبغى [أن] يكون إلّا عند مَلِك، فأخذه الملك الصالح منه . وقيل: بَقِى بِيبرس المذكور فى مِلْك البُنْدُقدارى حتى صادره أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأخَذَ بِيبَرْس هذا فيما أخذه منه فى المصادرة فى شهر شوّال سنة أربع وأربعين وستمائة.

قلت: وهذا القول هو المشهور .

ولـمّـا آشتراه الملك الصالح أعتقه وجعله من جملة مماليكه، وقدّمه على طائفة الجَمَدارِيّة لِـمَـا رأى من فِطْنته وذكائه، وحضر مع أستاذه الملك الصالح واقعةَ دِمْياط .

وقال الشيخ عزّ الدين عمر بن علىّ بن إبراهيم بن شدّاد: أخبرنى الأمير بدر الدين بَيْسَرِى الشَّمْسِىّ[3] أنّ مولد الملك الظاهر بأرض القِبْجاق سنة خمس وعشرين وستمائة

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء . (٢) فى الأصلين: « يعنى عن صاحب حماة » . (٣) هو بيسرى بن عبد الله الشمسى الصالحى الأمير بدر الدين، كان من أعيان الأمراء بالديار المصرية، وكان أحد من رشح للسلطنة لـما قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون . توفى سنة ٦٩٨ هـ . و بيسرى: اسم مركب من لفظة تركية ولفظة أعجمية، وصوابه: « باى سرى » فباى باللغة التركية بالتفخيم هو السعيد . وسرى باللغة الأعجمية الرأس، فمعناه رأس سعيد (عن المنهـل الصافى فى ترجمة بيسرى) .

تقريبا . وسبب ٱنتقاله من وطنه إلى البلاد أنّ التّتار لمّـا أَزْمعوا على قصد بلادهم سنة تسع وثلاثين وستمائة ، و بلغهم ذلك ، كاتبوا أنس خان ملك أولاق(١) أن يعبُروا بحـر صُوداق(٢) إليه ليجيرهم من التّتار ، فأجابهم إلى ذلك وأنزلهم واديًا بين جَبَلَيْن ، وكان عبورُهم إليــه فى سنة أربعين وستمائة ؛ فلما ٱطمأنّ بهم المقام غَدَر بهم وشنّ الغارة عليهم، فقتــل منهم وسَبَى . قال بَيْبَرِس : وكنتُ أنا والملك الظاهر فيمن أُسِر؛ قال: وكان عمره إذ ذاك أربع عشرة سنة تقديرًا، فبِيع فيمن بِيع وحُمِل إلى سِيوَاس(٣) ثم ٱفترقنا وٱجتمعنا فى حلب فى خان ٱبن قليج ثم ٱفترقنا ؛ فٱتّفق أن حُمِل إلى القــاهرة فبِيع على الأمير علاء الدين أَيْدِكين البُنْدُقْدَارِىّ و بقى فى يده إلى أن ٱنتقل عنه بالقبض عليه فى جملة ما ٱسترجعه الملك الصالح نجم الدين أيّوب منه ، وذلك فى شوّال سنة أربع وأربعين وستمائة .

قلت : وهذا القول مطابق لقولنا(٤) الذى ذكرناه . قال : ثم قدّمه الملك الصالح على طائفة الجمَدَارِيّة . انتهى .

وقال غيره : ولمّـا مات الملك الصالح نجم الدين أيّوب ومَلَك بعده ٱبنه الملك المعظَّم تُورَان شاه وقُتِل(٥) وأجمعوا على الأمير عزّ الدين أَيْبَك التُّرْكمانىّ وولّوْه الأَتَابكيّة،

(١) أولاق (و يقال لهم البرغال) : جنس معروف [من التركان] (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٦٤).

(٢) صوداق، بالصاد (وقد أوردها المؤلف بالسين المهملة) : فى ذيل جبل على شط بحر القرم وأرضها محجر، وهى بلدة مسوّرة وهى فرضة التجار (راجع تقويم البلدان وصبح الأعشى ج ٤ ص ٤٦٠) .

(٣) سيواس (بكسر السـين المهملة وسكون الياء المثناة من تحت) : إقليم الروم ، وهى بلدة كبيرة مشهورة بينها و بين قيسارية ستون ميلا (عن تقويم البلدان) .

(٤) ذكر المؤلف فيما تقدّم أنه بيع بدمشق ، وروى المؤلف رواية أخرى حكاها عن شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز المتقدّم أنه بيع بحماة ، وروى هنا عن الأمير بيبرس أنه بيع بالقاهرة فقول المؤلف : « وهذا القول مطابق لقولنا الذى ذكرناه » يخالف الروايتين السابقتين له .

(٥) كان أوّل من ضرب الملك المعظم توران شاه بالسيف فى فارسكور بيبرس البندقدارى (راجع حوادث قتله فى سنة ٦٤٨ هـ من الجزء السادس من هــذه الطبعة والسلوك ص ٣٥٨ — ٣٦١) .

ثم آستقلّ بالمُلك وقَتَل الأمير فارس الدين أَقْطاى الجَمْدار، ركب الملك الظاهر بيبرس هـذا والبحريّة وقصدوا قلعة الجبل ؛ فلمّـا لم ينالوا مقصودهم خرجوا من القـاهرة مجاهرين بالعداوة للملك المعزّ أَيْبَك التُّرْكُمانى ومهاجرين إلى الملك النـاصر صـلاح الدين يوسف [آبن المُلك(١) العزيز محمـد بن الظاهر غازى آبن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب] صاحب الشام. وهم: الملك الظاهر بِيبَرْس هذا، وسيف الدين بَلَبان الرَّشيدىّ، وعزّ الدين أَزْدَمُر السَّيْفىّ، وشمس الدين سُـنْقُر الرُّومِى، وشمس الدين سُنْقُر الأشقر، و بدر الدين بَيْسَرِى الشَّمْسِىّ، وسيف الدين قلاوون الألفى، وسيف الدين بَلَبَان المستعرِب وغيرهم ؛ فلمّا شارفوا دِمَشق سيّر إليهم الملك الناصر طيّب قلوبهم، فبعثوا فخـر الدين إياز(٢) المقرئ يستحلفـه لهم خلف الناصرُ لهم ودخلوا دِمَشْق فى العشر الأخير من شهر رمضان سـنة آثنتين وخمسين وستمائة، فأكرمهم الملك الناصر صلاح الدين وأطلق للملك الظاهر بِيبَرْس ثلاثين ألفَ درهم، وثلاثة قُطُر بِغال وثلاثة قطر جِمال وملبوسا، وفرّق فى بقيّـة الجماعة الأموال والخِلَع على قدر مراتبهم. وكتب الملك المُعِزّ أَيْبَك إلى الملك الناصر يُحَذِّره منهم ويُغْرِيه بهم، فلم يُصْغِ إليه النـاصر، ودام على إحسانه إليهم. وكان عيّن الناصرُ لبِيبَرْس إقطاعا بحلب، فطلب الملك الظاهر بِيبَرْس من الملك النـاصر أن يُعَوِّضه عمّا كان له بحَلَب من الإقطاع بجِينِين(٣) وزَرْعِين(٤) فأجابه الملك الناصر إلى

---

(١) التكملة عن عقد الجمان وشذرات الذهب. (٢) هو إياز بن عبدالله الصالحى النجمى الأمير فخر الدين المعروف بالمقرئ، أحد أكابر الأمراء بالديار المصرية. توفى سنة ٦٨٧ هـ (عن المنهل الصافى).

(٣) جينين: بلدة قديمة متسعة، وهى مركبة على كتف واد لطيف به نهر ماء يجرى، وهى فى الشمال عن قاقون على نحو مرحلة فى رأس مرج بنى عامر، وبها مقام دحية الكلبي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥٤). (٤) كذا فى الأصلين والسلوك (ص ٨١) والذيل على مرآة الزمان، ولم نقف على موقعها غير أننا وجدنا فى كتاب فلسطين الإسلامية لاسترانج ص ٤٤١ أنها تقع ما بين قدس، الفولة، الناصرة، هنا [illegible]

ذلك ، فتوجّه بِيبَرْس إليها وعاد ، فآستشعر بِيبَرْس من الملك الناصر بالغدر فتوجّه بمَنْ معــه ومَنْ تَبِعه من خُشْداشيته إلى الكَرَك ، وآجتمعوا بصاحب الكَرَك الملك المُغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد (١) ، فجهّز الملكُ المُغيثُ عسكره مع بِيبَرْس المذكور ، وعِدّةُ مَن كان جهّزه معه ستّمائة فارس ، وخرج من عسكر مصر جمــاعةٌ لملتقاه ، فأراد بِيبَرْس كَبسَهم فوجدهم على أُهْبة ، ثم واقع المصريّين فآنكسر ولم يَنْجُ منهم إلّا القليل ، فالذى نجا من الأعيان : بِيبَرْس و بِيلِيك (٢) الخازِنْدار ، وأسِر بَلَبَان الرَّشيدى . وقد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى ترجمة المُعِزّ مجملًا ، ولكن نذكره هنا مفصّلًا . وعاد بِيبَرْس هذا إلى الكَرَك وأقام بها ، فتواترت عليه كتبُ المصريّين يحرّضونه على قصد الديار المصريّة ، وجاءه جماعةٌ كثيرة من عسكر الملك النــاصر . فأخذ بِيبَرْس يُطْمِع الملك المغيثَ صاحبَ الكرك فى مُلْك مصر ، ولا زال به حتّى ركب معه بعسكره ونزل غَزّة ، ونَدَب الملك المعزُّ أيبــك عسكراً لقتالهم ، وقــدّم على العسكر المصرىّ مملوكَه الأميرَ قُطُزْ والأميرَ أَقْطَاى المستَعرِب ، وساروا وهرب من عسكر مصر إلى بِيبَرْس والمغيث الأميرُ عِزّ الدين أَيْبَــك الرومىّ ، والأمير بَلَبــان الكافورىّ (٣) والأمير سُنْقُر شاه العَزِيزى ، والأمير أَيْبَــك الخَوَاشِى (٤) ، والأمير بدر الدين برخان (٥) ، والأمير بُغْدى ، وأَيْبَك الحَمَوِىّ ، وجمال الدين هارون القَيْمُرِىّ والجميع أمراء ، وآجتمعوا الجميع مع بِيبَرْس والملك المغيث بغَزّة ، فقَوِيت شوكتُهما بهؤلاء ، وساروا الجميع إلى الصالحيّة ،

(١) فى الأصلين : «الملك المغيث على بن العادل» وهو خطأ وتصحيحه عن شذرات الذهب وما سيأتى للؤلف ذكره فى حوادث سنة ٦٦٢ ﻫ . (٢) كذا فى الأصلين والسلوك (ص ٤٣٦) وابن إياس (ج ١ ص ٩٩) وذيل مرآة الزمان . وفى المنهل الصافى وكنز مير (ج ١ ص ١١٧) : «بيلبك» بالباء الموحدة قبل الكاف . (٣) فى الأصلين والذيل على مرآة الزمان «الكافرى» وما أثبتناه عن السلوك (ص ٤١١) وعقــد الجمان . (٤) فى الذيل على مرآة الزمان : «الجواشى» بالجيم . وفى عقد الجمان فى حوادث سنة ٦٥٦ ﻫ . «الهواش» .
(٥) فى الذيل على مرآة الزمان : «وبدر الدين بن خان بغدى» .

ولَقُوا عسكرَ مصر يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسين، فاستظهر عسكر بيبرس والمُغيث أوّلًا، ثم عادت الكَسْرة عليهم لثبات قُطُز المُعِزّى، وهرب الملك المغيث ولحِقَهُ بيبَرْس، وأُسِر من عسكر بيبَرْس عِزّ الدين أَيْبَك الرومىّ، وركن الدين مَنْكُورس الصَّيْرَفِىّ[1]، وبَلَبَان الكافُورِىّ وعِزّ الدين أَيْبَك الحَمَوِىّ، و بدر الدين بلغان الأشرفى، و جمال الدين هارون القَيْمُرِىّ، وسُنْقُر شاه العَزِيزِىّ، و بهاء الدين أَيْدُغْدِى[2] الإسكندرانىّ، و بدر الدين برخان، و بُغْدِى، و بِيلِيك الخازِنْدار[3] الظاهرىّ فضُرِبت [أعناق[4]] الجميع صَبْرًا، ما خلا الخازندار [فإنّ[5] جمال الدين] الجُوكَنْدارِى[6] شفَع فيه، وخيّروه بين المُقام والذَّهاب فآختار الذَّهابَ إلى أستاذه، فأُطْلِق وتوجّه إلى أستاذه، ولمّا أن وصل الملك المغيث إلى الكَرَك حصل بينه و بين ركن الدين بيبَرْس هذا وحشة، وأراد المُغيث القبضَ عليه بعد أمور صدرت، فأحسّ بيبَرْس بذلك وهرَب وعاد إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، بعد أن آستحلفه على أن يُعطيه خُبْزَ مائة فارس من جملتها قَصَبة نابُلُس، وجِينِين[7] و زَرِعِين[8] فأجاب إلى نابُلُس لا غيرُ. وكان قدومه على الناصر فى شهر رجب سنة سبع وخمسين وستّمائة، ومعه الجماعة الذين

---

(١) هو منكورس بن عبد الله الفارقانى الأمير ركن الدين. كان من جملة الأمراء بالديار المصرية. توفى سنة ٦٨٨ ﻫ (عن المنهل الصافى). (٢) فى الذيل على مرآة الزمان: «علاء الدين».

(٣) هو أحد الخازندارية، وموضوعها التحدّث فى خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٢١). (٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) زيادة عن المنهل الصافى والذيل على مرآة الزمان. (٦) الجوكاندارى: نسبة إلى الجوكاندار، وهو لقب للذى يحمل الجوكان مع السلطان فى لعب الكرة، ويجمع على جوكان دارية، وهو مركب من لفظتين فارسيتين: إحداهما جوكان وهو المحجن الذى تضرب به الكرة، ويعبر عنه بالصولجان أيضا. والثانية «دار» ومعناه «ممسك» كما تقدّم فيكون المعنى ممسك بالجوكان (عن صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٨). (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٧ من هذا الجزء.

(٨) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٩٧ من هذا الجزء.

حلّف لهم الملك النـاصر أيضا وهم : بَيْسَرِى الشَّمْسِيّ وأَيْتَمُش[١] السَّعْدِىّ وطَيْبَرْس[٢] الوَزِيرِىّ وآقوش الرومىّ الدَّوادَار[٣] ، وكُشْـتُغْدِى[٤] الشَّمْسِيّ ولاجين الدَّرْفِيـل ، وأَيْدُغْمُش الحَلَبِىّ[٥] وكُشْتُغْدِى الشرقى[٦] وأَيْبَك السيخى[٧] وبيبَرْس خاص تُرْك الصغير ، وبَلَبَان المِهْرَانِىّ ، وسَنْجَر الباشْـقِرْدِى[٨] وسَنْجَر الهمامى ، وأَرْسلان الناصرىّ ويكُنى الخُوَارَزْمِىّ ، وسيف الدين طُمَان [الشُّقَيْرِى][٩] ، وأَيْبَك العلائىّ ، ولاچين الشُّقَيْرِىّ ، وبَلَبَان الأَقْسِيسِىّ ، وعلَم الدين سلطان الإِلْدِكْزِىّ ، فأكرمهم الملك الناصر، ووفّى لهم بما حلّف ، وداموا على ذلك حتّى قبَض الأمير قُطُز على ٱبن أستاذه الملك المنصور علىّ ، وتسلطن وتلقّب بالملك المظفر قُطُز ، شرَع بيبرْس يُحرّض الملك الناصر على التوجّه إلى الديار المصريّة ليملكها ، فلم يُجبْـه ، فكلّمه بيبرْس فى أن يُقدّمه على أربعـة آلاف فارس ، أو يُقدّم عليهم غيرَه ، ويتوجّه بهـا إلى شَطّ الفرات يمنع التّتار من العُبُور إلى الشام ، فلم يُمكّنه ٱبن عمّه[١٠] الملك الصالح إسماعيل لباطن كان له مع التّتار، قاتله الله ! فٱستمرّ بيبرْس عنـد الناصر إلى سنة ثمـانٍ وخمسين فارقه بمن معـه

(١) فى الأصلين : « إياس السعدى » . وما أثبتناه عن المنهل الصافى . وفى السلوك : « أيتمش المسعودى » . وفى ذيل مرآة الزمان : « أتامش السعدى » . (٢) هو طيبرس بن عبد الله الوزيرى الأمير الكبير الحاج علاء الدين صهر الملك الظاهر بيبرس . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٦ هـ.

(٣) عبارة السلوك (ص ٤١٥) : « وبلبان الرومى وآقوش الدوادار الرومى » .

(٤) هو كشتغدى بن عبد الله الشمسى الأمير علاء الدين . توفى سنة ٦٩٠ هـ. (عن المنهل الصافى).

(٥) فى السلوك للقريزى : « أيدغمش الشيخى » . وفى المنهل الصافى . «أيدغمش الجبلى .

(٦) فى الذيل على مرآة الزمان : « المشرق » . وفى السلوك : « كشتغدى المشرف » .

(٧) فى السلوك : « وأيبك الشيخى » . (٨) الباشقردى ، ويقال فيه : «الباشغردى» ويقال : «الباشجردى» : نسبة إلى باشقرد ، بلاد بين القسطنطينية وبلغار. وفى الأصلين : «الإسعردى» . والتصحيح عن المنهل الصافى . (٩) زيادة عن السلوك . (١٠) فى الأصلين : « فلم يمكنه خاله الملك الصالح إسماعيل » . وتصحيحه عما سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٦٥٩ هـ . وهو الملك الصالح نور الدين إسماعيل بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن أحمد الدين شيركوه الكبير صاحب حمص .

وقصد الشَّهْرَزُورِيَّة[1] وتزوج منهم؛ ثم أرسل إلى الملك المظفَّر قُطُز من استحلفه له، خلف قُطُز. ودخل بِيبَرْس إلى القاهرة في يوم السبت الثانى والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ثمانٍ وخمسين، فركب الملك المظفَّر قُطُز للقائه وأنزله في دار الوزارة وأقطعه قَصَبَة قليوب[2]، فلم تَطُل مدّته بالقاهرة وتهيّأ الملك المظفَّر قُطُز لقتال التّتار، وسيّر بِيبَرْس هذا في عسكرٍ أمامه كالجاليش[3] ليتجسّس أخبار التّتار؛ فكان أوّل ما وقعت عينُه عليهم ناوشهم بالقتال، فلمّا انقضت الوقعة بعين جالوت تَبِعهم بِيبَرْس هذا، يَقْتُل من وجده منهم، إلى حِمص؛ ثم عاد فوافى الملك المظفَّر قُطُز بدمشق، وكان وعده بنيابة حلب، فأعطاها قُطُز لصاحب المَوْصِل، فحقد عليه بِيبَرْس في الباطن، واتّفق على قتله مع جماعة لمّا عاد الملك المظفَّر إلى نحو الديار المصريّة. والذين اتّفقوا معه: بَلَبَان الرَّشِيدِىّ، وبَهَادُر المُعِزّىّ، وبَكْتُوت الجُوكَنْدار المُعِزّىّ، وبَيْدَغان الرُّكْنِىّ، وبَلَبَان الهارونىّ، وأنص الأصبهانىّ، واتّفقوا الجميع مع بِيبَرْس على قتل الملك المظفَّر قُطُز؛ وساروا معه نحو الديار المصريّة إلى أن وصل الملك المظفَّر قُطُز إلى القُصَيْر[4]، وبقى بينه وبين الصالحيّة مرحلة، ورحل العسكر طالبًا الصالحيّة، وضُرِب دِهْليز السلطان بها، واتّفق عند القُصَيْر أن ثارت أرنبٌ فساق المظفَّر قُطُز، وساق هؤلاء المتّفقون على

(١) الشهرزورية: نسبة إلى شهرزور، وهى إحدى جهات كردستان، حيث توجد مدينة بهذا الاسم. وكان بتلك الجهة جماعة الأكراد الكوسية؛ وقد ظلوا بها حتى استولى هولاكو على بغداد، وتقدّمت جيوشه شمالا نحو شهرزور وغيرها، ففرّ الشهرزورية من وجه التتار إلى الشام ومصر (انظر هامش السلوك ص ٤١١ ودائرة المعارف الإسلامية مادة شهرزور). (وانظر صبح الأعشى (ص ٣٧٣ جزء ٤). وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٨١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٠٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٣) الجاليش: الراية العظيمة فى رأسها خصلة من الشعر. وكان المماليك يطلقونها على الطليعة من الجيش كما هنا (صبح الأعشى ج ٤ ص ٨، وترجمة السلوك لكترمير ج ١ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ هامش).

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٣ من هذا الجزء.

قتله معه، فلما أبعدوا ولم يبق مع المظفّر غيرهم، تقدّم إليه ركن الدين بيبرس وشفع عنده فى إنسان فأجابه المظفّر، فأهوى بيبرس ليقبّل يده فقبض عليها، وحمل أنص(١) عليه وقد أشغل بيبرس يده وضربه أنص بالسيف، وحمل الباقون عليه ورموه عن فرسه ورشقوه بالنشّاب إلى أن مات، ثم حملوا على العسكر وهم شاهرون سيوفهم حتّى وصلوا إلى الدهليز السلطانى، فنزلوا ودخلوه والأتابك على باب الدهليز فأخبروه بما فعلوا، فقال فارس الدين الأتابك: من قتله منكم؟ فقال بيبرس: أنا؛ فقال: ياخوند، اجلس فى مرتبة السلطنة فجلس؛ واستدعيت العساكر للحلف، وكان القاضى برهان الدين قد وصل إلى العسكر متلقّيا للملك المظفّر قطز، فاستدعى وحلف العسكر للملك الظاهر بيبرس، وتمّ أمره فى السلطنة وأطاعته العساكر؛ ثم ركب وساق فى جماعة من أصحابه حتّى وصل إلى قلعة الجبل فدخلها من غير ممانع، واستقرّ ملكه. وكانت البلد قد زيّنت للملك المظفّر فاستمرّت الزينة، وكان الذى ركب معه من الصالحيّة إلى القلعة وهم خواصّه من خشداشيته، وهم: فارس الدين الأتابك، وبيسرى، وقلاوون الألفىّ، وبيليك الخازندار، وبلبان الرشيدىّ؛ ثم فى يوم الأحد سابع عشر ذى القعدة وهو صبيحة قتل المظفّر قطز؛ وهو أوّل يوم من سلطنة الظاهر بيبرس جلس بالإيوان من قلعة الجبل.

قلت: ولم يذكر أحد من المؤرّخين لبسه خلعة السلطنة الخليفتى(٢)، ولعلّه اكتفى بالمبايعة والحلف. انتهى.

ولمّا جلس الظاهر بالإيوان رسم أن يكتب إلى الأقطار بسلطنته؛ فأوّل من بدأ به الملك الأشرف صاحب حمص، ثم الملك المنصور صاحب حماة؛ ثم الأمير

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٤ من هذا الجزء.

(٢) يلاحظ أنه لم يكن فى هذا الوقت خليفة حيث إن الخلافة العباسية انقرضت من بغداد سنة ٦٥٦ ﻫ كما هو معلوم. وقد أعادها الملك الظاهر بيبرس بمصر سنة ٦٥٩ ﻫ.

مظفّر الدين صاحب صِهْيَون ثم إلى الإسماعيليّـة[٢] ، ثم إلى [الملك السـعيد المظفّر علاء الدين علىّ بن لؤلؤ][٣] صاحب المَوْصِل الذى صار نائبَ السلطنة بحلب، ثم إلى مَنْ فى بلاد الشام يُعَرِّفهم بمـا جرى ثم أفْرَج عمّن بالمحبوس من أصحـاب الجرائم ؛ واقرّ الصـاحبَ زَيْن الدين يعقوب بن الزُّبَيْر[٤] على الوزارة ، وتقـدّم بالإفراج عن الأجناد المحبوسين والإنعام عليهم ، وزيادة مَن رأى آستحقاقَه من الأمراء وخلَع عليهم ، وسيّر الأمير جمـال الدين آقوش المحمّدى بتواقيع للامير سَنْجَر الحلبى نائب دِمَشْق ، فتوجّه إليه فوجده قـد تسلطن بدمشق ودعا لنفسه ، وحلّف الأمراء ، وتلقّب بالملك المجاهد؛ فعظُم ذلك على الملك الظاهر بِيبَرْس وأخذ فى إصـلاح أمره معـه والإحسان إلى خُشْداشيته البَحْريّة الصالحيّة ؛ وأمَّرَ أعيانَهم . ثم إنّه أخرج الملك المنصـور نورَ الدين عليًّا آبن الملك المُعِزّ أيبك التُّرْكُمانىّ وأمّه وأخاه ناصر الدين قاقان من مصر إلى بلاد الأشكرى[٥] ، وكانوا معتقلين بقلعة الجبل .

وكان بِيبَرْس لمّـا تسلطن لَقَّب نفسـه الملك القاهر، فقال الوزير زَيْن الدين يعقوب بن الزُّبَيْر، وكان فاضلاً فى الأدب والترسّل وعلم التاريخ، فأشار بتغيير هذا اللّقب ، وقال : ما لُقِّبَ به أحد فأفلح : لُقِّب به القاهر بن المعتضد[٦]، فلم تَطُل مدّته

---

(١) هو الأمير مظفر الدين عثمان بن منكورس بن خمـار تكين . سـيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٥٩ هـ . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٣) فى الأصلين : «عماد الدين» . والتكلة والتصحيح عن السلوك للقريزى وعقد الجمان فى حوادث سنة ٦٥٩ هـ . والذيل على مرآة الزمان . (٤) هو يعقوب بن عبد الرفيع بن زيد بن مالك الصاحب زين الدين الأسدى الزبيرى من ولد عبد الله بن الزبير وزر للملك المظفر قطز ثم للظاهر بيبرس البندقدارى فى أوائل دولته حتى عزل بابن حنا . وكانت وفاته سنة ٦٦٨ هـ (عن المنهل الصافى) .

(٥) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٥٥ من هـذا الجزء .

(٦) راجع حوادث سنة ٣٢٩ هـ من الجزء الثالث من هذه الطبعة ص ٢٠٣

وخُلِع من الخلافة وسُمِل ، ولُقِّب به القاهرُ[١] ابن صاحب المَوْصِل فسُمَّ ، فأبطل بيبرْس اللقب الأوّل ، وتلقّب بالملك الظاهر .

وأمّا أمرُ دِمَشق ففى العَشْر الأخير من ذى القعدة أمَر الأمير علم الدين سَنْجَر الحلبىّ الذى تسلطن بدِمَشْق بتجديد عمارة [قلعة][٢] دمشق ، وزُفّت بالمغانى والطبول والبُوقات ، وفرِحت أهل دِمشق بذلك ، وحضر كبراء الدولة وخلَع على الصُّنّاع والنقباء ، وعمِل[٣] الناس فى البناء حتّى النساء ؛ وكان يوم الشروع فى تجديدها يوما مشهودًا ، ثم فى اليوم الأوّل من العَشْر الأوّل من ذى الحِجّة دعا الأميرُ علَم الدين سَنْجَر الحلبِى الناس بدِمَشق إلى الحلِف له بالسلطنة فأجابوه ، وحضَر الجندُ والأكابر وحلَفو له ولُقِّب بالملك المجاهد ، وخُطِب له على المنابر ، وضُرِبت السِّكّة بآسمه ؛ وكاتب الملكَ المنصورَ صاحب حَمَاة ليَحلِف له فآمتنع ، وقال : أنا مع من يَملِك الديار المصريّة كائنا من كان .

ولمّا صحّ عند التّتار قتلُ الملك المظفّر قُطُز — رحمه الله تعالى — وكان النائب ابن صاحب المَوْصِل أساء السيرةَ فى الجند والرعيّة ، فآجتمع رأى الأمراء والجند بحَلَب على قَبْضه و إخراجه من حلَب ، وتحالفوا على ذلك ، وعيّنوا للقيام بالأمر الأميرَ حسام الدين الجُوكَنْدارِىّ العَزِيزِىّ ، فبينا هم على ذلك وردت عليهم بِطاقةُ نائب البِيرة[٤] يُخبِر أنّ التّتار قاربوا البِيرَة لمحاصرتها ، وآستصرخ بهم ليُنْجِدوه بعسكر ، وكان التّتار قد هدموا أبراج البِيرَة وأسوارها ، وهى مكشوفةُ من جميع

(١) هو الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان بن مسعود بن مودود بن زنكى أبو الفتح صاحب الموصل . تقدمت وفاته سنة ٦١٥ فى الجزء السادس من هذه الطبعة ص ٢٢٥ .

(٢) التكملة عن عيون التواريخ والسلوك للقريزى فى حوادث سنة ٦٥٨ ﻫ .

(٣) فى الأصلين : « وحمل » . وتصحيحه عن عيون التواريخ والسلوك للقريزى .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

جهاتها ، بجرّد الملك السعيد ابن صاحب المَوْصِل الذى هو نائب حلب عسكره إليها ، وقدّم عليهم الأمير سابق الدين أمير مجلس الناصرىّ ، لحضر الأمراء عنده ، وقالوا له : هذا العسكر الذى جرّدتَه لايمكنه ردّ العدوّ، ونخاف أن يحصُل النُّشوب بيننا وبين العدوّ ، وعسكرنا قليلٌ فيصل العدوّ إلى حلب ، ويكون ذلك سبباً لخروجنا منها فلم يقبل منهم ، فخرجوا من عنده وهم غضبانون، وسار العسكر المذكور إلى البِيرَة فى قِلّة . فلمّا وصلوا إلى عُمْق البِيرَة صادفوا التتار بجموعهم، فاقتتلوا قتالا شديدا وقصد سابق الدين البِيرَة ، فتَبِعه التّتارُ وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة ، وما سَلِم منهم إلّا القليل؛ وورد هذا الخبر لحلب لجفَل أهل حلب إلى جهة القِبْلة ولم يبقَ بها إلّا القليل، وندِم الملك السعيد نائبُ حلب على مخالفة الأمراء، وقوِى بذلك غضبُهم عليه وقاطعوه، ووَقَعت بِطاقةُ نائب البِيرَة ، فيها : أنّ التّتار توجّهوا إلى ناحية مَنْبِج(1) ، فخرج نائب حلب وضرَب دِهلِيزَه بباب إلّه(2) شرقىّ حلب، وبعد يومين وصل الأميرُ عزّ الدين أَزْدَمُر الدَّاوَدار العَزِيزىّ ، وكان قُطُزْ قد جعله نائبًا باللّاذِقيّة(3) وجَبَلة ، فقصده خُشْداشِيّتُه بحلب ؛ فلمّا قَرُب ركبت العَزِيزِيّة(4) والناصرية والتقَوْا به ، فأخبرهم بأنّ الملك المظفّر قُطُزْ قُتِل، وأنّ ركن الدين بِيبَرْس مَلَك الديار المصريّة ، وأنّ سَنْجَر الحلبىّ خَطَب لنفسه بِدمَشْق، ونحن أيضا نعمل بعمل أولئك، ونُقيم واحدًا من الجماعة ونَقْبِض على هذا (يعنى على

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٢) كذا فى الأصلين هنا . وفى المنهل الصافى وما سيذكره المؤلف بعد قليل : « عند باب لا » . وفى عقد الجمان : « قد برز إلى باب اللالا المعروف بباب الله » . وفى تاريخ أبى الفدا : « باب إلى » . وفى تاريخ ابن الوردى : « قد برز إلى بابلى » . (٣) اللاذقية : مدينة فى ساحل بحر الشام تعد فى أعمال حمص ، وهى غربى جبلة بينهما ستة فراسخ (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

نائب حلب) ونقتصر على حلب وبلادِها مملكة أستاذنا وآبن أسـتاذنا فأجابوه إلى ذلك وتقرّر بينهم : أنّه حال دخولهم إلى المخيَّم يَمْضِى إليـه الأمراء : حسام الدين الجُوكَنْدارِى، وبَكْتَمُر الساقِى وأَزْدَمُر الدَّوَادار، وكان الملك السعيد نائب حلب نازلًا بباب لا فى بيت القاضى، وهـو فوق سطحه والعساكُر حوله، فعند ما طلعوا إليـه وحضروا عنده على السطح شرَعت أعوانهم فى نهب وِطَاقِه(١) فسـمِع الضَّجة فاعتقد أنّ التَّتار قد كَبَست العسكرَ، ثم شاهـد نَهْب العَزِيزيّة والناصريّة لوطاقه، ووثَب الأمراء الذين عنده ليقبِضوا عليه ، فطلَب منهم الأمان على نفســه فأمّنوه وشَرطوا عليـه أن يُسَلِّم إليهم جميع ما حصّـله من الأموال ، ثم نزلوا به إلى الدار وقصدوا الخِزانة ، فمـا وجدوا فيهـا طائلًا فهدّدوه، وقالوا له : أين الأموال التى حصّلْتَها ؟ وطلبـوا قتله ، فقام إلى ساحة بُسْـتانٍ فى الدار المذكورة وحَفَر وأخرج الأموال، وهى تزيد على أربعين ألفَ(٢) دينـار ، فَفُرِّقت على الأمراء على قـدر منازلهم ، ثمّ رَسَمُوا عليه جماعة من الجند وسيّروه إلى قلعة(٣) حبسوه بها . ثمّ بعد أيّام قلائل دَهَم العدوُّ حلب ، فآندفع الأمير حسام الدين الجُوكَنْدارِى المقدّم على عسكر حلب بمَنْ معه إلى جهة دِمَشق ، ودخلت التَّتار حلب وأخرجوا من كان فيهـا إلى ظاهر حلب ، ووضعوا السيف فيهم ، فقُتِل بعضُهم وفرّ بعضهم ، ونزل العسكر الحَلَبِىّ بظاهر حَمَاة ، فقام الملك المنصور بضيافتهم ، ثمّ تقدّم التَّتار إلى حَمَاة ، فلمّـا قاربوا منهـا رَحَل صاحبها الملك المنصور ومعـه الجُوكَنْدارِى بعساكر حلب إلى حمص ، ونزل التَّتار على حَمَاة فامتنعت عليهم ، فاندفعوا من حَمَـاة طالبين العسكر ، وجَفَل

(١) الوطاق : الخيمة ، لفظة تركية . (٢) فى تاريخ أبى الفدا (ج ٣ ص ٢١٨) : «خمسين ألف دينار مصرية» . (٣) فى هامش السلوك ص ٤٣٩ : «ثم حملوه إلى قلعة الشغر وبكاس وآعتقلوه بها وأقاموا مكانه الأمير حسام الدين لاچين العزيزى» .

الناس بين أيديهم ، وخاف أهلُ دِمَشق خوفًا شديدًا ، وأقاموا الجميع على حِمْص حتّى قَدِم إليهم التّتار في أوائل المحرّم من سنة تسع وخمسين وستمائة ، وكانوا في ستة[1] آلاف فارس ، فخرج إليهم الملك المنصور صاحب حَماة والأشرف صاحب حِمْص والجُوكَنْدارِيّ العزيزيّ بعساكر حلب ، وحَمَلوا عليهم حَمْلة رجل واحد فهزموهم وقتلوا منهم مَقْتلة عظيمةً ، وهرب الأمير بَيْدَرَا مقدّم التّتار في نَفَر يَسير ، وكانت الوقعة عند[2] قبر خالد بن الوليد — رضي الله عنه — ثم عاد التتار إلى حلب وفعلوا بأهلها تلك الأفعال القبيحة على عادتهم .

وأمّا الملك الظاهر بِيبَرْس صاحب الترجمة فإنّه كاتب أمراء دِمَشق يستميلهم إليه ويُحَضِّضُهم على منابذة الأمير علم الدين سَنْجَر الحَلَبِيّ والقَبْض عليه ، فأجابوه إلى ذلك وخرجوا من دِمَشق مُنَابذين لسَنْجَر، وفيهم : الأمير علاء الدين أَيْدكين البُنْدُقْدارِيّ (أعني أستاذ الملك الظاهر بِيبَرْس المذكور) الذى قدّمنا من ذكره أنّ الملك الصالح نجم الدين أيّوب اشتراه منه . انتهى . والأمير بهاء الدين بُغْدِى فتبِعهم الحَلَبِيّ بمَن بَقِي معه من أصحابه ، فحاربوه فهزموه وألجئوه إلى قلعة دِمَشْق فأغلقها دونهم ؛ وذلك في يوم السبت حادى عشر صفر من السنة . ثم خرج الأمير علم الدين سَنْجَر الحَلَبِيّ تلك الليلةَ من القلعة وقصد بَعْلَبَكّ ، فدخل قلعتَها ومعه قريب عشرين نفرًا من مماليكه ؛ فدخل الأمير علاء الدين أَيْدكين البُنْدُقْدارِيّ دِمَشق، واستولى عليها وحَكَم فيها نيابةً عن الملك الظاهر بِيبَرْس ؛ ثم جهّز عسكرا

(١) وكانت عدّة المسلمين ١٤٠٠ فارس كما في السلوك للقريزى (ص ٤٤٢) والنهج السديد .

(٢) في السلوك (ص ٤٤٢) : « وواقعوا التتار يوم الجمعة خامس المحرم على الرستن فأفنوهم قتلا وأسرا » . والرستَن : بلدة في نصف الطريق بين حلب وحماة . (عن معجم البلدان لياقوت) .

إلى بَعْلَبَكّ لحصار الحَلَبِىّ وعليهم الأمير بدرالدين محمد بن رحال (١) وكان من الشُّجْعان، وأمير آخر، فحال وصولهما إلى بَعْلَبكّ دخلا المدينة ونزلا بالمدرسة النُّورِيّة، وكان الحَلَبِىّ لمّا وصلها جعل عنده طائفةً كبيرة من أهل محلّه مقدّمهم على بن عبور (٢)، فسُيِّر إليهم الأمير بدر الدين بن رحال وأفسدهم، فتدلّوا من القلعة ليلاً ونزلوا إليه، فعند ذلك تردّدت المراسلات بين الحَلَبِىّ وعلاء الدين البُنْدُقْدارِىّ حتّى آستقرّ الحال على نزول الحَلَبِىّ وتوجُّهه إلى الملك الظاهر بِيبَرْس بمصر، فخرج الحَلَبِىُّ من قلعة بَعْلَبكّ راكبا [حصانه و] (٣) فى وسـطه عُدّتُه وفى قِرابه (٤) قَوْسان وهو كالأسـد، فجاء حتّى بَعُد عن القلعة، قُدِّم له بغلةٌ فتحوّل إليها وقَلَع العُـدّة ورَكِبها، وسار حتّى وصل إلى دِمَشْق وسار منهـا إلى مصر، فأُدْخِل على الملك ليـلاً بقلعة الجبل، فقام إليه وآعتنقه وأدنى مجلسه منـه وعاتبه عتاباً لطيفا؛ ثم خَلَع عليـه ورَسَم له بخيل وبغال وجمال وقماش وغير ذلك.

ثم آلتفت الملك الظاهر إلى إصـلاح مملكته فخَلَع (٥) على الصاحب بهـاء الدين على بن حِنّا (٦) وزير شجـرة الدّرّ بالوزارة، وذلك فى شهر ربيـع الأوّل من سنة تسع وخمسين، وهى أوّل ولايته للوَزَر. ثمّ حضر عند الظاهر شخص وأنهى إليه أنّ الأمير عِزّ الدين الصَّقَلِّىّ (٧) يريد الوثوب على السلطان، وآتّفق معه الأمير علم الدين سَنْجَر الغَتْمِىّ وبَهَادُر [المُعِزّىّ (٨)] والشجاع بكْتُوت فقبض الملك الظاهر عليهم.

---

(١) هو بدر الدين محمـد بن رحال التركمانى كما فى عيون التواريخ والسلوك. وفى النهج السـديد: «ابن رجال» بالجيم. (٢) كذا فى الأصلين. وقد بحثنا عن هذا الاسم فى المراجع التى تحت أيدينا فلم نهتد إليه. (٣) زيادة عن عيون التواريخ. (٤) قراب السيف: شبه جراب من أدم يضع الراكب فيه سيفه بجفنه وسوطه وعصاه وأداته. وفى الأصلين: «وفى قربانه». (٥) فى الأصلين: «فأخلع». (٦) سيذكره المؤلف فى حوادث سـنة ٦٧٧ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى. (٧) فى السلوك والنهج السديد فى حوادث سنة ٦٥٩ هـ: «الصيقلى». (٨) الزيادة عن السلوك.

ثم تَسَلّم الملكُ الظاهرُ الكَرَكَ من نوّاب الملك المغيث فى هذه السنة . ثم قبَض على الأمير بهاء الدين بُغْـدِى الأشرفىّ بدِمَشق وحُمِل إلى القـاهرة وحُبِس بقلعة الجبل إلى أن مات .

ثم جهّز الملك الظاهر عسكرًا لخروج التّتار من حلب فساروا إليها وأخرجوهم منها على أقبح وجه ، كلّ ذلك والدنيا بلا خليفة من سـنة ستّ وخمسين وستمـائة . ففى هـذه السنة كان وصول المستنصر بالله الخليفـة إلى مصر و بايعه الملك الظاهر بيبَرْس ، وهو أبو القاسم أحمـد ، كان محبوسا ببغـداد مع جماعة من بنى العبّاس فى حبس الخليفة المستعصم ، فلمّا ملكت التّتار بغـداد أطلقوهم ، فخرج المستنصر هذا إلى عرب العِراق ، واختلط بهم إلى أن سَمِـع بسلطنة الملك الظاهر بيبَرْس، وفَدَ عليه مع جماعة من بنى مُهارِش، وهم عشرة أمراء مقدّمهم ابن قسا وشرف الدين[1] ابن مُهَنّا ، وكان وصول المستنصر إلى القاهرة فى ثامن شهر رجب من سـنة تسع وخمسين وستمائة ؛ فركب السلطان للقائه ومعـه الوزير بهاء الدين بن حِنّا وقاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعزّ والشهود والرؤساء والقرّاء والمؤذّنون واليهود بالتوراة والنصارَى بالإنجيل فى يوم الخميس ؛ فدخل من باب النَّصْر وشقّ القاهرة ، وكان لدخوله يوم مشهود .

فلمّا كان يوم الاثنين ثالث عشر الشهر جلس السلطان الملك الظاهر والخليفة بالإيوان وأعيـانُ الدولة بأجمعهم وقُرِئَ نسبُ الخليفة ، وشُهِـد عند القاضى

(١) فى الأصلين : «ناصر الدين» . وما أثبتناه عن المنهل الصافى وما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٣ هـ . وهو عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضبة . فضل بن ربيعة أبو مهنا أمير آل فضل . وفى ابن إياس أنه حضر إلى مصر صحبة الإمام أحمد بن على بن أبى بكر ابن الخليفة المسترشد الملقب بالحاكم بأمر الله .

بصحته فأسجـل عليه بذلك وحكم به و بُويِـع بالخلافة[(١)]، ورَكب من يومه وشَـقّ القاهرةَ فى وجوه الدولة وأعيانهـا ، وكان أوّل مَن بايعه قاضى القضـاة تاج الدين عبـد الوهاب بن بنت الأَعَزّ عنـد ما ثَبَتَ نسبُه عنده ، ثم السلطان ، ثم الشيخ عِزّ الدين بن عبد السلام ، ثم الأمراء والوزراء على مراتبهم . والمستنصر هذا هو الثـامن والثلاثون من خلفاء بنى العباس — رضى الله عنهـم — وهو المستنصر بالله أبو القاسم أحمد الأَسْمَر آبن الظاهر بأمر الله محمد آبن الناصر لدين الله أحمد آبن المستضىء الحسن آبن الخليفة المستنجد بالله يوسف آبن الخليفة المقتفى لأمر الله محمد آبن الخليفة المستظهِر بالله أحمد آبن الخليفة المقتدِى بأمر الله عبد الله آبن الأمير محمد الذخيرة آبن الخليفة القائم بأمر الله عبدالله آبن الخليفة القادر بالله أحمد آبن الأمير إسحاق آبن الخليفة المقتدر بالله جعفر آبن الخليفة المعتضد بالله أحمد آبن الأمير طَلْحة الموفَّق آبن الخليفة المتوكِّل على الله جعفر آبن الخليفة المعتصِم بالله محمد آبن الخليفة الرشـيد هارون آبن الخليفة المهدى محمد آبن الخليفة أبى جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عبّاس الهاشمىّ العباسىّ البَغْدادىّ . وقد تقدم أنّ الناس كانوا بغـير خليفة منذ قتل التَّتَـار آبنَ أخيـه الخليفة المستعصِم بالله فى أوائل سـنة ست وخمسين وسِتّمائة إلى يومنا هذا ، فكانت مدة شُغُور الخلافة ثلاثَ سـنين ونصفاً والناس بلا خليفة . وكان المستنصر هـذا جسيماً وَسِيماً شـديدَ السُّمْرة عالىَ الهِمّة

---

(١) يستفاد من السلوك أن الظاهر هو الذى كان يبحث عن مثل هذا الخليفة لأن مصر كانت محاطة بالأعداء من كل جانب ، وكان يخشى أن يحجم له ناجم فى الداخل من بنى أيوب يسمو إلى السلطنة فيجد على دعوته أنصارا على أيسر وجه فرأى أن يبـايع لأحد ذرية بنى العباس بالخلافة بعـد أن قرضها المغول فى بغداد لأن مصلحته أن يظهر أمام العالم الإسلامى بأنه حامى الخلافة . وقد تم له ذلك كله على أن الخليفة فى مصر لم يكن له أمر ولا نهى ولا نفوذ بل يتردد إلى أبواب الأمراء وأعيـان الكتّاب والقضـاة لتهنئتهم بالأعياد والشهور (السلوك ٤٤٨ ودائرة المعارف الإسلامية ص ٥٨٨ ترجمة الظاهر بقلم سوبرنهايم) .

شديدَ القوّة وعنده شجاعة وإقدام ، وهو أخو الخليفة المستنصر ولُقِّب بلقبه ، وهذا لم تَجْرِبه العادةُ من أنّ خليفة يُلَقَّب بلَقَب خليفة تقدّمه من أهل بيته .

وفى يوم الجمعة سابع عشر الشهر خرج الخليفة المستنصر بالله وعليه ثِيابٌ سُودٌ إلى الجامع بالقلعة وخطَب خطبة بليغةً ذَكَر فيها شَرَف بنى العبّاس ، ثم صلّى على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . ثم فى مستهلّ شعبان من سنة تسع وخمسين المذكورة تقدّم الخليفةُ بتفصيل خِلْعة سوداء وبعمل طَوْق ذهب وقَيْد ذهب وبكتابة تقليد بالسلطنة للملك الظاهر بيبَرْس ونصَب خَيْمةً ظاهرَ القاهرة[1] . فلمّا كان يوم الاثنين رابعه ركب الخليفة والسلطان والوزير والقضاة والأمراء ووجوه الدولة إلى الخَيْمة ظاهر القاهرة بقُبّة النصر[2]، فألْبَس الخليفةُ السلطانَ الملك الظاهر بيبَرْس خِلْعَةَ السلطنة بيده وطوقه وقيّده، وصَعِد فخر الدين إبراهيم بن لُقْمان رئيس الكُتّاب منبرًا نُصِب له فقرأ التقليدَ وهو من إنشائه وبخطّه . ثم ركب السلطانُ بالخِلْعَة والطَّوْق والقَيْد ودخل من باب النّصر وقد زُيِّنت القاهرة له ، وحَمَل الصاحب بهاء الدين التقليدَ على رأسه راكبًا والأمراءُ يمشون بين يديه ؛ فكان يومًا يَقْصُر اللسانُ عن وصفه . ونسخة التقليد :

« اَلحمدُ لله الذى أضفى[3] على الإسلام ملابس الشَّرَف، وأظهر بَهْجَةَ دُرَرِه، وكانت خافيةً ، بما آستحكم عليها من الصَّدَف، وشيَّد ما وَهَى من عَلَائه حتّى أُنْسِىَ ذِكْرُ مَنْ

(١) فى السلوك ص ٤٥٢ : « وأفيضت عليه الخلع الخليفتية وخرج بها وهى : عمامة سوداء مذهبة مزركشة . ودراعة بنفسجية اللون ، وطوق ذهب ، وقيد من ذهب عمل فى رجليه ، وعدة سيوف تقلد منها واحدا ، وحلت البقية خلفه ، ولواءان منشوران على رأسه . وسهمان كبيران وترس ، فقدم له فرس أشهب فى عنقه مشدّة سوداء وعليه كنبوش أسود « البردعة » . وكل ذلك راجع إلى رغبة السلطان فى إحياء شعار العباسيين وهو السواد» .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من هذا الجزء .

(٣) فى الأصلين : « أصفى » بالصاد وهو تصحيف . وعبارة السلوك وعقد الجمان « اصطفى الإسلام بملابس الشرف» .

سَلَف، وقيَّض لنصره ملوكا آتّفق[١] عليهم مَن آختلف، أحمده على نعمته التى رَتَعت[٢] الأعينُ منها فى الرَّوْض الأُنُف، وألطافه[٣] التى وقَف الشكر عليها فليس له عنها مُنْصَرَف؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً تُوجِب من المخاوف أَمْنا، وتُسَهِّل من الأمور ما كان حَزْنا، وأشهد أنّ محمدًا عبدُه الذى جبَر من الدِّين وَهْنا، ورســولُه الذى أظهر من المكارم فُنونًا لا فَنّا، صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله الذين أصبحت مناقبُهم باقيةً لا تَفْنَى، وأصحابه الذين أحسنوا فى الدِّين فآستحقُّوا الزيادة بالحُسْنَى. وبعد: فإنّ أَوْلى الأولياء بتقديم ذِكْرِه، وأحقّهم أن يُصْبِح القَلَمُ راكعًا وساجدًا فى تسطير مناقبه وبِرِّه، مَنْ سعى فأضحى سعيدَ[٤] الجَدّ متقدِّما، ودعا إلى طاعته فأجاب من كان مُنْجِدا ومُتْهِما، وما بَدَتْ يدٌ فى المَكْرُمَات إلّا كان لها زَنْدًا ومِعْصَما، ولا آستباح بسَــيْفه حِمَى وَغًى إلا أَضْرَم منه نارًا وأجراه دَما. ولـمّـا كانت هــذه المناقبُ الشريفةُ مختصّةً بالمَقَام العالى المَوْلَوِىّ السلطانىّ الملكىّ الظاهرىّ الرُّكْنىّ — شرّفه الله وأعلاه — ذكَرَها الديوان العزيز النبوِىّ الإمامىّ المستنصرىّ — أعزّ الله سلطانه — تنويهًا بشريف قَدْره[٥]، وآعترافًا بصُنْعه الذى تَنْفَدُ العبارة المُسْهِبَة ولا تقوم بشكره؛ وكيف لا وقد أقام الدولةَ العبّاسيّة بعد أن أقعدتْها زمانةُ الزمان، وأذهبتْ[٦] ما كان لهـا من محاسن وإحسان؛ وعتّب دهرُها المُسِيءَ لهـا فأَعْتَب، وأرْضَى[٧] عنها زمنَها وقد كان صال عليها صَوْلةَ مُغْضَب؛ فأعاده لها سِلْمًا بعد أن كان

(١) فى السلوك وعقد الجمان: «اتفق على طاعتهم من آختلف». (٢) فى الأصلين: «وقعت». وتصحيحه عن السلوك وعقد الجمان. (٣) فى الأصلين: «والطلعة التى ... الخ». وما أثبتناه عن السلوك وعقد الجمان. (٤) فى السلوك: «فأضحى بسعيه الحميد متقدما».

(٥) هذه رواية السلوك وعقد الجمان. وفى الأصلين: «أعز الله سلطانه تشريف قدره».

(٦) فى الأصلين: «ذاهب». وما أثبتناه عن السلوك.

(٧) فى الأصلين: «وأرضى منها». وما أثبتناه عن السلوك وعقد الجمان.

[عليها](١) حَرْبا ، وصرف إليها اهتمامَه فرجع كلُّ متضايِقٍ من أمورِها واسعًا رَحْبا ؛ وَمَنَح أميرَ المؤمنين عند القدوم عليه حُنُوًّا وعَطْفا ، وأظهر من الولاء رغبةً في [ثواب](١) الله ما لا يَخْفَى ؛ وأبدى من الاهتمام بأمر البَيْعة أمرًا لو رامه غيرُه لامتنع عليه ، ولو تمسّك بحَبْله متمسِّكٌ لانقطع به قبل الوصول إليه ؛ ولكن الله ادّخر هذه الحسنةَ لِيُثْقِل بها [في](١) الميزان ثَوابَه ، ويُخَفِّف بها يوم القيامة حسابَه ، والسعيد من خُفِّفَ حسابُه ! فهذه مَنْقَبةٌ أَبَى الله إلّا أن يُخَلِّدها في صحيفة صُنْعِه ، ومَكْرُمةٌ قَضَتْ(٢) لهذا البيت الشريف بجمعه ، بعد أن حصل الإياس من جمعه . وأميرُ المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع ، و يعترف أنّه لولا اهتمامك لاتّسع الخَرْقُ على الراقِع ؛ وقد قلّدك الديارَ المصريّةَ والبلاد الشاميّة ، والديارَ بَكْرِيّة ، والحِجازِيّة واليَمَنِيّة والفُراتيّة ؛ وما يتجدّد من الفتوحات غَوْرًا ونَجْدا ؛ وفوّض أمرَ جندها ورعاياها إليك حين أصبحتَ(٣) بالمكارم فَرْدا » . ثم أخذ في آخر التقليد(٤) يذكر فضل الجهاد والرفق بالرعيّة وطوّل في الكلام إلى الغاية . وهذا الذى ذكرناه من نسخة التقليد هو المراد .

ثم إنّ الملك الظاهر ولّى الأمير علم الدين سَنْجَر الحَلَبِيّ(٥) نيابةَ حلب لمّا بلغه أن البرنلي(٦) تغلّب على حلب ، وسيّر معه عسكرًا فسار إليها الأمير علم الدين سَنْجَر الحلبيّ ، ودخل إليها وملَكها وخرج منها البرنلي وتوجّه إلى الرَّقّة ؛ ثم حَشَد وجمع العساكر وأخذ البِيرة ، ثمّ عاد إلى حلب وأخرج منها الحَلَبِيّ بعد أمور ووقائع جرت بينهم . فلمّا بلغ الملك الظاهر ذلك عزم على التوجه إلى البلاد الشاميّة ، و برز من القاهرة

(١) الزيادة عن السلوك وعقد الجمان . (٢) في الأصلين : « تضمنت » . وما أثبتناه عن السلوك وعقد الجمان . (٣) في الأصلين : « حتى أصبحت » . وما أثبتناه عن السلوك وعقد الجمان .
(٤) راجع بقية هذا التقليد في المصدرين السابقين في حوادث سنة ٦٥٩ هـ .
(٥) وذلك بعد أن رضى الظاهر عنه . وكان قد استولى على دمشق وتسمى بالملك المجاهد ثم قبض عليه وحمل إلى القاهرة كما سبق في هذه الترجمة . (٦) هو الأمير آقوش بن عبدالله العزيزى شمس الدين المعروف بالبرنلي والبرنلو ، كما في المنهل الصافي . وفي أبي الفدا والسلوك : « البرلى » .

ومعه الخليفة المستنصر وأولادُ صاحب المَوْصِل، وكان خروجهم الجميع من القاهرة فى تاسع عشر شهر رمضان بعـد أن رتَّبَ السلطان الأمير[١] عزّ الدين أَيْدَمُر الحلَبِى نائب السلطنة بقلعة الجبل؛ والصاحب بهاء الدين بن حِنّا مدبر الأمور، وخرج مع السلطان العساكر المصريّة وأقام بِبِرْكة الجُبّ[٢] إلى عيد الفِطْر؛ ثم سافر فى ثالث شوّال بعد ما عزَل قاضى القضـاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعَزّ عن القضـاء ببُرْهان الدين خَضِر السِّنْجارىّ، وسار السـلطان حتّى دخل دِمَشْق فى يوم الاثنين سابع ذى القعدة، وقَدِم عليـه الملك الأشْرَف صاحب حِمْص فخلَع عليـه وأعطاه ثمانين ألف دينـار وحِمْلين ثياباً، وزاده على ما بيده من البـلاد تَلّ[٣] باشر؛ ثم قَدِم عليه الملك المنصور صاحب حَماة فخلَع عليه وأعطاه ثمانين ألف درهم وحِمْلين ثيابا، وكتب له توقيعًا ببلاده التى بيده؛ ثم جهّز السلطان الخليفة وأولادَ صاحب الموصل صحبته بتجمُّـل زائد وبِرْك[٤] يُضاهى بَرْك السـلطان من الأطْلاب والخيول والجمـال وأرباب الوظائف من الكبير إلى الصغير؛ قيـل : إنّ الذى غَرِمه السلطان الملك الظاهر على تجهيز الخليفة وأولاد صاحِب المَوْصِل فوق الألف ألف دينار عَيْناً .

ثم جهّـز السلطان الأمـير علاء الدين أَيْدِكين البُنْدُقْدارِىّ لنيابة السلطنة بحلب، وأَيْدِكين هذا هو أسـتاذ الملك الظاهر بِيبَرْس صاحب الترجمة المقـدّم ذكره، فسبحان من يُعِزّ و يُذِلّ! و بعث السلطان مع البُنْدُقْدارِىّ عسكرا لمحاربة البرلى وصحبته أيضا الأمير بَلَبَان الرَّشيدىّ فخرجا من دِمَشْق فى منتصف ذى القعدة؛ فلمّا وصـلا حَماةَ خرج البرلى وقصد حَرّان فتبِعه الرشيدىّ بالعساكر، ودخل علاءُ الدّين البُنْدُقْدارِىّ

---

(١) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٦٧ هـ .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) البرك : هو ثقل المسافر ومتاعه (كترمير ص ٢٥٣ أول) .

إلى حلب؛ ثم عاد الرشيدىّ إلى أنطاكية ثم رحل عنها بعد ماحاصرها مدّة لمّا بلغه عَوْد الملك الظاهر إلى مصر .

وأمّا الخليفة فإنّه لمّا توجّه نحو العراق ومعه أولاد صاحب المَوْصل، وهم : الملك[1] الصالح وولده علاء الدين[2] والملك[3] المجاهد سيف الدين صاحب الجزيرة، والملك المظفر[4] علاء الدّين صاحب سِنْجار، والملك الكامل ناصر الدين محمد؛ فلمّا وصلوا صحبةَ الخليفة إلى الرَّحْبة وافَوْا عليها الأمير يزيد بن علىّ بن حديثة[5] أمير آل فضل وأخاه الأخرس فى أربعمائة فارس من العرب . وفارق الخليفةُ أولاد صاحب الموصل من الرَّحْبة؛ وكان الخليفة طلب منهم المسير معه فأبَوْا، وقالوا : مامعنا مرسومٌ بذلك، وأرسلوا معه من مماليك والدهم نحو ستّين نفرًا فآنضافوا إليه ، ولحِقَهم الأمير عز الدين أيدكين[6] من حَمَاةَ ومعه ثلاثون فارسا . ورَحل الخليفةُ بمَنْ معه من الرَّحْبة بعد ما أقام بها ثلاثةَ أيّام[7] ، ونزل مشهد علىّ — رضى الله عنه — ثم رحَل إلى قائم عُنُقِه، ثم إلى عَانَةَ[8] فوافَوُا الإمامَ الحاكم بأمر الله العبّاسىّ على عانة من ناحية الشرق ومعه نحو سبعمائة فارس من التُّرْكُمان . وكان البرنلى قد جهّزه من حلب ، فبعث الخليفة المستنصر بالله إليهم وآستمالهم ؛ فلمّا جاوزوا الفُرات فارقوا الحاكمَ فبعث إليه المستنصر بالله يطلبه إليه ويؤمّنه على نفسه ويُرغّب إليه فى آجتماع الكلمة،

(١) هو الملك الصالح إسماعيل ركن الدين ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٦٠ هـ . (٢) كذا فى الأصلين وشذرات الذهب . وفى المنهل الصافى والسلوك والحوادث الجامعة : « علاء الملك » . (٣) هو الملك المجاهد سيف الدين إسحاق ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ (عن المنهل الصافى) . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٣ من هذا الجزء . (٥) فى الأصلين هنا : « بن حذيفة » . والتصحيح عن الحاشية رقم ١ ص ١٠٩ من هذا الجزء . (٦) فى كتاب السلوك : « عز الدين بركة » . (٧) كذا فى الأصلين . وفى تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل : « قائم عنقا » . وهى بلدة بجانب الفرات تدخل فى واد إلى عانة .

(٨) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

فأجاب ورحّل إليـه ، فوفّى إليه المستنصر وأنزله معه فى الدّهليز . وكان الحاكم لمّا نزل على عَانَة آمتنع أهلها منه ، وقالوا : قد بايع الملكُ الظاهر خليفةً وهو واصل فما نسلّمها إلّا إليه ؛ فلمّا وصل المستنصر بالله إليها نزل إليه نائبها وكريم الدين ناظرها وسلّماها إليه وحَمَلا له إقامةً ، فأقطعها الخليفة للأمير ناصر الدين أغلمش (١) أخى الأمير علم الدين سَنْجَر الحَلَبِيّ . ثم رحَل الخليفةُ عنها إلى الحَدِيثة ففتحها أهلها له ، فجعلها خاصًّا له ، ثم رحَل عنهـا ونزل على شـطّ قرية الناووسة (٢) ؛ ثم رحل عنها قاصـدًا هِيت (٣) ، ولمّـا آتّصل مجيء الخليفة المستنصر بالله بقَرَابُغَا مقدّم عسكر التّتار بالعراق ، وبهَادُر علىّ الخُوَارَزمِىّ (٤) شِحْنَة بغداد وخرج قَرَابُغَا بخمسـة الآف فارس من التّتار على الشطّ العراقى وقصد الأنبار ، فدخلها إغارةً ؛ وقتَل جميع مَن فيها ، ثم ردَفه الأمير بهَادُر علىّ الخُوَارَزمِىّ بمَن بَقِى ببغداد من عساكر التّتار ، وكان قد بعث ولَده إلى هِيت متشوّقًا لِمَا يرد من أخبار المستنصر ، وقرّر معه أنّه إذا آتّصـل به خبرُه بعث بالمراكب إلى الشطّ الآخر وأحرقها ؛ فلمّـا وصل الخليفة هِيتَ أغلق أهلُها الباب دونه ، فنزل عليها وحاصرها حتّى فتحها ، ودخلها فى التاسع والعشرين من ذى الحجّة ، ونَهَب من فيها من اليهود والنّصارى ؛ ثم رحَل عنهـا ونزل الدور (٥) وبعث طليعةً من عسكره مقدّمها الأمير أسد الدين محمود آبن الملك المفضّل موسى ، فبات تُجاه الأنبار (٦) تلك اللّيلة ، وهى ليلة الأحد ثالث المحرّم من سنة ستين وستمائة ؛ فلمّا رأى قَرَابُغَا

---

(١) فى النهج السديد : « غلمش » . (٢) فى الأصلين : « الماووسة » . والتصحيح عن معجم البلدان لياقوت . والناووسة : قرية من قرى هيت لها ذكر فى الفتوح مع ألوس .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٤) فى الحوادث الجامعة لابن الفوطى : « على بهادر » .

(٥) الدور : سبعة مواضع بأرض العراق من نواحى بغداد . (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٦) الأنبار : مدينة على الفرات فى غربى بغداد ، بينهما عشرة فراسخ . (عن معجم البلدان لياقوت) .

الطليعة أَمَر مَن معه من العساكر بالعُبور إليها فى المخائض والمراكب ليلًا ، فلمّا أسفر الصبح أفرد قَرَابُغَا من معه من عسكر بغداد ناحيةً .

وأمّا الخليفة فإنّه رتّب ٱثنى عشر طُلْبًا، وجعل التُّرْكُمَانَ والعُرْبان ميمنةً ومَيْسرةً وباقى العساكر قَلْبًا ؛ ثم حَمَل بنفسه مبادرًا وحَمَل من كان معه فى القلب فٱنكسر بَهَادُر، ووقع معظمُ عسكره فى الفُرات ؛ ثم خرج كَمِينٌ من التّتار، فلمّا رآه التُّرْكُمَانُ والعرب هربوا ، وأحاط الكَمِينُ بعسكر الخليفة فصدَق المسلمون الحملةَ ، فأَفْرَجَ لهم التّتار، فنجا الحاكم وشرف الدين بن مُهَنَّا (١) وناصر الدين بن صَيْرَم وبُوزَنَا (٢) وسيف الدين بَلَبَان الشّمسى وأسد الدين محمود وجماعة من الجند نحو الخمسين نَفَرًا ، وقُتِل الشريف نجم الدين [جعفر] (٣) أستادار الخليفة، وفتح الدين بن الشهاب أحمد (٤)، وفارس الدين [أحمد] (٣) بن أَزْدَمُر اليَغْمُورِىّ ، ولم يُوقَع للخليفة المستنصر على خبر، فقيل إنّه : قُتِل فى الوقعة وعُفِّى أثَرُه؛ وقيل : إنّه نجا مجروحًا فى طائفة من العرب فمات عندهم ؛ وقيل : سلِم وأضمرتْه البلاد .

وأمّا السلطان الملك الظاهر بِيبَرْس فإنّه لمّا عاد إلى مصر عاد بعده بَلَبَان الرشيدىّ فى أثره وعاد البرنلى الى حلب ودخلها وملَكها ، فجرّد إليه الملك الظاهر عسكرا ثانيا، عليهم الأمير شمس الدين سُنْقُر الرومىّ ، وأمَره بالمَسير إلى حلب؛ ثمّ إلى الموصل وكتب إلى الأمير علاء الدين طَيْبَرْس نائب السلطنة بدِمَشْق وإلى الأمير علاء الدين أَيْدَكِين البُنْدُقْدَارِىّ يأمرهما أن يكونا معه بعسكرهما حيث توجّه يتوجّه الجميع، فسار الجميع إلى جهة حلب، فخرج البرنلى من حلب وتسلّم نوّاب أَيْدَكِين

(١) فى الأصلين : « ناصر الدين » وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٩ من هذا الجزء .

(٢) فى عيون التواريخ وعقد الجمان : « بوزبا » .

(٣) الزيادة عن السلوك .

(٤) فى النهج السديد : « وفتح الدين اليغمورى » .

البُنْدُقْدَارِىّ حلب . ثم جاء مرسوم السلطان بتوجّه البُنْدُقْدَارِىّ إلى حلب ، و يعود طَيْبَرْس إلى دِمَشق و يعود سُنْقُر الرومىّ إلى مصر ، فعاد الرومىّ إلى القاهرة . فلمّا آجتمع بالسلطان أوغر خاطره على طَيْبَرْس ، فكان ذلك سبباً للقبض على طَيْبَرْس المذكور وحبسه بالقاهرة مدّة سنين .

ثم وصل إلى الديار المصريّة فى السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر(١) الإمام الحاكم بأمر الله أبو العبّاس أحمـد آبن الأمير أبى علىّ الحسن آبن الأمير أبى بكر بن الحسن بن(٢) علىّ القُبِّى(٣) آبن الخليفة المسترشد بالله أبى منصور الفضل آبن الخليفة المستظهر بالله أحمد العبّاسىّ .

قلت : ومن المستظهر يُعرف نسبه من ترجمة المستنصر وغيره من أقاربه إلى العبّاس . ووصل صحبته شمس الدين صالح بن محمد بن أبى الرشيد الأسدىّ الحاكمىّ المعروف بآبن البنّاء وأخوه محمـد ونجم الدين محمـد ، وآحتفل الملك الظاهر بيبرس بلقائه وأنزله بالبُرْج(٤) الكبير داخل قلعة الجبل ، ورتّب له ما يحتاج إليه ، ووصل معه ولده . وبايعه بالخلافة فى يوم الخميس تاسع المحرّم من سـنة إحدى وسـتين بقلعة الجبـل . وكانت المسلمون بلا خليفة منذ آستُشْهِد الخليفة المستنصر بالله فى أوائل

(١) فى تاريخ الدول والملوك لابن الفرات : « من شهر ربيع الأوّل » .

(٢) اختلف فى نسبه ، والمشهور عند نسابة مصر أنه أحمد بن الحسن بن أبى بكر آبن الأمير أبى على القبى ابن الأمير حسن ابن الراشد ابن المسترشد ابن المستظهر . وعند الشرفاء العباسيين أنه أحمد بن أبى بكر على بن أبى بكر أحمد ابن الإمام المسترشد الفضل ابن المستظهر (راجع تاريخ ابن الوردى وتاريخ أبى الفدا) .

(٣) ضبط بالعبارة فى الدرر الكامنة (بضم القاف وتشديد الموحدة) .

(٤) البرج الكبير داخل القلعة : من المعاينة تبين لى أنه لا يوجد الآن برج كبير قائم بذاته وسط مبانى القلعـة ، ومن المرجح أن هذا البرج قد زال بسبب التغييرات التى أدخلها الملك الناصر محمد بن قلاوون على أبنية القلعة إلا أنه لا يزال الى الآن عدّة أبراج فى السور الخارجى المحيط بقلعة الجبل ، نذكر منها برج الزاوية وبرج الصحراء وبرج الحداد وبرج الرملة وبرج الإمام وبرج المبلط وبرج المقطم وبرج الطبلة .

السنة الحالية[1]، وجلس السلطان بالإيوان لَبيْعته وحضر القضاة والأعيان وار باب الدولة، وقرئ نسبه على قاضى القضاة وشَهِد عنـده جماعةٌ بذلك، فأثبته ومدّ يدَه وبايعه بالخلافة، ثم بايعه السلطان ثم الوزير ثم الأعيان على طبقاتهم، وخُطِب له على المنابر، وكتَب السلطان إلى الأقطار بذلك وأن يخطبوا باسمه، وأُنْزِل إلى مناظر الكَبْش[2] فسكن بها إلى أن مات فى ليلة الجمعة ثامن عشر جُمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة ودُفِن بجوار السيّدة نفيسة، وهو أوّل خليفة مات بالقـاهرة من بنى العبّاس حسب ما يأتى ذكره — إن شاء الله تعالى — فى محلّه بأوسعَ من هذا.

وأمّا الملك الظـاهر فإنّه تجهّز للسفر إلى البـلاد الشاميّة، وخرج من الديار المصريّة فى يوم السبت سابع شهر ربيـع الآخر من سنة إحدى وسـتين وستمائة. وفى هـذه السَّفْرة قبَض على الملك المغيث صاحب الكَرَك الذى كان معه تلك الأيّام على قتال المصريين وغيرهم، ولمـا قبَض عليه الظاهر بعث به إلى قلعة الجبل صحبة الأمير آق سُـنقُر[3] الفَارِقَانِىّ، فوصل به إلى القـاهرة فى يوم الأحد خامس عشر

(١) الذى تقدّم أن المستنصر قتل فى ثالث المحرم سنة ٦٦٠ هـ. وأن الإمام الحاكم بويع فى تاسع المحرم سنة ٦٦١ هـ. وراجع أيضا عيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك.

(٢) مناظر الكبش : ذكر المقريزى فى (ص ١٣٣ ج ٢) من خططه أن هذه المناظر أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى أعوام بضع وأربعين وستمائة على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى. وهى عبارة عن قصـور كانت تشرف من أعلى جبل يشـكر على بركة قارون وبركة الفيل وعلى البساتين التى فى بر الخليج الغربى من المقس الى فم الخليج، والتى فى بره الشرق من باب زويلة الى صليبة جامع ابن طولون، كما كانت تشرف على النيل وجزيرة الروضة وقلعة الروضة، فكانت من أجل متنزهات مصر، وقد تأنق الملك الصالح فى بنائها وسماها الكبش فعرفت بذلك إلى اليوم. وما زالت بعـد الملك الصالح من المنازل الملكية إلى أن هدمها الملك الأشرف شـعبان بن حسين فى سنة ٧٦٨ هـ لحكر الناس الكبش و بنوا فيه مسـاكن.

وأقول : مكانها اليوم المنطقة التى تعرف بقلعة الكبش فى الجهة الغربية من جامع ابن طولون والتى تشرف من بحريها على شارع مراسينا ومن غربيها على خط البغالة بقسم السيدة زينب بالقاهرة.

(٣) هو آق سنقر بن عبد الله النجمى الفارقانى الأمير شمس الدين. سـيذكره المؤلف فى حوادث سـنة ٦٧٧ هـ.

جُمَادى الآخرة، فكان ذلك آخر العهد به . ثمّ عاد الملك الظاهر إلى الديار المصريّة في يوم السبت سادس عشر شهر رجب . ولمّا دخل إلى القاهرة قبَض على الأمير بَلَبَان الرشيدى وأَيْبَك الدِّمْياطى وآقوش البرنلى .

ثم فى هذه السنة شرع الملك الظاهر فى عِمارة المدرسة الظاهريّة(١) ببين القَصْرين، وتمّت فى أوائل سنة آثنتين وستين وستمائة . ورتّب فى تدريس الإيوان القبلىّ القاضى تَقِيّ الدين محمــد بن الحسين(٢) بن رَزِين الشافعى، وفى تدريس الإيوان الذى يُواجهه القاضى مجد الدين عبد(٣) الرحمن بن العَدِيم ، والحافظ شرف(٤) الدين الدِّمْياطى لتدريس الحديث فى الإيوان الشرقىّ، والشـيخ كمال الدين المَحَلّىّ(٥) فى الإيوان [الذى] يُقابله

(١) المدرسة الظاهرية : ذكر المقريزى (فى ص ٣٧٨ ج ٢) من خططه أن هذه المدرسة بالقاهرة بخط بين القصرين . كان موضعها من القصر الكبير باب الذهب أحد أبواب القصر وقاعة الخيم وقاعة السدرة . وضـع أساسها الملك الظاهر بيبرس فى سـنة ٦٦٠ هـ . وتم بناؤها فى سـنة ٦٦٢ هـ . وكان لها أربع إيوانات وجعل بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب فى سائر العلوم و بنى بجانبها مكتبا لتعليم أيتام المسلمين القرآن إلى أن قال المقريزى إلا أنها قد تقادم عهدها فرثت ولها بقية صالحة .

وأقول : إن هذه المدرسـة واقعة بجانب قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب من الجهة البحرية بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) وقد اندثرت واعتدى النـاس على أرضها وأدخلوها فى أملاكهم كما دخل جزء منها فى شارع بيت القاضى ولم يبق منها اليوم إلا الإيوان الشرقى وهو معطل و يعرف الآن باسم جامع طاهر داخل عطفة جامع طاهر بشارع بيت القاضى ، وباق من هـذه المدرسة أيضا الكتف الأيمن لبابها الأصلى وعليه اسم منشئها وتاريخ إنشائها . وكان لهذه المدرسة باب جميل من النحاس ليس له مثيل فى صنعه وحسن إتقانه و جمال زخرفه منقوش عليه آسم الملك الظاهر بيبرس وسنة ٦٦١ هـ التى صنع فيها . ومما يؤسف له أن هذا البـاب مركب الآن على باب دار المفوضـية الفرنسية بشارع الجيزة تجاه حديقة الحيوانات . (٢) كذا فى الأصلين وعيون التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي . وفى خطط المقريزى فى الكلام على المدرسة الظاهرية والسلوك أيضا وطبقات الشافعية : «محمد بن الحسن» . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٠ هـ . فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى . (٣) هو عبد الرحمن ابن عمر بن أحمد بن هبـة الله بن محمد بن هبة بن أحمـد بن يحيى بن زهير بن أبى جرادة الصاحب أبو المجد مجد الدين . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٧ هـ . (٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٦ من هذا الجزء . (٥) فى الأصـلين : « كمال الدين القرمى » . والتصويب عن عيون التواريخ وشذرات الذهب وغاية النهاية . وهو أحمـد بن على بن إبراهيم الشيخ أبو العباس المعروف بالكمال المحلى الضرير . توفى سنة ٦٧٢ هـ .

لإقراء القرآن بالروايات والطرق ؛ ثم رتّب جماعة يقرءون السبع بهذا الإيوان أيضا بعد صلاة الصبح ، ووقف بهـا خزانة كتب ، و بنى إلى جانبها مكتبًا لتعلم الأيتام وأجرى عليهـم الخُبْزَ فى كلّ يوم ، وكُسوة الفَصْلين وسـقاية تُعين على الطّهَارة ؛ وجُلِس للتدريس بهذه المدرسة يوم الأحد ثالث[1] عشر صفر من سـنة آثنين وستين ، وحضر الصاحب بهاء الدين بن حِنّا ، والأمير جمال الدين بن يَغْمور ؛ والأمير جمال الدين أَيْدُغْدِى العَزِيزِىّ وغيرهم من الأعيان .

وفى سنة إحدى وستين أيضا تسلّم الأمير بِيلِيك العَلائِىّ حمص بعد وفاة صاحبها الملك الأشرف الأيّوبى . ثم أمر الملك الظاهر أيضا بإنشاء خان فى القُدْس الشريف للسبيل ، وفوّض بناءه ونَظَره إلى الأمير جمال الدين محمد بن نَهار[2] ؛ ولمّا تمّ الخان المذكور أوقف عليه قيراطًا ونصفا بالمطر[3] ، وثُلُث وربع قرية المشيرفة من بلد بُصْرى[4] ، ونصف قرية لبنى[5] ، يُصرف رِيع ذلك فى خبز وفلوس و إصلاح نِعال من يَرِد عليه من المسافرين المُشاة . وبنى له طاحونا وفرنا ، وآستمر ذلك كلّه .

ثم وَلّى الملك الظاهر فى سنة ثلاث وستين وستمائة فى كلّ مذهبٍ قاضيًا مستقلًّا بذاته ، فصارت قُضاة القضاة أربعة ، وسبب[6] ذلك كثرة توقّف قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأَعَزّ فى تنفيذ الأحكام ، وكثرة الشكاوى منه بسبب ذلك . فلمّا كان يوم الآثنين ثانى عشر ذى الحجّة شكا[7] القاضى المذكور الأمير جمال الدين أَيْدُغْدِى العَزِيزِىّ فى المجلس ، وكان يكره القاضى تاج الدين

(١) فى الأصلين : «سادس عشر» . وما أثبتنا عن التوفيقات الإلهامية . (٢) فى الأصلين : « محمد بن بهادر » . وما أثبتناه عن السلوك وعيون التواريخ . (٣) فى عيون التواريخ : « قيراطا ونصفا من الطرة » . (٤) بصرى : هى قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديما وحديثا . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) فى عيون التواريخ : « قرية لفنا » .

(٦) راجع السلوك فى حوادث سنة ٦٦٣ هـ حيث ذكرت فيه هذه الأسباب بتفصل واف .

(٧) فى الأصلين : «شكا على القاضى... الخ » وفى السلوك : « كانت الشكوى من بنات الملك الناصر » .

المذكور؛ فقال أَيْدُغْدِى بحضرة السلطان : يا تاج الدين، تترك مذهب الشافعيّ لك، ونُوَلِّى معك من كلّ مذهب قاضياً ، فمال الملك الظاهر إلى كلامه، وكان لأَيْدُغْدِى منه محلّ عظيم؛ فولّى السلطان الشيخ صدر الدين سليمان[(١)] الحنفى قاضى قضاة الحنفيّة بالديار المصريّة ، وكان للقضاة الحنفيّة أزيد من ثلثمائة سنة من أوّل الدولة الفاطميّة قـد بَطَل حكمهم من ديار مصر آستقلالاً عند ما أبطل الفاطميّون القضاة من سائر المذاهب ، وأقاموا قضاة الشّيعة بمصر . انتهى . وولّى القـاضى شرف الدين عمر[(٢)] السُّبْكىّ المـالكىّ قاضى قضاة المـالكيّة . وولّى الشيخ شمس الدين[(٣)] محمدآبن الشيخ العماد الحنبلى قاضى القضاة الحنابلة ، وفوّض لكلّ واحد منهم أن يستنيب بالأعمال وغيرها؛ وأبقى على تاج الدين النَّظَر فى مال الأيتام، وكتب لهم التقاليد وخَلَع عليهم ؛ ثم فعل ذلك ببلاد الشام كلّه .

قلت : وقد جمعتُ أسماءَ من ولى القضاء من المذاهب الأربعة من يوم رتّب الملك الظاهر بيبَرْس القضاة (أعنى من سنة ثلاث وستين وستمائة) إلى يومنا هذا على الترتيب على سبيل الاختصار لتكثر الفائدة فى هذا الكتاب، وإن كان يأتى ذِكْرُ غالبهم فى الوفَيَات فى حوادث الملوك على عادة هـذا الكتاب ، فذِكْرُهم هنـا جملةً أرشق وأهون على من أراد ذلك، والله المستعان . فنقول :

---

(١) هو قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن أبى العز بن وهيب الاذرعى ثم الدمشق أبو الفضل شيخ الحنفية ؛ ولى القضاء بالديار المصرية والشامية والبلاد الإسلامية . سيذكره المؤلف فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي سـنة ٦٧٧ هـ . وفى الأصلين هنا وما سـيأتى ذكره للؤلف فى الكلام على القضـاة الحنفية : «ضياء الدين» . وهو خطأ وتصحيحه عن حسن المحاضرة والجواهر المضية فى طبقات الحنفية وشذرات الذهب والمنهل الصافى . (٢) هو شرف الدين عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى بن عبد الملك آبن موسى السبكى المـالكى قاضى القضاة بديار مصر . كانت وفاته سنة ٦٦٩هـ . كما فى رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلانى (نسخة فى مجلد مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٥ تاريخ) وتاريخ الإسلام . (٣) هو شمس الدين أبو بكر وأبو عبدالله محمد آبن العماد إبراهيم بن عبد الواحد آبن شرف الدين على بن سرور المقـدسى نزيل مصر قاضى قضـاة الحنابلة . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٦ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي .

[ذكر قُضاة الشافعيّة]

كان قاضى قضاة الشافعيّة يوم ذاك القاضى تاج الدين عبد الوهاب(١)، وهى ولايته الثانية، وتُوفّى سنة خمس وستين وستمائة . ثم القاضى تقىّ الدين محمد بن رَزِين(٢) العامرىّ(٣) سنة خمس وستين وستمائة، ومولده فى شعبان سنة ثلاث وستمائة، وتُوفّى ثالث رجب سنة ثمانين وستمائة . ثم القاضى صدر الدين(٤) عمر بن عبد الوهاب بن بنت الأَعَزّ سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة . ثم أُعيد القاضى تقىّ الدين محمد بن رَزِين سنة تسع وسبعين وستمائة . ثمّ القاضى وجيه الدين عبد الوهّاب البَهْنَسِىّ(٥) سنة ثمانين وستمائة . ثم القاضى تَقِىّ الدين عبد الرحمن ابن القاضى تاج الدين عبد الوهّاب بن بنت الأَعَزّ(٦) سنة خمس وثمانين وستمائة . ثم القاضى بدر الدين محمد(٧) بن إبراهيم بن سعد الله بن جَمَاعة الحَمَوِىّ الكِنَانِىّ سنة تسعين وستمائة . ثم أُعيد القاضى تَقِىّ الدين عبد الرحمن بن بنت الأَعَزّ فى صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة . ثم ولى القاضى تَقِىّ الدين محمد بن على بن دَقِيق العِيد(٨) سنة خمس وتسعين وستمائة، ومولده فى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة، وتُوفّى سنة ٱثنتين وسبعمائة . ثم أُعيد القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جَمَاعة الحَمَوِىّ(٩) فى سنة أربع وسبعمائة . ثمّ ولى القاضى جمال الدين

---

(١) هو القاضى تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن بدر المعروف بٱبن بنت الأعز .

(٢) هو تقى الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العامرى الحموى وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٠ من هذا الجزء .

(٣) فى الأصلين : «الفائزى» . وما أثبتناه عن طبقات الشافعية وشذرات الذهب وما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٠ ﻫ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى .

(٤) كانت وفاته سنة ٦٨٠ ﻫ كما فى طبقات الشافعية وشذرات الذهب .

(٥) هو عبد الوهاب ابن الحسين المصرى بن عبد الوهاب البهنسى كانت وفاته سنة ٦٨٥ ﻫ أو سنة ٦٨٦ ﻫ .

(٦) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٥ ﻫ .

(٧) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٣٣ ﻫ .

(٨) راجع ترجمته بتفصيل واف فى المنهل الصافى وطبقات الشافعية .

(٩) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٣٤ ﻫ . والزرعى : نسبة الى زرع من حوران . وكانت تسمى قبل ذلك «زرى» كما فى الجزء الثالث من ياقوت (ص ٩٢١) .

سليمان بن عمر الزُّرَعِىّ سنة عشر وسبعمائة . ثم أُعِيد القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم آبن جَمَاعة سنة إحدى عشرة وسبعمائة . ثم ولى القاضى جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القَزْوِينِىّ سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، وتُوفّى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . ثم ولى القاضى عِزّ الدين عبد العزيز[1] آبن القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جَمَاعة الحَمَوِىّ سنة ثمـانٍ[2] وثلاثين وسبعمائة . ثم ولى القاضى بهاء الدين عبد الله [بن عبد الرحمن] آبن عقِيل سنة تسع وخمسين وسبعمائة . ثم أُعِيد القاضى عِزّ الدين عبد العزيز بن جَمَاعة سنة تسع وخمسين وسبعمائة . ثم ولى القاضى بهاء الدين محمد[3] أبو البقاء بن عبد البرّ السُّبْكِىّ فى سنة ست وستين وسبعمائة . ثم ولى القاضى بُرْهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم [بن محمد[4] بن إبراهيم بن سعد الله] بن جماعة سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة . ثم ولى القاضى بدر الدين محمد[5] بن بهاء الدين محمد بن عبد البرّ السُّبْكِىّ فى صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة . ثم أُعِيد القاضى بُرْهان الدين إبراهيم بن جَمَاعة سنة إحدى وثمانين وسبعمائة . ثم أُعِيد القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء السُّبْكِىّ فى صفر سنة أربع وثمانين وسبعمائة . ثم ولى القاضى ناصر الدين محمد [بن عبد الدائم ابن محمد بن سلامة] آبن بنت المَيْلَق[6] فى شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، وامتُحِن وعُزِل . ثم ولى القاضى صدر الدين محمد[7] بن إبراهيم السلمىّ المُنَاوِىّ فى ذى القعدة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة . ثم أُعِيد القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء

---

(١) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٦٧ هـ . (٢) التكملة عن المنهل الصافى والدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، وما سيأتى ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٦٩ هـ . (٣) سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٧٧ هـ . (٤) التكملة عن الدرر الكامنة وتوفى سنة ٧٩٠ هـ كما فى الدرر الكامنة وشذرات الذهب . (٥) توفى سنة ٨٠٣ هـ كما فى شذرات الذهب والمنهل الصافى .

(٦) التكملة عن المنهل الصافى وشذرات الذهب توفى سنة ٧٩٧ هـ . (٧) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٠٣ هـ . والمناوى نسبة الى منية القائد (ميت القائد الآن) وهو القائد فضل بن صالح أحد قوّاد الوزير يعقوب بن كلس ، وهذه القرية هى اليوم إحدى قرى مركز العياط بمديرية الجيزة .

السُّبْكِىّ سنة إحدى وتسعين وسبعمائة . ثم ولى القاضى عِمَاد الدين أحمد الكَرَكِىّ (١) فى رجب [سنة آثنتين وتسعين (٢)، ثم عُزِل فى ذى الحجّة] سنة أربع وتسعين وسبعمائة . ثم أُعِيد القاضى صدر الدين محمد بن إبراهيم المُنَاوِىّ فى شعبان سنة خمس وتسعين (٣) وسبعمائة . ثم أُعيد القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء السُّبْكِىّ فى شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وسبعمائة . ثم أُعِيد القاضى صدر الدين محمد ابن إبراهيم المُنَاوِىّ فى شعبان سنة سبع وتسعين وسبعمائة . ثم ولى القاضى تقىّ الدين (٤) الزُّبَيْرِىّ فى جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعمائة . ثم أُعِيد القاضى صدر الدين المُنَاوِىّ فى شهر رجب سنة إحدى وثمانمائة . ثم ولى القاضى ناصر الدين الصّالِحِىّ (٥) فى سَلْخ شعبان سنة ثلاث وثمانمائة. ثم ولى القَاضى جلال الدين عبدالرحمن بن عمر ابن رسلان بن نصير البُلْقِينِىّ (٦) فى جُمادى الأولى سنة أربع وثمانمائة فى حياة والده . ثم أُعِيد القاضى ناصر الدين الصالحى فى شوّال سنة خمس وثمانمائة، ومات فى المحرّم سنة ست وثمانمائة (٧) . ثم ولى القاضى شمس الدين محمد الإِخْنَائِىّ (٨) فى شهر الله المحرّم سنة ستّ وثمانمائة . ثم أُعِيد القاضى جلال الدين عبد الرحمن البُلْقِينِىّ فى شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وثمانمائة، ومولده سنة إحدى وستين وسبعمائة (٩)؛ وهكذا حكى لى

---

(١) هو أحمد بن عيسى بن موسى بن جميل الأزرق العامرى الكركى عماد الدين . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٠١ هـ . (٢) تكملة عن حسن المحاضرة للسيوطى .
(٣) فى الأصلين : « أربع وتسعين » . والتصحيح عن حسن المحاضرة . (٤) هو تقى الدين عبد الرحمن بن تاج الرياسة محمد بن عبد الناصر المحلى الدميرى الزبيرى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨١٣ هـ . (٥) هو ناصر الدين محمد بن محمد بن عبدالرحمن الصالحى . (٦) البلقينى : نسبة الى بلقينة ، قرية واقعة فى الجنوب الغربى لمدينة المحلة الكبرى بمديرية الغربية بمصر . (٧) كذا فى الأصلين هنا وحسن المحاضرة . وسيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٠٥ هـ . (٨) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن محمد بن عثمان الدمشقى المعروف بابن الإخنائى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨١٦ هـ . (٩) فى المنهل الصافى : « مولده بالقاهرة فى جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة هكذا سمعته من لفظه غير مرة » . وفى شذرات الذهب : « فى جمادى الأولى سنة ٧٦٣ هـ » .

من لفظه، — رحمه الله — وتُوفّى بالقاهرة فى شوّال سنة أربع وعشرين وثمانمائة.

ثم أعِيـد القاضى شمس الدين محمّد الإخْنَائِى فى شهر شعبان سـنة ستّ وثمانمائة. ثم أُعِيد القاضى جلال الدين عبد الرحمن البُلْقِينِى فى ذى الحجّة من سنة ست وثمانمائة. ثم أعِيـد القاضى شمس الدين الإخْنَائى فى ثانى عشرين جمادى الأولى سـنة سبع وثمانمائة. ثم أُعِيد القاضى جلال الدين البُلْقِينِى فى ثالث عشر ذى القعدة سنة سبع وثمانمائة. ثم أُعِيـد القاضى شمس الدين محمد الإخْنَائِى فى حادى عشر صفر سـنة ثمانٍ وثمانمائة. ثم أعِيـد القاضى جلال الدين البُلْقِينِى فى خامس شهر ربيع الأوّل سنة ثمانٍ وثمانمائة، وهى ولايته الخامسة، ولم يزل فى هذه المرة قاضياً إلى أن توجّه صحبة الملك النـاصر فَرَج إلى الشام سـنة أربع عشرة وثمانمائة. ثم عُزِل بالقاضى شهاب الدين أحمد البَاعُونِى(١) بدمشق فى المحرّم سنة خمس عشرة وثمانمائة. ثم أعِيد القاضى جلال الدين البُلْقِينِى المذكور فى أوّل صفر من سنة خمس عشرة وثمانمائة، فاستمرّ فى القضاء إلى آخر جمادى الأولى سـنة إحدى وعشرين وثمانمائة. ثم عزِل بالقاضى شمس الدين محمد الهَرَوِى(٢) فى سَلْخ جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة. ثم أُعِيـد القاضى جلال الدين البُلْقِينِى فى شهر ربيع الأوّل سـنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، واستمرّ إلى أن مات فى شوّال كما تقدّم ذكره.

قلت: وقاضى القضاة جلال الدين المذكور هو صِهْرى وزَوْج كريمتى، ومات عنها. رحمهما الله تعالى وعفا عنهما.

(١) الباعونى: نسبة الى الباعونة (بفتح الباء الموحدة وألف بعدها ثم عين مضمومة وواو ساكنة ونون مفتوحة وفى آخرها هاء) وهى على شوط فرس من عجلون. وكان مكانها دير به راهب اسمه باعونة فسميت المدينة به (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٠٦). وهـو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ناصر ابن خليفة بن فرج بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن الناصرى الباعونى. وفى تقويم البلدان لأبى الفـدا إسماعيل وهامش الأصل فى وفيات سنة ٨١٦هـ وهى السنة التى توفى فيها الباعونى هذا: «الباعوثة» بالثاء المثلثة وهو تصحيف. (٢) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن أحمد بن فضل الله بن محمد الرازى الهروى. سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٢٩.

ثم ولى القاضى وَلِىّ الدين أحمد(١) ابن الحافظ عبدالرحيم بن الحسين العِرَاقِىّ فى شوّال سنة أربع وعشرين وثمانمائة . ثم ولى القاضى علم الدين صالح(٢) بن عمر البُلْقِينِىّ فى يوم السبت سادس ذى الحجّة سنة خمس وعشرين وثمانمائة . ثم ولى القاضى شهاب الدين أحمد(٣) بن علىّ بن حَجَر فى سابع عشرين المحرّم سنة سبع وعشرين وثمانمائة . ثم أعيد القاضى شمس الدين الهَرَوِىّ فى سابع ذى القعدة سنة سبع وعشرين وثمانمائة . ثم أعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حَجَر فى ثانى رجب سنة ثمان وعشرين وثمانمائة . ثم أعيد القاضى علم الدين صالح البُلْقِينِىّ فى خامس عشرين صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حَجَر فى رابع عشرين جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضى علم الدين صالح البُلْقِينِىّ فى خامس شوّال سنة أربعين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حَجَر فى يوم الثلاثاء سادس شوّال سنة إحدى وأربعين وثمانمائة . ثم ولى القاضى شمس الدين محمد القَايَاتِىّ(٤) فى يوم الخميس رابع عشر المحرّم سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، ومات فى ثامن عشرين المحرّم سنة خمسين وثمانمائة — رحمه الله تعالى — ثم أُعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حَجَر فى خامس صفر سنة خمسين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضى علم الدين صالح البُلْقِينِىّ فى يوم السبت مستهلّ سنة إحدى وخمسين

(١) هو قاضى القضاة ولى الدين أبو زرعة أحمد ابن الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحيم العراقى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٢٦ هـ .

(٢) هو قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان أخو القاضى جلال الدين البلقينى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٦٨ هـ .

(٣) هو قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد ابن محمد بن على بن أحمد بن حجر المصرى العسقلانى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٥٢ هـ .

(٤) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن على بن محمد بن يعقوب القاياتى الشافعى .

وثمانمائة . ثم ولى القاضى وَلِىّ الدين محمد السَّفِطِىّ(١) فى يوم الخميس خامس عشر شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وخمسين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حَجَر فى ثامن شهر ربيع الآخر سنة آثنتين وخمسين وثمانمائة ، ثم عَزَل نفسه ومات معزولا — رحمه الله تعالى — . ثم أُعِيد القاضى علم الدين صالح البُلْقِينِىّ فى سادس عشر جمادى الآخرة سنة آثنتين وخمسين وثمانمائة . ثم ولى القاضى شرف الدين يحيى المُنَاوِىّ(٢) فى يوم الآثنين ثالث عشر رجب سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة . ثم أُعِيد القاضى علم الدين صالح البُلْقِينِىّ فى يوم السبت ثامن عشرين صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة .

* * *

ذكر القضاة الحنفيّة

فالذى ولى أوّلًا قاضى القضاة صدر الدين سليمان(٣) . ثمّ من بعده قاضى القضاة معزّ الدين النُّعمان بن الحسن [بن يوسف](٤) إلى أن تُوفّى فى سابع عشر شعبان سنة اثنتين وتسعين وستمائة . ثم وَلِىَ قاضى القضاة شمس الدين أحمد(٥) السَّرُوجىّ فآستمرّ إلى أن تسلطن الملك المنصور لاچين عَزَله(٦) . ثم ولى قاضى القضاة حُسام الدين الرازىّ فآستمرّ إلى أن قُتِلَ لاچين ، نُقِل إلى قضاء دِمَشْق سنة

---

(١) هو قاضى القضاة ولىّ الدين محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله السفطى . نسبة إلى سفط الحناء، وهى التى تعرف اليوم بصفط الحنة إحدى قرى مركز الزقازيق بمديرية الشرقية . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٥٤ ﻫ . (٢) هو قاضى القضاة شرف الدين أبو زكريا يحيى بن سعد الدين محمد ابن محمد المناوى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٧١ ﻫ . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٢ من هذا الجزء . (٤) الزيادة عن المنهل الصافى والجواهر المضية فى طبقات الحنفية . (٥) فى الأصلين هنا : «محمد» . وتصحيحه عن المنهل الصافى والجواهر المضية وما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧١٠ ﻫ . وهو أحمد بن إبراهيم ابن عبد الغنى السروجى . (٦) هو قاضى القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنو شروان أبو الفضائل . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٩ ﻫ

ثمان وتسعين . ثم أعيد شمس الدين السَّرُوجى ، ثم عُزِل أول شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبعمائة . ثم ولى بعده قاضى القضاة شمس الدين محمد الحَرِيرى (١) إلى أن مات يوم السبت رابع جمادى الآخرة — رحمه الله — سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . ثم ولى بعده قاضى القضاة بُرْهان الدين إبراهيم بن عبد الحق (٢) إلى أن عُزِل يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة . ثم ولى بعده قاضى القضاة حُسام الدين الغُورِى (٣) إلى أن كانت واقعةُ الأمير قَوْصُون نهبوا الرسل والعامّة بيته وطلبوه ليقتلوه فهَرَب . ثم ولى بعده قاضى القضاة زَيْن الدين عمر البِسْطَامِى (٤) فى سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة إلى أن عُزِل فى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة . ثم تولّاها من بعده قاضى القضاة علاء الدين التُّرْكُمَانِى (٥) فى جُمادى منها إلى أن تُوفّى عاشر المحرّم سنة خمسين . فولى بعده ولدُه قاضى القضاة جمال الدين عبد الله آبن التُّرْكُمَانِى إلى أن مات فى شعبان سنة تسع وستين وسبعمائة . فولى بعده قاضى القضاة سِراج الدين عمر الهِنْدِى (٦) إلى أن مات فى شهر رجب سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، ثم ولى بعده قاضى القضاة صدر الدين (٧) بن جمال الدين التُّرْكُمَانِى إلى أن

(١) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عثمان بن أبى الحسن بن عبد الوهاب الأنصارى الحنفى المعروف بآبن الحريرى .

(٢) هو قاضى القضاة إبراهيم بن على بن أحمد بن على بن يوسف بن إبراهيم أبو إسحاق الحنفى المعروف بآبن عبد الحق . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٤٤ هـ .

(٣) هو الحسن بن محمد بن محمد بن على حسام الدين البغدادى الغورى قاضى القضاة بمصر . ترجم له صاحب الدّرر الكامنة والجواهر المضية ولم يذكرا سنة وفاته .

(٤) هو قاضى القضاة زين الدين أبو حفص عمر بن عبد الرحمن بن أبى بكر البسطامى . توفى سنة ٧٧١ هـ . (عن المنهل الصافى) . والبسطامى نسبة الى بسطام ، قرية من قرى قومس على جادة الطريق الى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٥) هو قاضى القضاة على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى علاء الدين التركمانى .

(٦) هو قاضى القضاة عمر بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن أحمد بن محمود سراج الدين أبو حفص الغزنوى الهندى (عن المنهل الصافى) .

(٧) هو قاضى القضاة صدر الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن علاء الدين على بن عثمان .

مات فى ذى القعدة سـنة ست وسبعين . فوليها بعده قاضى القضاة(١) نجم الدين بن الكشك ، طُلب من دِمَشق فى المحرَّم سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، ثم عُزِل عنها . وتولى من بعده قاضى القضاة صدر الدين علىّ بن أبى العز الأَذْرَعِىّ(٢) ، ثم آعتفى عنها . فتولّاها قاضى القضاة شرف الدين أبو العبّاس أحمد [بن علىّ](٣) بن منصور فى سـنة سـبع وسبعين ، فآستمرّ إلى سادس عشرين شهر رجب عُزِل . ثم تولّاها بعـده قاضى القضـاة(٤) جلال الدين جار الله ، فآستمر قاضـيًا إلى أن مات فى يوم الآثنين رابع عشر شهر رجب سـنة آثنتين وثمانين وسبعمائة . فتولى بعده قاضى القضـاة صدر الدين محمد بن علىّ بن منصور فى شهر رمضان سنة آثنتين وثمانين وسبعمائة ، فآستمرّ إلى أن مات فى شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وثمانين وسبعمائة . فتولّاها بعده قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطَّرَابُلُسِىّ(٥) ، فآستمرّ إلى بعد فتنة الأَتَابك يَلْبُغَا(٦) الناصرىّ ومنطاش(٧) مع الظاهر بَرْقُوق سنة آثنتين وتسعين وسبعمائة عُزِل عنهـا . ثم تولّاها قاضى القضاة مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم [بن محمد بن علىّ بن موسى](٨) الكِنَانِىّ ، أقام فيهـا قليلًا ثم عُزِل . ثم تولّاها من بعده قاضى القضـاة جمـال الدين محمود [بن محمد بن علىّ بن عبد الله](٩) القَيْصَرِىّ العَجَمِىّ مضافا لنظر

(١) هو قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن صالح بن أبى العز وهيب المعروف بابن أبى العز و بابن الكشك الحنفى الدمشقى . توفى سنة ٧٩٩ هـ . (عن المنهل الصافى والدرر الكامنة) .

(٢) هو قاضى القضاة صدر الدين أبو الحسن على بن على بن محمـد بن محمد بن وهب ابن عطاء . توفى سنة ٧٩٢ هـ (عن المنهل الصافى والدرر الكامنة)

(٣) التكلة عن المنهل الصافى وما سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٧٨٢ هـ .

(٤) هو قاضى القضاة جلال الدين محمد بن محمد ابن محمود أبو عبد الله المعروف بجار الله .

(٥) توفى سـنة ٧٩٩ هـ . كما فى المنهل الصافى وشذرات الذهب وما سيذكره المؤلف بعد قليل .

(٦) هو يلبغا بن عبدالله الناصرى الأتابكى اليلبغاوى الأمير سيف الدين قتله الظاهر برقوق سنة ٧٩٣ . (عن المنهل الصافى) .

(٧) هو الأمير سيف الدين تمربغا بن عبد الله الأفضلى المدعو منطاش . توفى سنة ٧٩٥ هـ . (عن المنهل الصافى) .

(٨) الزيادة عن شذرات الذهب وما سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٠٢ هـ .

(٩) الزيادة عن المنهل الصافى .

الجيش ، فآستمرّ إلى أن مات فى ليلة الأحد سابع شهر ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين وسبعمائة . ثم تولّاها من بعــده قاضى القضاة شمس الدين الطَّرَابُلُسِىّ ثانيا فى الشهر والسنة ، فآستمرّ إلى أن مات فى آخر السنة المذكورة . وتولّى بعده قاضى القضــاة جمــال الدين يوسف بن موسى المَلَطِىّ الحَلَبِىّ فى يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر [سنة ثمانمائة](١) ، طُلِب من حلب وآستمرّ إلى أن مات فى ليلة الآثنين تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة . وتولّاها من بعده قاضى القضــاة أمينُ(٢) الدين عبدالوهّاب آبن القاضى شمس الدين الطرابُلُسِىّ فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الآخرة من السنة ، فآستمرّ إلى سادس عشرين شهر رجب سنة خمس وثمانمائة ، عُزِل . فتولّاها من بعــده قاضى القضاة(٣) كمال الدين عمر بن العَدِيم الحلبى ، وآستمرّ إلى أن مات فى ليلة السبت ثانى عشر جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، ومولده بحلب ســنة إحدى(٤) وسبعين وسبعمائة . فتولّاها من بعده آبنه القــاضى ناصر الدين محمد(٥) فى يوم الآثنين رابع عشر الشهر المذكور مضافا لمشيخة الشَّيْخُونِيَة(٦) ، وآستمرّ إلى أن صُرِف . وأُعِيد القاضى أمين الدين الطرابُلُسِى ثانيــا فى رابع عشرين

(١) الزيادة عن المنهل الصافى وحسن المحاضرة . (٢) سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨١٩هـ.

(٣) هو قاضى القضاة كمال الدين أبو حفص عمر بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أبى جرادة المعروف بابن العديم (عن المنهل الصافى وما سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨١١ هـ وشذرات الذهب) .

(٤) كذا فى الأصلين هنا وما سيذكره المؤلف فى وفاته سنة ٨١١هـ. وفى حسن المحاضرة وشذرات الذهب والمنهل الصافى أن مولده فى سنة ٧٦٠ هـ أو فى سنة ٧٦١ هـ . (٥) سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨١٩ هـ . (٦) الشيخونية : هى التى ذكرها المقريزى باسم خانقاه شيخو حيث قال (فى ص ٤٢١ ج ٢) من خططه : إن هذه الخانقاه فى خط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخو أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمرى فى سنة ٧٥٦هـ. كان موضعها من جملة قطائع أحمد بن طولون ، وكانت مساحة أرضها زيادة على فدان فاختط فيها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت يعلوها بيوت لسكنى العامة ، ورتّب بهــا دروسا لفقهاء المذاهب الأربعــة ودرسا للحديث ودرسا لإقراء القرآن بالروايات ، وآشترط على الطلبة حضور الدرس وحضور وظيفــة التصوّف ، وكان الطلبة يتعلمون ويأكلون ويبيتون فى الخانقاه بغير أجر، ووقف عليها الأوقاف الوفيرة ، فعظم قدرها ؛ وتخرج بها كثير من أهل العلم . ＝

شهر رجب من سـنة إحدى عشرة وثمانمائة ، فآستمرّ القاضى أمين الدين إلى سابع المحرّم من سـنة آثنتى عشرة وثمانمـائة صُرِف . وأُعِيـد قاضى القضاة ناصر الدين ابن العديم ثانيـا ؛ وآستقرّ القاضى أمين الدين الطرابُلُسِىّ فى مشيخة الشَّيْخُونِيّـة عِوَضًا عن ناصر الدين بن العَدِيم المذكور .

قلت : وناصر الدين المذكور هو صِهرِى زَوْج كريمتى . انتهى .

وآستمرّ ناصر الدين بن العَدِيم إلى أن عُزِل، فتولّاها قاضى القضاة صدر الدين علىّ [بن محمد بن محمد المعروف بآ](1) بن الأَدَمِىّ الدِّمَشْقِىّ فى سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وآستمرّ إلى أن مات فى يوم السبت ثامن شهر رمضان من سنة ست عشرة وثمانمائة. ثم أُعِيد ناصر الدين بن العَدِيم ثالثا ، فآستمرّ إلى أن مات فى ليلة السبت تاسع شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وثمانمائة، وشَغَرت الوظيفة الى أن طلب الملكُ المؤيّدُ شـيخ شمس الدين محمـد الدِّيرِىّ(2) من القُدْس ، وقَدِم القـاهرة فى ثالث عشر جُمَادى الأولى من سنة تسع عشرة المذكورة، ونزل بقاعة الحنفيّة بالمدرسة الصالحيّة(3) إلى أن آستقرّ فى القضاء يوم الآثنين سابع عشره، وآستمرّ إلى أن عُزِل برغبة منه .

= وأقول : إن خانقاه كلمة فارسية معناها البيت ثم أطلقت على المكان الذى يخلى فيه الصوفية للعبادة ثم على الملجأ أو مطعم الفقراء . وكانت هـذه الخانقاه فوق ذلك معهدا علميا دينيا ، ولا تزال موجودة الى اليوم إلا أنها مخصصة للصلاة فقط باسم جامع شيخون القبلى تجاه جامعه البحرى وهما واقعان بشارع شيخون بقسم الخليفة بالقاهرة . ومبنى الدور العلوى الذى كان مخصصا لسكنى الطلبة لا يزال موجودا أيضا داخل الجامع المذكور إلا أنه غير مستعمل .

(1) التكملة عن المنهل الصافى وماسيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨١٦ هـ . (2) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عبدالله بن سعد بن أبى بكر بن مفلح بن أبى بكر بن سعد العبسى المقدسى الديرى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٢٧ هـ . والديرى : نسبة الى دير ، وهى قرية من قرى نابلس بالبلاد الشامية (عن المنهل الصافى) . (3) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

وتولّاها من بعده قاضى القضاة زَيْن الدين عبد الرحمن التَّفهْنِيّ (١) فى يوم الجمعة سادس ذى القعدة سنة آثنتين وعشرين وثمانمائة ، وآستمرّ إلى أن عُزِل . ثم تولّاها من بعده قاضى القضاة بدر الدين محمود العَيْنِي (٢) فى يوم الخميس سابع عشرين شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثمانمائة ، واستقرّ التَّفهْنِيّ المذكور فى مشيخة خانقاه شَيْخون ، بعد موت شيخ الإسلام سِرَاج الدين عمر قارئ (٣) « الهداية » ، وآستمرّ العَيْنِيّ إلى أن عُزِل . ثم أُعِيد التَّفهْنِيّ فى يوم الخميس سادس عشرين صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، فدام إلى أن صُرِف لطول مرضه . ثم أُعِيد قاضى القضاة العَيْنِي ثانياً فى سابع عشرين جُمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ، فآستمرّ العَيْنِيّ إلى أن صُرِف فى دولة الملك العزيز يوسف (٤) آبن الملك الأشرف بَرْسْبَاىْ بقاضى القضاة سعد الدين (٥) سعد آبن القاضى شمس الدين محمد بن الدَّيْرِيّ (٦) فى أوّل سنة آثنتين وأربعين وثمانمائة ...

قلت : وهؤلاء القضاة الذين آستجدّهم الملك الظاهر بِيبَرْس البُنْدُقْدَارِيّ . حسب ما ذكرناه فى أوّل الترجمة . وذلك بعد آنقضاء الدولة الأيّوبيّة . وأمّا قبل خراب الديار المصرية فى الدّولة العُبَيْدِيّة فكانت قضاة الحنفيّة هم حكّام مصر بل حكّام المشرق والمغرب إلى حدود نيّف وأربعمائة ، لمّا حَمَل المُعِزّ بنُ بادِيس الناس

---

(١) هو قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن على بن هاشم التفهنى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٣٥ هـ . (٢) هو قاضى القضاة بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى ابن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود العينى والعينتابى : نسبة الى عين تاب ، وهى قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٥٥ هـ . (٣) هو شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن على بن فارس شيخ شيوخ خانقاه شيخون المعروف بقارئ الهداية . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٢٩ هـ . (٤) هو السلطان الملك العزيز أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن السلطان الملك الأشرف برسباى الدقاق الظاهرى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٦٨ هـ .

(٥) سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٦٧ هـ . (٦) بعد هذه الكلمة بياض بالأصلين . جمع بقية القضاة الحنفية بعد هذا التاريخ فى حسن المحاضرة للسيوطى .

بلاد المغرب على آتّباع مذهب الإمام مالك — رضى الله عنه — ثم ملكت العُبَيْدِيّة مصر فمحَوْا آثار السُّنّة وولّوْا قضاة الشّيعة وبَطَل الأربعة مذاهب من مصر إلى أن زالت دولتهم وتولّى السلطان صلاح يوسف بن أيُّوب — رحمه الله — فولّى قاضيًا شافعيًّا فقط كونه كان شافعيًّا ، وأذهب الرافضة ، وآستمرّ ذلك نحو تسعين سنة حتّى ولى الملك الظاهر بِيبَرْس فجدّد المذاهب الثلاثة كما سُقْناه . انتهى .

ذكر القضاة المالكيّة

فالذى كان أوّلهم ولايةً فى دولة الظاهر بِيبَرْس(١) هو القاضى شرف الدين عمر السُّبْكِىّ المالكىّ(٢) تغمّده الله برحمته وجميع المسلمين ...



ذكر قضاة الحنابلة

فالذى ولّاه الملك الظاهر بِيبَرْس هو قاضى القضاة شمس الدين أبو بكر محمد(٣) الجَمّاعِيلِىّ الحنبلىّ إلى أن آمْتُحِن وصُرِف فى ثانى شعبان سنة سبعين وستمائة ، ولم يَلِ بعد عزله بالقاهرة أحدٌ من الحنابلة حتى تُوفّى شمس الدين المذكور فى يوم الخميس فى العشر الأوّل من المحرّم سنة ست وسبعين . ثم ولى بعده قاضى القضاة عِزّ الدين

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٢ من هذا الجزء .

(٢) لم يذكر المؤلف من قضاة المالكية غير شرف الدين السبكى المذكور، ويوجد بالأصلين بعده بياض . ومن أراد آستيفاء الكلام على بقية قضاة المالكية فليراجع حسن المحاضرة للسيوطى فانه ذكرها بتفصيل واف .

(٣) هو قاضى القضاة شمس الدين أبو بكر وأبو عبد الله محمد آبن العماد إبراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور بن رافع المقدسى الصالحى الدمشقى (عن المنهل الصافى وشذرات الذهب)

عمر بن عبد الله [بن عمر][١] بن عوض فى النصف من جُمادى الأولى سنة ثمانٍ وسبعين، فاستمرّ حتى مات سنة ستّ وتسعين وستمائة . ثم تولّى بعده قاضى القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الغنى الحَرّانِىّ[٢] إلى أن مات فى رابع عشرين شهر ربيع الأوّل سنة تسع وسبعمائة . ثم تولّى بعده قاضى القضاة سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثىّ[٣] فى ثالث شهر ربيع الآخر من السنة، وعزل بعد سنتين ونصف بقاضى القضاة تقىّ الدين ابن قاضى القضاة عِزّ الدين عمر[٤] فى حادى عشر شهر ربيع الأوّل سنة اثنتى عشرة وسبعمائة، بعد ما شَغَر مَنْصِب القضاء ثلاثة أشهر، فلم تُطل أيّامه[٥] وعُزل بقاضى القضاة موفّق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسىّ فى نصف جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وثلاثين وسبعمائة، فدام فى المَنْصِب إلى أن مات فى المحرّم سنة تسع وستين وسبعمائة . ثم تولّى عِوَضَه قاضى القضاه ناصر الدين نصر الله بن أحمد بن محمد العَسْقَلانِىّ حتّى مات فى ليلة الحادى والعشرين من شهر شعبان سنة خمس وتسعين وسبعمائة . ثم تولّى بعده ابنه قاضى القضاة بُرْهان الدين إبراهيم بن نصر الله حتّى مات فى ثامن شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وثمانمائة . ثم تولّى عِوَضَه أخوه قاضى القضاة موفّق الدين أحمد بن نصر الله، فدام حتّى صُرف بقاضى القضاة نور الدين علىّ [بن خليل بن علىّ بن أحمد بن عبد الله][٦] الحِكْرِىّ، فلم تُطل مدّة الحِكْرِىّ

(١) التكملة عن المنهل الصافى وشذرات الذهب . (٢) هو قاضى القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن بكر بن عبد الله بن نصر بن أبى بكر بن محمد الحرانى (عن المنهل الصافى) .

(٣) فى الأصلين هنا : « الحرانى » . والتصحيح عما سيأتى ذكره للؤلف فى حوادث سنة ٧١١ هـ وشذرات الذهب وحسن المحاضرة وطبقات الحفاظ للذهبى . وهو قاضى القضاة سعد الدين أبو محمد وأبو عبد الرحمن مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد المحدث الحافظ العراقى المصرى . (٤) هو قاضى القضاة تقى الدين أحمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض توفى سنة ٧٧٦ هـ (عن الدرر الكامنة) .

(٥) كذا فى الأصلين . ويلاحظ أنه مكث فى القضاء ستا وعشرين سنة . (٦) الزيادة عن المنهل الصافى وشذرات الذهب . وسيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٠٦ هـ . والحكرى : نسبة الى الحكر خارج القاهرة (عن المنهل الصافى) .

وصُرِف . ثم أُعِيد مُوفَّق الدين فاستمرّ إلى أن مات فى سنة ثلاث وثمانمائة . ثم تولّى بعده قاضى القضاة مجد الدين سالم [بن أحمـد][1] فى ثالث عشرين شهر رمضان من سنة ثلاث فاستمرّ فى القضاء إلى أن صُرِف بقاضى القضاة علاء الدين علىّ [بن محمود ابن أبى بكر][2] بن مُغْلِى فى حدود سنة ست عشرة وثمانمائة، فاستمرّ علاء الدين بن مغلى فى القضاء إلى أن تُوفّى بالقاهرة فى العشرين من صفر سنة ثمانٍ وعشرين وثمانمائة . ثم تولّى بعده قاضى القضاة مُحِبّ الدين أحمد بن نصر الله [بن أحمد بن محمد بن عمر][3] البَغْدَادىّ من التاريخ المذكور إلى أن صَرَفه الملك الأشرف بقاضى القضاة عِزّ الدين عبد العزيز [بن علىّ بن العِزّ بن عبد العزيز][4] البغدادىّ فى ثالث عشر جُمادى الآخرة سنة تسع وعشرين، فدام القاضى عزّ الدين إلى أن صُرِف فى يوم الثلاثاء ثانى عشر صفر سـنة ثلاثين وثمانمائة . ثم أُعِيـد قاضى القضاة مُحِبّ الدين، وآستمرّ إلى أن مات فى يوم الأربعاء خامس عشر جُمـادى الأولى سـنة أربع وأربعين وثمانمائة . ثم تولى بعده قاضى القضاة بدر الدين محمـد [بن محمد][5] بن عبد المنعم البغـدادىّ إلى أن مات فى ليـلة الخميس سابع جُمادى الأولى سـنة سبع وخمسـين وثمانمائة . ثم تولّى بعـده قاضى القضاة عز الدين أحمد[6] فى يوم السبت تاسع جمـادى الأولى المذكـور .

(١) الزيادة عن المنهل الصافى . وسيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٢٦ هـ .

(٢) التكملة عن المنهل الصافى وشذرات الذهب وما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٢٨ هـ .

(٣) الزيادة عن المنهل الصافى، وما سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٤٤ هـ . (٤) الزيادة عن المنهل الصافى، وسيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٤٦ هـ . (٥) التكملة عن شذرات الذهب، وما سيذكره المؤلف فى وفيات سـنة ٨٥٧ هـ . (٦) هو قاضى القضاة عز الدين أبو البركات أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمـد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن نصر الله بن أحمـد الكنانى العسقلانى . توفى سنة ٨٧٦ هـ (عن شذرات الذهب) .

قلت : وقد خرجنا عن المقصود فى ترجمة الملك الظاهر بِيبَرْس بالإطالة فيما ذكرناه، غير أنّ ذلك كلّه هو أيضا ممّا يُضاف إلى ترجمته ، ولا بأس بالإطالة مع تحصيل الفائدة، ولنعُد إلى ذكر السلطان الملك الظاهر بِيبَرْس .

ثم أمر الملك الظاهر بأن يعمل بدِمَشْق أيضا كذلك فى سنة أربع وستين فوقع ذلك ،وولّى بها قضاة أربعة. ولمّا وَقَع ولايته القضاء من كلّ مذهب بدمَشق اتّفق أنّه كان لَقَبُ(١) ثلاثة قضاة منهم شمس الدين، وهم : قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان الشافعىّ(٢). وقاضى القضاة شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطا الأَذْرِعِىّ(٤) الحنفى . وقاضى القضاة شمس الدين(٣) عبد الرحمن آبن الشيخ أبى عمر الحنبلىّ(٥)؛ فقال بعض الشعراء رحمه الله فى هذا المعنى :

أهلُ الشآم آسترابوا * من كثرة الحُكّامِ
إذ هُمْ جميعًا شموسٌ * وحالُهم فى ظلامِ

وقال غيره :

بدِمَشْقٍ آيةٌ قد * ظهرت للناس عامّا
كلّما وُلِّىَ(٦) شمسٌ * قاضيا زادت ظلامَا

(١) هو قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان المؤرخ المشهور . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨١ ﻫ . (٢) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٣ ﻫ .

(٣) هو قاضى قضاة دمشق شمس الدين أبو الفرج وأبو محمد عبد الرحمن بن أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٢ ﻫ . (٤) فى الأصلين : « أبو عمرو » . والتصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات والسلوك وعيون التواريخ وما تقدّم ذكره فى حوادث سنة ٦٠٧ ﻫ . (٥) ذكر المؤلف هنا قاضى الشافعية والحنفية والحنابلة وترك قاضى المالكية قصدا لكونه لم يلقب بشمس الدين وهو رابعهم ، وهو عبد السلام بن على بن عمر بن سيد الناس أبو محمد الزواوى المالكى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨١ ﻫ . (عن المنهل الصافى والسلوك وعيون التواريخ) . (٦) رواية هذا البيت فى المنهل الصافى وعيون التواريخ :

كلما آزدادوا شموسا * زادت الدنيا ظلاما

وما أثبتناه عن المنهل الصافى وعيون التواريخ .

فتوحاته رحمـــه الله

ثم سافر الملك الظاهر من مصر إلى البلاد الشامية فى هذه السنة (أعنى سـنة أربع وستين) فخرج منها فى يوم السبت مستهلّ شعبان، وجعل نائبه بديار مصر ولَده الملك السعيد، وجعل الجيش فى خدمته والوزير بهـاء الدين بن حِنّا؛ وسار الملك الظاهر حتّى نزل عَيْنَ جَالوت وبعث عسكرا مقدَّمُه الأمير جمـال الدين أَيْدُغْدِى العَزِيزِى، ثم عسكرا آخر مقدَّمُه الأمير سيف الدين قلاوون الألفى للإغارة على بلاد الساحل، فأغاروا على عكّا وصُور وطرابُلُس وحصن الأكراد وسَبَوْا وغَنِموا مالا يُحْصَى؛ ثم نزل الملك الظاهر بنفسه على صَفَد فى ثامن شهر رمضان، ونَصَب عليهـا المجانيقَ، ودام الاهتمامُ بعمل الآلات الحربيّـة إلى مستهلّ شـوّال شرع فى الزَّحف والحِصار وأخذ النُّقُوب من جميع الجهات إلى أن ملكها بُكْرة يوم الثلاثاء خامس عشر شـوّال؛ واستمرّ الزَّحْفُ والقتالُ ونصبُ السلالم على القلعة وتسلطت عليها النقوب، والسـلطان يُباشر ذلك بنفسه، حتّى طلب أهلُ القلعة الأمان على أنفسهم وطلبوا اليمين على ذلك، فأجلس السلطانُ الملك الظاهرُ الأميرَ كرمون [أغا(١)] التَّتَارِى فى دَسْت السلطنة، وحضرت رُسُلُهم فاستحلفوه خلف [لهم كرمون التَّتَارِى(٢)] وهم يظنونه الملك الظاهر، فإنه كان يُشبِه الملك الظاهر. وكان فى قلب الملك الظاهر منهم حَزَازة، ثم شَرَط عليهم ألّا يأخذوا معهم من أموالهم شيئا. فلمّا كان يوم الجمعة ثامن عشر شـوّال طلعت السناجق على قلعة صَفَد، ووقف الملك الظاهر بنفسه على بابهـا وأخرج من كان فيها من الخيّالة والرجّالة والفلاحين؛ ودخل الأمير بدر الدين بِيلِيك الخَازِنْدَار وتسلّمها، واطّلع على أنّهم أخذوا شيئًا كثيرًا من التُّحَف

(١) الزيادة عن السلوك (ص ٥٤٨) ونهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٣٩).
(٢) زيادة عن عيون التواريخ والسلوك.

له قيمةٌ، فأمر الملك الظاهر بضَرْب رِقابهم فضُرِبت على تلّ هناك، وكُتِبت البشائر بهذا النصر إلى مصر والأقطار، وزُيِّنت الديار المصريّة لذلك. ثم أمَرَ الملك الظاهر بعمارة قلعة صَفَد وتحصينها ونَقْل الذخائر إليها والأسلحة، وأزال دولة الكفر منها، ولله الحمد، وأقطع بلدَها لمن رتّبه لحفظها من الأجناد، وجعل مقدّمهم الأمير علاء الدين الكبكى (١)، وجعل فى نيابة السلطنة بالمدينة الأمير عزّ الدين العَلائى، وولاية القلعة للأمير مجد الدين الطُّورىّ.

ثم رَحَل الملك الظاهر إلى دِمَشْق فى تاسع عشر شوّال (٢). ولمّا كان الملك الظاهر نازلًا بصَفَد وصل إليه رسول صاحب صِهْيَوْن بهديّة جليلة و رسالة مضمونُها الاعتذار من تأخيره عن الحضور، فقَبِل الملك الظاهر الهديّة والعُذْرَ. ثمّ وصلت رُسُلُ صاحب سِيس (٣) أيضًا بهديّة فلم يَقْبَلها ولا سمِع رسالتهم. ثم وصلت البَريديّة (٤) من متولّى قُوص ببلاد الصَّعيد بخبر أنّه آستولى على جزيرة سواكن (٥) وأنّ صاحبها هَرَب، وأرسل يطلب من الملك الظاهر الدخول فى الطاعة و إبقاء سواكن عليه، فرسَم

---

(١) فى الأصلين: «البكى». وما أثبتناه عن النهج السديد وعيون التواريخ.

(٢) فى السلوك: «وفى سابع عشريه رحل السلطان ... الخ».

(٣) سيس: عاصمة أرمينيا الصغرى (كليكلية) وكانت مدينة كبيرة ذات أسوار، على جبل مستطيل ولها بساتين ونهر صغير، وهى الآن بلدة فى جنوب آسيا الصغرى (أبو الفدا ص ٢٥٧ وفلسطين الإسلامية لاسترانج ص ٥٣٨ وقاموس الجغرافيا).

(٤) البريدية: نسبة الى البريد. وقد اهتم بأمر البريد الملك الظاهر بيبرس لما ملك مصر والشام وحلب الى الفرات، وأراد تجهيز دولة إلى دمشق فعين لها نائبا و وزيرا وقاضيا وكاتبا للانشاء، وكان الصاحب شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب كاتب الإنشاء، فلما مثل لديه ليودعه أوصاه بوصايا كثيرة آكدها مواصلته بالأخبار وما يتجدد من أخبار التتار والفرنج، وقال له: إن قدرت ألا تبيتنى كل ليلة إلا على خبر ولا تصبحنى إلا على خبر فافعل، فعرض له بما كان عليه البريد فى الزمان الأوّل وأيام الخلفاء وعرضه عليه لحسن موقعه منه وأمر به. (راجع التعريف لابن فضل الله العمرى ص ١٨٧).

(٥) سواكن: ميناء على البحر الأحمر، بينها و بين عطبرة التى على وادى النيل اتصال بالسكة الحديدية، و بينها و بين بربر وكسلا طرق تجارية عظيمة، ولكن وجود بور سودان بالقرب منها قد أثر عليها. وبها تجارة واسعة.

له الملك الظـاهر بذلك . ثم رحل الملك الظـاهر من دمَشْـق يوم السبت ثالث ذى القعدة وأمر العساكر بالتقدّم إلى بلاد سِيس للإغارة عليها ، وقدّم عليهم الملك المنصور(١) صاحب حَماة وتدبير الأمور راجعٌ إلى الأمير آق سنقر الفارِقانِى ، فساروا حتّى وصلوا إلى الدَّرْبَنْد(٢) الذى يدخلون منه إليها ، وكان صاحبها قد بَنَى عليها أبرِجةً فيها المُقاتِلة ؛ فلمّا رأَوا العسكر تركوها ومضَوْا فأخذها المسلمون وهدَمُوها ، ودخلوا بلاد سِيس فنهبُوا وأسرُوا وقتلُوا ؛ وكان فيمن أُسِر ابن صاحب سِيس وابن أختـه وجماعةٌ من أكابرهم ، ودخلوا المدينة يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة وأخذوا منها ما لا يُحصَى كَثْرَةً ، وعادوا نحو دِمَشْـق . فلمّا قاربوها خرج الملك الظاهر لتلقّيهم فى ثانى ذى الحجّـة ، واجتاز بقَارَة(٣) فى سادسه ، فأمر بنهبها وقَتْلِ مَن فيها من الفرنج ، فإنّهـم كانوا يُخيفون(٤) السبيل ويستأسرون المسلمين ، فأراح الله منهم وجُعِلت كنيستها جامعًا ، ورتّب بقَـارَة خطيبًا وقاضيًا ، ونقَل إليها الرعيـة من المسلمين ؛ ثم التقى العساكر وخَلَع عليهم وعاد معهم ، فدخل دِمَشْق ، والغنائم والأَسْرَى بين يديه ، فى يوم الاثنين خامس عشر(٥) شهر ذى الحجّة فأقام بها مدّة . ثم خرج منها طالبًا الكَرَك فى مستهلّ المحرّم سنة خمس وستين وستّمائة ، وأمر الملك الظاهر بعد خروجه من دِمَشْق بعمارة جِسر(٦)

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء . (٢) فى الأصلين : « وصلوا إلى الدرب » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٥ من الجزء السادس من هـذه الطبعة . (٣) قارة : قرية كبيرة بين دمشق وحمص على نحو منتصف الطريق وهى منزلة للقوافل ، وغالب أهلها نصارى (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل) . (٤) فى الأصلين : « يخافون السبيل » . والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٥) فى النهج السديد : « فى خامس عشرين ذى الحجة » . (٦) هذا الجسر باق إلى يومنا هذا ، وقد تم بناؤه فى سنة ٦٧١ هـ وكتب على العقد الأوسط فيه اسم المهندس الذى بناه بأمر بيبرس ولا تزال هذه الكتابة بخطها الثلث المبين واضحة تقرأ فى أربعة أسطر يحرسها أسدان شعار الملك الظاهر ، ونصها كما يلى :

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وصحبه أجمعين " .

بالغَوْر على [نهر][1] الشَّرِيعَة ؛ وكان المتولِّى لعمارته جمال الدين محمد بن بَهادر[2] و بدر الدين محمد بن رحال وهما من أعيان الأمراء؛ ولمّا تكامل عمارته آضطرب بعض أركانه، فَقلِق الملك الظاهر لذلك وأعاد الناسَ لإصلاحه فتعذّر ذلك لزيادة الماء، فآتفق وقوف الماء عن جَرَيَانه حتّى أمكن إصلاحه ؛ فلمّا تمّ إصلاحُه عاد الماء إلى حاله ؛ قيل إنّه كان وقع فى النهر قطعة كُبيرة ممّا يُجاوره من الأماكن العالية فسدّته من غير قصد . وهذا من عجيب الآتّفاق .

ثمّ عاد الملك الظاهر إلى ديار مصر وعند[3] عوده إليها وصل إليه رسل صاحب اليمن الملك المظفّر[4] [شمس الدين] يوسف بن عمر ومعهم فيل وحمار وحش أبيض وأسود وخيول وصِينِي وتُحَف، وطلب معاضدة الملك الظاهر له وشرط له أن يخطب له ببلاده . ثمّ خرج السلطان فى يوم السبت فى ثانى جمادى الآخرة إلى بركة الجبّ[5] عازما على قصد الشام على حين غفلة، وجعل نائب السلطنة على مصر الأمير بيليك

= " أمر بعمارة هذا الجسر المبارك مولانا السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بن عبد الله " " فى أيام ولده مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركة خان أعز الله أنصارهما وغفر لهما وذلك " " بولاية العبد الفقير الى رحمة الله علاء الدين على السواق غفر الله له ولوالديه فى شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وستمائة " .

راجع المجلة الأسيوية فى الصورة والمقال الذى كتبه كيلرمونت جانو سنة ١٨٨٨ م ص ٣٠٥ . وقد رسم السلطان ببنائه فى سنة ٦٦٤ ﻫ على النهر الذى يشق غور الشام ويسمونه بالشريعة وهو بقرب دامية فيا بينها و بين فراوى .

(١) زيادة عن عيون التواريخ .

(٢) فى الأصلين هنا : « بهادر » . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢١ من هذا الجزء .

(٣) الذى يفهم من عبارة المؤلف أن رسل صاحب اليمن وصلوا سنة ٦٦٥ ﻫ . ويفهم من عبارة عيون التواريخ أنه دخل القاهرة فى شهر ربيع الأول سنة ٦٦٥ ﻫ ، وأن وصول رسل صاحب اليمن الملك المظفر كان فى سنة ٦٦٦ ﻫ .

(٤) هو الملك المظفر شمس الدين أبو المحاسن يوسف آبن السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٤ ﻫ .

(٥) فى الأصلين : « الى بركة الحبش » وهو خطأ ، وتصحيحه عن عيون التواريخ . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

الخازِندار ، ورحل فى سابع الشهر ، فوردت عليـه رسل صاحب يافا فى الطريق فآعتقلهم ، وأمر العسكر بلُبْس آلة الحرب ليلا وسار فأصبح يافا ، وأحاط بها من كل جانب ، فهَرَب من كان فيهـا منَ الفرنج إلى قلعتها ، فملَك السلطان المدينة وطلب أهلُ القلعـة الأمان ، فأمّنهم وعوّضهم عما نُهِب لهم أربعين ألف درهم ، فركبوا فى المراكب إلى عكّا ؛ وكان أخذُ قلعة يافا فى الثانى والعشرين من الشهر المذكور وأمر بهدمها ؛ فلمّا فرَغ السلطان من هدمها رَحَل عنها يوم الأربعاء ثانى عشر شهر (١) رجب طالبا للشَّقِيف (٢) ، فنزل عليـه يوم الثلاثاء وحاصرها حتّى تسلّمها يوم الأحد تاسع عشرين رجب ؛ وكان الملك الظاهر أيضًا ملَك الباشورة (٣) بالسيف فى السادس والعشرين منه ؛ ثم رحَل الملك الظاهر عنها بعد أن رتّب بها عسكرًا فى عاشر شعبان ، وبعث أكثر أثقاله إلى دِمَشْق وسار إلى طرابُلُس فشَنّ عليها الغارة وأخرب قُراها وقطع أشجارها وغوّر أنهارها . ثم رَحَل (٤) إلى حصن الأكراد ونزل بالمَرْج الذى تحته ، فحضر إليه رسولُ مَنْ فيه بإقامة وضيافة ، فردّها عليـه وطلب منهم دِيَةَ رجل من أجناده ، كانوا قتلوه ، مائة ألف دينار فأرضَوْه . فرحل إلى حِمْص ثم إلى حَمَاة ثم

---

(١) كذا فى الأصلين والنهج السديد . وفى السلوك : «يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب» . وكلتا الروايتين غير صحيحة لأنه يتعين أن أوّل رجب يوم الأحد حيث إن يوم التاسع والعشرين منه يوم الأحد ، كما يفهم من كلام المؤلف ومن النهج السديد فى أوّل جمادى الآخرة . (٢) الشقيف : شقيف أرنون من أعمال دمشق بينها وبين الساحل بالقرب من بانياس ، وأرنون هذا اسم أعجمى نسبت اليه ، وهى قلعة حصينة على نهر ليطة . وقد استعمل الظاهر فى الآستيلاء عليها حيلة غريبة ذكرها صاحب نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٩٢ — ٩٣) وابن أبى الفضائل فى النهج السديد ص ١٦٤ وراجع هامش السلوك ص ٥٦٥ وفلسطين الإسلامية لاسترانج (ص ٥٣٤ — ٥٣٥) . (٣) فى الأصلين : «الماسورة» . والتصحيح عن هامش السلوك ص ٥٦٥ والنهج السديد . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٤) عبارة الأصلين : «ثم رحل ونزل على حصن الأكراد تحت البرج الذى للحصن» . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . وحصن الأكراد : من أعمال حمص وهو قلعة حصينة مقابل حمص من غربيها على الجبل المتصل بجبل لبنان ولها ربض ، وكانت مقر ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس وهى على مرحلة من حمص وكذلك عن طرابلس وهى بين حمص وطرابلس . (تقويم البلدان ص ٢٥٨) .

إلى أَفَامِيَة[1] ثم سار ونزل منزلةً أخرى؛ ثم رحَل ليلًا وأمر العسكر بلُبْس آلة الحرب، ونزل أنطاكِيَة فى غُرّة شهر رمضان، فخرج إليه جماعة من أهلهـا يطلبون الأمان وشرطوا شروطا لم يُجِب إليها، وزحف عليها فملكها يوم السبت رابع الشهر؛ ورتَّب على أبوابها جماعةً من الأمراء لئلّا يخرج أحدٌ من الحرافشة بشىء من النهب، ومَن يوجد معه شىء يُؤخذ منه، فجمع من ذلك ما أمكن جمعُه وفرّقه على الأمراء والأجناد بحسب مراتبهـم. وحُصِر مَنْ قُتِل بأنطاكِيَة فكانوا فوق الأربعين ألفا، وأَطْلَق جماعةً من المسلمين كانوا فيهـا أُسراء من الحلبيّين، وكتب البشائر بذلك إلى مصر وإلى سائر الأقطار. وأنطاكِيَةُ: مدينة عظيمة مشهورة، مسافة سورها اثنا عشر ميلا، وعدد أبراجها مائة وسـتة وثلاثون بُرْجًا، وعَدَدُ شُرُفاتها أربع وعشرون ألفا. ولم يفتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيُّوب — رحمه الله — فيما فتح[2].

قلت: كم ترك الأوّل للآخر!

ولـمّا مَلَك الملك الظاهر أنطاكِيَة وصل إليه قُصّاد من أهـل القُصَيْر[3] يطلبون تسليمها إليه، فسيّر السلطان الأميرَ شمس الدين آق سنقر الفَارِقَانِىّ بالعساكر إليها فوصلها

(١) أفامية: مدينة حصينة فى ساحل الشام وكورة من كور حمص. ويسميها بعضهم «فامية» بغير همز (عن معجم البلدان لياقوت).

(٢) كان بيموند صاحب طرابلس وأنطاكية قد كثر تعديه على بلاد الإسلام. وأخذ البلاد المجاورة له بعـد زوال الأيام الناصرية (صلاح الدين يوسف) وكان من أكبر أعوان التتار، فلما وصل السـلطان الظاهر إلى الشقيف طالبا أنطاكية وعّر بيموند الطرقات. ولم يمنع ذلك السـلطان من الإغارة على أنطاكيـة، فأغار عليها فى مستهل رمضان ثم ملكها يوم السبت رابع الشهر كما فى الأصلين. وكتب إلى بيموند بخبر هـذا الفتـح وهو فى طرابلس كتابا كله تقـريع وتهكم. راجع نص الكتاب فى نهاية الأرب ص ٩٤ — ٩٥ من الجزء ٢٨. وفى الصفحات ٩٦ — ٩٨ فذلكة تاريخيـة عن أنطاكية فلتراجع هناك، وانظر السلوك ص ٥٦٧ — ٥٦٨

(٣) يريد به حصن القصير وهى قلعة حصينة من قلاع حلب (ياقوت ج ٥ ص ٢٧). وعبارة عيون التواريخ والنهج السديد: «وصـل اليه قصاد من بغراس يطلبون تسليمها إليه فسير الأمير شمس الدين الفارقانى بالعسـاكر فوصل إليها وتسلمها. وصالح القصير على مناصفته ومناصفة القلاع المجاورة له».

ووجد أكثر أهلها قد بَرِح منها، فتسلّمها فى ثالث عشر شهر رمضان؛ وكان قد تسلّم دَرْكُوش(١) بواسطة فخر الدين الجَنَاحِىّ فى تاسع شهر رمضان وعاد إلى دمشق، فدخلها فى سابع عشرين شهر رمضان، وعيّـد السلطان بقلعة دِمَشْق . ثم عاد إلى القاهرة فدخلها آخر نهار الأربعاء حادى عشر ذى الحجّة . وبعد وصوله بمدّة جلس فى الإيوان بقلعة الجبـل يوم الخميس تاسع(٢) صفر، وأحضر القضاة والشهود والأعيان وأمر بتحليف الأمراء ومقدّمى الحَلْقَة لولده الملك السعيد بركة خان [بولاية(٣) عهده وخليفته من بعده] فحلفُوا . ثم ركب الملك السعيد يوم الآثنين العشرين من الشهر بأُبّهة السلطنة فى القلعة ومشى والده أمامه، وكُتِب تقليدٌ(٤) [له](٣) وقُرِئ على الناس بحضور الملك الظاهر وسائر أرباب الدولة .

ثم فى يوم السبت ثانى عشر جُمَادَى(٥) الآخرة خرج الملك الظاهر من القاهرة متوجّها إلى الشام ومعـه الأمراء بأُسْرِهم جرائدَ، وآستناب بالديار المصريّة فى خدمة ولده الأميرَ بدر الدين بِيلِيك الخَازِنْدَار . ومن هذا التاريخ علّم الملك السعيد على التواقيع وغيرها : ولـمّا(٦) صار الملك الظاهر بدمشق وصلت إليـه كتب التّتار ورسُلهـم ، والرسل : مُحِبّ الدين دَوْلَة خان، وسيف الدين سعيد تَرْجُمان وآخر، ومعهم جماعة من أصحاب سِيس، فأنزلهم السلطان بالقلعة وأحضرهم من الغـد وأدّوا الرسالة

(١) دركوش : حصن قرب أنطاكية من أعمال العواصم (عن معجم البلدان لياقوت). (٢) فى عيون التواريخ : « فى يوم الخميس سادس صفر » من سنة ٦٦٧ هـ . (٣) زيادة عن عيون التواريخ .
(٤) أورد النويرى فى نهاية الأرب فى الجزء الثامن والعشرين نص هـذا التقليد، وذكر أنه من إنشاء وخط المولى فخر الدين بن لقمان . وأوّله : « الحمد لله الذى أجزل العطاء والمواهب ... الخ » . راجع هذا التقليد فى لوحتى ٦٨، ٦٩ من الجزء المذكور . (٥) فى الأصلين : « فى يوم السبت ثالث جمادى الآخرة » . وتصحيحه عن السلوك وما يفهم من التوفيقات الإلهامية لمختار باشا .
(٦) فى الأصلين : « ولما سار » بالسين .

ومضمونها : أنّ الملك[1] أَبْغَا[2] بن هولاكو لمّا خرج من الشرق ملَك جميع البلاد ومن خالفه قُتِل وأنت (يعنى للملك الظاهر) لو صَعِدْت إلى السماء أو هَبَطْتَ إلى الأرض ما تخلُص منّا ، فالمصلحة أن تجعل بيننا صُلْحًا ، وأنت مملوكٌ أُبْعتَ فى سِيواس فكيف تشاقق ملوك الأرض وأولاد ملوكها ! فأجابه فى وقته بأنّه فى طلب جميع ما ٱستوْلَوا عليه من العراق والجزيرة والروم والشام وسفّرهم إليه بسرعة . ثم فى آخر شهر رجب خرج الملك الظاهر من دِمَشْق ونزل خَرِبةَ[3] اللّصوص فأقام بها أيّاما ؛ ثم ركب ليلة الأثنين ثامن عشر شعبان ولم يشعُر به أحد وتوجّه إلى القاهرة على البريد بعد أن عرّف الفارِقَانِىّ أنّه يغيب أيّاما معلومة ، وقرّر معه أنه يُحضِر الأطبّاء كلّ يوم ويستوصف منهم ما يُعَالَج به متوعِّكٌ يشكو تغيير مِزَاجِه ، ليُوهم الناس أنّ الملك الظاهر هو المتوعِّك ؛ فكان يُدْخِل ما يصفونه[4] إلى الجَيْمة ليُوهِم العسكر صحّةَ ذلك ، وسار الملك الظاهر حتّى وصل قلعة الجبل ليلة الخميس حادى عشرين شعبان ، فأقام بالقاهرة أربعة أيّام ؛ ثم توجّه ليلة الأثنين خامس عشرين الشهر على البريد ، فوصل إلى العسكر يوم تاسع عشرين الشهر . وكان غرضه بهذا السَّفَر كشفَ أحوال ولده الملك السعيد وغير ذلك . ثم فى يوم الأحد سادس عشر[5] شهر رمضان

(١) رواية السلوك (ص ٥٧٤) وعيون التواريخ هكذا : « إن الملك أبغا لما خرج من الشرق تملك جميع العالم وما خالفه أحد ، ومن خالفه هلك وقتل ، فأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تحصلت منا ، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحا » . وكان فى المشافهة : « أنت مملوك وأبعت فى سيواس ، فكيف تشاقق الملوك ملوك الأرض ؟ » . (٢) أبغا (أو أباغا) هو ابن هولاكو تولى بعد أبيه فى شهر ربيع الأوّل سنة ٦٦٣ هـ . وكان لهولاكو عدا أباغا المذكور ستة عشر ولدا ذكورا (السلوك ص ٥٤١) . (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٤) فى الأصلين : « ما يوصفوا به » . (٥) فى الأصلين والسلوك : « يوم الأحد سادس عشرين شهر رمضان » وتصحيحه عن التوفيقات الإلهامية وما سيأتى بعد قليل للؤلف .

تسلّم نوّاب الملك الظاهر قلعة بَلاطُنُس[١] وقلعةَ كَابيل[٢] من عِزّ الدين أحمد بن مظفّر الدين عثمان[٣] بن مَنْكُورس صاحب صِهيون[٤]، وعوّضه غيرهما قريةً تعرف بالخميلة[٥] من أعمال شَيْزَر[٦] . ثم فى يوم الخميس العشرين من شهر رمضان توجّه الملك الظاهر إلى صَفَد فأقام بها يومين ثم شنّ الغارة على بلد صُور، وأخذ منهـا شيئًا كثيرا . ثم عاد الملك الظاهر إلى دِمَشْق وعيد بهـا[٧] . ثم خرج منها فى خامس عشرين شوّال يريد الكَرَك فوصله فى أوائل ذى القعدة . ثم توجّه فى سادسه إلى الحجاز، وصحبته بِيلِيك الخَازِنْدَار والقاضى صدر الدين سليمان الحنفى وفخر الدين إبراهيم بن لقمان وتاج الدين ابن الأثير ونحو ثلثمائة مملوك وجمـاعة من أعيان الحَلْقة، فوصل المدينـة الشريفة فى العَشْر الأخير من الشهر فأقام بها ثلاثةَ أيام، وكان جَمّاز[٨] قد طرق المدينة وملَكها، فلمّا قَدِم الظاهر هرب؛ فقال الملك الظاهر : لو كان جَمّاز يستحقّ القتل ماقتلته! لأنه فى حَرَم النبيّ صلّى الله عليه وسلم؛ ثم تصدّق فى المدينة بصدَقَات كثيرة، وخرج منها متوجّها إلى مكّة فوصلها فى ثامن ذى الحجّة، فخرج إليه أبو نُمَيّ وعمّه إدريس صاحبا مكّة، وبذَلا له الطاعة فخلَع عليهما وسارا بين يديه إلى عَرَفات، فوقف بها يوم الجمعة ثم عاد إلى مِنًى، ثم إلى مكّة وطاف بها طوافَ الإفاضة، وصَعِد الكعبة

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٢) بحثنا عن هذه القلعة فى المصادر التى تحت أيدينا فلم نهتد إليها . (٣) فى الأصلين : «مظفر الدين حماد» . والتصحيح عن عيون التواريخ وتاريخ أبى الفدا . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٥) أطلنا البحث عن هذا المكان فى المصادر التى تحت يدنا فلم نوفق للعثور عليه . (٦) شيزر : (بفتح الشين المعجمة وسكون الياء) : مدينة من جند حمص غربى حلب، وهى ذات أشجار فى بساتين وفواكه كثيرة، ولها ذكر فى شعر امرئ القيس (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢٣ وتقويم البلدان ص ٢٦٣) . (٧) عبارة عيون التواريخ : «وعيد الملك الظاهر بالجابية ثم رحل الى الفوار وأقام به الى خامس عشرين شوّال ثم توجه الى الكرك» .

(٨) هو جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن الحسين الأصغر . توفى سنة ٧٠٤ ه . وقد ضبطت كلمتا جماز وشيحة بالعبارة فى المنهل الصافى .

وغسلها بمــاء الوَرْد وطيّبها بيــده، وأقام يوم الاثنين ثم ركب وتوجّه إلى المــدينة الشريفة، فزار بهــا قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم ثانيا . ثم توجّه إلى الكَرَك فوصله في يوم الخميس تاسع عشرين ذى الحجة فصلّى به الجمعةَ . ثم توجه إلى دِمَشْق فوصل يومَ الأحد ثانى المحرّم سنة ثمانٍ وستين وستمائة في السَّحَر، فخرج الأمير جمال الدين آقوش فصادفه في ســوق الخيل واجتمع به . ثم سار إلى حلب فوصلها في سادس المحرّم ؛ ثم خرج منها في عاشره وســار إلى حَمَاة(١) ثم إلى دِمَشْق ثم إلى مصر، وصحبته الأمير عِزّ الدين الأَفْرَم فدخلها يوم الأربعــاء رابع(٢) صفر، واتّفق ذلك اليوم دخول رَكْب الحاجّ، وكانت العادة يوم ذاك بدخول الحاج إلى القاهرة بعد عاشر صفر، فأقام الملك الظاهر بالقاهرة أيّاما، وخرج منها في صفر المذكور إلى الإسكندرية ومعه ولده الملك السعيد وسائر الأمراء فتصيّد أيّاما وعاد إلى نحو القاهرة في يوم الثلاثاء ثامن شهر ربيع الأول ، وخَلَع في هــذه السَّفْرة على الأمراء وفرّق فيهــم الخيلَ والحوائص الذهب والسيوفَ المحلّاة والذهب والدراهم والقماش وغير ذلك، فلم يُقِم بالقاهرة إلا مدّة يســيرة ، وخرج منهــا متوجّها إلى الشــام في يومِ الاثنين حادى عشرين شهر ربيع الأوّل في طائفة يسيرة من أمرائه وخواصّه، فوصل إلى دِمَشْق في يوم الثــلاثاء سابع شهر ربيع الآخر(٣)، ولَقِىَ أصحابُه في الطريق مَشَقّةً شــديدةً من البَرْد . ثم خرج عَقِيب ذلك إلى الساحل وأَسَر مَلِك عَكّا(٤) ؛ وقَتَل وأَسَر وسَبَى . ثم

(١) في الأصلين : « وعاد إلى حماة » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .
(٢) في التوفيقات الإلهامية أن أوّل صفر من هذه السنة كان يوم الاثنين .
(٣) في الأصلين : «الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر» . والتصحيح عن السلوك وما يفهم من سياق كلام المؤلف فيما تقدّم .
(٤) عبارة عيون التواريخ : « وخيم على الزنبقية وبلغه أن ابن أخت زيتون خرج من عكا، فساق الملك الظاهر بعد ما عرف عسكر دمشق فصادف ابن أخت زيتون قد خرج فالتقاه وكسره واستأسره وجماعة من أصحابه » .

قصد الغارة على المَرْقَب[(١)] فوجد من الأمطار والثلوج ما منعه، فرجع إلى حِمْص فأقام بها نحو عشرين يوما . ثم خرج إلى جهة حصن[(٢)] الأكراد ونزل تحتها، وأقام يركب كلّ يوم و يعود من غير قتال إلى الثامن والعشرين من شهر رجب، فبلغه أنّ مراكب الفرنج دخلت ميناء الإسكندرية وأخذت[(٣)] مركبين للسلمين، فرحَل من فوره إلى نحو الديار المصريّة فوصلها ثانى عشر شعبان، فحين دخوله إلى مصر أمر بعمارة القناطر التى على بحر أبى المُنَجَّا[(٤)]، وهى من المبانى العجيبة فى الحسن والإتقان؛ و بينما هو فى ذلك ورد عليه البَرِيد من الشام أنّ الفرنج قاصدون الساحل، والمقدّم عليهم

---

(١) المرقب : بلد وقلعة حصينة حسنة البناء تشرف على ساحل بحر الشام و بلنياس اسم لبلدتها و بينهما قريب من فرسخ (عن معجم البلدان لياقوت وتقويم البلدان) . (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤٢ من هذا الجزء . (٣) فى الأصلين : «وأخذت المسلمون منهم مركبين» . والتصحيح عن عيون التواريخ وعقد الجمان . (٤) بحر أبى المنجا : يستفاد مما ورد فى الجزء الخامس من كتاب الانتصار لابن دقاق ص ٤٦ عند الكلام عن سواقى بحر أبى المنجا ، ومما ورد فى الجزء الثانى ص ١٥١ من الخطط المقريزية عند الكلام على قناطر أبى المنجا : أن هذا البحر أنشاه أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه وقت وزارته للخليفة الآمر بأحكام الله منصور بن أحمد الفاطمى فى سنة ٥٠٦ هـ ، تحت إشراف أبى المنجا يشعيا اليهودى الذى كان مشرفا على أعمال الرى فى ذاك الوقت ، ولذلك عرف البحر باسم أبى المنجا .

وأقول بعد الاطلاع على ما ورد فى كتابى وقف الملك الأشرف برسباى والملك الأشرف قايتباى وعلى ما ورد بخصوص عمارة قنطرة بحر أبى المنجا عند شبين القناطر (ص ١٦٨ ج ١) من كتاب تاريخ مصر لابن إياس تبين لى من هذا ومن البحث أن بحر أبى المنجا هو الذى يعرف اليوم بترعة الشرقاوية من فمها القديم إلى شبين القناطر ثم يسير باسم بحر أبى الأخضر الى نهايته بترعة الوادى . وفى سنة ١٢٤٨ هـ . أنشئ فم جديد لترعة الشرقاوية بدل الفم القديم الذى أصبح خاصا بتغذية الترعة التى تعرف اليوم بترعة أبى المنجا لأنها فرع منه وتسير من فمه القديم بالقرب من باسوس بمركز قليوب الى ناحية سنديون .

وأما القناطر التى أنشأها الملك الظاهر بيبرس على هذا البحر فى سنة ٦٦٥ هـ فلا تزال موجودة إلى اليوم وقد شاهدتها واقعة غربى سكن ناحية ميت نما بمركز قليوب ، وبسبب تغيير مجرى بحر أبى المنجا عند هذه القناطر وتركها بغير استعمال طمت عيونها حتى أصبحت قائمة على أرض زراعية ، ولا تزال هذه القناطر العظيمة بعناية إدارة حفظ الآثار العربية حافظة لشكلها ومزينة بعدة من صور السباع التى هى رنك (شعار) منشئها ، رحمه الله .

شارل[1] أخو ريدا فرنس[2]، وربّما كان محطّهم عكّا؛ فتقدّم الملك الظاهر إلى العسكر بالتوجّه إلى الشام. ثم وَرَد الخبر أيضا بأنّ اثنى عشر مَرْكبًا للفرنج عَبَرُوا على الإسكندرية ودخلوا ميناءها وأخذوا مركبا للتّجار واستأصلوا ما فيه وأحرقوه، ولم يَجْسُر والى الإسكندرية أن يُخْرِج الشوانى من الصناعة لغَيْبة رئيسها فى مُهمّ استدعاه الملك الظاهر بسببه. ولمّا بلغ الملكَ الظاهرَ ذلك بَعث أمر بقَتْل الكلاب فى الإسكندرية وألّا يَفْتَح أحد حانوتًا بعد المَغْرِب ولا يُوقِد نارًا فى البلد ليلًا، ثم تجهّز بسرعة وخرج نحو دِمْياط يوم الخميس خامس ذى القعدة فى البحر. وفى ذى الحجّة أمر السلطان بعمل جِسْرَين: أحدهما من مصر إلى الجزيرة[3] (أعنى الروضة)، والآخر من الجزيرة إلى الجيزة على مراكب لتجوز العساكر عليهما. ثم عاد الملك الظاهر من دِمْياط بسرعة ولم يَلْقَ حَرْبًا؛ وخرج من مصر إلى عَسْقلان فى يوم السبت عاشر صفر سنة تسع وستين وستمائة فى جماعة يسيرة من الأمراء والأجناد، فوصل إلى عَسْقَلانَ وهدَم من سُورها ما كان أُهمِل هدمُه فى أيّام الملك الصالح، ووُجِد فيما هُدِم كُوزانِ مملوءان ذهبًا مقدار ألفى دينار ففرّقها على مَنْ صَحِبَه، ووَرَد عليه الخبر وهو بعَسْقَلان بأنّ عسكر ابن أخى بركة خان المُغْلِيّ كَسَر عسكر أبْغَا بن هولاكو، فسُرّ الملك الظاهر بذلك سرورًا زائدًا. وعاد إلى مصر يوم السبت ثامن شهر ربيع الأوّل. وفى هذه السنة انتهى الجسر والقناطر الذى عمل على بحر أبى المنجا، ووقف عليه الملك الظاهر وقفًا يعمر منه ما دَثَر منه على طول السنين. وفى هذه

(١) فى الأصلين: «شرون». وما أثبتناه عن هامش السلوك (ص ٥٠٢) وهو شارل ملك صقلية أخو لويس التاسع، وهو الذى تولى قيادة الجيوش فى الحملة الصليبية الثامنة بعد وفاة أخيه لويس التاسع (ريدا فرنس) ملك فرنسا، غير أن القائد الجديد انصرف عن غرض الحملة إلى ما تطلبته مصالح مملكته الصقلية.

(٢) هو الذى أسر فى وقعة دمياط وسجن بدار ابن لقمان، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٣٦٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

السنة أيضا بنى الملك الظاهر جامع المنشيّة[١]، وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة[٢] ثامن عشرين شهر ربيع الآخر من سنة تسع وستين وستمائة المذكورة . ثم فى السنة المذكورة أيضا خرج الملك الظاهر من الديار المصرية متوجّها إلى نحو حِصن الأكراد فى ثانى عشر جُمادَى الآخرة، ودخل دِمَشْق يوم الخميس ثامن شهر رجب، وكان معه فى هذه السَّفْرة ولده الملك السعيد والصاحب بهاء الدين بن حِنّا، واستخلف بمصر الأمير شمس الدين آقْسُنْقُر الفَارِقانِى ، وفى الوزارة الصاحبَ تاج الدين ابن حِنّا . ثمّ خرج الملك الظاهر من دِمَشْق فى يوم السبت عاشره وتوجّه بطائفة من العسكر إلى جهة، وولدُه وبِيليك الخازِنْدار بطائفة أخرى إلى جهة ، وتواعدوا الاجتماع فى يوم واحد بمكان مُعيَّن ليَشُنُّوا الغارة على جَبَلة[٣] واللاذِقيّة[٤] والمَرْقَب[٥] وعِرْقة[٦] ومَرَقِية[٧] والقُلَيْعات[٨] وصافِيثا[٩] والمَجْدَل وأَنْطَرْطُوس[١٠]، فلمّا اجتمعوا [على] أن يشنّوا الغارة فتحوا صافيثا والمجدل، ثم ساروا ونزلوا حِصْن الأكراد يومَ الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب من سنة تسع وستين وستمائة[١١]؛ وأخذوا فى نَصْب المجانيق وعَمَل

---

(١) جامع المنشية ، ذكر ابن دقماق فى ص ١١٩ من الجزء الرابع من كتاب الانتصار أن هذا الجامع أنشأه الملك الظاهر بيبرس فى سنة ٦٧١ هـ بمنشأة المهرانى . وأقول : إن هذا الجامع كان واقعا فى الأرض الواقعة على شارع قصر العينى تجاه معهد ومستشفى الكلب من الجهة الشرقية بقرب فم الخليج ، وقد اندثر وليس له أثر اليوم . (٢) فى التوفيقات الإلهامية أن أوّل ربيع الآخر من هذه السنة كان يوم الاثنين . (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٥ من هذا الجزء . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٨ من هذا الجزء

(٦) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٧) مرقية : قلعة فى سواحل حمص (عن معجم البلدان لياقوت) . (٨) القليعات وصافيثا والمجدل : قلاع من حصن الأكراد (راجع خريطة كتاب (الصليبيون فى المشرق لاستفن سوف طبع كمبردج سنة ١٩٠٧م) .

(٩) فى الأصلين : « وصافيتا » بالتاء المثناة . وما أثبتناه عن عيون التواريخ والنهج السديد وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات . (١٠) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (١١) فى عقد الجمان : « ونزلوا على حصن الأكراد فى تاسع شهر شعبان من هذه السنة » .

الستاير[١]، ولهذا الحِصْن ثلاثة أسوار ؛ فاشتدّ عليه الزحف والقتال وفُتحت الباشورة الأولى يوم الخميس حادى عشرين الشهر ، وفُتحت الثانية يوم السبت سابع شعبان ، وفُتِحت الثالثة الملاصقة للقلعة فى يوم الأحد خامس عشره ، وكان المحاصر لهــا الملك السعيد ابن الملك الظاهر ومعه بِيلِيك الخَازِنْدار و بَيْسَرِى ، ودخلت العساكر البلد بالسيف وأَسَرُوا مَنْ فيــه من الجبليّــة والفلّاحين ثم أطلقوهم . فلمّا رأى أهل القلعة ذلك أذعنوا بالتسليم وطلَبوا الأمان ، فأمّنهم الملك الظاهر وتَسَلّم القلعة يوم الآثنين ثالث[٢] عشرين شــعبان ، وكُتِبت البشائر بهذا الفتح إلى الأقطار ، وأطلق الملك الظاهر مَنْ كان فيها من الفرنج فتوجّهوا إلى طرابُلُس . ثم رحَل الملك الظاهر بعــد أن رتّب الأميرَ عِزّ الدين أَيْبَــك الأفرم لعمارته ، وأُقيمت فيــه الجمعة ، ورتّب نائبــا وقاضيًا . ولمّــا وقع ذلك بعث صــاحبُ أَنْطَرْطُوس إلى الملك الظاهر يطلب المهادنة ، و بعث إليــه بمفاتيح أَنْطَرْطُوسُ فصالحه على نصف ما يتحصّل من غلال بلده ، وجعل عندهم نائبًا من قِبَله . ثم صالح صاحبَ المَرْقَب على المناصفة أيضا ، وذلك فى يوم الآثنين مستهلّ شهر رمضان من ســنة تسع وستين ، وقُرِّرت الهُدْنة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيّام .

ثم سار الملك الظاهر فى يوم الأحد رابع عشر شهر رمضان فأشرف على حِصْن ابن عَكّار[٣] ، وعاد إلى المَرْج[٤] فأقام به إلى أن سار ونزل على الحصن المــذكور ثانيًــا فى يوم الآثنين ثانى عشرين شهر رمضان ، ونَصَب المجانيق عليه فى يوم الثلاثاء ،

(١) فى الأصلين : « وعمل البساسير » وما أثبتناه عن عيون التواريخ والنهج السديد .
(٢) فى الأصلين : « يوم الاثنين خامس عشرين شعبان » والتصويب عما تقدّم وما سيأتى ذكره للؤلف .
(٣) فى الأصلين : « على حصن من عكا » . وصوابه عن عيون التواريخ ونهاية الأرب والسلوك والنهج السديد . وهو حصن مبنى على جبل يسمى بنفس الاسم وموقعه شمالى طرابلس . و يسمى أيضا حصن عكار . انظر هامش السلوك (ص ٥٩٢) . (٤) المراد به مرج صافيثا كما فى عيون التواريخ .

وفى يوم الأحد ثامن (١) عشرينه رمى المنجنيق الذى قُبالة البـاب الشرقىّ رَمْيًا كثيرا فخسف خَسْـفًا كبيرا إلى جانب البَـدَنة ، ودام ذلك إلى اللّيـل فطلبوا الأمان على أنفسهم من القتـل وأن يمكّنهـم من التوجّه إلى طرابُلُس فأجابهم، فخـرجوا يوم الثلاثاء سَـلْخ الشهر، وكُتِبت البشائر بالفتح والنصر إلى سائر الأقطار . ثم فى يوم السبت رابع شوّال خيّم السلطان الملك الظاهر بعساكره على طرابُلُس (٢) فسيّر صاحبها إليه يستعطفه فبعث إليـه الملك الظاهر [فارس الدين] (٣) الأتابَك [و] (٤) سيف الدين [بَلَبَان] (٣) الرومىّ على أن يكون له من أعمال طرابُلُس نصفٌ بالسويّة ، وأن يكون له دارُ وكالة فيها ، وأن يُعْطَى جَبلة واللّاذِقيّة بخراجهما من يوم خروجهما عن الملك الناصر إلى يوم تاريخه ، وأن يُعْطَى نفقاتِ العساكر من يوم خروجه ؛ فلمّا علم الرساله عَزْم على القتال وحَصّن طرابُلُس ، فنصَب الملك الظاهر الجـانيق ؛ ثم تردّدت الرُّسُـل ثانيا وتقرر الصلح أن تكون عِرْقَةُ وجَبلة (٥) وأعمالها للبرنس صاحب طرابلس ، وأن يكون ساحل أَنْطَرْطُوس (٦) والمَرْقَب وبَانْيَاس وبلاد هذه النواحى بينه وبين الدّاويّة (٧) ، والتى كانت خاصالهم ، وهى بارين وحِمص (٨) القديمة تعود خاصا للملك الظاهر ، وشَرَط أن تكون عِرْقَةُ وأعمالها ، وهى ست وخمسون قرية ، صدقةٌ من الملك الظاهر عليه ، فتوقّف صاحب طرابُلُس وأنِف ؛ فلمّا بلغ الملك الظاهر آمتناعه صمّم على ما شَرَط عليه حتى أجابه ، وعُقِد الصلح بينهما مدّة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام .

---

(١) فى الأصـلين : « وفى يوم الأحد خامس عشرينه » وهو خطأ وتصحيحه عن النهج السـديد وما تقدّم وما سيأتى ذكره للؤلف . (٢) يريد الأبرنس صاحب طرابلس كما فى النهج السديد وما سيأتى بعد قليل ذكره للؤلف . (٣) زيادة عن النهج السديد . (٤) التكملة عن عيون التواريخ والسلوك ونهاية الأرب والنهج السديد . (٥) فى الأصلين هكذا : « أن تكون عرقة ومسل وأعمالها » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٦) فى الأصلين : « وأن يكون صاحب أنطرطوس... الخ » . وتصحيحه عن عيون التواريخ والنهج السديد . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

وفى يوم السبت حادى عشر شوّال رَحَل الملك الظاهر عن مَرْج صافيتا، وأذِن إلى صاحب حَمَاة وصاحب حِمْص بالعَوْد إلى بلادهم، وسار الظاهر حتى دخل دِمَشْق يوم الأربعاء خامس عشر شوّال، وعَزَل القاضى شمسَ الدين أحمد بن خلّكان عن قضاء دِمَشْق، وكانت مدّة ولايته عشر سنين، وولّى عِوضَه القاضىَ عِزّ الدين (١) محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق المعروف بآبن الصائغ. ثم فى يوم الجمعة رابع (٢) عشرين شوّال خرج الملك الظاهر من دِمَشْق قاصدًا القُرَيْن (٣)، فنزل عليه يوم الآثنين سابع عشرين (٤) الشهر، ونصَب عليه المجانيق، ولم يكن به نساء ولا أطفال بل مُقاتِلة، فقاتلوا قتالا شديدًا، وأخذت النُّقُوب للحِصْن من كلّ جانب، فطلب مَنْ فيه الأمان، فأُمِّنوا يوم الآثنين ثالث عشر ذى القعدة، وتَسلّم السلطانُ الحِصْن بما فيه من السلاح ثمّ هدمه، وكان بناؤه من الحجر الصَّلْد وبين كلّ حجرين عُود حديد ملزوم بالرصاص، فأقاموا فى هدمه آثنى عشر يوما وفى حِصارِه خمسة عشر يوما.

وفى يوم الآثنين سادس عشرين (٥) الشهر نزل الملك الظاهر على كردانة قرية قريبة من عكّا، ولَبِس العسكرُ وسار إلى عَكّا وأشرف عليها، ثم عاد إلى منزله. ثمّ رحل منها يوم الثلاثاء قاصدًا مصر، فدخلها يومَ الخميس ثالث عشر ذى الحِجّة، وكان جملة ما صرَفه الملك الظاهر فى هذه السَّفْرة من حين خروجه من مصر إلى حين عَوْده إليها ما يُنِيف على مائة ألف دينار وثمانين ألف دينار عَيْنًا (٦). وفى اليوم الثانى من وصوله إلى قلعة الجبل قَبَض على جماعة من الأمراء منهم: الأمير علم الدين سَنْجَر

---

(١) سيذكره المؤلف سنة ٦٨٣ هـ. (٢) فى الأصلين: «يوم الجمعة خامس عشرين شوّال» وهو خطأ كما يفهم مما تقدّم. (٣) القرين: حصن من حصون الأرمن، وكان لطائفة يقال لهم الإسبتار، وهو من أمنع الحصون على صفد (عن نهاية الأرب ج ٢٨ ص ١٠٣). (٤) فى الأصلين: «ثامن عشرين» وهو خطأ. (٥) فى عيون التواريخ: «سادس عشر القعدة». (٦) عبارة عيون التواريخ: «وجملة ما صرفه السلطان فى هذه السفرة على العسكر ثمانمائة ألف دينار».

الحلبيّ الكبير، الذى كان تسلطن بدِمَشْق فى أوّل سـلطنة الملك الظاهر بِيبَرْس، والأمير جمال الدين آقوش المحمّدىّ، والأمير جمال الدين أَيدُغْدى الحاجبىّ الناصرىّ، والأمير شمس الدين سُنْقُر المسّاح(١) والأمير سـيف الدين بيـدغان(٢) الرُّكْنِى والأمير علم الدين سَنْجَر طرطح وغيرهم، وحُبِسوا الجميع بقلعة الجبـل؛ وسبب ذلك أنّه بلغه أنّهم تآمروا على قبضه لمّـا كان بالشَّقِيف، فأسرَّها فى نفسه إلى وقتها . وكان بلغ الملكَ الظاهرَ وهو على حِصْن الأكراد أنّ صاحب قُبْرُص خرج منها فى مراكبه إلى عكا، فأراد السلطان ٱغتنام خلوّها، فجهّز سبعة عشر شِينِيًّا، فيها الرئيس ناصر الدين عمر بن منصـور رئيس مصر وشهـاب الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام رئيس الإسـكندرية، وشرف [الدين](٣) علوى بن أبى المجـد بن علوى العَسْقلانى رئيس دِمْيـاط، وجمال الدين مَكّى بن حَسّون مقدّما على الجميع؛ فوصلوا الجزيرة ليـلًا، فهاجت عليهـم ريحٌ طردتهـم عن المَرْسَى، وألقتْ بعض الشَّـوانى على بعض، فتحطّم منهـا أكثر من أحد عشر شِينِيًّا وأخِذ مَنْ فيها من الرجال والصنّاع أسَراء، وكانوا زُهَاءَ ألف وثمانمائة نفس، وسلِم الرئيس ناصر الدين وٱبن حَسّون فى الشَّوانى السالمة، وعادت إلى مراكزها؛ فعظُم ذلك على الملك الظاهر بِيبَرْس إلى الغاية . وفى يوم الاثنين سـابع عشر ذى الحِجّـة أمر الملك الظاهر بإراقة الخمور فى سـائر بلاده، وأوعد مَنْ يَعْصِرُها بالقتل، فأرِيق على الأجناد والعوامّ منهـا مالا تُحْصَى قيمتُه، وكان ضمانُ ذلك فى ديار مصر خاصّة ألفَ دينار فى كلّ يوم، وكُتِب بذلك توقيعُ قُرِئَ على مِنْبر مصر والقـاهرة . وفى العَشْر الأخير من ذى الحِجّة ٱهتمّ الملك

(١) فى الأصلين : « سنقر النساج » . وما أثبتناه عن السلوك (ص ٥٩٥) وعيون التواريخ ونهاية الأرب والنهج السديد . (٢) فى الأصلين : « طوغان » . وما أثبتناه عن السـلوك وعيون التواريخ . (٣) زيادة عن عيون التواريخ .

الظاهر بإنشاء شَـوَانٍ عِوَضًا عمّـا ذهب على قُبْرُص ، وآنتهى العمل من الشوانى فى يوم الأحد رابع عشر المحرّم سنة سبعين ، ورَكِب السلطان إلى الصِّناعة (١) لإلقاء الشَّوَانى فى بحر النيل ، ورَكِب السلطان فى شِينيٍّ منها ومعـه الأمير بدر الدين بِيليك الخازِنْدار ، فلمّا صار الشِّينِي فى المـاء مال بمَنْ فيـه فوقع الخازِندار منه إلى البحر ، فنَهض بعض رجال الشِّينِي ورَمى بنفسه خَلْفه فأدركه وأخذ بشَعْره وخلّصه ، وقد كاد يَهْلِك ، فخلَع عليه الملك الظاهر وأحسن إليه .

وفى ليلة السبت السابع والعشرين منه خرج الملك الظاهر من الديار المصريّة إلى الشـام فى نَفَرٍ يَسِيرٍ من خواصّـه وأمرائه ودَخَل حِصْن الكَرَك ، وخرج منه وصَحِب معه نائبه الأمير عِزّ الدين أَيْدَمُر وسار إلى دِمَشْق ، فوصل إليه يوم الجمعة ثانى عشر صفر ، فعَزَل عنها الأمير جمال الدين آقوش النَّجِيبِيّ ، ووَلّى مكانه الأمير عِزّ الدين أَيْدَمُر المعزول عن نيابة الكَرَك . ثم خرج منهـا إلى حَمَاة فى سادس عشره ثم عاد منها فى السادس والعشرين .

وفيهـا أَمَر مَلِكُ التّتار أَبْغَا بن هُولَاكُو عساكرَه بقصد البلاد الشاميّة ، فخرج عسكره فى عِدّة عشرة آلاف فارس وعليهم الأمير صَمغرا (٢) والبَرْوَاناه (٣) ، فلمّا بلغهم أنّ الملك الظاهر بالشـام أرسلوا ألفًا وخمسمائة من المُغُل ليتجسّسوا الأخبار ويُغيروا

(١) الصناعة ، يستفاد مما ورد فى الجزء الثانى من الخطط المقريزية (ص ١٨٩ — ١٩٧) عند ذكر المواضع المعروفة بالصناعة أن الصناعة ، وهى مكان صناعة السفن ، كانت فى زمن الملك الظاهر بيبرس وفى زمن دولتى المماليك على النيل بساحل مصر القديمة بخط دير النحاس (وراجع الحاشية رقم ٤ ص ٩٩ بالجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) كذا فى الأصلين وعيون التواريخ . وفى عقد الجمان ونهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٥٩) وتاريخ الدول والملوك : « صمغار » . (٣) البرواناه : لفظ فارسى ، معناه فى الأصل الحاجب ، وقد أطلق فى دول الروم السلاجقة بآسيا الصغرى على الوزير الأكبر . وهو سليمان ابن على بن محمد بن حسن الصاحب معين الدين البرواناه . توفى فى أواخر سنة ٦٧٦ هـ شهيدا فى واقعة التتار مع الملك الظاهر (عن المنهل الصافى وعيون التواريخ وشذرات الذهب) .

على أطراف بلاد حلب ، وكان مقدّمهم أمال(١) بن بَيْجُو نُوين(٢) ووصلت غارتهم إلى عَيْنتَاب(٣) ثم إلى قَسْطُون(٤) ووقعوا على تُرُكمان نازلين بين حارِم وأنطاكيَة فآستأصلوهم ؛ فتقدّم الملك الظاهر بتجفيل البلاد ليَحْمِلَ التّتارَ الطمعُ فيدخلوا فيتمكّن منهم . وبعث إلى مصر بخروج العساكر فخرجت ومقدّمها الأمير بَيْسَرِى ، فوصلوا إلى السلطان فى خامس الشهر(٥) وخرج بهم فى السابع منه ، فسبَق إلى التّتار خبرُه ، فوَلَّوْا على أعقابهم . وكان الظاهر لمّا مرّ بحَمَاة آستصحب معه الملك المنصور صاحب حَمَاة ، ونَزَل الظاهر حلَب يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الآخر(٦) من سنة سبعين وستمائة وخيّم بالمَيْدان الأخضر ، ثم جهّز الأمير شمس الدين آق سنقر الفارِقانِىّ فى عسكر وأمَره أن يمْضى إلى بلاد حلب الشماليّة ولا يتعرّض ببلاد صاحب سِيس ، وجهّز الأمير علاء الدين طَيْبَرس الوَزِيرِىّ فى عسكر وأمره بالتوجّه إلى حرّان . فأمّا الفارِقَانِىّ فإنه سار خَلْف التّتار إلى مَرْعَش(٧) فلم يجد منهم أحدًا ، ثم عاد إلى حلب فوجد الملك الظاهر مقيمًا بها ، وقد أمر بإنشاء دار شمالىّ القَلْعة كانت تعرف بدار الأمير بَكْتُوت ، أستادار الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب وأضاف إليها دارًا أخرى ، ووكّل بعمارتها الأمير عزّ الدين آقوش الأفرم .

ولمّا عاد الفَارِقَانِىّ إلى حلب رَحَل الملك الظاهر منها نحو الديار المصريّة فى ثامن عشرين شهر ربيع الآخر ، ودخل مصر فى الثالث والعشرين من جُمادى الأولى .

---

(١) فى النهج السديد : «أداك بن بيجونوين» . (٢) راجع معنى نوين فى الحاشية رقم ٣ ص ٧٨ من هذا الجزء . (٣) عينتاب : بلدة كبيرة ، بها قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية . (٤) فى الأصلين : «مسطوق» وهو تحريف ، وتصحيحه عن النهج السديد . وقسطون : حصن كان بالروج من أعمال حلب (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) يريد شهر ربيع الآخر ، كما فى عيون التواريخ وما يفهم من السلوك . (٦) فى الأصلين : «ربيع الأول» . والذى قدّمناه عن عيون التواريخ يقتضى ذلك . (٧) مرعش : مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم ، لها سوران وخندق ، وفى وسطها حصن عليه سور (عن معجم البلدان لياقوت) .

ولمّا وصل الظاهر إلى مصر قَبَض على الأمراء الذين كانوا مجرّدين على قاقون(١) بسبب الفرنج لمّا أغاروا على الساحل ما عدا آقوش الشّمْسِي- ثم شُفِـع فيهم فأطلقهم. وفي يوم الأربعاء ثالث جُمادى الآخرة عَدّى الملك الظاهر إلى بر الجيزة فأُخْبِر أن بُوصِير السِّدْر(٢) مَغَارةً فيها مَطْلَب، فجمع لها خَلْقًا فحَفَرُوا مَدًى بعيدًا، فوجدوا قِطاطًا ميتة وكلابَ صيد وطيورًا وغير ذلك من الحيوانات ملفوفا في عصائب وخِرَق، فإذا حُلّت اللفائفُ ولاقَ الهواءَ ما كان فيها صار هباءً منثورًا؛ وأقام الناس ينقُلون من ذلك مُدّة ولم يَنْفَد ما فيها، فأمَر الملك الظاهر بتركها وعاد من الجيزة. وفي يوم السبت سابع عشرين جُمادى الآخرة رَكِب السلطان الملك الظاهر إلى الصِّناعة(٣) ليرى الشواني التي عُمِلت وهي أربعون شِينِيًا فسُرّ بها. وعند عَوْده إلى القلعة وَلَدتْ زَرافةٌ بقلعة الجبل [وهذا(٤) أمر لم يُعْهد] وأرضِع ولدها لبن بقرة.

ثم سافر الملك الظاهر إلى الشام في شعبان وسار حتى وصل الساحل وخيّم بين قَيْسارِيّة وأرْسُوف، وكان مركزًا بها الفارِقَانِي- فرحل الفارقاني- عنها إلى مصر. ثم إنّ الملك الظاهر شنّ الغارة على عكا، فطلب منه أهلها الصلح وتردّدوا في ذلك حتى تقرّرت الهُدْنة بينهم مدّة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيّام وعشر ساعات، أوّلها ثاني عشرين شهر رمضان سنة سبعين وستمائة.

---

(١) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة. وقيل هو من عمل قيسارية من ساحل الشام (عن معجم البلدان لياقوت). والمقصود هنا المعنى الثاني، كما يفهم من عبارة المؤلف.

(٢) أبو صير السدر، هي من القرى القديمة، وردت في معجم البلدان لياقوت باسم بوصير السدر في كورة الجيزة. وفي التحفة السنية لابن الجيعان أبو صير السدر من أعمال الجيزية. ولا تزال هذه القرية موجودة إلى اليوم باسم «أبو صير» ضمن قرى مركز الجيزة بمديرية الجيزة عند حاجر الجبل الغربي غربي محطة الحوامدية على بعد خمسة كيلو مترات.

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥٥ من هذا الجزء.

(٤) زيادة عن عيون التواريخ.

ثم رحل الملك الظاهر إلى خَرِبة اللّصوص، ثم سار منها إلى دِمَشْق فدخلها في الثامن من شوّال؛ وبينما هو في دمشق تردّدت الرسل بينه وبين التّتار وآنفصل الأمر من غير آتّفاق . وفي ذي الحجّة توجّه الملك الظاهر من دِمشق إلى حصن الأكراد لينقُل حجارة المجانيق إليها[1] ورؤية ما عُمّر فيها ففُعِل[2] ذلك . ثم سار إلى حِصْن عَكّار[3] فأشرف عليها . ثم عاد إلى دِمَشْق في خامس المحرّم من سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وفي ثاني عشر المحرّم المذكور أفرج[4] الملك الظاهر عن الأمير أَيْبَك النّجيبي الصغير، وأَيْدَمُر الحِلّي العَزِيزِي وكانا محبوسين بالقاهرة . ثم خرج الملك الظاهر من دِمَشق في المحرم أيضا عائدًا إلى الديار المصريّة وصحبته الأمير بدر الدين بَيْسَرِيّ والأمير آقوش الروميّ وجرمك[5] الناصريّ، فوصل إليها في يوم السبت ثالث عشرين المحرّم، فأقام بالقاهرة إلى ليلة الجمعة تاسع عشرينه، خرج من مصر وتوجّه إلى دِمَشق فدخل قلعتها ليلة الثلاثاء رابع صفر ، فأقام بدمشق إلى خامس جُمادَى الأولى آتصل به أن فرقة من التّتار قصدت الرَّحْبَة، فبرز إلى القُصَيْر[6] فبلغه أنّهم عادوا من الرَّحْبَة ونزلوا على البِيرة، فسار إلى حِمْص وأخذ مراكب الصيّادين على الجمال ليجوز عليها، ثم سار حتّى وصل إلى الباب من أعمال حلب ،

---

(١) يريد إلى قلعة حصن الأكراد، كما يفهم من عبارة السلوك (ص ٦٠٢) وعبارة تاريخ الدول والملوك لابن الفرات .

(٢) عبارة تاريخ الدول والملوك لابن الفرات ، والسلوك للقريزى : « ونقل معهم بنفسه » .

(٣) في الأصلين : « إلى حصن عكا » . وما أثبتناه عن السلوك (ص ٦٠٢) وتاريخ الدول والملوك وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥١ من هذا الجزء .

(٤) راجعنا هذا الخبر في المصادر التي تحت أيدينا مثل عيون التواريخ وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات والسلوك للقريزى وتاريخ أبي الفدا وتاريخ ابن الوردى في حوادث سنه ٦٧١ ﻫ فلم نجد له ذكرا في تلك المصادر .

(٥) في النهج السديد : « وسيف الدين جريك » .

(٦) القصير: يريد القصير التي هي ضيعة أوّل منزل لمن يريد حمص من دمشق وهي غير حصن القصير الذى تقدّم ذكره .

وبعث جماعة من الأجناد والعُرْبان لكشف أخبارهم، وسار إلى مَنْبِج فعادوا وأخبروا أنّ طائفة من التّتار مقدار ثلاثة آلاف فارس على شطّ الفُرات ممّا يلى الجزيرة، فرحل عن[1] مَنْبِج يوم الأحد ثامن عشر جُمادَى الأولى ووصل شطّ الفُرات، وتقدّم إلى العسكر بخَوْضها، فخاض الأمير سيف الدين قلاوون الألفىّ والأمير بدر الدين بَيْسَرِى فى أوّل الناس، ثم تَبِعهما هو بنفسه وتبعتْه العساكر، فوقعوا على التّتار فقتَلوا منهم مَقْتَلةً عظيمة وَأسَرُوا تقدير مائتى نفس ولم ينجُ منهم إلّا القليل، وتَبِعهم بَيْسَرى إلى قريب سَرُوج[2] ثم عاد. وكان على البِيرة[3] جماعة كثيرة من عسكر التّتار، وكانوا قد أشرفوا على أخذها، فلمّا بلغهم الخبرُ رحلوا عن البِيرة؛ ودخلها السلطان فى ثانى عشرين الشهر وخلَع على نائبها وفرّق فى أهلها مائة ألف درهم، وأنعم عليهم ببعض ما تركه التّتار عندهم لمّا هربوا. ثم رحل الملك الظاهر عنها بعساكره وعاد إلى دِمَشْق. وفى هذه النُّصْرة قال العلّامة شهاب الدين[4] أبو الثناء محمود كاتب الإنشاء — رحمه الله — قصيدة طنانة، أوّلها:

سِرْ حيث شئتَ لك المهيمن جارُ * وٱحكُمْ فَطَوْعُ مرادك الأقدارُ
لم يبقَ للدين الذى أظهرتَه * يا ركنَه عند الأعادى ثارُ
لمّا تراقصت الرءوس وحرّكت * من مطرِبات قِسِيّك الأوتارُ
خُضتَ الفُرات بسابح أقصى منىً * هُوج الصَّبَا من نعله[5] آثارُ
حملتْك أمواجُ الفُراتِ ومَنْ رأى * بحرًا سواك تَقلُّه الأنهارُ
وتقطّعت فِرَقًا ولم يك طودَها * إذ ذاك إلا جيشُكَ الجرّارُ

(١) فى الأصلين: «فدخل منبج» وتصحيحه عن عيون التواريخ وما يفهم من عبارة النهج السديد والمؤلف. (٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٤) سيذكره المؤلف سنة ٧٢٥ ﻫ.
(٥) فى الأصلين: «من نعله الأوتار». والتصحيح عن عيون التواريخ.

رشّت دماؤهم الصعيـدَ فلم يَطِرْ * منهـم على الجيش السـعيد غُبارُ
شَكَرَتْ مساعيك المعاقلُ والوَرَى * والـتُّرْب والآسـادُ والأطيـارُ
هـذى مَنَعتَ وهؤلاء حميتهـم * وسَقَيتَ تلك وعمّ ذا الإيسـارُ
فَلَأَمْلَأَنَّ الدهرَ فيك مدائحًا * تبـقى بَقِيتَ وتذهب الأعصـارُ

وهى أطول من ذلك . وقال الشيخ ناصر الدين حسن بن النَّقيب الكنانىّ الشاعر (١) — رحمه الله تعالى — قصيدة وكان حاضر الوقعة منها :

ولمّـا تراميْنا الفُـرات بخيلنا * سَكَرْناه (٢) منـا بالقُوَى والقوائمِ
فأوقفتِ التتـارَ عن جَريانه * إلى حيث عُدْنا بالغِنى والغنائمِ

وقال الموفّق (٣) عبد الله بن عمر الأنصارى — رحمه الله — وأجاد :

المـلك الظاهر سلطاننا * نَفْـديه بالأموال والأهلِ
اقتحم المـاءَ ليُطْفِى به * حرارةَ القلب من المُغْـلِ

ثم توجّه الملك الظاهر إلى نحـو الديار المصريّة ، فخرج ولده الملك السـعيد لتلقّيه فى يوم الثلاثاء تاسع عشر جُمادى الآخرة ، فآجتمع به بين القُصَيْر (٤) والصالحيّة فى يوم الجمعـة ثانى عشرينـه (٥) ، فترجلا وآعتنقا طويلا ؛ ثم ركبا وسارا جميعا إلى القلعـة و بين يديهـم أَسارى التّتار رُكّابا على الخيـل ، ثم فى سابع شهر رجب أفـرج الملك الظـاهر عن الأمير عز الدين أَيْبَك الدِّمْياطى من الآعتقال ، وكانت مدّة آعتقاله تسع سنين وعشرة أيام ، ثم خَلَع الملك الظاهر على أمراء الدولة ومقدّمى الحَلْقة وأعطى ،

(١) هو ناصر الدين الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن المعروف بالنفيسى و بابن النقيب الكنانى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٧ هـ . (٢) فى الأصلين . « سكاه » . وتصحيحه عن عيون التواريخ والمنهل الصافى وفوات الوفيات . (٣) هو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن نصر الله الأنصارى المعروف بالورن . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٧ هـ .
(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٣ من هذا الجزء . (٥) فى الأصلين : «حادى عشرينه» . والتصحيح عن التوفيقات الالهامية وما تقدّم ذكره للؤلف قريبا .

كلّ واحد منهـم ما يليق به من الخيل والذهب والحوائص والثّياب والسيوف ، وكان قيمة ما صرفه فيهم فوق ثلثمائة ألف دينار، وفى سادس عشرين شعبان أفرج الملك الظاهر عن الأمير علم الدين سَـنْجَر الحلبي الغَتْمي المُعِزّيّ . وفى يوم الاثنين ثانى عشر شوّال آستدعى الملك الظاهر الشيخ خَضِرًا إلى القلعة وأحضره بين يديه .

قلت : والشيخ خَضِر هـذا هو صاحب الزاوية (١) بالحسينية بالقرب من جامع الظاهر (٢) . انتهى. وأَحْضر معه جماعة من الفقراء حاققوه على أشياء كثيرة مُنكَرة، وكثّر

(١) زاوية الشيخ خضر، قال المقريزى فى (ص ٤٣٠) من الجزء الثانى من خططه : إن هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القـاهرة بخط زقاق الكحل ، تشرف على الخليج الكبير، عرفت بالشيخ خضر ابن أبى بكر بن موسى المهرانى العدوى شـيخ الملك الظاهر بيبرس، بناها له الظـاهر فى سـنة ٦٦٠ هـ ودفن الشيخ خضر بها فى سـنة ٦٧٦ هـ . وأقول : يتضح ممـا ذكر بالمصادر الخاصة بهـذه الزاوية أنها كانت واقعة بزقاق الكحل خارج باب الفتوح وعلى الجانب الشرقى من الخليج المصرى تجاه أرض الطبالة ، وأنها كانت بالقرب من جامع الظـاهر بخط الحسينية وأنها كانت موجودة لغـاية القرن العاشر الهجرى بدليل أن الشيخ عبد الوهاب الشعرانى الذى توفى سـنة ٩٧٣ هـ قال : إن قبر الشيخ خضر ظاهر يزار . وبالبحث عن موقع زقاق الكحل تبين لى من المصادر الصريحة أن مكان هـذا الزقاق اليوم الطريق الذى يسمى فى مصلحة التنظيم سكة الظاهر ، وعلى ألسنة العامة شارع المنسى فيما بين ميدان الظاهر وضريح المنسى .

وبالبحث فى سكة الظاهر عن مكان زاوية الشيخ خضر تبين لى أنها اندثرت ودخلت فى المساكن . ومكانها اليوم المربع القائم عليه المنزلان رقما ٢٩ و ٣١ الواقعان فى نهاية شارع الإمبابى من الجهة الشرقية على يسار الداخل من سكة الظاهر فيما بين هذه السكة وشارع الخليج المصرى .

(٢) جامع الظاهر، ذكر المقريزى فى (ص ٢٩٩) من الجزء الثانى من خططه أن هذا الجامع أنشأه الملك الظاهر صاحب الترجمة فى ميدان قراقوش خارج باب الفتوح من القاهرة فى سنة ٦٦٥ هـ ويسمى جامع الظاهر . وأقول : إن هذا الجامع يقع بميدان الظاهر بين شارعى الظاهر والعباسية بالقاهرة وهو من أكبر جوامعها يبلغ مسطحه ١١٨٨٠ مترا مربعا وهو ما يقرب من ثلاثة أفدنة . وبالبحث تبين أن هذا الجامع تعطلت منه إقامة الشعائر من أوّل القرن العاشر الهجرى بسبب سـعته وتعذر الصرف عليه ، ثم تخرب وسقطت قبته الكبيرة التى كانت فوق إيوان المحراب ، ثم سقطت مئـذنته ولم يبق منـه الآن إلا جدرانه الخارجية المبنية بالحجر النحيت . وذكر الجبرتى أن هذا الجامع جعل فى العهد العثمانى مخزنا للمهمات الحربية كالخيام والسروج وغيرها ، ثم جعل قلعة وثكنة للجنود فى زمن الحملة الفرنسية ، ثم جعل مخبزا للجراية ومعملا للصابون فى زمن محمد على باشا الكبير ثم جعل فى زمننا مذبحا لجيش الاحتلال الانجليزى . وقد بطل الذبح فيه من سنة ١٩١٥ ولهذا يعرف الى اليوم باسم المذبح . وفى سنة ١٩١٨ غرست مصلحة التنظيم أرض صحن الجامع وجعلته منتزها عاما . وفى سنة ١٩٢٨ عمرت لجنة حفظ الآثار العربية الجزء الواقع عند المحراب وجعلته مصلى .

بينه وبينهم فيها المقالة ورمَوْه بفواحش كثيرة ونسُبوه إلى قبائح عظيمة؛ فرَسم الملك الظاهر بآعتقاله، وكان للشيخ خَضِر المذكور منزلة عظيمة عند الملك الظاهر بحيث إنّه كان ينزل عنده فى الجمعة المرّة والمرّتين ويُباسِطه ويُمازِحه ويَقْبل شفاعته ويستصحبه فى سائر سَفَرَاته، ومتى فَتَح مكانا أفرض له منه أوفر نَصيب، فآمتدّت يد الشيخ خَضِر بذلك فى سائر المملكة يفعل مايختار لا يمنعه أحدٌ من النوّاب، حتّى إنّه دخل إلى كنيسة قُمامة[(١)] ذَبَح قِسِّيسَها بيده، وآنتهب ما كان فيها تلامذتُه، وهجم كنيسة اليهود بدِمَشْق ونهبها، وكان فيها مالا يُعبَّر[(٢)] من الأموال، وعمرها مسجدا وعَمِل بها سَمَاعا ومدّ بها سِماطًا . ودخل كنيسة الإسكندريّة وهى عظيمة عند النصارى فنهبها وصيّرها مسجدا، وسمّاها المدرسة الخضراء[(٣)] وأنفق فى تعميرها مالًا كثيرًا

(١) قمامة (كنيسة القيامة) : أشهر الكنائس المسيحية طرا ، بنتها الملكة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين عاهل الامبراطورية الرومانية الشرقية ، ومؤسس مدينة القسطنطينية ، وهو أوّل إمبراطور تنصر وأمر بنشر الديانة المسيحية وجعلها دين الحكومة الرسمى ، وكان الفراغ من بنائها سنة ٣٣٥ م ومن ذلك التاريخ للآن هى الكنيسة التى يحج إليها المسيحيون من كافة أصقاع الأرض ، هدمها الفرس أثناء إغارتهم على سوريا وفلسطين سنة ٦١٤ م وفى سنة ٦٢٨ م أجلى هرقل الفرس وآسترجع سوريا وخشبة الصليب ، ومن ثم أعاد بناءها الميديون سنة ٦٢٩ م ، ثم جاء الفتح الاسلامى سنة ٦٣٧ م . ودخل عمر القدس وزار كنيسة القيامة فلما أدركته الصلاة خرج منها وصلى أمامها ولم يصل فى القيامة خشية أن يدعيها المسلمون ويحولوها إلى مسجد . وقد كتب عنها جغرافيو العرب ومؤرخوهم كالمقدسى والمسعودى وابن الأثير وناصر خسرو والإدريسى والهروى وياقوت وكلهم قالوا : إن كنيسة القيامة وسط المدينة يحيط بها سور عظيم وفيها مقبرة يسمونها القيامة لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامته منها . وهى تحتوى على ٢٤ كنيسة ومصلى ومدخل لجميع المسيحيين على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم . (راجع فلسطين الاسلامية لاسترانج ص ٢٠٢ — ص ٢١٢ وبقية المصادر المذكورة) .

(٢) عبارة عيون التواريخ : « مالا يعبر عنه من الآلات والفرش » .

(٣) المدرسة الخضراء ، لما تكلم المقريزى على زاوية الشيخ خضر التى بالقاهرة فى ص ٤٣٠ ج ٢ من خططه — قال : وهدم الشيخ خضر كنيسة للروم بالاسكندرية كانت من كراسى النصارى ويزعمون أن بها رأس يحيى بن زكريا . وعملها مسجدا سماه الخضر . وأقول : تبين لى من البحث أن هذا المسجد هو بذاته المدرسة الخضراء التى تعرف اليوم بزاوية سيدى خضر الكائنة تحت رقم ١٠ بشارع رأس التين بالإسكندرية .

من بيت المال . وبنى له الملك الظاهر زاويةً بالحسينية ظاهر القاهرة ووقف عليها وحبّس عليها أرضا تجاورها تحتكر للبناء . وبنى لأجله جامع الحسينية .

وفى يوم الاثنين سابع المحرم سنه اثنتين وسبعين وستمائة جلس الملك الظاهر بدار العدل[1] وحكّم بين الناس ونَظَر فى أمور الرعيّة ، فأنصف المظلومَ وخلّص الحقوق ومال على القوىّ ورَفَق بالضعيف . وفى العاشر منه هُـدِمت غرفةٌ على باب قصر من قصور الخلفاء الفاطميّين بالقاهرة ، ويُعرف هذا الباب بباب البحر[2] ، وهو من بناء الخليفة الحاكم بأمر الله منصور المقدّم ذكره ، فوُجِد فى القصر الذى هُدِم امرأة فى صندوق منقوش عليها كتابة اسم الملك الظاهر[3] بيبرس هـذا وصفته ، وبقِى منها مالم يمكن قراءته .

وفيهـا قُبِض على ملك الكُرْج[4] وهو أنّه كان قد خرج من بلاده قاصدًا زيارة القُدْس الشريف متنكّرا فى زىّ الرهبان ومعه جماعة يسيرة من خواصّه ، فسلك بلاد

(١) دار العدل : ذكر المقريزى فى ص ٢٠٥ ج ٢ من خططه أن دار العدل القديمة أنشأها الملك الظاهر فى سنة ٦٦١ ﻫ وأن موضعها كان تحت القلعة فى المكان الذى يعرف بالطبلخاناه ، ولما تكلم على الطبلخاناه فى ص ٢١٣ من هذا الجزء قال : إنها كانت تحت القلعة فيما بين باب السلسلة وباب المدرج . وأقول : إن باب السلسلة لايزال موجودا ، وعرف قديما بباب الإصطبل وباب الانكشارية ، وأما اليوم فيعرف بباب العزب نسبة إلى طائفة من العسكر تسمى عزبان ، وظيفتهم المحافظة على القلاع — وأن باب المدرج لايزال موجودا غير مستعمل بجوار باب القلعة العمومى الذى يعرف بالباب الجديد من الداخل . ومما ذكر يتضح أن دار العدل مكانها اليوم فى المنطقة الواقعة على يسار الداخل من باب العزب متجها إلى الشرق نحو الباب الجديد المشغولة بمخازن مهمات وملابس الجيش المصرى ، ويحدها من الغرب سكّة المحجر ، ومن الشمال شارع الدفترخانة ، وهذا التحديد ينطبق أيضا على مكان الطبلخاناه .

(٢) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) قصة هـذا الطلسم مستفيضة فى نهاية الأرب ج٢٨ ص ٤٣ ، وفى المقريزى الخطط ج ١ ص ٤٣٣ — ٤٣٤ ، وتاريخ الدول والملوك ، والسلوك (ص ٦٠٩) فلتراجع هناك . (٤) الكرج (بالضم ثم السكون وآخره جيم) : جيل من الناس نصارى كانوا يسكنون فى جبال القبق وبلد السرير ، فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس ، ولهم ولاية تنسب اليهم . (عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٢٥١) .

الروم إلى سِيس فركب البحر إلى عَكّا، ثم خرج منها إلى بيت المقدس فآطّلع الأمير بدر الدين الخازِنْدار على أمره وهو على يافا، فبعث إليه من قَبَض عليه، فلمّا حضر بين يديه بعثــه مع الأمير ركن الدين مَنْكُورس إلى السلطان ؛ وكان السلطان قــد توجّه إلى دِمَشق فوصــل إلى دمشق فى رابع عشر جُمَادى الأولى، فأقبل عليــه السلطان وسأله حتى آعترف، فحبســه فى بُرْج من أبراج قلعــة دِمَشق، وأمره أن يبعث من جهته إلى بلاده مَنْ يعرِّفهم بأَسْره، فبعث نَفَرَيْن. وخرج الملك الظاهر من دِمَشق ثالث عشرين جُمادَى الآخرة، وقَدِم القــاهرة يوم الخميس سابع شهر[1] رجب من سنة آثنتين وسبعين المذكورة . ثم فى يوم الخميس خامس عشرين شهر رمضان أمَر السلطان العسكر أن يركب بالزينة الفاخرة ويلعب فى المَيْدان تحت القلعة، فآستمرّ ذلك كلّ يوم إلى يوم عِيــد الفِطْر خَتَنَ السلطان الملك الظاهر ولَدَه خَضِرًا ومعه جماعة من أولاد الأمراء وغيرهم، وكان الملك السعيد آبن الملك الظاهر فى يوم الأربعاء سابع[2] عشر شهر رمضان خرج من القاهرة وتوجّه إلى دِمَشق ومعه شمس الدين آقسنقر الفارِقانِيّ وأربعون نفرا من خواصّه على خيل البريد، وعاد إلى القاهرة فى يوم الخميس الرابع والعشرين من شوّال .

وفى يوم الأحد سابع صفر من سنة ثلاث وسبعين وستمائة ركب الملك الظاهر الهُجْن وتوجّه إلى الكَرَك ومعه بَيْسَرى وأُتَامِش السَّعْدِى ، وسببُ توجُّهه أن وقع بالكَرَك بُرْج فأحبّ أن يكون إصلاحه بحضوره . ثم عاد إلى مصر فدخلها فى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شهر ربيع الأوّل ، فأقام بها مدّة يسيرة . ثم توجّه إلى دِمَشق وأقام به إلى أن أرسل فى رابع[3] عشرين المحرّم ســنة أربع وسبعين وستمائة الأمــير

(١) كذا فى الأصلين وعقد الجمان . وفى السلوك وتاريخ الدول والملوك : « فدخل قلعة الجبل فى رابع عشرين جمادى الآخرة » . (٢) فى الأصلين : « ثالث عشر » . وهو خطأ .
(٣) فى الأصلين : « فى رابع عشر المحرم » . وتصحيحه عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان والسلوك.

بدر الدين بيليك الخَـازِنْدار على البَرِيد إلى مصر لإحضـار الملك السعيد، فعاد به إلى دِمَشق فى يوم الأربعـاء سادس صفر من السنة . وفى الثـالث والعشرين من جُمَـادَى الأولى فتح حِصْن القُصَيْر[1] وهو بين حارِم وأنطاكِيَة ، وكان فيـه قِسِّيس عظيم عنـد الفرنج يقصدونه للتـبرُّك به ، وكان الملك الظاهر قـد أَمَر التُّرْكُمان وبعض العرب بمحاصرته، وبعد أخذه عاد الملك الظاهر إلى مصر فلم تَطُل مدّته به وعاد إلى دمشق ، فدخله يومَ ثالث المحرَّم من سـنة خمس وسبعين، فأقام به مدة يسيرة أيضا، وعاد إلى الديار المصريّة فى يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر[2]، وأمر بعمل عُرْس ولده الملك السـعيد، واَهتمّ فى ذلك إلى يوم الخميس خامس جُمَـادى الأولى أَمَر العسـكر بالركوب إلى الميدان[3] الأسـود تحت القلعـة فى أحسن زِىّ، وأقاموا يركبون كلّ يوم كذلك ويتراكضون فى الميدان، والنـاس تزدحم للفُرْجة عليهم خمسة أيام، وفى اليوم السادس اَفترق الجيش فرقتين ، وحَمَلت كلّ فرقة على الأخرى وجرى من اللعب والزينة مالا يوصف، وفى اليوم السابع خُلِـع على سائر الأمراء والوزراء والقضاة والكُتّاب والأطباء مقدار ألف وثلثمائة خِلْعة ، وأرسل

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٣ من هذا الجزء . (٢) فى السلوك : « وعاد السلطان من حلب إلى مصر فدخل قلعة الجبل فى رابع عشر ربيع الأوّل» . (٣) الميدان الأسود ، لما تكلم المقريزى فى ص ١١١ من الجزء الثانى من خططه على ميدان القبق قال : إنّ هذا الموضع خارج القاهرة من شرقيها فيما بين النقرة التى ينزل من قلعة الجبل اليها وبين قبة النصر التى تحت الجبل الأحمر تجاه قبة الأمير يونس الدوادار الظاهرى ويقال له أيضا : الميدان الأسود، وميدان العيد، والميدان الأخضر، وميدان السباق ، وهو ميـدان الملك الظاهر بيـبرس البندقدارى بنى به مصطبة فى المحرم من سـنة ٦٦٦ هـ عند ما احتفل فيـه برمى النشاب وحث الناس على أمور الحرب ولعب الرمح ورمى النشاب ونحو ذلك .

وأقول : إن هذا الميدان مكانه اليوم الأرض المشغولة بترب جبانة باب الوزير وقرافة المجاورين وجبانة المماليك وينتهى عند قبة الأمير يونس الدوادار التى لاتزال موجوده بالجهة البحرية من مدفن السلطان برقوق وتعرف الآن بقبة أنس والد السلطان برقوق ، لأنها أنشئت باسمه ودفن فيها قبل أن ينقل رفاته إلى جامع ولده السلطان برقوق الكائن بشارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقا) .

إلى دِمَشق الخِلَع ففرقت كذلك ، وفى يوم الخميس مدّ السِّماط فى الميـدان المذكور فى أربعة خِيَم ،وحضر السِّماط مَنْ علا ومن دنا ، ورُسُلُ التتار ورُسُلُ الفرنج ،وعليهم الخِلَع أيضا ، وجلس السلطان فى صدر الخَيْمة على تخت من آبَنُوس وعاج مصفَّح بالذهب مسمَّر بالفِضّة غَرِم عليه ألف دينار ؛ ولمّـا انقضى السِّماط قدّم الأمراء الهـدايا من الخيل والسلاح والتُّحف وسائر الملابس، فلم يقبـل السلطان من أحد منهم سـوى ثوب واحد جَبْرًا له ؛ فلمّـا كان وقت العصر ركب إلى القلعة وأخذ فى تجهيز ما يَلِيق بالزِّفاف والدخول، ولم يمكِّن أحد من نسـاء الأمراء على الإطلاق من الدخول إلى البيوت، ودخل الملك السـعيد إلى الحَمّام ثم دخل إلى بيتـه الذى هُيِّئ له بأهله ، وحُمِلت العَرُوس فدخل عليها . ولمّـا بلغ الملك المنصور[1] صـاحب حماة ذلك قدِم القاهرة مهنّئا للسلطان ومعه هديّة سنيّة، فوصل القاهرة فى ثامن جُمـادى الآخرة ، فركب الملك السعيد لتلقِّيه ونزل بالكبش[2] ، وأقام مدّة يسـيرة ثم عاد إلى بلده .

ثم خرج الملك الظاهر بعد ذلك من القاهرة فى يوم الخميس العشرين من شهر رمضان بعد أن استناب الأمير آق سنقر الفَارِقانِى الأستادار نائبًا عنه فى خدمة ولده الملك السعيد ، وترك معـه من العسكر بالديار المصريّة لحفظ البـلاد خمسة آلاف فارس ، ورحل من المنزلة يوم السبت ثانى عشر شـوّال قاصداً بلاد الروم فدخل دِمَشق ثم خرج منهـا ودخل حلب يوم الأربعاء مستهلّ ذى القعدة، وخرج منهـا

---

(١) المنصور محمد هذا سليل الملك المظفر تق الدين عمر ، الذى أقطعه عمه صـلاح الدين الأيوبى حمـاة سنة ٥٧٤ هـ ، وقد ظلت حماة بيد أبناء هـذا الفرع الأيوبى . وكان صاحبها أيام غارات التتار على الشام المنصور محمد المذكور ، فخضع لهولاكو والتتار ، ثم انقلب بعـد هزيمتهم إلى مصادقة سلاطين المماليك والاعتراف بسيادتهم كما هو معروف مما سبق (السلوك هامش ص ٦١٤) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من هذا الجزء .

يوم الخميس إلى حَيْلَان[(١)]، فترك بها بعض الثَّقَل، وأمر الأمير نور الدين علىّ بن مَجَلِّى[(٢)] نائب حلب أن يتوجّه إلى الساجور[(٣)] ويُقيمَ على الفُرات بمَنْ معه من عسكر حلب ويحفظ مَعابِر الفُرات لئلا يعبُر منها أحدٌ من التّتار قاصدًا الشام، ووصل إلى الأمير[(٤)] نور الدين الأميرُ شرف الدين عيسى بن مُهَنّا وأقام عنده، فبلغ نوّاب التّتار ذلك فجهّزوا إليهم جماعة من عَرَب خَفَاجة[(٥)] لكَبْسهم فحَشَدُوا وتوجّهوا نحوهم. فاتّصل بالأمير علىّ نائب حلب الخبرُ وكان يَقِظًا، فركب إليهم والتقاهم وكسرهم أقبح كَسْرة، وأخذ منهم ألفًا ومائتى جمل.

وأمّا الملك الظاهر فإنّه ركب من حَيْلَانَ يوم الجمعة ثالث الشهر، وسار إلى عَيْنتَاب، ثم إلى دُلُوك[(٦)]، ثم إلى منزلة أُخرى[(٧)] ثم إلى كَيْنُوك[(٨)]، ثم إلى كُكْ صُو (ومعناه الماء الأزرق باللغة التركيّة)[(٩)]. ثم رَحل عنه إلى أَقْجَادَرْبَنْد[(١٠)] فقطعه فى نصف نهار؛

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧٥ من هذا الجزء. (٢) فى الأصلين: «سيف الدين». وما أثبتناه عن السلوك وعيون التواريخ ونهاية الأرب للنويرى (ج ٢٨ ص ١١١). وفى النهج السديد ونهاية الأرب: «على بن محلى» بالحاء المهملة بدل الجيم. (٣) الساجور: اسم نهر بمنبج (عن معجم البلدان لياقوت). (٤) فى الأصلين: «ووصل إليه الأمير نور الدين ابن الأمير شرف الدين ...». وتصحيحه عن نهاية الأرب والسلوك. (٥) عرب خفاجة: هم بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. قال صاحب صبح الأعشى: وفيهم الإمرة بالعراق إلى الآن (صبح الأعشى أوّل ص ٣٤٣). (٦) دلوك: بليدة من نواحى حلب بالعواصم، كان بها وقعة أبى فراس بن حمدان (عن معجم البلدان لياقوت).

(٧) يريد منزلة مرج الديباج كما فى نهاية الأرب وعيون التواريخ، وهو واد عجيب المنظر نزه بين الجبال، بينه وبين المصيصة عشرة أميال (عن معجم البلدان لياقوت). (٨) كينوك: فى الأصلين «حينوك». وما أثبتناه عن عيون التواريخ ونهاية الأرب. وهى بلدة من بلاد الروم من أعمال آسيا الصغرى والعرب يسمونها «الحدث الحمراء» لأن سيف الدولة على بن حمدان بناها من حجارة حمر، وللمتنبي فيها شعر يمدح به سيف الدولة (انظر نهاية الأرب ج ٢٨ ص ١٠٥). (٩) فى عيون التواريخ وعقد الجمان وصبح الأعشى (ج ١٤ ص ١٤٣) والنهج السديد. «ومعناه النهر الأزرق».

(١٠) فى الأصلين: «ثم رحل عنه إلى أن جاء إلى دربند». وما أثبتناه عن صبح الأعشى (ج ١٤ ص ١٤٤) وما سيذكره المؤلف فى هذه الترجمة. وأقجا دربند: قرية على فم الطريق الجبلى بين نهر كوكصو وأبلستين. راجع صبح الأعشى فى الصفحة والجزء المتقدمين.

فلمّـا خرجت عساكره وملكت المَفَاوِز ، قـدّم الأميرُ شمس الدين سُنْقُرَ الأشقر على جماعةٍ من العسكر وأمَرَه بالمَسِير بين يديه ، فوقع على كَتِيبة التّتار وعِدّتُهم ثلاثة آلاف فارس ، ومقـدّمُهم كراى فهزمهم سُـنْقُر الأشقر وأَسَرَ منهم طائفة ، وذلك فى يوم الخميس تاسع ذى القعدة .

ثم ورد الخبرُ على الملك الظاهر بأنّ عسكر الروم والتّتـار مع البَرْوَانَاه آجتمعوا على نهر جَيْحَان[1] ، فلمّـا صَعِد العسكرُ الجبلَ أشرف على صحراء أَبُلُسْتَيْن[2] فشاهد التّتارَ قد رتّبوا عساكرهم أحدَ عَشرَ طُلْبًا فى كلّ طُلْب ألف فارس ، وعَزَلوا عسكر الروم عنهم خوفًا من باطنٍ يكون لهم مع المسلمين ، وجعلوا عسكر الكُرْج طُلْبا واحدا ؛ فلمّا تَرَآءى الجَمْعَانِ حَمَلت مَيْسرة التّتـار حَمْلةً واحدة وصدموا سَـنْجَق الملك الظاهر ، ودخلت طائفة منهم بينهم ، وشقّوا المَيْسَرة وساقوا إلى المَيْمَنة ؛ فلمّـا رأى الملك الظاهر ذلك أَرْدفهم بنفسه ، ثم لاحت منه آلتفاتةٌ فرأى المَيْسرة قد أتت عليها ميمنةُ التّتار ، فأمر الملك الظاهر جماعةً من أصحابه الشُّجْعان بإردافها ، ثم حَمَل هو بنفسه — رحمه الله — فلمّا رأته العساكر حَمَلت نحوه بُرمّتهـا حملةَ رجل واحد ، فترجّل التّتار عن خيولهم وقاتلوا قتالَ الموت فلم يُغْنِ عنهم ذلك شيئًا ، وصَبَرَ لهم الملك الظاهر وعسكره وهو يَكُرُّ فى القوم كالأسد الضّارِى و يقتحِم الأهوال بنفسه و يُشجّع أصحابَه و يُطَيِّب لهم الموت فى الجهاد إلى أن أنزل الله تعالى نصره عليه ، وآنكسر التّتارُ أقبح كَسْرة وقُتِـلوا وأُسِروا وفرّ مَنْ نجا منهم ، فآعتصموا بالجبال فقصدتْهم العسـاكرُ الإسلاميّة وأحاطوا بهم ، فترجّلوا عن خيولهم وقاتلوا فقُتِل منهم جماعة كثيرة ، وقُتِلَ

(١) جيحان (بالفتح ثم السكون) : نهر بالمصيصة بالثغر الشامى ومخرجه من بلاد الروم و يمر حتى يصب بمدينة تعرف بكفربيا بإزاء المصيصة . (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) أبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم وسلطانها ولد قليج أرسلان السلجوق قريبة من أبسس مدينة أصحاب الكهف (ياقوت أول ٩٣ — ٩٤) .

ممّن قاتلهم من عساكر المسلمين الأميرُ ضياء الدين [محمود](١) بن الخطير، وكان من الشُّجعان الفُرسان، والأميرُ شرف الدين قيران العَلائيّ(٢)، والأميرُ عزّ الدين أخو المحمّديّ(٣)، وسيفُ الدين قفجاق(٤) الجاشَنكير، والأميرُ [عزّ الدين](٥) أيبك الشَّقيفيّ — رحمهم الله تعالى وأسكنهم الجنّة —. وأُسِر من كبار الروميّين مُهذَّب الدين(٦) ابن مُعين الدين البَرْوَانَاه، وابن بنت معين الدين المذكور، والأميرُ نور الدين(٧) جبريل [بن جاجا]، والأميرُ قُطْب الدين محمود أخو مجد الدين الأَتَابَك، والأمير سِراج الدين إسماعيل [بن جاجا](٨)، والأميرُ سيف الدين سُنْقُرجاه الزُّوبَاشيّ(٩)، والأمير نصرة الدين بَهْمَن أخو تاج الدين كيوى (يعني الصهر) صاحبُ سِيواس(١٠)، والأمير كمال الدين إسماعيل عارض الجيش، والأميرُ حُسام الدين كاوك(١١)، والأميرُ سيف الدين بن الجاويش(١٢)، والأميرُ شهاب الدين غازى بن على شِير التُّركُمانى،

(١) التكملة عن عيون التواريخ والنهج السديد. (٢) كذا في الأصلين وعيون التواريخ ونهاية الأرب وصبح الأعشى. وفي السلوك وعقد الجمان: «سيف الدين». (٣) في الأصلين: «أخو المجدى». وما أثبتناه عن عيون التواريخ ونهاية الأرب وصبح الأعشى. (٤) في الأصلين: «قلعق». وما أثبتناه عن السلوك. وفي النهج السديد لابن أبي الفضائل، وعيون التواريخ: «قليج». (٥) زيادة عن عيون التواريخ وعقد الجمان والنهج السديد.

(٦) في عقد الجمان: «علاء الدين بكلاربكى بن البرواناه». وبكلاربكى لقب تركى (معناه أمير الأمراء). وهو على بن سليمان بن على بن محمد بن حسن. توفي سنة ٧٠٩ (عن المنهل الصافي).

(٧) في الأصلين: «تق الدين». والزيادة والتصحيح عن عيون التواريخ وعقد الجمان والنهج السديد.

(٨) زيادة عن عيون التواريخ ونهاية الأرب والنهج السديد، وهو أخو نور الدين المتقدم.

(٩) واتفقت المصادر التي تحت أيدينا الأصلين على أنه «الزوباشى». وانفرد صاحب عقد الجمان بأنه «سنقرجاه السيواسى». (١٠) سيواس: بلدة كبيرة مشهورة وبها قلعة صغيرة وهي ذات أعين. والشجر بها قليل ونهرها الكبير يبعد عنها بمقدار نصف فرسخ، و يقول المسافرون: إن مسافة الطريق بين سيواس وقيسارية ستون ميلا، فيها أربع وعشرون خانا للسبيل، وفيها ما يحتاج اليه المسافرون المنقطعون، لاسيما في أيام الثلوج، وفي شرقيها مدينة أرزن الروم (عن تقويم البلدان لأبي الفدا إسماعيل ص ٣٨٥). (١١) كذا في الأصلين وعيون التواريخ. وفي عقد الجمان: «كبارك». وفي نهاية الأرب: «بركاول». وفي النهج السديد: «بوكاول». (١٢) كذا في الأصلين وعيون التواريخ والنهج السديد. وفي نهاية الأرب وعقد الجمان: «والأمير سيف الدين جاليش».

فوبّخهم السلطان الملك الظاهر من كونهم قاتلوه فى مساعدة التتار الكَفَرة، ثم سلّمهم لمن آحتفظ بهم . وأسر من مقدّمى التتار على الألوف والمئين بركة[1] صهر أبْغا بن هولاكو ملك التتار، وسَرْطق، وخيز كدوس[2] وسركده[3] وتماديه[4]. ولمّـا أُسِر مَنْ أُسِر وقُتِل مَنْ قُتِل نجـا البَرْوَاناه وساق حتّى دخل قَيْصَرِيّة[5] يوم الأحد ثانى عشر ذى القعـدة[6] وآجتمع بالسـلطان غِياث الدين، والصـاحب فخر الدين، والأتابَك مجـد الدين ، والأمير جلال الدين المُسْتَوفِى، والأمير بدر الدين مِيكائيل النـائب فأخبرهم بالكَسْرة، وقال لهم : إنّ التّـتار المنهزمين متى دخلوا قَيْصَرِيّة فتكوا[7] بمَنْ فيهـا حَنَقًا على المسلمين، وأشار عليهم بالخروج منهـا فخرج السلطان غيـاث الدين بأهله وماله إلى تَوْقَات[8] و بينها و بين قَيْصَرِيّة أربعةُ أيام . وعملت شعراء الإسلام فى هذه الوقعة عِدّة قصائد ومدائح، من ذلك ماقاله العلّامة شهاب الدين أبو الثناء محمود كاتب الدَّرْج قصيدته التى أوّلها :

كذا فلتكن فى الله تَمْضِى[9] العـزائمُ ❊ و إلّا فـلا تجفو الجفونَ الصّـوَارِمُ

---

(١) فى عيون التواريخ : وعقد الجمان والنهج السديد : « زيزك » . وفى إحدى روايتى النهج السديد «زيركى» بدل « زيزك» . (٢) فى الأصلين هكذا : «جبرله » . وفى عقد الجمان : « جوديه» وفى النهج السديد : «جيركير » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٣) فى الأصلين : «شركوه» . وفى عقد الجمان : « بردكيه » وفى النهج السـديد : » شركده » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .

(٤) فى النهج السديد : «ونماديه» بالنون بدل التاء المثناة من فوق . (٥) قيسارية : مدينة كبيرة عظيمة فى بلاد الروم (آسـيا الصغرى) وهى كرسى ملك بنى سلجوق ملوك الروم أولاد قليج بن أرسلان . قال ابن سعيد : وهى منسوبة إلى قيصر وهى مدينة جليلة وفى شرقيها مدينة سيواس و بين قيسارية وأقصرا أربعة مراحل (عن ياقوت ج ٤ ص ٢١٤ وأبى الفدا ص ٣٨٣) . (٦) فى الأصلين : « يوم الأحد ثانى عشر ذى الحجة » . والتصويب عن السلوك والنهج السديد .

(٧) فى الأصلين : « تمكنوا » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان وما يفهم من عبارة السلوك . (٨) توقات : بلدة فى أرض الروم بين قونية وسيواس ذات قلعة حصينة وأبنية مكينة ، بينها و بين سيواس يومان (عن معجم البلدان لياقوت) وقد ضبطه أبو الفدا إسماعيل فى تقويم البلدان (بضم التاء) المثناة . (٩) فى الأصلين : « عز العزائم» . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .

عزائمُ حاذَتْها الرياحُ فأصبحتْ * مخلّفةً تبكى عليها الغمائمُ
سَرَتْ من حِمى مصرٍ إلى الروم فاحتوتْ * عليه [و](١) سُوراه الظُّبا واللهاذِمُ
بجيشٍ تَظَلّ الأرضُ منه كأنّها * على سعة الأرجاء في الضِّيق خاتَمُ
كتائبُ كالبحر الخِضَمّ جيادُها * إذا ما تهادَتْ موجُه المتلاطِمُ
تُحيط بمنصور اللّواء مظفَّرٍ * له النّصرُ والتأييدُ عبدٌ وخادِمُ
مليكٌ يلوذ الدين من عَزَماتِه * بركن له الفتح المبين دعائمُ
مليكٌ لأبكار الأقاليم نحوَهُ * حنينٌ كذا تَهْوَى الكِرامَ الكرائمُ
فكم وَطِئتْ طَوْعًا وكرها جيادُه * معاقلَ قُرْطاها(٢) السُّها والنعائمُ
مليكٌ به للدين في كلّ ساعةٍ * بشائرُ للكُفّار منها مآتمُ
جلاحِينَ أقذَى [ناظرَ](٣) الكفرِ للهُدَى * ثغورًا بكى الشيطانُ وهي بواسمُ
إذا رام شيئًا لم يَعُقْه لبعدها * وشُقّتها عنه الإكامُ الطّواسمُ
فلو نازع النَّسْرَيْن أمرًا لنالَهُ * وذا واقعٌ عجزًا وذا بعدُ حائمُ
ولمّا رمى الرومَ المنيعَ بخيلِهِ * ومن دونه سَدٌّ من الصخر عاصِمُ
يروم عُقابُ الجوّ قطعَ عِقابِه * إليه فلا تَقْوَى عليها القوادِمُ

ومنها :

وسالتْ عليهم أرضُهم(٤) بمواكبٍ * لها النّصرُ طوعٌ والزمانُ مُسالمُ
أدارتْ بهم سُورا مَنيعًا مُشرَّفًا * بسمر العوالى ما له الدهرَ هادم

(١) التكلة عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان.
(٢) في الأصلين هكذا : «فرقاها».
وما أثبتناه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان.
(٣) في الأصلين هكذا :
* جلاحين أقرى الكفر للهدى *
التكلة والتصحيح عن عيون التواريخ.
(٤) في الأصلين : « إليهم » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان.

من التُّرْك أمّا فى المغـانى فإنّهـــم * شمـــوسٌ وأما فى الوَغَى فضراغمُ
غَدَا ظاهرًا بالظاهر النصرُ فيهـــمُ * تَبِيـــد الليـالى والعِـدَا وهو دائمُ
فأهْـوَوْا إلى لثم الأسِـنَّة فى الوَغَى * كأنَّهمُ العُشّـاقُ وهى المباسمُ
وصـافَحت البِيضَ الصِّفاح رِقابُهمْ * وعانقت السُّمْرَ القـدودُ النـواعمُ
فَكم حاكمٍ منهـم على ألف دارعٍ * غدا حاسرًا والرمحُ [فى][1] فيـه حاكمُ
وكم مَلِكٍ منهـم رأى وهـو مُوثَقٌ * خزائنَ ما يَحْـويه وهى غنـائمُ

ومنهـا :

فـلا زلتَ منصـورَ اللِّـواء مُؤَيَّدًا * على الكُفْر ما ناحت وأبكتْ حمائمُ

ثم جرّد الملك الظاهر الأميرَ سُنْقُر الأشقر لإدراك ما فات من التُّرْك[2] والتـوجّه إلى قَيْصَرِيّة ، وكتب معه كتابا بتأمين أهلها و إخراج الأســواق والتعامل بالدراهم الظاهريّة . ثم رحل الملك الظاهر بكْرة السبت حادى عشر ذى القعدة قاصـدا قَيْصَرِيّة ، فمرّ فى طريقه بقرية أهل الكهف[3] ثم إلى قلعة سَمَنْدُو[4] فنزل إليــه وَاليها مذعِنًـا للطاعة ، ثم سار إلى قلعــة دَرَنْدَة[5] وقلعة فالو[6] ففعل متولّيهـا كذلك ، ثم نزل بقــرية من قرى قيصرِيّة فبات بهـا ، فلمّـا أصبح رتّب عسا كره وخرج أهـل

(١) تكملة عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . (٢) فى عيون التواريخ والنهج السديد وذيل مرآة الزمان : « مافات من المغل » . (٣) هى أبسس (بالفتح ثم السكون) : اسم لمدينة خراب قرب أبلستين من نواحى الروم يقال منها أصحاب الكهف و لرقيم قيــل هى مدينة دقيانوس ، وفيها آثار عجيبة مع خرابها ، و راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦٨ من هذا الجزء . (٤) سمندو : فى وسط بلاد الروم ، غزاه سيف الدولة فى سنة ٣٣٩ هـ وهرب منه الدمستق ، فقال المتنبى :

رضينا والدمستق غير راض * بما حكم القواضب والوشيج
فان يقـدم فقد ز رنا سمندو * و إن يحجم فموعـدنا الخليج

(عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) درندة : مدينة فى جهة الغرب من ملطية و بينها و بين حلب عشرة أيام . وهى قريبة من قيسارية (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٣٢) .

(٦) فى نهاية الأرب : «دوالو» . وفى النهج السديد و ذيل مرآة الزمان : «قلعة دالو» .

قَيْصَرِيّة بأجمعهم مستبشرين بلقائه، وكانوا لنزوله نصبوا الخيام بوطاة[1]، فلمّا قرب الظاهر منها ترجّل وجوهُ الناس على طبقاتهم ومشَوْا بين يديه إلى أن وصلها .

فلمّا كان يوم الجمعة سابع عشر الشهر ركِبَ السلطان للجمعة، فدخل قَيْصَرِيّة ونزل دار السلطنة وجلس على التَّخْت وحضر بين يديه القضاة والفقهاء والصوفيّة والقُرّاء وجلسوا في مراتبهم على عادة ملوك السَّلْجُوقِيّة ، فأقبل عليهم السلطان ومدّ لهم سِماطًا فأكلوا وآنصرفوا، ثمّ حضر الجمعة بالجامع وخُطِب له ، وحُضِّر بين يديه الدراهم التي ضُرِبت له بآسمه . وكتب إليه البَرْوَانَاه يهنّئه بالجلوس على تَخْت المُلْك بقَيْصَرِيّة ، فكتب الملك الظاهر إليه بعَوْده ليولّيَه مكانه ، فكتب إليه يسأله أن ينتظره خمسة عشر يومًا ، وكان مراد البَرْوَانَاه أن يَصِل أَبغا و يحثّه على المسير ليدرك الملك الظاهر بالبلاد ، فآجتمع تَناوون[2] بالأمير شمس الدين سنقر الأشقر وعرّفه مكر البَرْوَانَاه في ذلك ، فكان ذلك سببا لرحيل الملك الظاهر عن قَيْصَرِيّة مع ما آنضاف إلى ذلك من قلَق العساكر ؛ فرحل يوم الاثنين ، وكان على البَزَك[3] عزّ الدين أَيبك الشَّيْخِيّ ، وكان الملك الظاهر ضربه بسبب سَبْقه الناس فغضب وهرب إلى التّتار . وكان أولاد قرمان قد رهنوا أخاهم الصغير عليّ بك بقيصرية[4] ، فأخرجه الملك الظاهر وأنعم عليه ، وسأل السلطانَ في تواقيع وسَنَاجِق له ولإخوته فأعطاه ، وتوجّه نحو إخوته بجبل لارَنْدَة[5] .

---

(١) الوطاة : الأرض السهلة غير الجبلية . (٢) هو مقدّم جيش التتار، كما في السلوك .

(٣) في الأصلين : «البرك» وهو تصحيف . والبزك (محركة) : رئيس العسس ومن يراقب من مضى فيتبعه . فارسية ، والنسبة اليها «بزكى» . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٥) لارندة : بلام وألف وراء مهملة مفتوحة ، وهي قريبة من قونية على مسافة يوم بين الشرق والشمال (عن تقويم البلدان لأبي الفدا ص ٣٧٨) .

وعاد السلطان وأخذ فى عَوْده أيضًا عِدّة بلاد إلى أن وصل مكان المَعْرَكة يوم السبت، فرأى القَتْلَى، فسأل عن عِدّتهم فأُخبِر أنّ المُغْل خاصّة ستة آلاف وسبعمائة وسبعون نفسا؛ ثم رَحَل حتّى وصل أَبُلُسْتَيْن[1] أَخْجَادَرْبَنْد، بعث الخزائن والدِّهليز والسناجق صحبةَ الأمير بدر الدين بيليك الخازِندار ليعبُر بها الدَّرْبَنْد، وأقام السلطان فى ساقة العسكر بقيّةَ اليوم ويوم الأحد، ورَحل يوم الأثنين فدخل الدَّرْبَنْد .

ثم سار إلى أن وصل دِمَشْق فى سابع المحرّم سنة ست وسبعين وستمائة، ونَزَل بالجَوْسَق المعروف بالقصر الأبلق جِوار المَيْدان[2] الأخضر وتواترت عليه الأخبار بوصول أَبْغَا ملك التّتار إلى مكان الوقعة، فجمع السلطان الأمراء وضرب مَشُورة، فوقع الاتفـاق على الخروج من دِمَشق بالعساكر وتلقِّيـه حيث كان، فأمَر الملك الظاهر بضرب الدِّهليز على القُصَيْر، وفى أثناء ذلك وصل رجُل من التُّركمان وأخبر أنّ أَبْغَا عاد إلى بلاده هاربًا خائفا؛ ثمّ وصـل الأمير سابق الدين بَيْسَرِى أمير مجلس الملك الناصر صلاح الدين، وهو غير بَيْسَرِى الكبير، وأخبر بمثل ما أخبر التركمانىّ، فعند ذلك أمر الملك الظاهر بردّ الدِّهليز إلى الشام . وكان عَوْد أَبْغَا من ألطاف الله تعالى بالمسلمين، فإنّ الملك الظاهر فى يوم الجمعة نصف المحرّم من سنة ست وسبعين آبتدأ به مرضُ الموت .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٧ من هذا الجزء .

(٢) أمر بإنشائه السلطان الملك الظاهر بالميدان الأخضر بظاهر دمشق سنة ٦٦٥ هـ فعمر على ما هو عليـه الآن (زمن النويرى صاحب نهاية الأرب) . وقد وقع فى عمارته حادث غريب ذكره صاحب نهاية الأرب فى الجزء ٢٨ ص ٤٠ فليراجع . وسيأتى له شرح واف فى ترجمة الملك السعيد .

ذكر مرض الملك الظاهر ووفاته

لمّا كان يوم الخميس رابع عشر المحرّم سنة ستّ وسبعين وستمائة جلس الملك الظاهر بالجَوْسَق الأبلق بمَيدان دِمَشق يَشْرَب القِمِز[1] وبات على هذه الحالة، فلمّا كان يوم الجمعة خامس عشره وَجَد في نفسه فُتورًا وتوعُّكًا فشكا ذلك إلى الأمير شمس الدين سُنْقُر الألفي[2] السلحدار فأشار عليه بالقيء، فآستدعاه فآستعصى عليه القيء، فلمّا كان بعد صلاة الجمعة رَكِب من الجَوْسَق إلى المَيْدان على عادته، والألم مع ذلك يَقْوَى عليه، وعند الغروب عاد إلى الجَوْسَق. فلمّا أصبح آشتكى حرارة في باطنه فصَنَع له بعضُ خواصّه دواءً، ولم يكن عن رأى طبيب فلم يَنْجَع وتضاعف أَلَمُهُ، فأحضر الأطبّاء فأنكروا آستعماله الدواء، وأجمعوا على آستعمال دواءٍ مُسهل فسَقَوْه فلم ينجع، فحرّكوه بدواء آخر كان سبب الإفراط في الإسهال ودَفَع دمًا، فتضاعفت حُمّاه وضعُفت قواه، فتخيّل خواصّه أنّ كبِده يتقطّع وأنّ ذلك عن سمّ سُقِيه فعُولج بالجَوْهر، وأخذ أمره في آنحطاط، وجَهَده المرضُ وتزايد به إلى أن قضى نَحْبَه يوم الخميس بعد صلاة الظهر الثامن والعشرين[3] من المحرّم، فآتّفق رأى الأمراء على إخفائه وحَمْله إلى القلعة لئلّا تَشْعُر العامّة بوفاته، ومنعوا مَن هو داخل من المماليك من الخروج ومن هو خارج منهم من الدخول. فلمّا كان آخر الليل حمَله من كِبار الأمراء سيف الدين قلاوون الألفي وشمس الدين سُنْقُر الأشقر، وبدر الدين بَيْسَرى، وبدر الدين بِيليك الخازِنْدار، وعِزّ الدين آقوش الأفرم،

---

(١) القمز: نبيذ يعمل من لبن الخيل، واللفظ تترى الأصل، وقد كان السلطان بيبرس شغفا بهذا النوع من الشراب. (انظر السلوك حاشية رقم ٢ ص ٦٠٧). (٢) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٨٠ هـ.

(٣) في الأصلين: «التاسع والعشرين» والتصحيح عن التوفيقات الإلهامية وذيل مرآة الزمان والنهج السديد وما تقدّم ذكره للمؤلف قبل ذلك بقليل.

وعزّ الدين أَيْبَك الحَمَوِى ، وشمس الدين سُنْقُر الألفِى الظاهرى ، وعلم الدّين سَنْجَر الحَمَوِى أبو خُرْص ، وجماعة من أكابر خواصّه . وتولّى غُسله وتحنيطه وتصبيره وتكفينه مِهْتَاره[1] الشُّجاعُ عَنْبَر ، والفقيه كمال الدين الإسكندرى المعروف بآبن المَنْبِجِى[2] ، والأمير عز الدين الأفرم ؛ ثم جُعِل فى تابوت وعُلّق فى بيت من بيوت البحريّة بقلعة دِمَشق إلى أن حصل الآتّفاق على موضع دفنه . ثم كتب الأمير بدر الدين بِيلِيك الخازِنْدار إلى ولده الملك السعيد مطالعةً بيده وسيّرها إلى مصر على يد بدر الدين بَكْتُوت الجُوكَنْدارِى الحَمَوِى ، وعلاء الدين أَيْدُغْمُش الحَكِيمى الجَاشْنَكِير ، فلمّا وصلا وأوصلاه المطالعة خَلَع عليهما وأعطى كلّ واحد منهما خمسين ألف درهم ، على أنّ ذلك بِشارةٌ بعَوْد السلطان إلى الديار المصريّة . ولمّا كان يوم السبت رَكِب الأمراء إلى سوق الخيل بدِمَشق على عادتهم ولم يُظْهِروا شيئا من زِىّ الحُزْن . وكان أوصى أن يُدْفَن على الطريق السالكة قريباً من دَارَيّا[3] وأن يُبْنَى عليه هناك ، فرأى ولده الملك السعيد أن يَدْفِنه داخل السور ، فآبتاع دار العقيقى بثمانية[4] وأربعينَ ألف درهم نقرة[5] ، وأمر أن تُغيّر معالمها وتُبْنَى مدرسة [للشافعية والحنفية][6] : إنتهى .

وأمّا الملك السعيد فإنّه جهّز الأمير علم الدين سنجر الحَمَوِى المعروف بأبى خُرْص ، والطواشى صفى الدين جوهر الهندى إلى دِمشق لدفن والده الملك الظاهر ، فلمّا وصلاها آجتمعا بالأمير عز الدين أَيْدَمُر نائب السلطنة بدمشق ، وعرّفاه المرسوم

---

(١) المهتار : ناظر الخاصة . (٢) المنبجى : نسبة إلى منبج ، وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٢٨٦ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) فى عيون التواريخ : « بستين ألف درهم » . (٥) سيأتى لها شرح واف عن صبح الأعشى فى هذا الجزء . (٦) زيادة عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ .

فبادر إليــه ، وحُمِل الملك الظاهر من القلعة إلى التّربة ليــلًا على أعناق الرجال ، ودُفِن بها ليلة الجمعة خامس شهر رجب الفَرْد، وكان قد ظهر موتُه بِدَمَشْق فى يوم السبت رابع عشر صفر، وشُرِع العمل فى أعْزِيته بالبلاد الشاميّة والديار المصريّة .

قال الأمير بيبَرْس الدَّوَادَار(١) فى تاريخه — وهــو أعرف بأحواله من غيره — قال : وكان القَمَر قد كَسَف كُسُوفًا كاملًا أظلم له الجوُّ وتأوّل ذلك المتأوّلون بموت رجل جليل القَدْر، فقيل : إنّ الملك الظاهر لمّا بلغه ذلك حَذِر على نفسه وخاف وقَصد أن يُصرف التأويل إلى غيره لعلّه يَسْلَم من شرّه، وكان بِدَمَشْق شخصٌ من أولاد الملوك الأيُوبّية ، وهو الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك ابن السلطان الملك المعظّم عيسى ابن الســلطان الملك العــادل أبى بكر بن أيُّوب ، فأراد الظاهر ، على ماقيل، اغتياله بالسمّ ، فأحضره فى مجلس شَرَابه فأمر الساقىَ أن يَسْقِيَه قِمِزًا ممزوجا، فيما يقال ، بسمّ ، فســقاه الســاقى تلك الكأس فأحسّ به وخرج من وقتــه، ثم غَلِط الساقى وملأ الكأس المذكورة وفيهــا أثر السمّ، و وقعت الكأس فى يد الملك الظاهر فشربه، فكان من أمره ما كان. انتهى كلام بيبَرْس الدَّوَادَار باختصار .

قلت : وهذا القول مشهورٌ وأظنّه هو الأصحّ فى عِلّة موته، والله أعلم .

وكانت مدّةُ مُلْكه تسع عشرة ســنة وشهرين ونصفًا ، ومَلَك بعده ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد المعروف ببركة خان؛ وكان تسلطن فى حياته من مدّة سنين حسب ما تقدّم ذكره .

وكان الملك الظاهر رحمــه الله مَلِكًا شُجاعا مِقْداما غازِيًا مُجاهــدا مُرابطا خليقا بالملك خفيف الوَطْأة سريعَ الحركة يُباشر الحروب بنفسه .

---

(١) هو الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصورى الدوادار صاحب التاريخ . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٢٥ هـ .

قال الحافظ أبو عبـد الله الذهبيّ فى تاريخه بعـد ما أثنى عليه : « وكان خليقًا بالملك لولا ما كان فيه من الظُّلم ، والله يرحمـه ويغفر له ، فإنّ له أيامًا بيضًا فى الإسلام ومواقفَ مشهورة وفتوحات معدودة» . انتهى كلام الذهبى بآختصار .

وقال الشـيخ قطب الدين اليُونينيّ فى الذّيل على مرآة الزمان فى موْت[1] الملك الظاهر هذا نوعا ممّـا قاله الأمير بيبَرْس الدّاوادار لكنّه زاد أمورا نَحكيها ، قال : حكى لى آبن شـيخ السلامية عن الأمير أزْدَمُر[2] العَلائيّ نائب السلطنة بقلعـة صَفَد قال : كان الملك الظاهر مُولَعًا بالنجوم ومايقوله أرباب التقاويم ، كثيرَ البحث عن ذلك ، فأُخبِر أنّه يموت فى سـنة ستّ وسبعين مَلِكٌ بالسمّ ، فحصل عنده من ذلك أثر كبير ، وكان عنده حسدٌ شديد لمن يُوصف بالشجاعة ، وآتفق أنّ الملك القاهر عبـد الملك بن المعظّم عيسى الآتى ذكره لمّـا دخل مع الملك الظاهر إلى الروم ، وكان يوم المصافّ ، فدام الملك القاهر فى القتال فتأثّر الظاهر منـه ، ثم آنضاف إلى ذلك أنّ الملك الظاهر حصَل منه فى ذلك اليـوم فُتُور على خلاف العـادة ، وظَهر عليه الخوفُ والنّدَمُ على تورُّطه فى بلاد الروم ، فحدّثه الملك القاهر عبد الملك المذكور بمـا فيه نوعُ من الإنكار عليه والتّقبيح لأفعاله ، فأثّر[3] ذلك عنده أثرًا آخر . فلمّـا عاد الظاهر من غَزْوته سَمِـع النّاسَ يَلْهَجُون بما فعله الملك القاهر ، فزاد على ما فى نفسه وحَقَد عليـه ، فخيّل فى ذهنـه أنّه إذا سمّه كان هو الذى ذكره أرباب النجوم ، فأحضره عنده ليشرب القِمزّ معه ، وجعل الذى أعدّه له من السمّ فى ورقة

(١) هـذه القصة واردة فى ذيل مرآة الزمان وفى تاريخ الا سـلام للذهبى فى ترجمة الملك القاهر عبد الملك بن عيسى بن محمد بن أيوب المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .

(٢) هو تاج الدين نوح بن إسحاق بن شيخ السلامية كما فى ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام .

(٣) عبارة السلوك : « فأسرله السلطان ذلك » .

فى جيبه من غير أن يَطّلِع على ذلك أحد، وكان للسلطان هَنّابات[1] ثلاثة مختصّة به مع ثلاثة سُقاة لا يَشْرَب فيها إلّا مَنْ يُكْرِمه السلطان، فأخذ الملك الظاهر الكأس بيده وجعل فيه ما فى الورقة خِفْيَةً ، وأسقاه للملك القاهر وقام الملك الظاهر إلى الخلاء وعاد ، فنَسِى الساقى وأسقى الملك الظاهر فيه وفيه بقايا السمّ . انتهى كلام قطب الدين .

وخلّف الملك الظاهر من الأولاد : الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان. ومولده فى صفر سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة بضواحى مصر ، وأُمّه بنت الأمير حُسام الدين بركة خان بن دولة خان الخُوَارَزْمىّ . والملك [نجم الدين][2] خَضِرًا، أمّه أم ولد . والملك بَدْر الدين سَلَامُش . ووُلِد له من البنات سبع . وأما زَوْجَاتُه فأُمّ الملك السعيد بنت بركة خان ، وبنت الأمير سيف الدين نوكاى[3] التَّتَارىّ ، وبنت الأمير سيف الدين كراى التّتَارىّ ، وبنت الأمير سيف نوغاى التّتَارىّ ، وشَهْرُزُوريّة تزوّجها لمّا قدِم غَزّة وحالف الشّهْرُزُوريّة قبل سلطنته، فلما تسلطن طَلّقها .

وأمّا وزراؤه — لمّا تولى السلطنة آستمرّ زَيْن الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزُّبَيْر، ثم صرفه وآستوزر الصاحب بهاء الدِّين علىّ بن محمد بن سليم بن حِنّا . وكان للملك الظاهر أربعة آلاف مملوك مُشْتَرَيات أمراء وخاصّكيّة[4] وأصحاب وظائف .

---

(١) هنابات ، جمع هناب ، وهو قدح الشراب (عن هامش السلوك ص ٦٠٧) .

(٢) زيادة عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان ونهاية الأرب للنويرى وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات . (٣) كذا فى الأصلين . وفى الذيل على مرآة الزمان : « نوكاس » . وفى نهاية الأرب : « نوكيه » . وفى السلوك : « نوكلى » .

(٤) الخاصكية : جعل ذلك علما عليهم لأنهم يدخلون على الملك فى أوقات خلواته وفراغه ، وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المقدمين ، ويحضرون طرفى كل نهار فى خدمة القصر والاسطبل ، ويركبون لركوب الملك ليلا ونهارا ولا يتخلفون فى قرب ولا بعد ، ويتميزون عن غيرهم فى الخدمة بحملهم سيوفهم ولباسهم =

وأمّا سِيرتُه وأحكامه وشرفُ نفسه حُكِى : أنّ الأشرف صاحب حِمْص كتب إليه يستأذنه فى الحجّ ، وفى ضمن الكتاب شهادةُ عليـه أنّ جميع ما يَمْلِكه آنتقل عنه إلى الملك الظاهر ، فلم يأذن له الملك الظاهر فى تلك السنة غَضباً منه لكونه كتب ذلك ، وآتّفق أنّ الأشرف مات بعد ذلك فتسلّم الملك الظاهر حُصونَه التى كانت بيـده ولم يتعرّض للتركة ، ومكّن ورثته من الموجود والأملاك ، وكان شيئاً كثيرا إلى الغاية ، ودَفَع الملكُ الظاهر إليهم الشهادةَ وقد تجنّبُوا التّركة لعلمهم بالشهادة . ومنها أن شَعْراً[1] بَانْيَاس وهى إقليم يشتمل على أرض[2] كثيرة عاطلة بحُكم آستيلاء الفرنج على صَفَد ، فلمّـا آفتتح صَفَـد أفتاه بعضُ العلماء بآستحقاق الشعرا فلم يرجع إلى الفُتْيا ، وتقدّم أمره أنّ مَن كان له فيها مِلْك قديم فليتسلّمْه .

وأمّا صدقاته فكان يَتَصدّق فى كلّ سـنة بعشرة آلاف إرْدَب قَمْح فى الفقراء والمساكين وأرباب الزوايا ، وكان يُرتِّب لأيتام الأجناد ما يقوم بهـم على كَثْرتهم ، ووقف وَقْفا على تكفين أموات الغرباء بالقـاهرة ومصر ، ووَقْفًا ليُشْتَرَى به خُبْزُ ويُفَرّق فى فقراء المسلمين ، وأصلح قبر خالد بن الوليد — رضى الله عنه — بحِمْص ، ووقف وَقْفًا على مَنْ هو راتب فيـه من إمامٍ ومُؤَذِّن وغير ذلك ، ووقف على قبر أبى عُبَيْدة بن الجَرّاح — رضى الله عنـه — وقْفًا مثـل ذلك ، وأجرى على أهل الحرمين والحجاز وأهل بَدْر وغيرهم ما كان آنقطع فى أيّام غيره من الملوك .

= الطرز الزركش ، ويدخلون على الملك فى خلواته بغير إذن ، ويتوجهون فى المهمات الشريفة ، ويتأنقون فى ركوبهم وملبوسهم ، وكانوا فى القديم لا يزيدون على أربعة وعشرين بعـد الأمراء المقدمين ، والآن يزيدون على الأربعمائة ، ولهم الرزق الواسـع والعطايا الجـزيلة من الملوك (كترمير ج ٢ ص ١٥٩) . وكتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطـرق والمسالك لغرس الدين خليل بن شاهين الظـاهرى (ص ١١٥ — ١١٦) .

(١) شعرا : فى الجنوب الشرقى من بانياس (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٠٤) .

(٢) فى ذيل مرآة الزمان : « يشتمل على قرى كثيرة » .

وأمّا عمائره : المدارس والجوامع والأسْبِلة والأرْبِطة فكثيرة ، وغالبُها معروفة به ، وكان يُخْرِج كلّ سنة جُمْلَةً مستكثرة يَسْتَفِكُّ بها مَنْ حبَسَه القاضى من المُقِلِّين ، وكان يُرَتِّب فى أوّل شهر رمضان بمصر والقاهرة مطابخَ لأنواع الأطْعِمة ، وتُفَرَّق على الفقراء والمساكين .

وأمّا حُرمَتُه ومهابته ، منها : أنّ يهوديًّا دَفَن بقلعة جَعْبَر عند قصد التّتار لها مَصاغا وذَهبًا وهَرَب بأهله إلى الشام وآستوطن حماة ، فلمّا أَمِن كَتَب إلى صاحب حَماة يُعَرِّفه ويسأله أن يُسَيِّر معه مَنْ يحفظه ليأخذَ خبيئته ويدفع لبيت المال نِصْفه ، فطالع صاحبُ حَماة الملك الظاهر بذلك ، فردّ عليه الجواب أنّه يُوَجِّهُه مع رجلين لِيَقْضِيَ حاجته ، فلمّا توجهوا مع اليهودىّ ووصلوا إلى الفُرات آمتنع مَن كان معه من العُبور فعَبَر اليهودىُّ وحْدَه ، فلمّا وصل وأخذ فى الحَفْر هو وآبنه وإذا بطائفةٍ من العَرَب على رأسه ، فسألوه عن حاله فأخبرهم ، فأرادوا قتْله وأَخْذَ المال ، فأخرج لهم كتابَ الملك الظاهر مُطْلَقًا إلى مَن عساه يَقِف عليه ، فلمّا رَأَوُا المرسوم كَفُّوا عنه وساعدوه حتّى آستخلص ماله . ثم توجّهوا به إلى حَماة وسلّموه إلى صاحب حَماة ، وأخذوا خَطّه بذلك .

ومنها : أَنّ جماعة من التُّجّار خرجوا من بلاد العجم قاصدين مصر ، فلمّا مَرُّوا بسِيس منعهم صاحبها من العُبور ، وكتب إلى أبْغَا ملك التّتار ، فأمره أبْغَا بالحَوْطة عليهم وإرسالهم إليه ، وبلغ الملكَ الظاهرَ خبرُهم ، فكتب إلى نائب حلب بأن يكتب إلى نائب سِيس ، إنْ هو تعرّض لهم بشىء يُساوِى درهمًا واحدًا أخذتُ[1] عِوَضه مِرارًا ، فكتب إليه نائبُ حلب بذلك فأطلقهم ، وصانع أبْغَا بن هولاكو

(١) عبارة الذيل على مرآة الزمان : « أخذتك عوضه » .

على ذلك بأموالٍ جليـلة حتّى لا يُخـالف مرسـومَ الظاهر ، وهو تحت حُكْم غيره لا تحت حكم الظاهر .

ومنهـا : أنـ تواقيعه التى كانت بأيدى التُّجّار المتردِّدين إلى بلاد القَبْجَاق [بإعفائهـم من الصادر والوارد](١) كان يُعمل بهـا حيث حلُّوا من مملكة بركة خان ومَنْكُوتَمُر وبلاد فارس وكَرْمان .

ومنهـا : أنّه أَعْطى بعض التُّجّار مالًا ليشترى به ممـاليك وجَوارِىَ من التُّرك فشَرِهَت نفس التاجر فى المـال فدخل به قَرَاقُوم(٢) من بلاد التُّرك وآستوطنها ، فوقع الملك الظاهر على خَبَره ، فبعث إلى مَنْكُوتَمُر فى أمره فأحضروه إليه تحت الحَوْطة إلى مصر . وله أشياء كثيرة من ذلك .

وكان الملك الظاهر يُحبُّ أن يطّلع على أحوال أمرائه وأعيان دولتـه حتى لم يَخْفَ عليه من أحوالهم شىءٌ. وكان يُقَرِّب أربابَ الكمالات من كلّ فنّ وعِلْم. وكان يَميل إلى التـاريخ وأهلِه مَيْلًا زائدًا ويقول : سمـاعُ التاريخ أعظمُ من التجارب . وكانت تَرِد عليه الأخبار وهو بالقاهرة بحركة العـدُوّ، فيأمر العسكر بالخروج وهم زيادة على ثلاثين ألف فارس ، فلا يَبِيت منهـم فارسٌ فى بيتـه ، وإذا خرج من القاهرة لا يُمكّن من العَوْد(٣) إليها ثانيـا .

قلت : كان الملك الظاهر ــ رحمه الله ــ يَسِيـر على قاعدة ملوك التَّتـار وغالب أحكام جِنْكِزْخان من أمر «اليَسَق والتورا» ، واليَسَق : هو الترتيب ، والتّورا :

(١) هذه الزيادة عن الذيل على مرآة الزمان .

(٢) فى الأصلين : « قراقرم » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وتقويم البلدان لأبى الفداء . وقراقوم : من أقصى بلاد الترك الشرقية ، وكانت قاعدة التتار وفى جهاتها بلاد المغل ، وهم خالصة التتار ، ومنها خاناتهم .

(٣) فى الأصلين : « لا يمكن من العبور إليها ثانيا » . وما أثبتناه عن ذيل عن مرآة الزمان .

المذهب باللغة التركية؛ وأصل لفظة اليَسَق: سِى يَسَا، وهى لفظة مركبة من كلمتين صدر الكلمة: سِى بالعجمى، وعجزها يَسَا بالتركى،لأنّ سِى بالعجمى ثلاثة، و يَسَا بالمُغلى- الترتيب، فكأنّه قال: التراتيب الثلاثة. وسبب هذه الكلمة أنّ جِنكِزْخان مَلِك المُغُـل كان قسّم ممـالكه فى أولاده الثلاثة ، وجعلها ثلاثة أقسام، وأوصاهم بوصايا لم يَخرُجوا عنها التُّرك إلى يومنا هذا، مع كثْرَتهم وآختلاف أديانهم، فصاروا يقولون : سِى يَسَا (يعنى التراتيب الثلاثة التى رتّبها جِنكِزْخان) ، وقد أوضحنا هذا فى غير هذا الكتاب بأوسعَ(١) من هذا . انتهى. فصارت التُّرك يقولون : « سِى يَسَا » فثقُل ذلك على العامّة فحرّفوها على عادة تحاريفهم ، وقالوا : سِياسَة . ثم إنّ الترك أيضا حذفوا صَدْر الكلمة، فقالوا : يَسَـا مدّةً طويلة، ثم قالوا : يَسَـق، وآستمرّ ذلك إلى يومنا هذا . انتهى .

قلت : والملك الظاهر هـذا هو الذى آبتدأ فى دولته بأرباب الوظائف من الأمراء والأجناد ، و إن كان بعضُها قبـله فلم تكن على هذه الصِّيغة أبدًا؛ وأُمَثِّلُ لذلك مثلا فيُقاس عليه، وهو أنّ الدَّوَادار كان قديمًا لا يُباشره إلا مُتَعَمِّمٌ يَحمِل الدّواة و يحفظها . وأمير مجلس(٢) هو الذى كان يحرُس مجلس قعود السلطان وفرشـه . والحاجب(٣) هو البوّاب الآن، لكونه يحجُب الناس عن الدخول؛ وقِسْ على هذا . فجاء الملك الظاهر جدّد جمـاعةً كثيرةً من الأمراء والجنـد و رتّبهم فى وظائف :

(١) تقدّم الكلام على هذين اللفظين فى ص ٢٦٨ — ٢٦٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) سيأتى للؤلف بعد قليل شرح لها يخالف هذا الشرح و يوافق ما ذكر فى صبح الأعشى .

(٣) راجع الكلام على الحجوبية فى صـبح الأعشى (ج ٤ ص ١٩) وسيذكر المؤلف شرحا لها بعـد قليـل

كالدَّوادار والخازِنْدار(١) وأمير آخُور والسَّراخُور(٢) والسُّقاة والجَمَدارِيّة(٣) والحُجّاب ورُءوس النُّوَب(٤) وأمير سلاح وأمير مجلس وأمير شِكَّار(٥) .

فأمّا موضوع أمير سـلاح فى أيّام الملك الظاهر فهو الذى كان يَتَحَـدَّث على السِّلاح دَارِيّة ، ويُناول السلطان آلةَ الحرب والسِّلاح فى يوم القتال وغيره ، مثل يوم الأضحى وماأشبهه. ولم يكن إذْ ذاك فى هذه المَرْتَبة (أعنى الجلوس رأس ميسرة السلطان) ، وإنّمـا هذا الجلوس كان إذْ ذاك مختصًّا بأطَابَك(٦) . ثم بعــده فى الدولة الناصريّة محمـد بن قلاوون برأس نَوْبة الأمراء كما سيأتى ذكره فى محـلّه . وتأييد ذلك يأتى فى أوّل ترجمة الملك الظاهر بَرْقُوق، فإنّ بَرْقُوق نقل أمير سلاح قُطْلُوبغا(٧)

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٩ من هذا الجزء . (٢) فى الأصلين : «السلاخور» . والسراخور هو الذى يتحـدّث على علف الدواب من الخيل وغيرها . وهو مركب من لفظين فارسـيين ، أحدهما «سرا» ومعناه الكبير ، والثانى «خور» ومعناه العلف ، ويكون المعنى كبير العلف ، والمراد كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب . والعامة يقولون : سراخورى بإثبات ياء النسب فى آخره ولا وجه له . ومتشدقو الكتّاب يبدلون الراء فيه لاما (كما ذكره المؤلف) فيقولون : سلاخورى : وهو خطأ (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٠) . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥ من هذا الجزء .

(٤) وظيفــة رأس النوبة ، معناها الحكم على المماليك الســلطانية والأخذ على أيديهم ، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء ، واحد منهم مقدم ألف وثلاثة طبلخاناة . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨) .

(٥) أمير شِكار هو لقب على الذى يتحـدّث على الجوارح من الطيور وغيرها وسائر أمور الصـيد . وهو مركب من لفظين : أحدهمـا عربى وهو أمير ، والثانى فارسى وهــو شكار (بكسر الشين المعجمة) ومعناه : صيد فيكون المراد أمير الصيد (صبح الأعشى ج ٥ ص ١٦١) .

(٦) الأطابك هو الأتابك ، ومعناه الوالد الأمير ، وأوّل من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه ابن ألب أرسلان السلجوقى حين فوّض اليه ملكشاه تدبير المملكة ســنة ٤٦٥ هـ . وقيل : أطابك معناه أمير أب ، والمراد به أبو الأمراء وهو أكبر الأمراء المقدمين بعـد النائب الكافل ، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهى ، وغايته رفعة المحل وعلو المقام (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨) .

(٧) فى الأصـلين : «الطنبغا» . وتصحيحه عن ابن أياس (ج ١ ص ٢٦٠) والمنهل الصافى فى ترجمة قطلوبغا الكوكائى المذكور ، وهامش الجزء الخامس من النجوم الزاهرة ص ٣٦٨ طبع كاليفورنيا سنة ١٩٣٢ . وهوقطلوبغا بن عبد الله الكوكائى الأمير سيف الدين نسب إلى معتقه الأمير كوكاى صاحب التربة والمئذنة تجاه قبة النصر بالصحراء ، توفى فى حدود سنة ٧٩٦ هـ (عن المنهل الصافى) .

الكُوكَّاى إلى مجوبيّـة الحجّاب . وأمير مجلس كان موضوعها فى الدولة الظاهريّة بِيبَرْس يتحدّث على الأطبّاء والكحّالين والمجبّرين ، وكانت وظيفة جليلة أكبر قدرًا من أمير سلاح .

وأمّا الدَّوَادَارِيّة فكانت وظيفةً سافلة . كان الذى يليها أوّلًا غير جندى ، وكانت نوعًا من أنواع المباشرة ، فجعلها الملك الظاهر بِيبَرْس على هذه الهيئة ، غير أنّه كان الذى يليها أمير عشرة . ومعنى دَوَادَار باللغـة العجمية : ماسك الدّواة ، فإنّ لفظة « دار » بالعَجَمِى : ماسـك ، لاما يفهمـه عوامّ المصريّين أنّ دارا هى الدار التى يُسْكَن فيهـا ، كما يقولون فى حقّ الزّمام : زمام الآدُر ، وصوابه زمام دار . وأوّل من أحدث هـذه الوظيفة ملوك السَّلْجُوقِيّـة . والجمدار ، الجمى هى البُقْجَة باللغة العجمية ، ودار تقدّم الكلام عليه ، فكأنّه قال : ماسك البُقْجة التى للقماش . وقِس على هذا فى كلّ لفظ يكون فيه دار من الوظائف .

وأمّا رأس نَوْبة فهى عظيمة عنـد التّتار ، ويُسَمّون الذى يليها « يَسَوول » بتفخيم السين . والملك الظاهر أوّل من أحدثها فى مملكة مصر . والأمير آخور أيضا وظيفة عظيمة ؛ والمُغْل تسمى الذى يليها « آق طشى » . وأمير آخور لفظ مركب من فارسى وعربى ، فأمير معروف وآخور هو آسم المِذْوَد بالعَجَمِى ، فكأنّه يقول : أمير المِذْوَد الذى يأكل فيـه القَرَس . وكذلك السـلاخورى وغيره ؛ ممـا أحدثها[(١)] الملك الظاهر أيضا .

وأمّا الحُجُوبِيّة فوظيفةٌ جليلة فى الدولة التركيّة ، وليس هى الوظيفـة التى كان يليهـا حَجَبة الخلفاء ، فأولئك كانوا حَجَبةً يحجُبون الناس عن الدخول على الخليفة ، ليس من شأنهم الحكم بين النـاس والأمر والنهى ؛ وهى ممّـا جدده الملك

(١) هذه الجملة فى الأصلين هكذا : « وكذلك السلاخورى وغيره وممن أحدثهما ... الخ » .

الظاهر بيبَرْس ، لكنها عظُمت فى دولة الملك الناصر محمـد بن قلاوون حتّى عادلت النِّيابة[(١)] .

وأمّا ما عدا ذلك من الوظائف فأحدثهـا الملك الناصر محمـد بن قلاوون كما سيأتى بيانه فى تراجمه الثلاث من هذا الكتاب، بعد أن جدّد والده الملك المنصور قلاوون وظائف أُخَر كما سيأتى ذكره أيضا فى ترجمته على ما شرطناه فى هذا الكتاب من أنّ كلّ من أحدث شيئًا عزَيْناه له . وممّـا أحدثه الملك الظاهر أيضا البَرِيد فى سائر ممالكه ، بحيث إنّه كان يصل إليه أخبارُ أطراف بلاده على آتساع مملكته فى أقرب وقت .

وأمّا ما آفتتحه من البـلاد وصار إليـه من أيدى المسلمين فعدّة بلاد وقِلاع . والذى آفتتحه من أيدى الفرنج ــ خذَلهم الله ــ : قَيْسَارِيّةُ، وأَرْسُوف ، وصَفَد، وطَبَرِيّة ، ويافا ، والشَّقِيف ، وأنطاكِيَة ، وبَغْرَاس ، والقُصَيْر ، وحِصْنُ الأكراد وعكّار[(٢)] ، والقُرَيْن[(٣)] ، وصافِيثا، ومَرَقِيّـة . وناصفهم على المَرْقَب وبَانِيَـاس و بلاد أَنْطَرْطُوس وعلى سائر ما بَقِى فى أيديهم من البلاد والحصون وغيرها . وآستعاد من صاحب سِيس دَرْبَسَاك ، ودَرْكُوش ، ورَعْبَان[(٤)] ، والمرزبان[(٥)] وبلاداً أُخَر . والذى

---

(١) النيابة ، ويعـبر عن صاحبها بالنائب الكافل ، وكافل الممـالك الإسلامية ، وهو يحكم فى كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم فى التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك ممـا هو من هـذا النوع على كل ما يعلم عليه السلطان . وسائر النواب لا يعلم الرجل منهم إلا على ما يتعلق بخاصة نيابته ، وهذه رتبة لا يخفى ما لها من التمييز (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦) . (٢) فى الأصلين : « عكا » . والتصويب عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان والسلوك . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٣ من هـذا الجزء . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٣ من هذا الجزء . (٤) فى الأصلين : «ورعيان» بالياء آخر الحروف . والتصحيح عن السلوك وعيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان . وهى مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة فى العواصم ، وهى قلعة تحت جبل (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٥) عرف هذا اللفظ أبو الفدا إسماعيل فى تقويم البلدان فى الكلام على قلعة الروم بأنه نهر يجرى من ناحية الجبل ويصب فى الفرات تحت قلعة الروم (تقويم البلدان ص ٢٦٩) .

صار إليه من أيدى المسلمين : دِمَشق وبَعْلَبَكّ وعَجْلُون وبُصْرَى وصَرْخَد والصَّلْت ، وكانت هـذه البلاد التى تغلّب عليهـا الأمير علم الدين سَنْجَر الحلَبِي بعـد موت الملك المظفَّر قُطُز، لمـا تسلطن بدِمَشق وتلقب بالملك المجاهد . انتهى . وحِمْص، وتَدْمُر، والرَّحْبة ، ودلو يا (١) ، وتَلّ باشر، وهذه البلاد آنتقلت إليه عن الملك الأشرف صاحب حِمْص فى سـنة آثنتين وستين (٢) وستمائة . وصِهْيَوْن وبَلَاطُنُس ، وبُرْزَيْه ، وهذه مُنْتقِلة إليه عن الأمير سابق الدين سليمان بن سيف الدين أحمد وعمه عِزّ الدين . وحصون الإسماعيلّية (٣) وهى : الكَهْف ، والقَدْمُوس ، والمَيْنَقة (٤) ، والعُلَيْقة ، والخوَابى (٥) ، والرُّصَافة ، ومِصْيَاف (٦) ، والقُلَيْعة (٧) . وأمّا ما آنتقل إليه عن الملك المغيث آبن الملك العادل أبى بكر آبن الملك الكامل محمـد آبن الملك العادل أبى بكر بن أيُّوب : الشَّوبَك ، والكَرَك . وما آنتقل إليه عن التَّتار : بلاد حلب الشمالية بأسرِها ، وشَيْزَر ، والبِيرَة .

---

(١) فى الذيل على مرآة الزمان : « زلو بيا » . وفى عيون التواريخ : « زوليبا » . وفى المنهج السديد : « زلمونتا » وقد بحثنا فى كتب المعاجم عن كل هذه الأسماء فلم نوفق إلى معرفة الصواب فيها .

(٢) فى الأصلين : « آثنتين وسبعين » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعيون التواريخ .

(٣) وتسمى أيضا قلاع الدعوة ، سميت بذلك لأنهـا كانت بيـد الإسماعيلية من الشيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم يسـمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية ؛ وهؤلاء هم المعروفون فى ديوان الإنشاء بالقصاد ، وبين العـامة بالفداوية . قال صاحب صـبح الأعشى (ج ٤ ص ١٤٦ — ١٤٧) وهى سـبع قلاع ، كانت كلها مضافة إلى طرابلس ثم نقلت مصياف منها إلى دمشق وقد أوضحها صاحب صبح الأعشى وبين مواقعها فلتراجع .

(٤) فى الأصلين : «المنيعة» . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وصبح الأعشى .

(٥) فى الأصلين : «الحواى» . وما أثبتناه عن صبح الأعشى وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ والنهج السـديد .

(٦) فى الأصلين والذيل على مرآة الزمان وعيون التواريخ : «مصيات» بالتاء المثناة . وما أثبتناه عن صبح الأعشى ونهاية الأرب للنويرى والسلوك .

(٧) كذا فى الاصلين وعيون التواريخ . ولعلها : « القليعات » التى تقدم ذكرها فى ص ١٥٠ من هذا الجزء .

وفَتَح الله على يديه بلاد النُّوبة [1] ، وفيها من البلاد ممّا يلي أسْوان جزيرةُ بِلاق [2] ؛ ويلي

(١) يطلق اسم بلاد النوبة أو اتيوبيا السفلى على الأراضى التى تمتد على شاطئ النيل من شلال أسوان إلى مدينة مروى قرب الشلال الرابع . وتنقسم بلاد النوبة إلى قسمين : وهما النوبة السفلى والنوبة العليا . فأما بلاد النوبة السفلى وهى الشمالية فتقع بين شلال أسوان و بين شلال وادى حلفا ، و يطلق عليها اسم بلاد الكنوز نسبة الى بنى الكنز وهم عرب من قبيلة ربيعة ، وهذه المنطقة تشمل اليوم ثلاث قرى من مركز أسوان وهى الشلال ودابود ودهميت ، ثم تشمل جميع قرى مركز الدر ، ثم عشر قرى من مركز وادى حلفا التابع للسودان المصرى . وأما بلاد النوبة العليا وهى الجنوبية فتقع بين شلال وادى حلفا و بين الشلال الرابع ، وهذه المنطقة تشمل اليوم مديرتى وادى حلفا ودنقلة التابعتين للسودان المصرى .

وأما بلاد اتيوبيا العليا فتمتد من الشلال الرابع إلى أقاصى بلاد الحبشة وهى تشمل باقى مديريات السودان المصرى و بلاد الحبشة . وكلمة اتيوبيا : معناها الوجه الأسود أو المحرق ، وهو الاسم الذى أطلقه اليونان على جميع بلاد السود الشديدى الحمرة .

(٢) جزيرة بلاق : يستفاد مما ذكره الإدريسى عن مدينة بلاق فى ص (٢٤ ج ١) من كتاب نزهة المشتاق ، ومما ذكره ياقوت فى معجم البلدان أن بلاق هذه مدينة واقعة فى أول بلاد النوبة على الشاطئ الشرقى للنيل جنوبى أسوان ، ومتصلة بها بطريق البر ، ولكن لما تكلم المقريزى على بلاق فى (ص ١٩٩ ج ١) من خططه قال : بلاق أجل حصن للسلمين وهى جزيرة تقرب من الجنادل (يقصد شلال أسوان) محيط بها الماء وفيها بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس ، و بها جامع بمنبر ونخيل عظيم و إليها تنتهى سفن النوبة وسفن المسلمين و بينها و بين أسوان أربعة أميال .

وذكر جغرافيو الإفرنج أن جزيرة بلاق واقعة فى النيل تجاه محطة الشلال جنوبى أسوان بمسافة عشرة كيلومترات ، واسمها المصرى بيلاك والرومى فيلى (بكسر الفاء و إمالة اللام) والقبطى بيلاخ والعربى بلاق وهو المصرى محرفا . ولما زرت هذه الجهة بحثت هذا الموضوع فى مكانه فتبين لى وجود ناحيتين : إحداهما كانت تسمى بلاق والثانية جزيرة بلاق نسبة إلى بلدة بلاق الواقعة تجاهها . أما ناحية بلاق فهى بلدة تقع على الشاطئ الشرقى للنيل و إليها تنتهى السكة الحديدية المصرية التى تربطها بأسوان كما تنتهى إليها أيضا السفن الذاهبة إلى بلاد النوبة والعائدة منها . و بلاق هذه مكانها اليوم نجع محطة الشلال الواقعة فى نهاية السكة الحديدية ، ونجع ابتكول ونجع الباب القبلى ، وهذه النجوع من توابع ناحية الشلال التابعة لمركز أسوان بمديرية أسوان . وأما جزيرة بلاق فهى عبارة عن جزيرة صخرية صغيرة مساحتها تسعة أفدنة تقريبا مشغولة بمبانى بعض الهياكل والمعابد المصرية القديمة ، وليس فيها من الفضاء ما يسمح بوجود بلد كبير حتى ولا قرية صغيرة ، ولا تصلح أن تكون حصنا للسلمين كما ذكر المقريزى . وهذه الجزيرة تسمى اليوم جزيرة قصر أنس الوجود أو جزيرة القصر أو جزيرة البربا أو جزيرة المعبد وهى أشهر الجزر التابعة لناحية الشلال ولا يزال يوجد بجزيرة بلاق هذه بقايا معابد مصرية قديمة من عهد الملك نقطانب الثانى ، وأشهر آثارها المعبد الكبير الذى أنشأه الملك بطليموس الثانى فيلادلف . وعلى بعد ١٧ قصبة =

هـذه البلادَ بلادُ العلى (١) وجزيرة ميكائيل (٢)؛ وفيها بلادٌ وجزائر الجنادل (٣) وهى

= من جزيرة بلاق إلى الغرب توجد جزيرة أخرى أكبر منها تسمى بيجة واسمها المصرى «سنميت» ويوجد أيضا غربى جزيرة بيجة جزيرة أخرى أكبر من بيجة بكثير تعرف بجزيرة الهيسة، وهى أكبر الجزر التابعة لناحية الشلال، وكان بها مساكن وجامع ونخيل قبل إنشاء خزان أسوان سنة ١٩٠٢ . ويحتمل كثيرا أن جزيرة الهيسة هى التى يقصدها المقريزى لاتساعها ووقوعها فى صدر مجرى النيل على رأس هذه الجزر من جهة بلاد النوبة . وبسبب بناء قناطر خزان أسوان الذى يقال له «السد» ووقوع هذه الجزر أمام قناطر الخزان (أى من جهة المياه الواردة) فالمياه المخزونة أصبحت بسبب ارتفاع منسوبها تغمر أرض هـذه الجزر وما فيها من المساكن والنخيل والآثار فى المدة من شهر ديسمبر إلى يوليو سنويا . وأما وقت فيضان النيل فتفتح القناطر كلها من شهر أغسطس إلى نوفبر سنويا . وفى هذه المدة يكون النيل فى منسوبه العادى فتنكشف الأرض وتظهر الآثار وبذلك يمكن مشاهدتها .

(١) بلاد العلى أو بلاد علوة : يستفاد مما ذكره المقريزى فى ص (١٩١ ج ١) من خططه عند الكلام على ذكر تشعب النيل من بلاد علوة ومما ورد فى كتاب تاريخ السودان لمؤلفه نعوم شقير بك أن بلاد علوة وهى المعروفة ببلاد النوبة العليا أو بمملكة العنج كانت تطلق على منطقة الأراضى التى تمتد اليوم على شاطئ النيل من أول الشلال الرابع وهو شـلال كسنجر إلى أرض جزيرة سنار الواقعـة بين النيل الأبيض والنيل الأزرق، وكانت قاعدة بلاد علوة مدينة «سوبه» الواقعـة على النيل الأزرق جنوبى الخرطوم بمسافة ٢٤ كيلومترا .

(٢) جزيرة ميكائيل : لما تكلم المقريزى فى ص (١٩٩ ج ١) من خططه على البقط (وهو اسم الجزية التى كانت لملوك مصر على بلاد النوبة) ذكر جملة حوادث منها أن الملك الظاهر بيبرس أرسل فى أول شعبان سـنة ٦٧٤ هـ تجريدة تحت قيادة الأمير شمس الدين آق سـنقر الفارقانى والأمير عز الدين أيبك الأفرم لرد اعتداء متملك النوبة، ولما وصل الجند إلى أرض النوبة اقتتل الفريقان قتالا عنيفا انهزم فيـه عسكر النوبة وأغار الأفرم على قلعة الدرو وأوغل الفارقانى فى أرض النوبة برا وبحرا يقتل ويأسر حتى نزل بجزيرة ميكائيل برأس الجنادل .

وأقول : بالبحث تبين لى أن الجنادل المقصودة بالذكر هنا هى شلال وادى حلفا وأن جزيرة ميكائيل هى التى تعرف اليوم باسم جزيرة «جانا الساب» ويقال «جانساب» وهـذه الجزيرة واقعـة فى النيل على رأس شلال وادى حلفا تجاه خورموسى باشا .

(٣) الجنادل : مفردها جندل ويقال لها الشلالات مفردها شلال وهو عبارة عن مجتمع صخور كبيرة وجزر صخرية صغيرة تعـترض مجرى النيل فتنحدر من فوقها المياه بقوة عظيمة ويسمع لهـا دوى هائل . ولا تمر منها المراكب إلا بالحيطة ودلالة الخبيرين بأوضاعها وطرقها من الصيادين . والشـلالات التى فى النيل تقع فى المنطقة التى بين مدينتى أسوان والخرطوم ببعد بعضها عن بعض على مسافات مختلفـة، وهى كثيرة بين كبيرة وصغيرة . فأما الشلالات الكبيرة فأشهرها ستة وهى : الأول شلال أسوان، والثانى شلال وادى حلفا ويقال له شـلال عبكة، والثالث شلال حنك، والرابع شلال وادى الأدرميـة ويقال له شلال كسنجر (وهو اسم محطة السكة الحديدية الواقعة تجاه هـذا الشلال)، والخامس شلال وادى الحمار ويقال له =

أيضا بلاد ، ولمّا فتحها أنعَمَ بها على آبن عمّ المأخوذة منه ، ثم ناصفه عليها ، ووضع عليــه عَبِيدًا وجوارِىَ وهُجُنًا وبَقَرًا ، وعن كلّ بالغ من رعيّته دينارًا فى كلّ سنة . وكانت حدود مملكة الملك الظاهر من أقصى بلاد النُّوبَة إلى قاطع الفرات. ووَفَد عليــه من التّتار زُهَاء عن ثلاثة آلاف فارس، فمنهم من أمَّره طبلخاناه، ومنهم مَنْ جعـله أميرَ عشرة إلى عشرين ، ومنهم مَنْ جعـله من السُّقَاة ، ثم جعل منهم سِلَحْدَارِيّة و جَمَدَارِيّة ومنهم من أضافه إلى الأمراء .

وأمّا مبانيه فكثيرة منهـا ماهدمه التّتار من المعاقل والحصون. وعَمَّر بقلعة الجبل دارَ الذهب، و برحبــة الحبارج[1] قبّة عظيمة محمـولة على آثنى عشر عمودا من الرخام الملوّن، وصُوِّرَ فيهـا سائر حاشيته وأمرائه على هيئتهم، وعَمَّر بالقلعة أيضا طبقتين مُطِلّتين على رحبــة الجامع[2] وأنشأ برج الزاوية[3] المجاورة لبــاب القلعة[4]، وأخرج منــه

= شلال جزيرة العشير (لوقوعها أمامه)، والسادس شلال سبلوكه وهو أقربها إلى الخرطوم. ويوجد فى أعالى النيل من الشلالات الكبيرة شلال الروصيرص فى النيل الأزرق وشلال الفولة فى النيل الأبيض .

وبسبب بناء خزان أســوان فوق صخور شلال أسوان أنشئ فى نهايته الغربية قناة وهويس بأبواب معدنية كبيرة تفتح وتقفل لحفظ توازن المياه عند مرور المراكب الصاعدة والنازلة من الشلال المذكور .

(١) فى الأصلين هكذا : « وبرحبة الخارج فيه قبة » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات لابن شاكر . (٢) الجامع : المقصود هنا الجامع الذى كان موجودا بالقلعة فى ذلك العهد . ويستفاد مما ذكره المقريزى فى ص (٣٢٥ ج ٢) من خططه عنـد الكلام على جامع القلعة أن الجامع المذكور قد هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون وأدخله فى الجامع الذى أنشاه بالقلعة سنة ٧١٨هـ. وهـذا الجامع لا يزال موجودا ، ويعرف بجامع الناصر بقلعة الجبل بجوار جامع محمد على باشا الكبير .

(٣) برج الزاوية : هذا البرج لايزال موجودا فى الزاوية البحرية الغربية من السور القديم البحرى للقلعة ، ولمـا جدد محمد على باشا الكبير ســورها الحالى أصبح البرج فى داخله ويعلوه الآن الجناح الغربى لمستشفى الجيش بالقلعة . (٤) باب القلعة : المقصود هنا باب القلعة العمومى القديم الذى أنشاه صلاح الدين فى سنة ٥٧٩ هـ . وورد فى الخطط المقريزية (ج١ ص٢٠٤) باسم الباب المدرج ، ولا يزال موجودا ولكن بطل استعماله وســد الطريق الذى كان يوصل بينه وبين حوش القلعة بسبب وجود الباب الجديد الذى أنشاه محمد على باشا الكبير فى ســنة ١٢٤٢ هـ بجوار الباب القديم المذكور، والبـاب الحالى يعرف بالباب الجديد أو الباب العمومى أو الباب البحرى . وفى ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات : «برج الزاوية المجاور لبـاب السر» .

رواشن، وبَنَى عليه قبّة وزخرف سقفها، وأنشأ جواره طِباقا للماليك أيضا. وأنشأ برحبة باب القلعة دارا[(١)] كبيرة لولده الملك السعيد، وكان في موضعها حِكْرَ فعقد عليه ستةعشر عَقْدًا، وأنشأ دورًا كثيرة بظاهر القاهرة [ممّا يلى القلعة وإصطبلات][(٢)] برسم الأمراء، فإنّه كان يكره سكنى الأمير بالقاهرة مخافةً من حواشيه على الرعيّة. وأنشأ حمّاما[(٣)] بسوق الخيل لولده الملك السعيد، وأنشأ الجسر[(٤)] الأعظم والقنطرة التى على الخليج، وأظنّها قنطرة السّباع[(٥)]، وأنشأ الميْدان بالبورجى[(٦)] ونقل إليه النخيل بالثمن الزائد من الديار المصريّة، فكانت أُجْرةُ نَقْله ستة عشر ألف دينار، وأنشأ به

(١) فى الأصلين: «وأنشأ تجاه برجيه بباب القلعة دارا ... الخ». وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات. (٢) زيادة عن فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان.

(٣) حمام سوق الخيل: لما تكلم صاحب الخطط التوفيقية على أعمال الظاهر بيبرس (فى ص ٢٨ ج أول) قال: إن هذا الحمام هدم ومحله القره قول وبعض عمارة والدة الخديوى إسماعيل باشا بجهة ميدان محمد على. وأقول إن هذا الحمام هو الذى كان يعرف أخيرا باسم حمام الهنود، وإن القره قول الذى يشير إليه هو مبنى قسم بوليس الخليفة القديم وقد هدم هذا المبنى أيضا، ومكانه اليوم الفضاء الواقع شرق عمارة خليل أغا بينها وبين ميدان صلاح الدين. (٤) الجسر الأعظم: ذكر المقريزى (فى ج ٢ ص ١٦٠) من خططه أن الجسر الأعظم كان يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل ثم صار شارعا مسلوكا يمشى فيه من الكبش إلى قناطر السباع. وأقول: إن الجسر المذكور لا يزال طريقا عاما يعرف الآن بشارع مراسينا ويوصل بين ميدان السيدة زينب حيث كانت قناطر السباع وبين جامع الجاولى الواقع تحت قلعة الكبش وهناك يتقابل مع شارع الخضيرى. (٥) هى بذاتها قنطرة السباع، يؤيد ذلك ما ذكره عنها المقريزى فى (ص ١٤٦ ج ٢) من خططه حيث قال: إن قناطر السباع أنشأها الملك الظاهر بيبرس ونصب عليها سباعا من الحجارة لأن رنكه (شعاره) كان على شكل سبع فقيل لها قناطر السباع. وسماها ابن دقاق فى كتاب الانتصار بالقنطرة الظاهرية. وأقول: إن هذه القنطرة كانت موجودة على الخليج المصرى ومعروفة كما شاهدتها باسم قنطرة السيدة زينب، وكانت تتكون من قنطرتين احداهما توصل بين شارع الكومى وبين شارع السد. والثانية كانت توصل بين شارع مراسينا وبين شارع الكومى وفى سنة ١٨٩٨ تم ردم الجزء الوسط من الخليج وبردمه اختفت هذه القنطرة من تلك السنة تحت ميدان السيدة زينب، الذى دخل فيه جزء من شارع الكومى وجزء آخر من شارع مراسينا. (٦) الميدان بالبورجى: لما تكلم المقريزى على اللوق (فى ص ١١٧ ج ٢) من خططه ذكر بستان البورجى بين البساتين التى كانت فى حدود بستان ابن ثعلب، ومن هذا ومما ذكره مؤلف هذا الكتاب يعلم أن المنطقة الواقعة غربى باب اللوق كانت تعرف قديما بالبورجى، ولما تكلم المقريزى فى (ص ١٩٨ ج ٢) من خططه على الميدان الظاهرى قال: إنه كان بطرف أراضى اللوق يشرف على النيل بينه وبين قنطرة قدادار الواقعة بجهة باب اللوق، أنشأه الملك الظاهر بيبرس، فى الأرض التى انحسر عنها ماء النيل غربى الميدان الصالحى، وما زال الملك =

المنـاظر والقاعات والبيوتات . وجدّد جامع الأنور[1] (أعنى جامع الظافر العُبَيْدِىّ) المعروف الآن بجامع الفاكهيين والجامع الأزهر[2]، وبَنَى جامع العافية[3] بالحُسَيْنِيّة وأنفق عليه فوق الألف ألف درهم، وأنشأ قريبا منه زاوية الشيخ[4] خَضِر وحمّاما وطاحونا وفُرْنًا وعمّر بالمِقْيَاس[5] قُبّة رفيعة [مزخرفة][6]، وأنشأ عدّة جوامع بالديار المصريّة، وجدّد قلعة الجزيرة[7]، وقلعة العمودين ببَرْقَة[8]، وقلعة السُّوَيْس[9]، وعمّر جِسْرًا بالقليوبيّة، والقناطر على

= الظاهر يلعب فيه بالكرة هو ومن خلفه من ملوك مصر إلى سنة ٧١٤ هـ . ثم عمله الملك الناصر محمد ابن قلاوون بستانا ، وأقول : إن قنطرة قدادار التى كانت على الخليج الناصرى هى التى وردت فى خريطة الحملة الفرنسية باسم قنطرة المدابغ ، ومكانها اليوم نقطة تلاقى شارع جامع جركس بشارع الحوياتى ، ومن هذا الوصف يتضح أن الميدان الظاهرى كان فى المنطقة التى تحد اليوم من الشرق بشارع الحويانى ومن الشمال بشارع الأنتيكخانة ومن الغرب النيل ومن الجنوب شارع الخديوى إسماعيل بقسم عابدين بالقاهرة .

(١) فى فوات الوفيات : « الجامع الأقمر » . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) الجامع الأزهر ، قال المقريزى فى (ص ٢٣٧ ج ٢) من خططه فى الكلام على الجامع الأزهر : ما يفيد أن الأمير عز الدين أيدمر الحلى تبرع بمبلغ عظيم من المال فى إصلاح الجامع الأزهر فى سنة ٦٦٥ هـ وأن الملك الظاهر بيبرس أطلق أيضا جملة من المال لعمارته فى تلك السنة . (٣) هو بذاته جامع الظاهر وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦١ من هذا الجزء . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦١ من هذا الجزء . (٥) المقصود هنا مقياس النيل بجزيرة الروضة ، وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٦) زيادة عن فوات الوفيات وذيل مرآة الزمان . (٧) قلعة الجزيرة : المقصود هنا قلعة جزيرة الروضة التى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة ٦٣٨ هـ وقد سبق الكلام عليها وعلى مكانها وحدودها فى الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . ويستفاد مما ذكره المقريزى فى (ص ١٨٣ ج ٢) من خططه أن الملك المعز أيبك التركمانى قد هدمها وعمر منها المدرسة المعزية على النيل بمدينة مصر ، ولما صارت مملكة مصر إلى الملك الظاهر بيبرس اهتم بعمارة هذه القلعة وأصلح بعض ما تهدم منها وأعادها الى ما كانت عليه وفرق أبراجها على الأمراء ، وأمر أن تكون بيوتهم وإصطبلاتهم فيها ، ولكن لم تطل عمارتها فانه لما تولى الملك المنصور قلاوون حكم مصر هدم هـذه القلعة ونقل منها كل ما احتاج اليه من العمد الصوان والرخام لبناء المدرسة المنصورية والمارستان والقبة التى دفن فيها بشارع (المعز لدين الله بين القصرين سابقا) ، ثم أخذ منها أيضا الملك الناصر محمد بن قلاون ما احتاج اليه لبناء الإيوان والجامع بالقلعة والجامع الجديد على النيل بمدينة مصر ، وبذلك ذهبت هذه القلعة فى زمن قصير كأنها لم تكن . (٨) كذا فى الأصلين والذيل على الروضتين . وفى فوات الوفيات : « قلعة العمد » . (٩) قلعة السويس ، هذه القلعة قد اندثرت إلا أن مكانها لا يزال معروفا إلى اليوم باسم قلعة القلزم ، وهى عبارة عن تل مرتفع واقع فى الجهة الشمالية الشرقية من سكن مدينـة السويس ويشرف على خليج السويس .

بحر أبى المُنَجّا(١) وقنطرة بمُنْية السّيرج(٢)، وقنطرتين عند القُصَيْر(٣) على بحر إبراش بسبعة أبواب مثل قنطرة بحر أبى المُنَجّا، وأنشأ فى الجسر الذى يُسلك فيه إلى دِمْياط ستّ عشرة قنطرة، وبَنَى على خليج الإسكندرية قريبا من قنطرتها [القديمة](٤) قنطرة عظيمة بعَقْد واحد، وحَفَر خليج الإسكندرية(٥) وكان قد آرتدم بالطّين، وحَفَر بحر أُشْموم(٦)، وكان قد عَمِى، وحَفَر ترعة الصلاح(٧) وخورسخا(٨) وحَفَر الحامدى والكافورى، وحَفَر فى ترعة أبى الفضل ألفَ قصبة، وحَفَر بَحْر الصَّمْصَام(٩) بالقليوبيّة، وحَفَر بحر سردوس(١٠).

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤٨ من هذا الجزء. (٢) قنطرة بمنية السيرج: هذه القنطرة كانت واقعة على ترعة قديمة تعرف اليوم بالترعة البولاقية، كانت تأخذ مياهها من النيل جنوبى بولاق ثم ردمت فى المسافة الواقعة بين المبانى فى قسمى بولاق وشبرا بمدينة القاهرة ولا زالت بقايا هذه الترعة تمر بجوار ناحية منية السيرج بضواحى القاهرة. وأما القنطرة فقد كانت تجاه منية السيرج وليس لها أثر اليوم.

(٣) كذا فى الأصلين والذيل على مرآة الزمان. وفى فوات الوفيات: «قنطرة عند القصير».

(٤) زيادة عن ذيل مرآة الزمان. (٥) خليج الإسكندرية: يستفاد مما ذكره المقريزى عند الكلام على خليج الإسكندرية فى (ص ١٦٩ ج ١) من خططه أن الملك الظاهر أمر بحفر هذا الخليج فى سنتى ٦٦٢هـ، ٦٦٤هـ، ومن البحث تبين لى أن الخليج المذكور كان فمه فى ذاك الوقت واقعا على فرع النيل الغربى فى نقطة بأراضى ناحية منية بيبج شرقى سكن ناحية كنيسة الضهرية وكان الحفر من فم هذا الى النقيدى أى الى ترعة النقيدى التى كانت وقتها هى المجرى الأصلى للخليج المذكور. ومن ذاك الوقت عرفت منية بيبج بالظاهرية نسبة الى الملك الظاهر وهى التى تعرف اليوم بالضهرية إحدى قرى مركز إيتاى البارود بمديرية البحيرة. (٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

(٧) ترع الصلاح والحامدى والمجابرى والتحاريى والكافورى وأبى الفضل، كانت هذه الترع قديما مخصصة للرى بالوجه البحرى وقد آختفت أسماؤها الآن، إما بسبب اندثارها وإما بسبب تغيير أسمائها بأخرى من زمن قديم ولذلك أصبحت مجهولة فى زمننا هذا. (٨) فى الأصلين: «خورمنجا». وما أثبتناه عن فوات الوفيات. وفى الذيل على مرآة الزمان «خورسرختا».

(٩) بحر الصمصام: يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على بحر أبى المنجا (ص ٤٨٧ ج ١) أن إقليم الشرقية كان يروى قبل حفر بحر أبى المنجا من بحر السردوسى ومن الصماصم. وبالبحث تبين لى أن بحر الصمصام أو الصماصم صار بعد حفر بحر أبى المنجا يأخذ مياهه من بحر أبى المنجا المذكور وبذلك أصبح فرعا منه ويعرف اليوم بترعة المصيصة المحرفة عن الصماصم بمركز قليوب. وبما أن بحر أبى المنجا يعرف اليوم بالترعة الشرقاوية التى بمديرية القليوبية فترعة المصيصة تأخذ مياهها الآن من ترعة الشرقاوية فى شمال ناحية ميت حلفا بمركز قليوب. (١٠) بحر سردوس: سمى بهذا الاسم نسبة الى قرية سردوس التى كانت واقعة على النيل عند فم هذا البحر وآندثرت وقد ورد اسمها فى كتاب التحفة السنية لابن =

وتمم عِمارة حَرَمِ رسـول الله صلّى الله عليـه وسلّم وعَمِل مِنْبَره ، وجعـل بالضريح النّبَـوىّ درابزينا ، وذهّب سقوفه وجدّدها و بيّض حِيطانَه ؛ وجدّد البِيمَارِسْـتان بالمدينة النبويّة ، ونَقل إليه سائر المعاجين والأكحال والأشْرِبة ، و بعث إليـه طبيباً [من الديار المصريّة](١) .

وجدّد فى الخليل عليـه السلام قُبّته ، ورَمّ شَـعَثَه وأصلح أبوابه [ومِيضأته](٢) وبيّضه وزاد فى راتبـه . وجدّد بالقُدْس الشريف ما كان قد تهـدّم من [قُبّة](٢) الصخرة ، وجدّد قُبّة السلسلة وزخرفها وأنشأ بها خانًا للسبيل ، نَقل بابه من دِهْلِيز كان للخلفاء المصريّين بالقـاهرة ، وبَنَى به مسجدًا وطاحوناً وفُرْناً و بُستانا . و بَنَى على قبر موسى عليه السـلام قُبّة ومسجدًا ، وهو عنـد الكَثِيب الأحمر قبـل أَرِيحا(٣) ووقف عليه وقفا . وجدّد بالكَرَك بُرْجَيْن كانا صغيرين فهدمهما وغيّرهما(٤) . و وسّع عمارة مشهد جعفر الطيّار(٥) — رضى الله عنه — ووقف عليـه وقفًا زيادة على وقفه على الزائرين له والوافدين عليـه . وعَمّر جسرًا بقرية دَامِية بالغَـوْر على نهر الشّريعة ، ووقف عليه وقفا برَسْم ما عساه يتهدّم منه . وأنشأ جسوراً كثيرةً بالغَوْر والساحل .

= الجيعان مع قرية بيسوس التى يقال لها اليوم باسوس بمركز قليوب . وقد ذكر ابن دقماق فى كتاب الانتصار ص ٤٧ ج ٥ عند الكلام على قليوب أن هذا البحر كان يمر عليها . و بالبحث تبين أن هذا البحر قد اندثر ولم يبق منه إلا ترعة صغيرة تعرف بترعة الزيتون تأخذ مياهها من ترعة أبن المنجا الخارجة من النيل بأراضى باسوس بمركز قليوب ثم تسـير إلى الشمال حيث تمر بجوار سكن بلدة قليوب من الجهة الغربية .

(١) زيادة عن فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان .

(٢) زيادة عن فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان .

(٣) أريحا ، وقد رواه بعضهم بالخاء المعجمة . وهى مدينـة الجبارين فى الغور من أرض الأردن بالشام ، بينها و بين بيت المقـدس يوم للفـارس فى جبال صـعبة المسلك (عن معجم البلدان ليـاقوت) .

(٤) فى الذيل على مرآة الزمان وفوات الوفيات : « فهـدمهما وكبرهما وعلاهما » .

(٥) هو جعفر بن أبى طالب ابن عبد المطلب بن هاشم أبو عبـد الله الطيار آبن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . أسلم قديما وآستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوة مؤتة ، وهى قرية من قرى البلقاء فى حدود الشام وقيل فى مشارف الشام ؛ استشهد بها جعفر الطيار و بها قبره (راجع تهذيب التهذيب ومعجم البـلدان لياقوت فى الكلام على مؤتة) .

وأنشأ قلعة قَاقُون[1] وبَنَى بها جامعا ووقف عليه وقفًا، وبَنَى على طريقها حَوْضًا للسبيل . وجدّد جامع مدينة الرملة ، وأصلح جامعًا لبنى أُمَيَّة[2] ووقف عليه وقفا . وعِدّة جوامع ومساجد بالساحل .

وجدّد باشورةً لقلعة صَفَد وأنشأها بالحجر الهِرَقْلِيّ ، وعَمَر لها[3] أبراجا وبَدَنَاتٍ، وصَنَع بَغَلاتٍ مصفّحة دائر الباشورة بالحَجَر المنحوت، وأنشأ بالقلعة صِهْريجًا كبيرا مدرّجا من أربع جهاته ، وبَنَى عليه بُرْجا زائدَ [الآرتفاع][4] ، قيل إن آرتفاعه مائة ذراع، وبنى تحت البُرْج حَمّاما، وصَنَع الكنيسة جامعا وأنشأ رِباطًا ثانيا، وبنى حَمّاما ودارًا لنائب السلطنة .

وكانت قلعة الصُّبَيْبَة قد أخربها التّتار، ولم يُبْقُوا منها إلّا الآثار فجدّدها، وأنشأ لجامعها مَنَارةً، وبَنَى بها دارًا لنائب السلطنة، وعَمِل جسرًا يُمْشَى عليه إلى القلعة .

وكان التّتار قد هدموا شراريفَ قلعة دِمَشْق، ورءوسَ أبراجها ، فجدّد ذلك كُلّه، وبنى فوق بُرْج الزاوية المُطِلّ على الميادين وسوق الخيل طارمةً كبيرةً، وجدّد منظرةً على قائمة مُسْتَجَدّة على البُرْج المجاور لباب النصر، وبيّض البَحْرةَ وجدّد دِهان سقوفها : وبنى حَمّاما[5] خارج باب النصر بدِمَشْق ، وجدّد ثلاثة إسطبلات على الشَّرَف الأعلى ، وبَنَى القَصْر الأبلق بالمَيْدان بدِمَشق وما حوله من العمائر . وجدّد مَشْهد زَيْن العابدين رضى الله عنه بجامع دمشق ، وأَمَر بترخيم الحائط الشمالى،

(١) فى الأصلين : «قانون» . وفى فوات الوفيات «قابون» وسياق كلام المؤلف يقتضى ما أثبتناه . وقاقون : حصن بفلسطين قرب الرملة ، وقيل هو من عمل قيسارية من ساحل الشام (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) فى الأصلين غير واضح . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان . (٣) فى الأصلين : « وعمرله » والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٤) الزيادة عن الذيل على مرآة الزمان .
(٥) فى الأصلين : « وبنى جامعا » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات .

وتجـديد باب البريد[1] وفرشـه بالبلاط . ورمّ شَعَث مغارة الدم[2] . وجدّد المبـانى التى هدموها التّتار من قلعة صرخد . وجدّد قبر نوح عليه السلام بالكَرَك . وجدّد أسوار حِصن الأكراد، وعمّر قلعتها . وعمّر جوامع ومساجد بالساحل يطول الشرح فى ذكرها حذفتها خوف الإطالة .

وبُنِىَ فى أيامه بالديار المصريّة ما لم يُبْنَ فى أيام الخلفـاء المصريّين، ولا ملوك بنى أيُّوب من الأبنيــة والرِّباع والخانات والقواسير والدُّور والمساجد والحمّامات ، من قريب مسجد التّبْن[3] إلى أسـوار القاهرة إلى الخليج وأرض الطّبّالة[4]، واتّصلت العمائر إلى باب المَقْسِم[5] إلى اللُّوق[6] إلى البُـورْجى[7]؛ ومن الشارع إلى الكَبْش[8]

(١) باب البريد، هو الباب الثانى لدمشق، كما فى نزهة الأنام فى محاسن الشام (ص ٢١) .

(٢) فى الأصلين : « قبة الدم » . وما أثبتناه عن فوات الوفيات . ومغارة الدم : مغارة تزار حسنة فى لحف الجبل الذى يعرف بجبل قاسيون . سميت بذلك لأن بها حجرا عليه شىء كالدم ويزعم أهل الشام أنه الحجر الذى قتل قابيل به هابيل (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) مسجد التبن : ذكر المقريزى فى (ص ٤١٣ ج ٢) من خططه أن هذا المسجد خارج القاهرة مما يلى الخندق قريبا من المطرية، بنى فى سنة ١٤٥ هـ وعرف بمسجد البئر وبمسجد الجيزة . وفى زمن الدولة الإخشيدية عمره الأمير تبر أحد الأمراء الأكابر فى أيام الأسـتاذ كافور الإخشيدى فعرف بمسـجد تبر وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ . وأقول : إن هذا المسجد لا يزال قائما إلى اليوم باسم زاوية الشيخ محمد التبرى فى وسط أرض زراعية تابعة لسراى القبة ، وفى الشمال الغربى لمحطة حمامات القبة وبالقرب منها .

(٤) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٥) باب المقسم : يستفاد مما ذكره المقريزى فى آخر كلامه على المقس (ص ١٢١ ج ٢) من خططـه أن باب المقس ويعرف بباب البحر كان واقعا بقـرية المقس التى يقال لها المقسم فى نهاية السور الشمالى لمدينـة القاهرة من الجهة الغربيـة ، ويعرف هذا الباب اليوم بباب الحديد وينسب إليه ميدان باب الحديد الواقع بجوار ميدان محطة مصر، ويتفرع منه شوارع : الملكة نازلى وإبراهيم باشا وفم باب البحر وكلوت بك والفجالة، وكان هذا الباب واقعا على مدخل شارع فم باب البحر من جهة الميدان المذكور .

(٦) اللوق ، لمـا تكلم المقريزى على اللوق فى (ص ١١٧ ج ٢) من خططه قال : ويطلق اللوق فى زماننا على المكان الذى يعرف اليوم بباب اللوق المجاور لجـامع الطباخ . وأقول : وغرض المؤلف أنه يشير إلى أن المبانى فى زمن الظاهر بيبرس كانت امتدت خارج القاهرة الأصلية حتى وصلت إلى باب اللوق الذى مكانه اليوم مدخل شارع الصنافيرى تجاه جامع الطباخ بميدان باب اللوق بقسم عابدين . (٧) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٩١ من هذا الجزء . (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من هذا الجزء .

وحدرة آبن[1] قُمَيحة إلى تحت القلعة ومشهد[2] السيدة نفيسة رضى الله عنها إلى السُّور القَرَاقُوشىّ[3] . وكلّ ذلك من كثرة عدله و إنصافه للرعيّـة والنَّظَرِ فى أمورهم و إنصاف الضعيف من المستضعِف والذَّبِّ عنهم من العدوّ المخذول رحمه الله وعفا عنه .

ذِكْرُ ما كان ينوب دولتَه من الكُلَف — كانت عِدّة العساكر بالديار المصريّة أيّام الملك الكامل محمد و ولده الملك الصالح أيُّوب عشرة آلاف فارس، فضاعفها أربعةَ أضعاف ؛ وكان اولئك الذين كانوا قبله العشرة آلاف مقتصدين فى الملبوس والنفقات والعُدَد، وهؤلاء (أعنى عسكر الظاهر الأربعين ألفا) ، كانوا بالضدّ من ذلك ؛ وكانت كُلَفُ ما يلوذ بهم من إقطاعهم، وهؤلاء كُلَفُهم على الملك الظاهر ؛ ولذلك تضاعفت الكُلَفُ فى أيّامه . فإنّه كان يُصْرَف فى كُلَف مطبخ أستاذه الملك الصالح أيُّوب أَلْفُ رطل [لحم[4]] بالمصرىّ خاصّةَ نفسه فى كلّ يوم ؛

(١) فى الأصلين : « حوض قيحة » . والتصويب عن الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص ٤٣ ويستفاد مما ذكره المقريزى عند الكلام على الخطط التى كانت بمدينة مصر فى (ص ٢٩٦ ج ١) فى كلامه على تحديد الحمراوات، وماذكره عند الكلام على العسكر فى ص (٣٠٤ ج ١) فيما يختص بمارستان أحمد بن طولون وتحديد العسكر والقطائع، وما ذكره عند الكلام على بركة قارون فى (ص ١٦١ ج ٢) أقول : يستفاد من كل ذلك أن هذه الحدرة كانت واقعة على الحافة الغربية من جبل يشكر فى الجهة الجنوبية الغربية من قلعة الكبش . ومكانها اليوم الموضع المنحدر من تلول زين العابدين حيث ينزلون منها إلى خطى البغالة والمذبح فى نقطة تلاقى شارع العسكر بشارع أمير الجيش فى منطقة التلول المذكورة بقسم السيدة زينب بالقاهرة . ولهذه المناسبة أذكر : أولا أن صاحب الخطط التوفيقية لما تكلم على شارع قلعة الكبش فى الجزء الثانى ص ١١٧ من خططه قال : إن حدرة آبن قيحة هى الحدرة الواقعة فى أول شارع قلعة الكبش بجوار جامع صرغتمش من الجهة الغربية و يصعد منها الى قلعة الكبش ، ثانيا أن مصلحة التنظيم أطلقت اسم هذه الحدرة على زقاق فى عطفة الغنائمة بشارع السيدة عائشة جنوبى جامع البرديني بقسم الخليفة . وأقول : إن كلا الوضعين خطأ والصواب ما ذكرته .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٧٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٣) راجع ص ٤٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٤) زيادة عن ذيل مرآة الزمان .

والمصروف فى مطبخ الملك الظاهر عشرةُ آلاف رطل كلّ يوم عنها وعن توابلها عشرون ألف درهم نُقْرة(١)، ويُصْرَف فى خزانة الكسوة(٢) فى كل يوم عشرون ألفَ درهم، ويُصْرَف فى الكُلَف الطارئة المتعلّقة بالرُّسُل والوفود فى كلّ يوم عشرون ألفَ درهم، ويُصْرَف فى ثمن قُرْط دوابّه ودوابّ مَن يلوذُ به فى كلّ سنة ثمانمائة ألف درهم، ويقوم بكُلَف الخيل والبغال والجمال والحَمير من العلوفات خمس عشرة ألفَ عليقة فى اليوم، عنها ستمائة إردب؛ وما كان يقوم به(٣) لمَنْ أوجب نفقتَه وألزمها عليه تُطْحَنُ وتُحْمَل إلى المخابز المُعَدّة لعمل الجرايات خلا ما يصرف على أرباب الرواتب فى كلّ شهر عشرون ألف إردب(٤)؛ وذلك بالديار المصريّة خاصة . وهذا خلاف الطوارئ التى كانت تَفِد عليه فما يُمْكِن حصرُها . وكُلَفُ أسفاره وتجديد السلاح فى كلّ قليل؛ وما كان عليه من الجوامك(٥) والجرايات لمماليكه ولأرباب الخدَم؛ فكان ديوانه يفِى بذلك كلّه؛ ويحمِل لحاصله جملةً كبيرة فى السنة من الذهب . وكان سبب ذلك أنه رَفَع أيدى الأقباط من غالب تعلقّاته فافتقر أكثرُهم فى أيّامه؛ وباشروا الصنائع كالنجارة والبناية؛ ولا زال أمرهم على ذلك حتى تراجع فى أواخر الدولة الناصريّة محمد بن قلاوون . انتهت ترجمة الملك الظاهر بيبَرْس، رحمه الله تعالى .

(١) الدراهم النقرة: أصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية، ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة والعبرة فى وزنها بالدرهم وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطا وقدر بست عشرة حبة من حب الخرنوب فتكون كل خروبتين ثمن درهم وهى أربع حبات من حب البر المعتدل (عن صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٣). (٢) فى الأصلين: «فى جراية الكسوة». وما أثبتناه عن فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان. (٣) عبارة فوات الوفيات: «ويصرف للخابز للجرايات، خلاما يصرف لأرباب المراتب لمصر خاصة كل شهر عشرون ألف إردب». (٤) عبارة الذيل على مرآة الزمان: «وأما الطوارئ التى كانت تطرأ عليه فما يمكن حصرها». (٥) فى ذيل مرآة الزمان «الجامكيات».

ونذكر بعض أحواله ، إن شاء الله تعالى ، فى حوادث سنينه كما هو عادة هذا الكتاب على سبيل الاختصار . وقد أطلتُ فى ترجمته وهو مستحِقّ لذلك ، لأنّه فرع فاق أصله ، كونَه كان من جملة مماليك الملك الصالح نجم الدين أيُّوب فزادت محاسنه عليه .

وأمّا مَنْ يأتى بعده فلا سبيل إليه . ويُعجبنى فى هذا المعنى المقالةُ الثانية عشرة من قول الشيخ الإمام العالم العارف الرَّبَّانِىّ شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله الأصفهانىّ المعروف بشَوَرْوَة[(1)] رحمه الله فى كتابه الذى فى اللّغة وسمّاه « أطباق الذهب » يشتمل على مائة مقالة [واثنتين] أحسن فيها غاية الإحسان ، وهى :

« ليس الشريفُ مَنْ تطاول وتكاثر[(2)] ، إنّما الشريف مَنْ تَطَوّل وآثر ؛ وليس المحسنُ من رَوَى القرآن ، إنما المحسن مَنْ أَرْوَى الظمآن ؛ وليس البِرُّ إبانةَ الحروف بالإمالة والإشباع ، لكنّ البِرّ إغاثةُ الملهوف بالإنالة والإشباع ؛ ولا خيرَ فى زُكَأَة[(3)] لا يُسْدِى معروفا ، ولا بَركةَ فى لِبْنة[(4)] لا تُروِى[(5)] خَروفا ؛ فوا[ها][(6)]لك ، لمن تدّخر أموالك ! أَنْفِقْ أُلْفَك ، قبل أن يُقسم خَلْفَك ؛ إنّ منازل الخَلْق سَواسِيَة ، إلّا من له يَدٌ مُواسِيَة ؛ فأرفعُهم أنفعُهم ، وأسودُهم أجودُهم ، وأفضلُهم أبذلُهم ؛ وخيرُ الناس مَنْ سَقَى مِلْوَاحا[(7)] ،

---

(١) فى الأصلين : « بشفروة » . وتصحيحه عن ترجمته بأوّل إحدى نسخ هذا الكتاب المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١٠٩ أدب . وقد ضبط بالقلم فى النسخة المذكورة (بالشين المعجمة والواو وسكون الراء وفتح الواو الثانيــة ثم هاء) .

(٢) فى أطباق الذهب : « من تطاول وكاثر بل الشريف... الخ » .

(٣) زكأة (كهمزة) من يكثر إعطاء الزكاة .

(٤) اللبنة من الإبل والغنم : الغزيرة اللبن .

(٥) فى أطباق الذهب : « لا تشبع » .

(٦) تكملة عن أطباق الذهب .

(٧) الملواح : هنا العطشان .

ونَصَب للجنّة مِلْوَاحا[1]؛ والكرم نوعان، أحسنهما إطعام الجوْعان؛ والحازمُ من قدّم الزاد لعَقَبةِ العُقْبى، وآتى المـالَ على حُبّه ذَوِى القُرْبَى » . انتهت المقالة . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

⁂

السـنة الأولى من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبَرْس البُنْدُقْدارِىّ على مصر، وهى سنة تسع وخمسين وستمائة ، على أنّه حَكَم فى آخر السنة المـاضية نحو الشهر .

قلت : ودخلت سنة تسع وخمسين المذكورة وليس للسلمين خليفة ، وكان أوّلهـا يوم الآثنين لأيّام خَلَوْن من كانون أحد شهور الروم ؛ وكانون بالقِبْطىّ كيهك . فدخلت السنة والسلطان بديار مصر الملك الظاهر بيبَرْس، وصاحب مكّة نجم الدين أبو نُمَىّ[2] بن أبى سعد الحَسَنىّ، وصاحب المدينة جَمّاز بن شِيحة الحُسَيْنىّ، وصاحب دِمَشق و بَعْلَبَكّ و بَانْيَاس والصُّبَيْبَة الأمير علم الدين سَنْجَر الحلَبىّ، تغلّب عليها وتسلطن وتلقّب بالملك المجاهد ؛ ونائب حلب من قِبَل الملك الظاهر بيبَرْس الأمير حسام الدين لاچِين الجُوكَنْدار العَزِيزِىّ ، وصاحب المَوْصِل الملك الصالح إسماعيل آبن الملك الرحيم لؤلؤ ، وصاحب جزيرة آبن عمر أخوه الملك المجاهد سيف الدين إسحاق بن لؤلؤ المذكور ، وصاحب مَارِدِين الملك السعيد نجم الدين إيلغَـازِى الأُرْتُقِىّ، وصاحب بلاد الروم ركن الدين قليج أَرْسلان آبن السلطان غِياث الدين كَيْخُسْرُو بن علاء الدين كَيْقُبَاد السَّلْجُوقِىّ وأخوه عِزّ الدين كَيْكَاوُس،

---

(١) الملواح : أن يعمد الى بومة فيخيط عينها ويشدّ فى رجلها صوفة سوداء ويجعل لها مربأة يرتبئ الصائد فى القترة ويطيرها ساعة بعـد ساعة فاذا رآه الصقر أو البازى سقط عليـه فأخذه الصياد فالبومة وما يليها تسمى ملواحا ، والمراد ما يقدمه من فعل الخير حتى يصل الى الجنة .

(٢) هو نجم الدين أبو نمى إبراهيم بن أبى سعد بن على بن قتادة الحسنى .

والبلاد بينهما مناصَفة ، وصاحبُ الكَرَك والشُّوبَك الملك المغيث [فتح[1] الدين عمر] آبن الملك العـادل آبن الملك الكامل آبن الملك العادل بن أَيُّوب ، وصاحبُ حماة الملك المنصور محمـد الأَيُّوبىّ[2] ، وصاحب حِمْص وتَدْمُر والرَّحْبَـة الملك الأشرف مظفَّـر الدين موسى ، وصاحب مَرَّاكُش من بلاد المغرب أبو حفص عمـر[3] الملقب بالمُرْتَضَى ، وصاحب تُونِس أبو[4] عبـد الله محمـد بن أبى زكريّا ، وصاحب اليَمَن الملك المظفر[5] شمس الدين يوسف بن عمر التُّرْكُمَانِىّ من بنى رَسُول .

وفيها كانت كَسْرة التَّتَار على حِمْص ، وقد تقدّم ذكْرُ ذلك .

وفيها مَلَك السلطان الملك الظاهر دِمَشْق وأخرج منها علم الدّين سَنْجَر الحَلَبِىّ ، ووَلَّى نيابتها الأميرَ علاء الدين أَيْدِكين البُنْدُقْدَارِىّ ، أسـتاذ الملك الظاهر بِيبَرْس هـذا ، الذى أخذه الملك الصالح نجم الدين أَيُّوب منـه ، حسب ما ذكرنا ذلك أوّل ترجمة الملك الظاهر .

وفيها وصل الخليفة المستنصر بالله إلى القاهرة وبُويع بالخلافة ، وسافر صُحْبَة الملك الظاهر إلى الشام ، ثم فارقه وتوجّه إلى العِراق فقُتِل ، وقـد مَرّ ذكْرُ ذلك كلّه أيضا .

وفيها تُوُفِّى الملك الصالح نور الدين إسماعيـل آبن الملك المجاهد أسـد الدين شِيرِكُوه بن محمد بن أسد الدين شِيرِكُوه الكبير، كان الملك الصالح هذا صاحب حِمْص

(١) الزيادة عن عقد الجمان . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء .

(٣) هو صاحب المغرب المرتضى أبو حفص عمر بن إبراهيم بن يوسف بن حفص القيسى المؤمنى ، ولى الملك بعد عمه المعتضد . توفى سنة ٦٦٥ هـ (عن المنهل الصافى وشذرات الذهب) .

(٤) هو أبو عبـد الله محمد بن يحيى بن عبـد الواحد بن عمر الأمير المستنصر بالله الهنتاتى البربرى الموحدى المغربى صاحب تونس . توفى سنة ٦٧٥ هـ (عن المنهل الصافى وشذرات الذهب) .

(٥) هو السلطان الملك المظفر شمس الدين أبو المحاسن يوسف آبن السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٤ هـ .

ملكها بعد موت أبيه ، وكان له آختصاص كبير بابن عمّه الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام ، وكان الصالح هـذا يُدارِى التّتار ولا يُشاققهم ، وآخر الأمر أنه قُتِـل فى وقعة هولاكو بيـد التّتار رحمه الله تعالى لمّـا توجّه إليهم صحبةَ الملك الناصر صـلاح الدين يوسف المذكور، وكان عنده حَزْمٌ وشجاعة .

وفيها تُوُفّى الشيخ الأديب الفقيه مُخْلِص الدين إسماعيل بن عمر (١) [بن يوسف] ابن قُرْنَاص الحَمَوِىّ الشاعر المشهور، كان فصيحًا شاعرًا من بيت علم وأدب . ومن شعره رحمه الله تعالى :

أمَا واللهِ لو شُقّتْ قلوبٌ * لِيُعْلَم ما بها من فَرْط حُبّى
لأرضاك الذى لك فى فؤادى * وأرضانى رضاك بشَقّ قلبى

وفيها تُوفّى الملك السعيد إيلْغَازِى نجم الدين (٢) [آبن أبى الفتح أُرْتُق بن إيلْغَازِى ابن أَلْبِى بن تِمِرْتاش بن إيلغازِى] الأُرْتُقِى صاحب مارِدِين، مات فى سادس صفر، وقيل فى ذى الحجّة سنة ثمـانٍ وخمسين .

وفيها تُوُفّى الشـيخ الإمام الواعظ المحـدّث أبو عمرو عثمان بن مَكّى بن عثمان السَّعْدِىّ الشّارِعِىّ الشّافِعِىّ، سَمِـع الكثير وآعتنى به والده فأسمعه من نفسه وغيره، وكان يُنْشِد لأبى العَتَاهِيَة :

اِصـــبِر لِدهرٍ نال منـــ * ـكَ فهكذا مضتِ الدّهــورُ
فَــرَحٌ وحُزْنٌ مرّةً * لا الحزنُ دام ولا السُّرورُ

وفيها تُوُفّى الأديب الفاضل نور الدين أبو الحسن علىّ بن يوسف بن أبى المكارم عبـد الله الأنصارِىّ المِصْرِىّ المعروف بالعَطّار، كان شاعرًا فاضلًا ، مات قبـل الأربعين سـنة من عُمره . ومن شعره مُلْغِزًا فى كُوز الزِّير :

(١) التكملة عن السلوك (ص ٤٦٦) . (٢) الزيادة عن المنهل الصافى .

وذى أذنٍ بلا سَمْعٍ * له قلبٌ بلا لُبّ[(١)]
مَدَى الأيّام فى خَفْضٍ * وفى رَفْعٍ وفى نَصْبِ
إذا آستولى على الحُبّ * فقل ما شئتَ فى الصَّبّ[(٢)]

وفيها كانت مقتلة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وكُنْيَتُه أبو المظفَّر، آبن السلطان الملك العزيز محمد آبن السلطان الملك الظاهر غازى آبن السلطان صلاح الدين يوسف آبن الأمير نجم الدين أيّوب الأيّوبى الحَلَبِىّ، وكان صاحب حلب ثم صاحب الشام. وُلِد بقلعة حلب فى شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة ، وسلطنوه عند موت أبيه سنة أربع وثلاثين، وقام بتدبير مملكته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأَمِينى، وعز الدين بن المحلى[(٣)]، والوزير الأكرم جمال الدين[(٤)] القِفْطى، والطواشى جمال الدولة إقبال الخاتونى، والأمر كلّه راجع لأمّ [أبيه][(٥)] الصاحبة صفيّة خاتون بنت الملك العادل أبى بكر بن أيّوب . وماتت سنة أربعين واستقلّ[(٦)] الملك الناصر هذا وأَمَرَ ونَهَى . ووَقَع للملك الناصر هذا أمور ووقائع ومِحَنٌ ، وهو الذى كان الملك الظاهر بيبَرْس لمّا خرج من مصر فى نَوْبة البحريّة توجّه إليه وصار فى خدمته . وقد مرّ ذكرُه فى مواطن كثيرة من هذا الكتاب، من قدومه نحو القاهرة فى جَفْلة التّتار، ورجوعه من قَطْية[(٧)] إلى البلاد الشاميّة ، وغير ذلك، ثم آلَ أمره إلى أن توجّه إلى ملك التّتار هولاكو وتوجّه معه أخوه

(١) رواية عيون التواريخ وشذرات الذهب : * له جسم بلا قلب * .
(٢) فى الأصلين : * فقل ما شئت فى الحب * وما أثبتناه عن عيون التواريخ وشذرات الذهب .
(٣) فى المنهل الصافى : «عز الدين ابن المجلى» بالجيم . (٤) هو الوزير الأكرم جمال الدين على بن يوسف الشيبانى القفطى ، و راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٥) التكملة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والمنهل الصافى .
(٦) فى الأصلين : « بعدأن آشتدّ ولدها الملك ... الخ » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ
(٧) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٧ من هذا الجزء .

الملك الظاهر سيف الدين غازى، وكان رُشّح للمُلْك، والملك الصالح نور الدين إسماعيل صاحب حِمْص المقدّم ذكره فى هذه السنة؛ ولمّا وصل الملك الناصر إلى هولاكو أحسن إليه وأكرمه إلى أن بلَغه كَسْرةُ عيْن جالوت غَضِب عليه وأمر بقتله، فآعتذر إليه فأمسك عن قتله، لكن أعرض عنه، فلمّا بلغه كَسْرة بَيْدَرا[1] على حِمْص قتَله وقتَل أخاه سيف الدين غازيا[2] المذكور، وقتَل الملك الصالح نور الدين صاحب حِمْص وجميعَ من كان معه سوى ولده الملك العزيز. وكان الملك الناصر مَليحَ الشكل إلّا أنّه كان أحول؛ وكان عنده فصاحةٌ ومعرفةٌ بالأدب، وكان كريمًا عاقلًا فاضلًا جليلًا متجمِّلا فى مماليكه ومَلْبَسه ومَرْكَبه، وكان فصيحًا شاعرا لطيفًا. قال آبن العَدِيم[3]: أنشدَنِى لنفسه. (يعنى الملك الناصر هذا).

البدرُ يَجْنَحُ للغروب ومُهْجَتِي * لِفراقِ مشبِهِه أَسًى تتقطَّعُ
والشَّرْبُ قد خاط النعاسُ جفونَهُمْ * والصبحُ من جِلْبابِه يتطلَّعُ

قال وأنشدنى لنفسه رحمه الله تعالى:

اليومُ يومُ الأربِعا * فيه يَطيب المُرْتَعى
يا صاحبي أما ترى * شمل المُنَى قد جُمِّعَا
وقد حَوَى مجلسُنا * جُلَّ السرور أجمعَا
فقُمْ بنا نشربها * ثلاثةً وأربعَا

---

(١) هو بيدرا مقدم التتار من قبل هولاكو، وهو الذى وقعت بينه وبين الأمير حسام الدين الجوكندار مقدم عساكر حلب والملك المنصور صاحب حماة والملك الأشرف صاحب حمص موقعة عظيمة انهزم التتار فيها وهرب بيدرا إلى هولاكو بخيبة وصغار (عن المنهل الصافى). (٢) فى الأصلين هنا: «سيف الدين على». وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمنهل وما تقدّم ذكره للمؤلف قريبا وهو الملك الظاهر سيف الدين غازى ابن الملك العزيز محمد بن غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب.

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٢ من هذا الجزء.

من كفّ ساقٍ أهيف * شَبِيهِ بدرٍ طَلَعَا
فى خدّه وثغـرِهِ * وَرْدٌ وَدُرٌّ صُنِعَا
يَسْطُو ويَرْنو تارةً * والليثُ والظبيُ معا

وله لمّا مرّت به التتار على حلب ، وهى خاويةٌ على عُروشها وقد تهدّمت والنِّيران بها تَعْمل ، فقال :

يَعِزُّ علينا أن نَرى رَبْعكم يَبْلَى * وكانت به آياتُ حُسنِكُمُ تُتْلَى

وله يَشْتَاق إلى حلب ومنازلها :

سَقَى(١) حَلَبَ الشَّهْباءَ فى كل لَزْبَةٍ * سحابةُ غيثٍ نَوْءُها ليس يُقْلِعُ
فتلك ديارى لا العقيقُ ولا الغَضا * وتلك ربوعى لا زَرُودُ ولَعْلَعُ

قلت : وقد ذكرنا من محاسنه وفضله نُبْذَةً كبيرةً فى تاريخنا « المنهل الصافى والمُسْتَوْفَى بعد الوافى » إذ هو كتاب تراجم يحسُن التطويل فيه . انتهى .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّى الجمال عثمان بن مكّىّ ابن السَّعْدِىّ الشارِعىّ الواعظ فى شهر ربيع الآخر ، وله خمس وسبعون سنة . وأبو الحسن محمد بن الأنجب بن أبى عبد الله الصوفىّ(٢) فى رجب ، وله ثلاث وثمانون سنة . وحافظ المَغْرِب أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيِّد الناس اليَعْمُرِىّ بتُونِس فى رجب ، وله واحد وستون عاما . وكمال الدين أبو حامد محمد آبن القاضى صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن دِرْباس الصدر العَدْل فى شوّال ، وله آثنتان وثمانون سنة . وصاحب الشام الملك الناصر يوسف بن العزيز قُتِل صَبْراً ،

(١) رواية هذا البيت فى الأصلين والمنهل الصافى :
سقى حلب الشهباء فى كل لزمة * سحابة غيث نوءها ليس يطلع
وما أثبتناه عن عيون التواريخ .
(٢) فى الأصلين غير ظاهر . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ .

وله آثنتان وثلاثون ســنة ، وقُتِل معه شقيقُه الملك الظاهر غَازِى ، والملك الصالح إسمـاعيل آبن الملك المجاهــد أسد الدين شِيرِكُوه صاحب حِمْص . وتُوفّى بصِهْيَوْن صاحبها مظفَّر الدين عثمان بن مَنْكُورِس فى شهر ربيع الأوّل عن سِنٍّ عالية ؛ تملّك بعد أبيه ثلاثًا وثلاثين سنة،(١) وولى بعد آبنه محمد .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

⁂

السـنة الثـانية من ولاية الملك الظاهر بِيبَرْس على مصر ، وهى سنة ستين وستمائة .

فيهـا آستولى الملك الظاهر بِيبَرْس صاحب الترجمـة على دِمَشْق وبَعْلَبَكّ والصُّبَيْبَة وحلب وأعمالهـا خلا البِيرَة .

وفيها آستولى التّتار على الموصل، وقتلوا الملك الصالح صاحبها الذى كان خرج مع الخليفة المستنصر من ديار مصر ؛ على ما يأتى ذكرُهما فى محلّه من هذه السنة .

وفيهـا تُوُفِّىَ الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو القاسم أحمـد آبن الخليفة الظاهر بأمر الله محمـد آبن الناصر لدين الله أحمد ، الذى بُويِـع بالقاهرة بالخلافة بعد شُغُور الخلافة نحو سنتين ونصف ، وخرج الملك الظاهر بِيبَرْس معه إلى البلاد الشاميّة ، وقد مرّ ذكرُ قدومه القاهرة وبيْعَتِه وسَفَرِه وقتلِه ورَفْع نسبه إلى العبّاس رضى الله عنـه فى ترجمة الملك الظاهر هـذا ، ولا حاجة للإعادة ؛ ومَنْ أراد ذلك فلينظره هناك .

---

٢ (١) فى الأصـلين : « ثلاثا وعشرين سنة » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وما يفهم من عبارة المنهل الصافى .

وفيها قُتِل الملك الصالح إسماعيل آبن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل. وقد ذكرنا وُفُودَه على الملك وخروجَه مع أخيه والخليفة المستنصر بالله المقدّم ذكره، فلا حاجةَ لذكره هنا ثانيًا؛ قُتِل بأيدى التّتار فى ذى القعدة، وكان عارفًا عادلًا حسن السِّيرة.

وفيها تُوفّى الأمير سيف الدين بَلَبَان(1) الزردكاش، كان من أعيان أمراء دِمَشْق، وكان الأمير طَيْبَرْس(2) الوزيرى نائبُ الشام إذا خرج من الشام آستنابه عليها، وكان دَيِّنًا خيِّرا. مات بدمشق فى ذى الحجّة.

وفيها تُوُفّى الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الشيخ الأديب أبو محمد الغَنَوِىّ النَّصِيبِىّ الشافِعِىّ الإرْبِلِىّ المَنْشأ الضَّرير الملقَّب بالعِزّ. قال صاحب الذَّيْل على مرآة الزمان: إلمشهور بعدم الدِّين والزَّندقة. كان فاضلًا فى العربيّة والنحو والأدب وعلوم الأوائل، منقطِعًا فى منزله يتردّد إليه مَنْ يقرأ عليه تلك العلوم، وكان يتردّد إليه جماعةٌ من المسلمين واليهود والنصارَى والسامرة يُقرئُ الجميع؛ قال: وكان يَصْدُر عنه من الأقوال ما يُشعِر بآنحلال عقيدته. ومات فى شهر ربيع الآخر بدِمَشْق. ومن شعره قوله:

تَوَهَّم واشِينا بليل مَزَارِه * فهمّ ليسعى بيننا بالتباعُدِ
فعانقتُه حتّى اتّحدْنا تعانُقًا * [فلمّا](3) أتانا ما رأى غيرَ واحدِ

قال الشهاب محمود(4): ولمّا أنشدتُ هذين البيتين يعنى قول العِزّ.

* توهم واشينا بليل مزاره *

---

(1) هو بلبان بن عبد الله الأمير سيف الدين كان من أمراء أعيان دمشق (عن المنهل الصافى).
(2) هو طيبرس بن عبد الله الوزيرى الأمير الكبير الحاج علاء الدين صهر الملك الظاهر بيبرس. سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٩ هـ.
(3) تكملة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والمنهل الصافى.
(4) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥٩ من هذا الجزء.

بين يدى الملك الناصر صــلاح الديــن صاحب دِمَشْق قال : لا تَلُمْهُ فإنّه لزمه[١] لزومَ أَعْمَى ؛ فلمّا بلغ العزّ قولُ الملك الناصر ؛ قال : والله هذا الكلام أحلى من شِعْرى .

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام العلّامة شيخ الإسلام عِزّ الدين أبو محمد عبــد العزيز آبن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحســن بن محمد بن المُهَذّب السلمى الدِّمَشْقِىّ الشافِعىّ المعروف بآبن عبــد السلام . مولده سنة سبع أو ثمانٍ وسبعين وخمسمائة . قال الذهبىّ : وتفقّه على الإمام فخر الدين آبن عساكر[٢] ، وقرأ الأصول والعربيّــة ، ودرّس وأفتى وصنّف وبَرع فى المذهب وبلغ رتبــة الآجتهاد ، وقَصَده الطلبة من الآفاق وتخرّج به أئمّةٌ ، وله التصانيف المفيــدةُ والفتاوى الســديدةُ ، وكان إماما ناسكا عابدا ، وتولّى قضاء مصر القديمة مدّة ، ودرّس بعدّة بلاد . ومات فى عاشر جُمادى الأولى .

وفيهــا تُوُفّى الشيخ الإمام الواعظ عزّ الدين أبو محمــد عبــد العزيز آبن الشيخ الإمام العلّامة أبى المظفر شمس الدين يوسف بن قَزَأُوغْلِى الدمشقِىّ الحنفىّ هو آبن صاحب مرآة الزمان . كان عزّ الدين فقيهــا واعظا فصيحًا مفتّنًا درّس بعد أبيــه فى المدرســة المُعِزِّية ووعَظ وكان لوَعْظه موقعٌ فى القلوب ، وكانت وفاته بِدمَشق فى شوّال ودُفِن عند أبيه بسفح قاسِيون .

وفيها تُوُفّى الإمام العلّامة كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد ابن هبة الله بن أحمــد بن يحيى بن زُهَيْر بن هارون بن موصى بن عيسى بن عبد الله

---

(١) عبارة عيون التواريخ وشذرات الذهب : « قال الصاحب كمال الدين بن العديم : لمــا سمع هذين البيتين ، قال : مسكه مسكة أعمى » . (٢) هو عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عبد الله بن الحسين بن الإمام المفتى فخر الدين أبو منصور الدمشقى الشافعى المعروف بابن عساكر شيخ الشافعية بالشام . تقدّمت وفاته سنة ٦٢٠ هـ . وفى الأصلين : « فخر الدين بن شاكر » والتصحيح عن المنهل الصافى وشذرات الذهب .

آبن محمد بن أبي جَرَادةَ عامر بن ربيعة بن خُوَيْلِد بن عَوْف بن عامر بن عُقَيل العُقَيْليّ الحلبيّ الفقيه الحنفي الكاتب المعروف بآبن العَديم ، ورفع نسبه بعض المؤرّخين إلى غَيْلان . مولده بحلب في العشر الأوّل من ذي الحجّة سنة ستّ وثمانين وخمسمائة ، وسمع الحديث من أبيه وعمّه أبي غانم محمد (١) ومن غيرهما ، وحدّث بالكثير في بلاد متعدّدة ، ودرّس وأفتى وصنّف ، وكان إماما عالما فاضلا مُفَنَّنا في علوم كثيرة ، وهو أحد الرؤساء المشهورين والعلماء المذكورين . وأمّا خَطُّه ففي غاية الحسن يُضاهي آبن البوّاب (٢) الكاتب ، وقيل : إنّه هو الذي آخترع قلم الحواشي ، وعرّض بهذا في شعره القَيْسَرانيّ رحمه الله تعالى بقوله :

بوجهِ معذِّبي آياتُ حسنٍ * فقل ماشئتَ فيه ولا تُحاشِي
ونسخةُ حسنِه قُرِئت وصحّت * وهاخَطُّ الكمال على الحواشي

وجمع لحلب تاريخا كبيرا في غاية الحسن ، ومات وبعضه مسوّدة .

قلت : وذيّل عليه القاضي علاء الدين (٣) عليّ آبن خطيب الناصريّة قاضي قضاة الشافعية بحلب ذيلا (٤) إلّا أنّه قصيرٌ إلى الرُّكْبة ، وقفتُ عليه فلم أجده جال حول الحِمَى ، ولا سلك فيه مَسْلَك المُذَيَّل عليه من الشروط ، إلّا أنّه أخذ علم التاريخ بقوّة الفقه ، على أنّه كان من الفضلاء العلماء ولكنّه ليس من خيل هذا المَيْدان ، وكان يقال في الأمثال : مَن مُدِح بما ليس فيه فقد تعرّض للضُّحْكة . انتهى .

(١) هو محمد بن هبة بن محمد بن هبة الله بن أبي جرادة أبو غانم . توفي سنة ٦٢٨ هـ (عن الجواهر المضية في طبقات الحنفية) . (٢) ابن البواب هو علي بن هلال الإمام الأستاذ أبو الحسن صاحب الخط المنسوب المعروف بآبن البواب . ويقال خط منسوب : ذو قاعدة . تقدّمت وفاته سنة ٤١٣ هـ .
(٣) هو قاضي قضاة حلب علاء الدين علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن عثمان الحلبي الشافعي . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٤٣ هـ . (٤) هو « المنتخب في تاريخ حلب » في أربعة مجلدات ، كما في المنهل الصافي .

ومحاسن ٱبن العَـديم كثيرة وعلومه غَزِيرة، وهم بيتُ علم ورِياسة وعَراقة . يأتى ذكر جماعة من ذرّيّته وأقاربه فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . ومن شعر الصاحب كمال الدين المذكور ممّا كتبه على ديوان الشيخ أَيْدَمُر[١] مولى وزير الجزيرة، وهو :

وكنتُ أظنُّ التُّركَ تختصّ أعينٌ * لهم إن رَنَتْ بالسِّحر منها وأجفانُ
إلى أن أتانى من بديع قريضهم * قوافٍ هى السحرُ الحلالُ وديوانُ
فأيقنتُ أنّ السحر أجمعَه[٢] لهم * يُقِرُّ لهم هاروتُ فيه وسَحْبانُ

ومن شعره أيضا رحمه الله وأجاد فيه إلى الغاية :

فواعجبا من رِيقها وهو طاهرٌ * حلالٌ وقد أمسى علىّ مُحَرَّما
هو الخمر لكنْ أين للخمر طَعْمُه * ولذّتُه مع أنّنى لم أذُقهما

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال . وفيها تُوُفّى العلّامة عِزّ الدين عبد العزيز بن عبدالسلام السلمىّ الدِّمَشْقِىّ بالقاهرة فى جُمادى الأولى عن ثلاث وثمانين سنة . والصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن العَدِيم العُقَيْلِىّ بعد ابن عبد السلام بأيام، وكان له ٱثنتان وسبعون سنة . ونقيب الأشراف بهاء الدين علىّ بن محمد بن إبراهيم بن أبى الجنّ[٣] الحُسَيْنِىّ فى رجب عن إحدى وثمانين سنة . وضياء الدين عِيسى بن سليمان الثَّعْلَبِىّ فى رمضان ، وله تسعون سنة . وٱسْتُشْهِد فى المصافّ المستنصرُ بالله أحمد ٱبن الظاهر محمد ٱبن الناصر فى أوائل المحرّم بالعراق،

(١) هو علم الدين أيدمر بن عبد الله المحيوى فخر الترك عتيق محيى الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى (عن فوات الوفيات) . (٢) كذا فى عيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك . وفى الأصلين :
فأيقنت أن السحر راجعة لهم * يقرّ لهم هاروت فيها وسحبان
(٣) فى الأصلين : « ابن أبى الحسن » . وتصحيحه عن شذرات الذهب والذيل على الروضتين .

وتفرّق جمعه . وقتلت التّتار فى ذى القعدة الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن لؤلؤ صاحب الموصل بعد الأمان . وفى شهر ربيع الآخر العزّ الضرير الفيلسوف حسن ابن محمد بن أحمد الإربلى، وله أربع وسبعون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء .

* * *

السنة الثالثة من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى سنة إحدى وستين وستمائة .

فيها بايع السلطان الملك الظاهر بيبرس المذكور الخليفة الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد ابن الأمير أبى علىّ الحسن؛ وقيل: ابن محمد بن الحسن بن علىّ القبّى ابن الخليفة الراشد، وهو التاسع والثلاثون من خلفاء بنى العبّاس، وهو أوّل خليفة من بنى العبّاس سكن بمصر ومات بها؛ وبويع يوم الخميس تاسع المحرّم من سنة إحدى وستين وستمائة، وكان وصوله إلى الديار المصريّة فى السنة الخاليّة .

وفيها هلك ريدا فرنس[1]، واسمه بواش المعروف بالفرنسيس ملك الفرنج الذى كان ملك دمياط فى دولة الملك الصالح أيّوب .

وفيها توفّى المحدّث الفاضل عزّ الدين أبو محمد عبد الرّزاق [بن رزق الله][2] ابن أبى بكر بن خلف الرّسعنىّ[3]، كان إماما فاضلا شاعرا محدّثا . ومن شعره :

[و][4]لو أنّ إنسانا يبلّغ لوعتى * وشوقى وأشجانى إلى ذلك الرّشا

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٩ من هذا الجزء . (٢) التكملة عن شذرات الذهب وعيون التواريخ والسلوك . (٣) الرسعنى : نسبة إلى رأس عين . وفى الأصلين : «الرسغنى» بالغين المعجمة وهو تصحيف . (٤) التكملة عن عيون التواريخ .

لأسكنتُــه عينى ولم أرضَهـا له * فلولا لَهِيب القلب أسكنتُه الحَشَا

وفيها تُوُفِّى الأمير مجير الدين[(١)] أبو الهَيْجاء [بن[(٢)]] عيسى الأزْكُشِيّ الكُرْدِيّ الأُمَوِيّ، كان من أعيان الأمراء وشُجْعَانهم، ولمـا وَلِى الملك المظفَّر قُطُزُ السلطنة، وولّى الأمير علم الدين سَنْجَر الحلبيّ نيابةَ الشام جعَله مشارِكًا له فى الرأى والتدبير فى نيابة الشام، وكان الملك الأشرف موسى بن العادل سجنه[(٣)] مدّةً لأمرٍ آقتضى ذلك . فلمّا كان فى السجن كتب بعض الأدباء يقول :

يا أحمـدُ ما زِلتَ عمادَ الدين * يا أشجعَ مَن أمسك رمحًا بيمين

لا تَيْئَسَنّ إن حصلت فى سجنهم * ها يوسُفُ قد أقام فى السجن سنين

وكان مولده بمصر فى سنة ثمـانٍ وستين وخمسمائة؛ ومات فى جمادى الأولى بمدينة إرْبِل .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّى عبد الغنى بن سليمان آبن بَنِين البنانىّ فى شهر ربيع الأوّل، وله ستّ وثمانون سنة ، وهو آخر من روَى عن عمر[(٤)] . والعلّامة علم الدين القاسم بن أحمد الأَنْدَلُسىّ فى رجب بدمشق، وله ستّ وثمانون سنة . والإمام تقىّ الدين أبو القاسم عبدالرحمن بن مُرْهَف النَّاشِرىّ[(٥)] المصرىّ المقرئ فى شعبان ، وله إحدى وثمانون سنة . والإمام كمال الدين علىّ بن شجاع ابن سالم العبّاسىّ الضرير فى ذى الحجّة، وله تسعون سنة إلّا شهرا .

---

(١) فى الأصلين : « مجد الدين » . وتصحيحه عن السلوك والذيل على الروضتين وعقد الجمان .
(٢) التكملة عن السلوك وعقد الجمان وآبن كثير . (٣) فى عقد الجمان والذيل على الروضتين : «وأبوه الأمير حسام الدين مات محبوسا مع عماد الدين آبن المشطوب فى البلاد الشرقية التى للا شرف» .
(٤) كذا فى الأصلين . وفى حسن المحاضرة للسيوطى (ج ١ ص ٢١٥) وشذرات الذهب : «وسمع من عشير الحنبلى فكان آخر أصحابه» . (٥) فى الأصلين : «المناشرى» والتصحيح عن نهاية النهاية وشذرات الذهب . والناشرى : نسبة إلى ناشرة، جدّله .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الرابعة من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهي سنة اثنتين وستين وستمائة .

فيها انتهت عمارة مدرسة[1] السلطان الملك الظاهر بيبرس بين القصرين من القاهرة . وقد تقدم ذكرها في ترجمته .

وفيها استدعى الملك الظاهر الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري إلى القاهرة؛ وأمره أن يجعل نائبه بحلب بعد خروجه الأمير نور الدين علي بن مجلي ففعل ذلك، وقدم القاهرة؛ فلما وصل إليها عزله وأقام نور الدين عوضه في نيابة حلب . وقد تقدم أن علاء الدين أيدكين هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس الذي اشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيوب .

وفيها كان الغلاء بديار مصر فبلغ الإردب القمح[2] مائة درهم وخمسة دراهم نقرة[3]، والشعير سبعين درهما الإردب، وثلاثة أرطال خبز بالمصري بدرهم نقرة، ورطل اللحم بالمصري وهو مائة وأربعة وأربعون درهما بدرهم[4]؛ وكان هذا الغلاء عظيما بديار مصر . فلما وقع ذلك فرق الملك الظاهر الفقراء على الأغنياء والأمراء وألزمهم بإطعامهم، ثم فرق من شونه القمح على الزوايا والأربطة، ورتب للفقراء

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٠ من هذا الجزء . (٢) في عيون التواريخ : « فبلغ الإردب القمح مائة وخمسين درهما نقرة » . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٨ من هذا الجزء .

(٤) في السلوك : « واللحم كل رطل بدرهم وثلث » . وفي عيون التواريخ : « ورطل اللحم المصري بدرهم ونصف نقرة » .

كلّ يوم مائة إردبّ مخبوزة تُفرّق بجامع آبن طولون. ودام على ذلك إلى أن دخلت السنة الجديدة والمُغَلّ الجديد، وأُبيع القمح فى الإسكندريّة فى هذا الغلاء الإردبّ بثلثمائة وعشرين درهما .

وفيهـا أُحضِر بين يدى السلطان طفلٌ ميّت له رأسان(١) وأربع أعين وأربع أيد وأربع أرجُل، فأمر بدفنه .

وفيها تُوفّى القـاضى كمال الدين أبو العبّاس(٢) أحمـد بن عبد الله بن عبد الرحمن الأسدىّ الحلبىّ الشافعىّ المعروف بآبن الأستاذ قاضى حلب ، مولده سـنة إحدى عشرة وستمائة ، سَمِـع الكثير وحدّث ودرّس ، وكان فاضلا عالمـا مشكور السِّيرة مات فى شوّال .

وفيها تُوفّى شيخ الشيوخ الصاحب شرف الديـن عبد العزيز بن محمـد بن عبدالمحسن بن منصور الأنصارىّ(٣) الأوسىّ الدمشقىّ المولد الحَمَوىّ الدار والوفاة الإمام الأديب العلّامة، مولده يوم الأربعاء ثانى عشرين جمادى الأولى سنة ستّ وثمانين وخمسمائة، وسمِـع الحديث وتفقّه وبَرَع فى الفقه والحديث والأدب، وأفتى ودرّس وتقدّم عند الملوك، وترسّل عنهم غيرَ مرّة. وكانت له الوَجاهة التامّة وله اليد الطُّولَى فى الترسُّل والنظم، وشعره فى غاية الحسن . ومن شعره — رحمه الله — قوله :

إنّ قومًا يَلْحَوْنَ فى حُبّ سُعْدَى * لايكادون يفقهون حديثا

---

(١) على هامش أحد الأصلين بخط غير خط الأصـل : « ولقد رأينا فى سـنة آثنتين وثمانين بعد الألف عجلا جنينا تام الأعضاء له رأسان وأربع أعين وعنقان وأربع قوائم وذنب واحد، خرج من بقرة مذبوحة ، فسبحان الخالق » . (٢) فى السلوك : « أبو بكر أحمد » .

(٣) فى الأصلين : « عبد العزيز بن عبـد المحسن بن محمد بن منصور الأنصارى » . وتصحيحه عن السلوك وشـذرات الذهب والمنهل الصافى وطبقات الشافعيـة وما سيذكره المؤلف فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى .

سَمِعوا وصفها ولاموا عليها * أخذوا طيِّبًا وأعطَوْا خبيثا

وله رحمه الله :

قلتُ وقد عقرب صُدْغًا له * عن شِقّة الحاجب لم يُحْجَبِ

قُدِّستَ ياربَّ الجمالِ الذى * ألّف بين النون والعقربِ

وله عفا الله عنه :

مرِضتُ ولى جِيرةٌ كلُّهم * عن الرُّشد فى صحبتى حائدُ

فأصبحتُ فى النقص مثلَ الذى * ولا صِلَةٌ لى ولا عائدُ

وله غفر الله له :

ولقد عجِبتُ لعاذلى فى حُبّه * لمّا دجَى ليلُ العِذار المُظْلِمِ

أوَمَا دَرَى من سُنّتى وطريقتى * أنّى أميل مع السواد الأعظمِ

قلتُ : وقد آستوعبنا ترجمة شيخ الشيوخ بأوسع من ذلك فى تاريخنا « المنهل الصافى » وذكرنا من محاسنه وشعره نبذةً كبيرة، وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن شهر رمضان بحَمَاة رحمه الله تعالى .

وفيها تُوفّى الملك المُغيث فتح الدين أبو الفتح عمر صاحب الكَرَك آبن السلطان الملك العادل أبى بكر محمد آبن السلطان الملك الكامل محمد آبن الملك العادل أبى بكر محمد آبن الأمير نجم الدين أيّوب الأيّوبىّ المصرىّ ثم الكَرَكىّ . وقد ذكرنا من أمره نبذة كبيرة فى ترجمة عمّه الملك الصالح ثم من بعده فى عدّة تراجم لا سيما لمّا توجّه إليه الملك الظاهر بِيبَرْس مع جماعة البحريّة ، وأقام عنده وحرّكه على مُلْك مصر حسب ماتقدّم ذكر ذلك كلّه . انتهى .

قلتُ : ومولد الملك المغيث هذا بالديار المصريّة ورُبّى يتيما عند عمّاته القُطْبِيّات بنات الملك العادل ، والقطبيات عُرِفْن بالقطبيات لأنهنّ أشقّاء الملك المفضّل[1] قطب الدين آبن الملك العادل، و بقى المغيث هذا عندهنّ إلى أن أُخْرِج إلى الكَرَك وآعتقل بهـا ثم مَلَكها بعد موت عمّه الملك الصالح نجم الدين أيّوب، ووقع له بهـا أمور، إلى أن قدِم فى العام المـاضى على الملك الظاهر بيبَرْس بمصر، فقبَض عليـه وقتله فى محبسـه ، رحمه الله تعالى ، لِمَـا كان فى نفسـه منه أيامَ كان بخدمته فى الكَرَك مع البحريّة .

وفيها تُوفّى الأمير حُسام الدين لاچين بن عبد الله العزيزىّ [الجُوكَنْدار][2]، كان من أكابر الأمراء وأعظمهم ، وكان شجاعا جَوادًا ديِّنًـا له اليد البيضاء فى غزو التتار، وكان يجمع الفقراءَ ويصنعَ لهم الأوقات[3] والسماعات ، وكان كبيرَ القَدْر عظيم الشأن، رحمه الله تعالى .

وفيها تُوفّى الشيخ محيي الدين أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سُراقة الأنصارىّ الأندلسىّ الشاطبىّ، كان فاضلا محدّثا، سمِـع الكثير وولِىَ مشيخة دار الحديث بحلب ، ثم ولِىَ مشيخة الحديث بمصر بالمدرسة[4] الكامليّة وحدّث بها . ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

وصاحبٍ كالزُّلال يمحـو * صفاؤه الشكَّ باليقين
لم يُحْصِ إلّا الجميلَ منّى * كأنّه كاتبُ اليمين

---

(١) فى الأصلين هنا : « الأفضل » . والتصويب عما تقدّم ذكره فى الحاشية رقم ١٦ ص ١٧٢ من الجزء السادس من هـذه الطبعة .

(٢) زيادة عمـا تقدّم ذكره غير مرة والمنهل الصافى وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات .

(٣) كذا فى الأصلين . ولعلها محرفة عن « الإقامات » لأنه تقدّم ذكرها للؤلف فى غير موضع .

(٤) راجع الحاشـية رقم ٢ ص ٢٢٩ من الجزء السـادس من هذه الطبعة .

قلت : وهذا بعكس قول الأديب شهاب الدين المَنَازِى[(١)]، رحمه الله تعالى :

وصـاحِبٍ خلتُه خليلًا * وما جرى غَدْرُه ببـالى
لم يُحصِ إلّا القبيحَ منّى * كأنّه كـاتبُ الشمال

وفيهـا تُوُفّى الملك الأشرف مظفّر الدين موسى آبن الملك المنصـور إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شِيرِكُوه بن محمـد آبن الملك المنصور أسـد الدين شِيرِكُوه الكبير، ملَك الأشرفُ هذا حِمْص بعد وفاة أبيه، وطالت مدّته به ووقع له أمور، وكان فيه مداراةٌ، للتّتار وآستمرّ على ذلك إلى أن تُوفى بحِمْص فى حادى عشر صفر قبل صلاة الجمعة، ودُفن ليلًا على جَدّه الملك المجاهد أسد الدين شِيرِكُوه .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها توفى المحدّث ضياء الدين علىّ بن محمد البالِسِىّ[(٢)] فى صفر، وله سبع وخمسون سنة . وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصارىّ البَابَشْرَقِىّ فى شهر ربيع الأوّل . والحافظ رشيد الدين أبو الحسين يحيى ابن علىّ الأُمَوىّ العطّار المـالكىّ فى جمادى الأولى ، وله ثمانٍ وسبعون سنة . وأبو الطاهر إسماعيل بن صارم الخيّـاط[(٣)] بعده بأيام . والخطيب عِماد الدين عبد الكريم [آبن جمـال الدين أبى القـاسم عبد الصمد][(٤)] بن محمد الأنصارىّ بن الحَرَسْتَانىّ[(٥)] فى جمادى الأولى . والوَرِع الزاهد أبو القاسم بن منصور[(٦)] فى شعبان . والإمام محيى الدين

(١) فى الأصلين : «شهاب الدين الأنبارى» وهو خطأ والتصـويب عن شذرات الذهب وعيون التـواريخ وفوات الوفيات . وهو أبو نصر أحمـد بن يوسف السليكى المنازى توفى سـنة ٤٣٧ ﻫ . والمنازى : نسـبة إلى منازجرد بزيادة جيم مكسورة وبعـدها راء ساكنة ثم دال، وهى مدينـة عند خرتبرت التى هى حصن زياد المشهور (عن ابن خلكان) .

(٢) البالسىّ : نسبة إلى بالس، وراجع الحاشية رقم ٥ ص ٣١٩ من الجزء الثانى من هذه الطبعة .

(٣) كذا فى الأصلين والمنهل الصافى . وفى شذرات الذهب : «إسمـاعيل بن سالم» .

(٤) تكملة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والسلوك وتاريخ الدول والملوك .

(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٦) فى تاريخ الدول والملوك : «محمد بن عيسى وقيل ابن منصور» يكنى أبالقاسم ويعرف بالقبارى الإسكندرانى .

أبو بكر محمد بن محمد بن سُراقة الشاطبيّ بمصر، وله سبعون سنة . وشيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاريّ بحَمَاة فى رمضان. والملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد صاحب الكَرَك، أعدمه الملك الظاهر . والأمير الكبير حسام الدين لاچين الجُوكَنْدار العزيزىّ فى المحرّم، ودفن بقاسيون . وصاحب حِمْص الملك الأشرف موسى آبن المنصور إبراهيم بن أسد الدين بحِمْص فى صفر، وله خمس وثلاثون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .

*

السنة الخامسة من ولاية الملك الظاهر بيبَرْس على مصر، وهى سنة ثلاث وستين وستمائة .

فيها ولّى الملكُ الظاهرُ بيبرس من كلّ مذهب قاضيًا وقد تقدّم ذكر ذلك .

وفيها تُوُفّى الأديب البارع شرف الدين محاسن [الكتبىّ][1] الصُّورىّ، كان عالما فاضلا أديبا شاعرا، ومات فى شهر رجب . ومن شعره، رحمه الله :

عَتَبتْ علىّ فقلتُ إن عاتبتُها * كان العتابُ لوصلها آستهلا كا
وأردتُ أن تبقى المودّةُ بيننا * موقوفةً فتركتُ ذاك لذاك

وفيها تُوُفّى الأمير جمال الدين موسى بن يَغْمُور[2] بن جلدك بن بلُيمان بن عبد الله أبو الفتح، مولده فى جُمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالقُوب[3] من أعمال

---

(١) زيادة عن عيون التواريخ . (٢) كذا فى الأصلين . وفى تاريخ الدول والملوك : « ابن بلبان » . وفى عقد الجمان : « ابن بلهان » . (٣) القوب أو قرية ابن يغمور : من قرى سمهود من أعمال قوص . لما تكلم الادفوى على بلاد الصعيد الأعلى فى مقدّمة كتابه الطالع السعيد =

قُوص[1] بصعيد مصر وسمع الحديث، وتنقّل فى الولايات الجليلة مثل نيابة السلطنة بالقاهرة ونيابة دِمَشق، ولم يكن فى الأمراء من يضاهيه فى منزلته وشجاعته وقُرْبه من الملوك، وكان أميرًا جليلا خبيرا حازمًا سَئُوسا مدبِّرا جَوادا ممدَّحا، وكان الملك الظاهر إذا عَمِل مشورة وتكلّم جمعُ خُشْداشِيّته من الأمراء فلا يصغى إلّا إلى قول ابن يَغْمُور هذا ويفعل ما أشار به عليه . وكانت وفاته فى مستهلّ شعبان بالقُصَيْر[2] من أعمال الفاقوسيّة بين القَرَابى[3] والصالحية . ومن شعره قوله :

ما أحسن ما جاء كتابُ الحِبِّ * يُبْدى حرقًا كأنّه عن قلبى
فازددتُ بما قرأتُ شوقًا وضَنًا * لا يُبَرِّده إلا نسيمُ القُرْبِ

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوفّى المحدّث مُعين الدين إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القُرشيّ الزَّكَوِيّ . والحافظ زَيْن الدين أبو البقاء خالد ابن يوسف بن سعد النَّابُلُسيّ بدِمَشق، وله ثمانٍ وسبعون سنة فى سَلْخ جُمادى الأولى . والأمير الكبير جمال الدين موسى بن يَغْمُور . والنجيب فِرَاس بن علىّ بن زَيْد العَسْقَلَانىّ التاجر . وقاضى الديار المصريّة بدر الدين يوسف بن الحسن السِّنْجَارِيّ فى رجب . والشيخ أبو القاسم الحَوَارِيّ[4] الزاهد .

= ذكر قرية ابن يغمور بين مهود ويخانس . وبالبحث تبين لى أن قرية ابن يغمور تقع فى الجهة الجنوبية من سمهود وأنها هى القرية التى وردت فى تاريع (دفتر المساحة) سنة ١٢٣١ هـ باسم كوم عقوب ثم حرف اسمها فى تاريع سنة ١٢٧٥ هـ إلى كوم يعقوب بقسم فرشوط . ومما ذكر يتضح أن القوب هى القرية التى تعرف اليوم باسم كوم يعقوب إحدى قرى مركز نجع حمادى بمديرية قنا .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس وص ٣٨٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٣ من هذا الجزء . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) فى الأصلين : «الجوزى» . وتصحيحه عن المشتبه وعقد الجمان وشذرات الذهب . وضبط بالقلم فى المشتبه . وهو أبو القاسم يوسف بن أبى القاسم بن عبد السلام الأموى الحوارى الموفق الزاهد المشهور الحنبلى .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم سبع أذرع و إصبعان. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا .

⁂

السنة السادسة من ولاية الملك الظاهر بيبَرْس على مصر، وهى سـنة أربع وستين وستمائة .

فيها تُوفّى شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن صالح ، كان فاضلًا أديبًا . ومن شعره، رحمه الله، فى مُكارٍ مَليح :

عِلِقْتُـــه مُكـارِيًّــا * شرّد عن عيـــنى الكَرَى
قــد أشْـــبه البـــدرَ فلا * يَمَــلُّ من طُول السُّرَى

وفيهـا تُوفّى طاغيةُ التّتـار وملكهم هُولَاكُو وقيل هُولَاوُون وقيل هولاو بن تُولِى خان بن جِنكِزْخان المُغلى التُّرْكىّ، مَلَك مكان أبيه بعد موته وكان من أعظم ملوك التّتار، وكان حازمًا شجاعا مدبّرًا، اِسـتولى على الممالك والأقاليم فى أيسر مدّة، وفتح بلاد خُراسان وأَذْرَبِيجـان وعِراق العجم وعِراق العرب والمَوْصِـل والجزيرة وديار بكر والشـام والروم والشرق وغير ذلك . وهو الذى قتَـل الخليفة المستعصم المقدّم ذكره، وكان على قاعدة المُغْل لا يتديّن بدين، و إنّما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصّرت، فكانت تَعْضُد النصارى وتُقيم شعائرهم فى تلك البلاد . وكان هُولاكو سعيدًا فى حروبه لا يروم أمرًا إلّا و يسهُل عليه، وكانت وفاته بعِلّة الصَّرْع، وكان الصَّرْع يَعْتَرِيه من عدّة سنين فى كلّ وقت ، حتّى إنّه كان يعتريه فى اليوم الواحد المرّة والمرّتين والثلاث، ثم زاد به فَمرِض ولم يزل ضعيفًا نحو شهرين وهَلَك، فأخفَوْا موته وصبّروه حتى حضر ولدُه أبغـا وجلس مكانَه فى المُلك، وقيل : إنّه لم يدفن

وعُلّق بسلاسل، ومات وله ستّون سنة أو نحوها. وخلّف من الأولاد الذكور سبعة عشر ولدًا : وهم أبغا الذى ملك بعده وأشموط وتمشين[1] وتِكِشى[2] وكان [تِكِشى فاتكًا][3] جبّارا، وأجاى وتَستر[4] ومنكوتمر الذى آلتقى مع الملك المنصور قلاوون على حمص وآنهزم جريحًا، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى، وباكودر وأرغون وتغاى تمر[5] والملك أحمد وجماعة أخر.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها توفّى أبو الفضل إسماعيل ابن إبراهيم بن يحيى القرشى بن الدَّرَجىّ[6] فى صفر. والشيخ جمال الدين أحمد بن عبد الله بن شُعَيب التَّميمىّ فى شهر ربيع الآخر[7]، وله آثنتان وسبعون سنة. ورَضِىّ الدين إبراهيم بن البُرهان عمر الواسطىّ التاجر بالإسكندرية فى رجب، وله إحدى وسبعون سنة، وخلّف أموالًا عظيمة. والأمير الكبير جمال الدين أَيْدُغْدى العَزِيزىّ. والشيخ أحمد بن سالم المصرىّ النحوىّ فى شوّال بدمشق. والطاغية هولاكو بمراغة[8].

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وسبع وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا.

* * *

السنة السابعة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى سنة خمس وستين وستمائة.

(1) فى عقد الجمان: «تبشين» بالباء الموحدة بدل الميم. (2) فى تاريخ الإسلام: «بكشى» بالباء أيضا بدل التاء. (3) زيادة عن تاريخ الإسلام. (4) فى تاريخ الإسلام: «يستر» بالياء التحية. (5) فى تاريخ الإسلام: «نغاى دمر» بالنون فى نغاى، والدال فى تمر.

(6) فى تاريخ الإسلام وشذرات الذهب: «توفى فى السادس والعشرين من شهر ربيع الأول».

(7) فى تاريخ الإسلام وشذرات الذهب: «توفى فى جمادى الأولى ليلة خامسه».

(8) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٨٤ من الجزء الثالث من هذه الطبعة.

فيها تُوفّى بَرَكة خان [بن تُوشى][1] بن چنكِزخان مَلِك التّتار، هو ابن عمّ هولاكو المقدّم ذكره، وكانت مملكته عظيمةً متّسعة جدًّا وهى بعيدة عن بلادنا وله عساكر وافرة العدد، وكان بَرَكة هذا يَميل إلى المسلمين مَيْلًا زائدًا ويُعظّم أهل العلم ويَقْصد الصلَحاء ويتبرّك بهم . ووقع بينه وبين ابن عمّه هُولاكو، وقاتَله بسبب قتله الخليفة المستعصم بالله وغيره من المسلمين؛ وكان بينه وبين الملك الظاهر مودّة ويُعظّم رُسُلَه، وكان قد أسـلم هو وكثير من جُنْده وبنى المساجد وأُقيمت الجُمُعـة ببلاده، وكان جَوَادًا عادلا شجاعًا، ومات ببلاده فى هذه السنة وهو فى عشر الستين، وقام مقامه مَنْكُوتَمُر .

وفيهــا تُوفّى الأمير ناصر الدين أبو المعــالى حسين[2] بن عزيز بن أبى الفوارس القَيْمُرِىّ، كان من أكابر الأمراء وأجلّهم قَدْرًا وأكبرهم شأنا، وكان شجاعًا كريمــا عادلا، وكان الملك الظاهر قد جعله مقدّم العساكر بالساحل فتوجّه إليه فمات به مرابطًا فى يوم الأحد ثالث عشر شهر ربيع الأوّل، وهو صاحب المدرسة القَيْمُرِيّة[3] بدمشــق، وكانــ عالى الهمة يُضاهِى الســلاطين فى مَوْكِبه وخيله ومماليكه وحواشيه .

وفيها تُوفّى القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن خَلَف بن محمود بن بدر أبو محمد العَلَامِىّ[4] الفقيــه الشافعىّ المعروف بابن بنت الأعزّ، كان إماما عالمــا فاضلا وولى

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافى . وفى عقد الجمان : « بركة خان بن صاين خان ابن دوشى خان بن چنكزخان » . وفى عيون التواريخ : « بركة خان بن تولى خان بن چنكزخان » . وفى السلوك (ص ٥٦١) : « بركة خان بن دوشى خان » . (٢) فى الأصلين : « حسن بن عزيز » . والتصويب عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وشذرات الذهب وابن كثير والسلوك . (٣) القيمرية، من مدارس الشافعية بدمشق، تعرف اليوم باسم القيمرية الجوانية بحارة القيمرية . درّس بها جملة من فقهاء الشافعية، ولا تزال معروفة (عن خطط الشام لكرد على ج ٥ ص ٨٨) . (٤) ضبطه صاحب عقد الجمان بالقلم (بفتح العين واللام مع التخفيف) .

المناصب الجليلة كنظر الدواوين والوزارة وقضاء القضاة ودرّس بالشافعىّ، وكانت له مكانةٌ عند الملك الظاهر، ومولده سنة أربع عشرة وستمائة، ومات ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ودُفِن من الغد بسَفْح المقطّم .

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام المحدّث تاج الدين أبو الحسين علىّ بن أحمد بن علىّ ابن محمد بن الحسن(١) بن عبد الله بن أحمد بن مَيْمُون القَيْسِى المصرىّ المالكىّ المعروف بآبن القَسْطَلّانىّ، وُلِد سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة بمصر، وبها تفقّه وسمع الحديث من جماعة(٢) كثيرة وحدّث بالكثير ودرّس وأفتى وتولّى مشيخة دار الحديث الكامليّة بالقاهرة إلى أن مات بُكْرة(٣) السابع والعشرين من شوّال ودُفِن من يومه بسَفْح المقطّم .

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام الفقيه المحدّث شمس الدين مَلِكشاه بن عبد الملك ابن يوسف بن إبراهيم المَقْدِسىّ الأصل المصرىّ المولد الدِّمَشْقىّ الدار الحنفىّ المعروف بقاضى بَيْسان(٤)، كان فقيهًا عالمًا فاضلا مُفْتنًا(٥) فى علوم، وُلِد بحارة زويله بالقاهرة سنة ثلاثٍ وسبعين وخمسمائة ومات فى سادس عشر صفر بدِمَشْق، رحمه الله .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى أبو الحجّاج يوسف ابن مَكْتوم السُّوَيْدِىّ(٦) الحبّال، والشيخ الصالح الأَثَرِىّ محمود بن أبى القاسم [إسفنديار(٧) ابن بَدْرَان بن أَيّان] الدَّشْتِىّ(٨) بالقاهرة فى رجب . وقاضى القضاة تاج الدين

(١) فى الأصلين : «ابن الحسين» . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافى .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٣) فى تاريخ الإسلام : «فى سابع عشر شوّال» .
(٤) فى الأصلين غير واضح. وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام للذهبى .
(٥) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٥٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
(٦) السويدى : نسبة الى سويد، رجل .
(٧) التكملة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافى .
(٨) الدشتى : نسبه الى دشت قرية بأصبهان (عن لب اللباب) .

عبد الوهاب بن خَلَف بن بنت الأَعَزّ [١] فى رجب، وله إحدى وستون سنة. والعلّامة شهـاب الدين أبو شَامَةَ أبو القاسم [٢] عبد الرحمن بن إسماعيل المَقْدِسىّ ثم الدِّمَشْقِىّ فى رمضان، وله ستّ وستون سنة . والإمام تاج الدين علىّ ابن الشيخ أبى العبّاس أحمد بن على القسطلّانىّ بمصر، وله سبع وسبعون سنة . والسلطان بركة خان بن توشى [٣] بن جِنكِزخان . والأمير الكبير ناصر الدين حسين بن عزيز بن أبى الفوارس القَيْمُرِىّ صاحب القَيْمُرِيّة [٤] .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الثامنة من ولاية الملك الظاهر بِيبَرْس على مصر، وهى سـنة ستّ وستين وستمائة .

فيهـا تُوُفّى الرئيس كمال الدين أبو يوسـف أحمد بن عبد العزيز بن محمـد بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الله الحلبىّ المعروف بابن العَجَمِىّ، كان شاعرًا رئيسًا عالمـا فاضلا حسن الخط والإنشاء، كَتَب للملك النـاصر صلاح الدين يوسـف، وكان من أعيان الكُتّاب وأماثلهم، بلغ من العمر ستًّا وأربعين سنة، ومات بظاهر صُور من بلاد الساحل فى العشر الأوّل [٥] من ذى الحجة وحُمِل إلى ظاهر دِمَشق فدُفِن بها . ومن شعره فى خال مَلِيح، قال :

---

(١) هذا مخالف لمـا تقدّم ذكره للؤلف من أن مولده كان سنة ٦١٤ ﻫ، ووافقه عليه بعض المصادر التى تحت يدنا مثل الذهبى وشـذرات الذهب وغيرهما . (٢) فى عقد الجمان : « أبو شامة وأبو محمد وأبو القاسم » . (٣) فى الأصلين هنا : « ابن تولى » . والتصحيح عما تقدم ذكره قريبا فى ص ٢٢٢ وتاريخ الإسلام والمنهل الصافى . (٤) يريد المدرسة القيمرية بدمشق التى تقدم ذكرها فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٢٢ من هذا الجزء . (٥) فى أحد الأصلين : « فى العشر الأواخر » .

وما خالُه ذاك الذى خالَه الوَرَى * على خده نَقطًا من المِسْك فى وَرْدِ
ولكنّ نارَ الخــدّ للقلب أحرقتْ * فصار سوادُ القلب خالًا على الخدِّ

قلت : يعجبنى قولُ ٱبن صابر المَنْجَنيقِي[1] فى هذا المعنى :

أهــلًا بوجهٍ كالبــدر حسنًا * صــيّرنى حبُّــه هِــلالَا
قــد رقّ حتّى لحَظْتُ فيــه * ســوادَ عيــنى نخلْتُ خالا

ومثل هــذا أيضا قول القائل فى هــذا المعنى، ولم أدرِ لمن هو غير أنّى أحفظه قديمًا ، وهو فى خالٍ تحت العِذار .

له خالٌ تغشّــاه هــلالٌ * يفوت العينَ إنْ نَظَرتْ إليــه
كشُــحْرُورٍ تخبّأ فى ســياجٍ * مخافةَ جارحٍ من مُقْلَتَيْــهِ

وفى هذا المعنى للعزّ الموصِلى[2] وأبدع إلى الغاية :

لحَظْتُ من وجنتهــا شامــةً * فٱبتسمتْ تَعْجَب من حالِى
قالتْ قِفُوا وٱستمعوا ما جَرَى * قــد هام عمّى الشيخُ فى خَالِى

وفى هذا المعنى :

تفاخر الحسنُ فى ٱنتسابٍ[3] * لمّا بــدَا خالُه الأنيــقُ
فقــالت العينُ ذا ٱبنُ أختى * وقال لى الخــدُّ ذا شــقيقُ

وقد اســتوعبنا هــذا النوع وغيره فى كتابنــا « حليــة الصفات فى الأسمــاء والصناعات » فلينظر هناك .

---

(١) هو يعقوب بن صابر بن أبى البركات . توفى سنة ٦٢٦ هـ (عن الشذرات والوافى بالوفيات) .

(٢) هو على بن الحسين بن على بن أبى بكر بن محمد بن أبى الخير عز الدين الموصلى ثم الدمشقى الشاعر ؛ صاحب البديعية المشهورة وهى قصيدة مئوية عارض بها بديعية الصفى الحلى وزاد عليه أن التزم أن يودع كل بيت اسم النوع البديعى بطريق التورية أو الاستخدام . توفى سنة ٧٨٩ هـ (عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى) .

(٣) فى أحد الأصلين : « فى ٱبتسام » .

وفيها تُوُفِّى عَفِيف الدين أبو الحسن على بن عدلان بن حَمّاد[1] بن علىّ الموصلىّ النحوىّ المترجم، كان إماما عالمـا أديبا مُفْتَنًّا شاعرا، مات بمصر فى يوم الجمعـة تاسع شوّال . ومن شعره، رحمه الله :

لا تعجبنّ إذا ما فاتــك المَطْلَبْ * وعوِّد النفس أن تَشْقَى وأن تَتْعَبْ
إنْدام ذا الفقرُ فى الدنيا فلا تَعْجَب * مات الكرام وما فيهم فتًى أعقب

وفيها تُوُفِّى السلطان ركن الدين كَيْقُبَاذ ٱبن السلطان غياث الدين كَيْخُسْرو ٱبن السلطان علاء الدين كَيْقُبَـاد بن كَيْخُسْرُو بن قِليج أَرْسـلان بن مسعود بن قِليج أرسلان بن سليمان بن قُطُلْمِش بن أَتْسِز[2] بن إسرائيل بن سَلْجوق بن دُقْمَاق السَّلْجوقىّ صاحب الروم، كان مِلِكًا جليلا شجاعا لكنّه كان غير سديد الرأى، كان جعل أمرَه بيد البَرْوَاناه فٱستفحل أمرُ البَرْوَاناه ، فأراد ركنُ الدين هـذا قتله فعـاجله البرواناه وعمِل على قتله حتى قُتِل (وكيقباد بفتح الكاف وسكون الياء آخر الحروف وضم القاف وفتح الباء ثانية الحروف وبعد الألف دال مهملة ساكنة). وكَيْخُسْرُو مثـل ذلك غير أن الخـاء المعجمة مضمومة وبعدها سـين مهملة سـاكنة وراء مهملة مضمومة . وقِليج أرسلان بكسر القاف واللام وسكون اليـاء والجيم معا . وأَرْسلان معروف .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّى أيُّوب بن أبى بكر عمر الحَمّامى[3] ٱبن الفُقَّاعِىّ . ومجد الدين أحمد بن عبد الله [بن أبى الغنـائم[4] المسلم بن

(١) فى الأصـلين : « ابن خالد » . والتصـحيح عن تاريخ الإسـلام للذهبى وعيون التواريخ وعقد الجمان وفوات الوفيات والسلوك وبغية الوعاة للسيوطى . (٢) فى الأصلين غير واضح . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ . (٣) فى الأصلين : « أيوب بن أبى بكر ابن عمر » . وما أثبتناه عن عقد الجمان وتاريخ الإسلام والمنهل الصافى .
(٤) التكملة عن تاريخ الإسلام .

حمّاد بن محفوظ] بن مَيسرة الأَزْدِىّ آبن الحَلَوَانِيّة فى شهر ربيع الأوّل . والشيخ القُدْوة إبراهيم بن عبد الله آبن الشيخ أبى عمر [(١) محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامة] المَقْدِسِىّ فى شهر ربيع الأول، وله ستون سنة . وأبو بكر عبد الله بن أحمد بن ناصر النّحّاس فى ذى القعدة (٢) . وفيها قَتلت التّتار السلطان ركن الدين كَيْقُبَاد آبن السلطان غياث الدين كَيْخُسْرُو آبن السلطان علاء الدين كَيْقُباد صاحب الروم ، وله ثمان وعشرون سنة وأجلسوا ولده كَيْخُسْرُو على التخت وهو آبن عشر سنين .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء .

* * *

السنة التاسعة من ولاية الملك الظاهر بيبَرْس على مصر، وهى سنة سبع وستين وستمائة .

فيها تُوفّى الأمير عز الدين أَيْدَمُر (٣) بن عبد الله الحِلّىّ الصالحىّ النجمىّ، كان من أكبر أمراء الدولة وأعظمهم محلًّا عند الملك الظاهر، وكان نائب السلطنة عنه بالديار المصرية فى غَيْبَتِه عنها لوثوقه به وآعتماده عليه، وكان قليل الخِبْرة لكن رُزِق السعادة .

قلت : له أُسْوَةٌ بأمثاله . قال : وكان محظوظا (٤) من الدنيا له الأموال الجمّة والمتاجر الكثيرة والأملاك الوافرة . وأمّا ما خلّفه من الأموال والخيول والجمال والبغال

(١) الزيادة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافى . (٢) فى تاريخ الاسلام للذهبى : « توفى فى السادس والعشرين من شوّال » . (٣) فى أحد الأصلين والمنهل الصافى : « الحلبى » بالباء الموحدة . وما أثبتناه عن الأصل الآخر وتاريخ الإسلام وعيون التواريخ والسلوك وعقد الجمان .

(٤) فى الأصلين : « مخصوصا » . وما أثبتناه عن المنهل الصافى .

والعدد فيقصُر الوصف عنه . ومات بقلعة دِمَشْق فى يوم الخميس سابع شعبان ودفِن بتربته بجوار مسجد الأمير موسى بن يَغْمور . ومات وقد نيّف على الستين .

وفيها تُوُفّى الشيخ المحدّث عماد الدين محمد بن محمد بن علىّ أبو عبـد الله ، كان فاضلًا سَمِـع الكثير، ومات بدِمَشْق فى شهر ربيع الأوّل؛ ولمـا كان بحلب كتَب إليه أخوه سعد الدين سعد يقول :

ما للنّـــوَى رِقّةٌ تَرْثِى لمكتئِبِ * حرّان فى قلبـــه والدمعُ فى حلبِ
قد أصبحتْ حلبٌ ذاتَ العِماد بكم * وجِلّقٌ إرمًا هذا من العجبِ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى زَيْن الدين إسماعيل ابن عبد القَوِىّ بن عَزّون[1] الأنصارِىّ فى المحرّم . والإمام مجد الدين علىّ بن وَهْب القُشَيْرِى [والد] ابن[2] دَقِيق العيد . والحافظ زين الدين أبو الفتح محمد بن محمد [بن أبى بكر][3] الأَبِيوَرْدِىّ الصوفىّ فى جمادى الأولى . واللغوىّ مجد الدين عبد المَجِيد بن أبى الفرج [بن محمد][4] الرُّوذْرَاوَرِىّ[5] بدِمَشْق فى صفر .

§ أمر النيل فى هذه السنة ـــ المـاء القديم خمس أذرع وست عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع أصابع .

* * *

السنة العاشرة من ولاية الملك الظاهر بِيبَرْس على مصر ، وهى سنة ثمـان وستين وستمائة .

---

(١) فى أحد الأصلين : « ابن عصرون » وهو خطأ . وفى الأصل الآخر : « ابن عرون » وهو تصحيف . وتصحيحه عن تاريخ الاسلام وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٢) التكملة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافى . (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام . (٥) فى الأصلين : «الروزراوردى» . والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والسلوك .

فيها تُوفّى الشيخ موفّق الدين أبو العبّاس أحمد بن القاسم بن خليفة الخَزْرَجِىّ المعروف بابن أبى أُصَيْبِعَة الحكيم الفاضل صاحب المصنّفات منها « طبقات الأطباء » . مات بصَرْخَد فى جمادى الأولى، وقد نيّف على سبعين سنة، وكان فاضلًا عالمًا فى الطّبّ والأدب والتاريخ وله شِعْر كثير، من ذلك ما مَدَح به الصاحب أمين الدولة[(1)]، وهى قصيدة طَنّانة أوّلها :

فُؤادِى فى محبّتهم أسيرُ * وأنّى[(2)] سار ركبُهُمُ يَسيرُ
يَحِنّ إلى العُذَيْب وساكنيه * حَنِينًا قد تضمّنه سَعِيرُ
ويَهْوَى نَسْمَةً هبّت سُحَيْرًا * بها من طِيب نشرِهُم عَبِيرُ
وإنّى قانعٌ بعد التّدانِى * بطيفٍ من خيالهمُ يزورُ
ومعسولُ اللّمَى مرُّ التجنّى * يجورُ على المحبّ ولا يُجِيرُ
تصدّى للصدود ففى فؤادى * بوافر هَجْره أبدًا هَجِيرُ
وقد وصلَتْ جفونى فيه سُهْدِى * فما هذى القطيعةُ والنفورُ

وهى طويلة كلُّها على هذا النَّمَط[(3)] .

وفيها تُوفّى الأمير عِزّ الدين أَيْبَك بن عبد الله الظاهِرِىّ نائب حِمْص، كان فيه صَرَامةٌ مُفْرِطة، وكان موصوفا بالعَسْف والظلم وسِيرةٍ قبيحةٍ، ومع هذه المساوئ كان أيضا فيه رَفْض . مات بحِمْص وفَرِح بموته أهل بلده .

---

(١) هو أمين الدولة السامرى أبو الحسن بن غزال المسلمانى وزير الصالح إسماعيل . تقدّمت وفاته سنة ٦٤٨ هـ . (٢) هذه رواية عيون الأنبا فى طبقات الأطبا (ج ٢ ص ٢٣٧) . وفى أحد الأصلين : «وأين سار» وهو محرف عن هذه الرواية . وفى الأصل الآخر : « وحيث يسير » .

(٣) عدة أبياتها كما فى عيون الأنبا فى طبقات الأطبا اثنان وثلاثون بيتا .

وفيهـا تُوفّى الأمير عزّ الدين أَيْبَك بن عبـد الله المعروف بالزّرّاد ، كان نائب قلعـة دِمَشْق ، وكان من المماليك الصالحيّة النّجْميّة ، وكانت حرمته وافرة وسيرته جميلة . ومات فى ذى القعدة .

وفيها تُوفّى موسى بن غانم بن علىّ بن إبراهيم بن عساكر بن حسين الأنصارىّ[1] المَقْدِسىّ ، كان كبيرَ القَدْر صَدْرًا كبيرًا شُجاعًا وافر الحُرمة ، تولّى مشيخة الحَرَم بالقُدْس الشريف ، وكان كريمًـا وله نِعْمـةٌ وصِيتٌ . مات بالقُدْس فى الحرم وقـد جاوز سبعين سنة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى المحدّث زَيْن الدين أحمد بن عبد الدائم بن نِعْمة المَقْدِسى فى رجب، وله ثلاث وتسعون سنة. وقاضى القضاة محيي الدين يحيى بن محمد بن الزّكى القُرَشىّ فى رجب، وله آثنتان وسبعون سنة. وأبو حَفْص عمر بن محمـد بن أبى سـعد[2] الكِرْمانِىّ الواعظ فى شـعبان، وله ثمـانٍ وتسعون سنة . وفيها قُتِل فى المصافّ صاحبُ المغرب الملك أبو دبّوس[3] أبو العلاء [الواثق بالله] إدريس بن عبد الله بن محمد المؤمنىّ[4] .

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ المـاء القديم ستّ أذرع وآثنتان وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وآثنتان وعشرون إصبعا .

---

(١) لم نجد هذا الاسم فى المصادر التى تحت يدنا ، غير أنـا وجدنا فى وفيات هـذه السنة فى تاريخ الإسلام وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك وفاة : « أبى عبـد الله محمد بن أبى الفتح الحسن آبن الحافظ الكبير ثقة الدين أبى القاسم على بن هبة الله بن عساكر » .

(٢) فى الأصلين : « ابن أبى سعيد » وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

(٣) فى الأصلين هكذا : « أبوبوس أبو العـلاء » . والتصحيح والزيادة عن تاريخ الإسـلام وشذرات الذهب والسلوك (ص ٥٨٨) .

(٤) كذا فى الأصلين وشذرات الذهب والسلوك . وفى تاريخ الإسلام : « إدريس بن أبى عبد الله بن أبى حفص » . وفى السلوك : « إدريس بن عبدالله ابن يعقوب » .

السنة الحادية عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس البندقدارى على مصر، وهى سنة تسع وستين وستمائة .

فيها توفّى الشيخ شمس الدين أبو إسحاق إبراهيم بن المسلم بن هبة الله [المعروف با](1)بن البارزى الفقيه الحموى الشافعى، مولده سنة ثمانين وخمسمائة، وكان فقيها فاضلا ورعا، وله شعر جيّد وأفتى ودرّس بمعرّة(2) النّعمان وغيرها، ومات فى شعبان بحماة. ومن شعره، رحمه الله، يصف دمشق :

دمشق لها منظر رائق * وكلّ إلى وصلها(3) تائق
وأنّى يقاس بها بلدة * أبى الله والجامع الفارق

وفيها توفّى القاضى كمال الدين أبو السعادات أحمد بن مقدام بن أحمد بن شكر المعروف بابن القاضى الأعزّ، كان أحد الأكابر بالديار المصريّة متأهّلا للوزارة وغيرها، وتولّى المناصب الجليلة، وكان له يد فى النظم ومعرفة بالأدب ومشاركة فى غيره . ومات فى شهر رمضان بالقاهرة .

وفيها توفّى الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الصّيرفى، كان من أعيان الأمراء بالديار المصريّة وممّن يخشى جانبه، فلمّا تمكّن الملك الظّاهر بيبرس أخرجه إلى دمشق ليأمن غائلته وأقطعه بها خبزا جيّدا، فدام به إلى أن مات ببعلبكّ وهو فى عشر الستين .

---

(1) الزيادة عن عيون التواريخ .

(2) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(3) فى الأصلين : * وكل إلى وصفها تائق * وما أثبتناه عن عيون التواريخ .

وفيها تُوُفّى الأمير قطب الدين سَنْجَر بن عبد الله المستنصرىّ البغدادىّ المعروف باليَـاغِز[1]، كان من مماليك الخليفة المستنصر بالله، وكان محترما فى الدولة الظاهريّة وعنده معرفةٌ وحسنُ عِشرة ومحاضرة بالأشعار والحكايات .

وفيها تُوُفّى الملك الأمجد تقىّ الدين عبّاس آبن الملك العـادل أبى بكر محمـد بن أيُّوب آبن شادى، وكنيته أبو الفضل[2]، كان مُحترماً عنـد الملك الظاهر لا يرتفع عليه أحدٌ فى المجـالس ، وهو آخرُ مَنْ مات من أولاد الملك العـادل لصُلْبـه ، وكان دَمِث الأخلاق حسن العِشرة لا تُمَـلّ مجالسته . ومات بدمشق فى جُمـادى الآخرة ودُفِن بسَفْح قاسيون .

وفيها تُوفّى قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر آبن محمد بن سـبعين أبو محمد المُرْسِىّ الرَّقُوطِىّ[3] الصـوفىّ المعروف بآبن سـبعين . قال الذهبىّ فى تاريخ الإسلام : كان صوفيًا على قاعدة زُهّاد الفلاسفة وتصوّفهم، وله كلامُ كثير فى العِرْفان على طريق الاتّحـاد والزَّنْدَقة . وقـد ذكرنا محطّ هؤلاء الجنس فى ترجمة آبن الفارض[4] وآبن العَرَبِىّ[5] وغيرهما ، فيا حسرةً على العباد ! كيف لا يغضبون لله تعـالى ولا يقومون فى الذبّ عن معبودهم ، تبـارك الله وتقـدّس فى ذاته عن أن يمتزج بخَلْقه أو يَحُـلّ فيهـم ، وتعـالى الله عن أن يكون هو عَيْن السموات والأرض وما بينهما، فإنّ هذا الكلام شرٌّ من مقالة مَن قال بِقِدَم العالم.

---

(١) فى الأصلين : «المعروف بالباغر» . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وتاريخ الإسلام والوافى بالوفيات للصفدى . (٢) فى نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٥٦) : « أبو الفضائل » .

(٣) فى الأصـلين : « الزقوطى » . وفى عيون التواريخ : « البرقوطى » . وفى المنهل الصافى « المرقوطى » . والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان وآبن كثير .

(٤) هو شرف الدين أبو حفص عمر بن أبى الحسن على بن المرشد بن على المعروف بابن الفارض . تقدمت وفاته سنة ٦٣٢ ﻫ . (٥) هو محيي الدين أبو بكر محمد بن على بن محمد المعروف بابن العربى الطائى الحاتمى . تقدمت وفاته سنة ٦٣٨ ﻫ .

ومَن عَرَف هؤلاء الباطنيّــة عَذَرنى أو هو زِنْدِيق مُبْطِنٌ للاتّحاد يذُبُّ عن الاتّحاديّة والحُلوليّة، ومَن لم يعرفهم فالله يُثيبه على حسن قصده. ثم قال بعد كلام طويل: وآشتهر عنه (يعنى عن آبن سبعين هذا) أنّه قال: لقد تحجّر آبن آمنة واسعًا بقوله: "لانَبِىّ بَعْدِى". ثم ساق الذهبىّ أيضا من جنس هذه المقولة أشياء أضربتُ عنها إجلالًا فى حقّ الله و رسوله لالأجل هذا النِّجس.

قلتُ: إن صحّ عنه ما نقله الحافظ الذهبىّ وهو حجّــة فى نقله فهو كافرٌ زِنديق مارِقٌ من الدين مطرودٌ من رحمة الله تعالى. اِنتهى. والرُّقُوطِىّ نسبة إلى حصن من عمل مُرْسِيَةَ يقال له رُقُوطة.

وفيهــا توفى الأمير شرف الدين أبو محمد عيسى بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كامل الكُرْدِىّ الهَكّارِى، كان أحد أعيان الأمراء سمِــع الحديث وحدّث، ومولده ســنة ثلاث وتســعين وخمسمائة بالقُــدْس، وكان أحد الأمراء المشهورين بالشجاعة والإقدام وله وقائعُ معدودةُ ومواقفُ مشهورةُ مع العدوّ بأرض الساحل؛ ولى الأعمال الجليلة وقدّمه الملك الظاهر بِيبَرْس على العساكر فى الحروب غيرَ مرّة، ومات بدمشــق فى شهر ربيع الآخر. ومن شعره ممــا كتبه للوزير شرف الدين بن المبارك وزير إِرْبِل:

أأحبابَنا إن غِبتُ عنكم وكان لى * إلى غير مَغْنــا كم مراحُ وإيْسَامُ
فما عن رِضًا كانت سُــلَيْمَى بديلةً * بلَيْــلَى ولكن للضرورات أحكامُ

وفيها تُوفّى محمد بن عبــد المنعم بن نصر [الله](١) بن جعفر بن أحمــد بن حَوَارِىّ الفقيه الأديب أبو المكارم تاج الدين التَّنُوخِى المَعَرّى الأصل الحنفى الدِّمشقى المولد

(١) تكملة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافى وعيون التواريخ والجواهر المضية فى طبقات الحنفية.

والدار والوفاة المعروف بابن شُقَيْر. وُلِد سنة ست(١) وستمائة وسمع وحدّث بدِمَشق والقاهرة، وكان فقيها محدّثا فاضلا بارعا أديبا وعنده رياسة ومكارم ودَمَاثة أخلاق وحسن محاضرة، وهو معدودٌ من شعراء الملك الناصر[صلاح(٢) الدين يوسف بن العزيز] ومات فى صفر. ومن شعره :

قد أقبل الصيفُ وولّى الشّتا * وعن قريبٍ نشتكى الحَرَّا
أما ترى البانَ بأغصانِهِ * قد قلّب الفَرْوَ إلى بَرَّا

وقال، رحمه الله :

واحَيْرَةَ القمرين منه إذا بدا * وإذا انثنى واخجلةَ الأغصانِ
كتبَ الجمالُ ويالَهُ من كاتبٍ * سطرين فى خدّيه بالرَّيْحانِ

قلتُ : ويعجبنى قول ابن المعتزّ(٣) فى هذا المعنى وقد أبدع فى التشبيه فقال :

كأنّ خَطّ عِذارٍ شقّ عارضه * مَيْدان آسٍ على ورد ونِسْرينِ
وخطّ فوق حِجاب الدر شاربُه * بنصف صادٍ ودَار الصُّدْغُ كالنونِ

ولمحمد بن يوسف [بن عبد الله(٤) المعروف با] لخيّاط الدِّمشقى فى معنى العِذار :

عِذارُ حِبِّ دقيقُ معنًى * تجِلُّ عن حسنه الصفاتُ
حلا لرائيه وهو نبتٌ * هذا هو السكّر النّباتُ

(١) فى الأصلين : « ولد سنة سبع وستمائة » . والتصحيح عن المنهل الصافى وتاريخ الإسلام وعيون التواريخ والجواهر المضية فى طبقات الحنفية . (٢) زيادة عن المصادر المتقدمة .

(٣) هو أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله ابن الخليفة المعتز بالله محمد ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة هارون الرشيد . تقدمت وفاته سنة ٢٩٦ هـ

(٤) زيادة عن المنهل الصافى وما سيذكره المؤلف فى وفاته سنة ٧٥٦ هـ

ولابن نُبَاتَة[١] :

وبمُهجتى رَشَأٌ يَمِيس قَوامُه * فكأنّه نَشْوانُ من شَفَتَيه
شُغِف العِذارُ بخدّه ورآه قد * نَعَسَتْ لواحظُه فدبّ عليه

وللصَّفَدى[٢] :

عيناه قد شَهِدتْ بأنّى مخطئٌ * وأتَت تَخُطُّ عِذاره تَذْكارَا
ياحاكمَ الحُبِّ اتَّئِدْ فى قِتْلَتِى * فالخطُّ زورٌ والشهودُ سُكَارَى

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى الشيخ حسن ابن أبى عبد الله بن صَدَقة الصَّقَلّىّ المقرئ فى شهر ربيع الأوّل وقد نيّف على سبعين . وشيخُ السَّبْعِينيّة[٣] قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المُرْسىّ بمكّة فى شوّال ، وله خمس وخمسون سنة . ومجد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان ابن مظفّر[٤] بن هبة الله بن عساكر فى ذى القعدة . وقاضى حَمَاة شمس الدين إبراهيم ابن المسلم بن البارِزِىّ فى شعبان، وله تسع[٥] وثمانون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ست أذرع و إحدى وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا واثنتا عشرة إصبعا .

⁂

السنة الثانية عشرة من ولاية الملك الظاهر بِيبَرْس على مصر، وهى سنة سبعين وستمائة .

---

(١) هو جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن محمد ابن الخطيب أبى يحيى عبد الرحيم بن نباتة الفارقى الأصل المصرى المولد والدار المعروف بابن نباتة . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٦٨ هـ . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٢ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) السبعينية : مريدوه وأتباعه (عن المنهل الصافى) . (٤) فى المنهل الصافى : « عثمان بن أبى المظفر هبة الله » . (٥) فى الأصلين : «وله إحدى وثمانون سنة» وتصحيحه عن شذرات الذهب والمنهل الصافى وتاريخ الإسلام .

فيهـا تُوفّى الملك الأمجـد مجد الدين أبو محمـد الحسن آبن الملك الناصر داود ابن الملك المعظّم عيسى آبن الملك العادل أبى بكر بن أيُّوب ، كان الملك الأمجد هذا من الفضلاء وعنده مشاركةٌ جيّدة فى كثير من العلوم ، وله معرفةٌ تامّة بالأدب .

وفيها تُوفّى الشيخ عِماد الدين عبد الرحيم بن عبدالرحيم بن عبد الرحيم[١] بن عبد الرحمن آبن الحسن بن عبـد الرحمن بن طاهر بن محمد بن محمد بن الحسين الحلَبِىّ الشافعىّ المعروف بآبن العَجَمِىّ ، كان فاضلا سمع الحديث وتفقّه وحدّث ودرّس وتولّى الحكم بمدينة الفَيُّوم[٢] من أعمال مصر وغيرها وناب فى الحكم بِدمشق ، وكان مشكور السِّيرة . ومات بحلب فى رابع[٣] عشر شهر رمضان . ومولده فى سـنة خمس وستمائة بحلب .

وفيها تُوفّى الأديب أمين الدين علىّ[٤] بن عثمان[٥] بن علىّ بن سليمان بن علىّ بن سليمان آبن علىّ أبو الحسن[٦] المعروف بأمين الدين السُّلَيْمانِىّ الصوفى الإرْبِلِىّ الشاعر المشهور ، ولد سنة آثنتين[٧] وستمائة . ومات بمدينة الفَيُّوم من أعمال مصر فى جُمادى الأولى ، وكان فاضـلًا مقتدرًا على النظم ، وهو من أعيان شـعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ، وكان أوّلا جنـدِيًّا ثم ترك ذلك وتزّهد . ومن شعره وقد أرسل إلى بعض الرؤساء هديّة فقال :

---

(١) فى الأصلين : «عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم» . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وهما المصدران اللذان ترجما له من المصادر التى تحت يدنا . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) فى عيون التواريخ وتاريخ الإسلام : «فى رابع رمضان» . (٤) فى الأصلين : «أمين الدولة» . وتصحيحه عن تاريخ الإسـلام وعيون التواريخ والمنهل الصافى والسلوك .

(٥) فى الأصلين : «على بن عماد بن على» . والتصويب عن المصادر المتقدّمة وعقد الجمان .

(٦) فى الأصلين : «أبو الحسين» . وتصحيحه عن المنهل الصافى وعقد الجمان والسلوك .

(٧) كذا فى الأصلين وعيون التواريخ . وفى المنهل الصافى : «ولد سنة ثلاث وستمائة» .

هــديّةُ عَبْــدٍ مخلِص فى وَلائه * لها شاهدٌ منهـا على عدم المـالِ
وليستْ على قدرى ولا قدر مالكى * ولكنّهـا جاءت على قَــدَر الحـالِ

وقال رحمه الله :

ألا فآحفظ لسـانك فهــو خيرٌ * وطـرفَك وآستمع نُصْحِى ووعظِى
فـربّ عــداوةٍ حصلتْ بلفظ * وربّ صبـابةٍ حصلتْ بلَحْظِ

وفيهـا تُوفّى الرئيس الصدر عماد الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسين[1] بن صَصْرَى التَّغْلَبِيّ[2]، البَلَدِىّ[3] الأصل الدّمشقى المولد والدار والوفاة العــدل الكبير، مولده سـنة ثمـانٍ وتسعين وخمسمائة وسمِـع الكثير وحدّث ، وكان شيخا جليلا من بيت العلم والحديث، وقد حدّث هو وأبوه وجدّه وجدّ أبيه وجدّ جدّه وغير واحد من بيته . ومات فى ذى القعدة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوفّى العلّامة الكمال سَلّار بن الحسن الإِرْبِلِىّ الشـافعىّ فى جُمـادى الآخرة، ومُعين الدين أحمــد آبن القـاضى زَيْن الدين علىّ[4] بن يوسف الدمشقىّ العدل بمصر فى رجب . والإمام جمال الدين عبد الرحمن بن سَلْمان[5] الحرّانىّ البغدادىّ[6] الحنبلىّ فى شعبان، وله خمس وثمانون سنة. والقاضى عماد الدين أبو عبد الله محمــد بن سالم بن الحسن بن هبة الله الدّمشقى آبن

(١) « أحمد بن الحسين » . هذان الجدان غير موجودين فى أحد الأصلين ولا فى المصادر التى تحت يدنا . (٢) فى الأصلين : « الرسعنى » وما أثبتناه عن السلوك وتاريخ الإسلام وما تقدم ذكره فى وفاة أبى القـاسم الحسن بن هبة الله بن محفوظ أحد أجداده سنة ٦٢٦ هـ . (٣) البلدى : نسـبة الى بلد الحطب بقرب الموصــل (عن لب اللبـاب) . (٤) فى أحد الأصلين : « كمال الدين » والتصحيح عن الأصل الآخر وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبى .
(٥) فى الأصلين : « ابن سليمان » والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .
(٦) فى تاريخ الإسلام : « البغيدادى » .

صَصُرَّى فى ذى القعدة. والملك الأمجد السيد الجليل حسن آبن الناصر داود صاحب الكَرَك فى جُمادى الأولى كَهْلًا . والصدر وجيــه الدين محمد بن علىّ [بن أبى طالب][1] آبن سُوَيْد التَّكْرِيتِىّ التاجر فى ذى القعدة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم سبع أذرع و إصبعان . مبلغ الزيادة ثمـانى عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا .

السنة الثالثة عشرة من ولاية الملك الظـاهر بيبَرْس على مصر، وهى سنة إحدى وسبعين وستمائة .

فيها تُوفّى الأديب القاضل مُخْلِص الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هبة الله ابن أحمد بن قُرْناص الخُزَاعِى[2] الحَمَوِىّ الشاعر المشهور، كان أديبًا فاضلا وله اليـد الطُّولَى فى النظم، ومات بحَمَاة يوم الأحد رابع شوّال . ومن شعره :

لَيْــلِى وليلُكِ يا سُؤْلى و يا أملى * ضِـدان هــذا به طُولٌ وذا قِصَرُ
وذاكَ أنّ جفونى لا يُلِمّ بهـا * نومٌ وجَفْنُــك لا يَحْظَى به السَّهَرُ

قلت : وهذا يشبه قول القائل[3] وما أدرى أيهما أسبق إلى هذا المعنى وهو :

لَيْلِى ولَيْـــلَى نَفَى نومى آختلافُهما * بالطُّولِ والطُّول ياطُوبَى لو آعتدلا
يجودُ بالطُّول لَيْــلِى كُلّمـا بَخِلَتْ * بالطُّول لَيْــلَى و إن جادت به بَخِلا

---

(١) تكملة عن عقد الجمان وتاريخ الإسلام. (٢) لم تذكر الكتب التى ترجمت له هذه النسبة .

(٣) تقدم ذكر هذين البيتين فى موضعين : فى الجزء الخامس ص ٢٠٣ ، والجزء السادس ص ١٩٥ من هذه الطبعة . وذكر المؤلف أنهما من قول الفضل بن عبد القاهر جدّ محمود بن على بن المهنأ بن أبى المكارم وهو أقدم من هذا الشاعر فقد توفى سنة ٥٠٥ هـ .

وفيها تُوفّى الشريف شرف الدين أبو عبد الله محمد بن رِضْوان بن علىّ بن أبى المظفّر بن أبى العَنَاهِيَة المعروف بالشريف الناسخ . مات بدِمَشْق فى شهر ربيع الآخر، وكان من الفضلاء وله مشاركةٌ فى كثير من العلوم وله اليد الطُّولَى فى النظم والنثر . ومن شعره :

عانقتُه عند الوَدَاع وقد جرتْ * عَيْنِى دموعًا كالنَّجيع القَانِى
ورجعتُ عنه وطرفُه فى فَتْرةٍ * يُمْلِى علىّ مقاتلَ الفُرْسانِ

قلت : وما أحسن قول القاضى ناصح الدين الأَرّجانىّ(١) فى هذا المعنى :

إذا رأيتَ الوداع فاَصبِر * ولا يَهُمّنك البِعادُ
واَنتظِر العَوْد عن قريبٍ * فإنّ قَلْب الوداع عادوا

وأجاد أيضا من قال فى هذا المعنى :

فإنْ سِرتُ بالجُثمان عنكم فإنّنى * أُخَلّف قلبى عندكم وأسيرُ
فكونوا عليه مُشفقين فإنّه * رَهِينٌ لديكم فى الهوى وأسيرُ

وفيها تُوفّى المحدّث شرف الدين أبو المظفّر يوسف بن الحسن بن بَدْر بن الحسن ابن مفرّج بن بَكّار النّابُلُسى الأصل الدِّمَشْقىّ المولد والدار والمنشأ والوفاة المحدّث المشهور ، كان فاضلًا وسمع الكثير وحدّث ، وكانت لديه فضيلةٌ ومشاركة ومعرفةُ بالأدب . ومن شعره :

عَرِّج بعِيسك واَحْبِس أيّها الحادِى * عند الكَثيب وعرِّسْ يَمْنَة الوادِى .

(١) فى الأصلين هنا : «ناصر الدين» والتصويب عن ابن خلكان وما تقدم ذكره للمؤلف فى حوادث سنة ٥٤٤ هـ . وهو القاضى الإمام الأديب العلامة ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجانى قاضى تستر . توفى فى السنة المذكورة .

وأقْرَ السّــلام على سُــكّان كاظمةٍ * مِنّى وعرِّض بتِهْيَامِى وتَسْهَـادِى
وقُلْ مُحِبٌّ بنار الشَّـوْق مُحــتَرِقٌ * أودَى به الوَجْدُ خلّفنـاه بالنّادِى[1]

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوفّى الحافظ شرف الدين أبو المظفّر يوسف بن الحسن بن النابُلُسى الدِّمَشْقىّ[2] فى المحرّم. وخطيب المِقياس أبو الفتح عبد الهادى بن عبد الكريم القَيْسىّ المقرئ، وله أربع وتسعون سنة فى شعبان. والمحدّث شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن عَمّار بن هامل[3] الحَرّانىّ فى رمضان. وأبو العبّاس أحمد بن هبة الله بن أحمد السُّلَمِىّ الكَهْفِى[4] فى رجب. وصاحب «التعجيز»[5] الإمام تاج الدين أبو القاسم عبد الرحيم بن محمد بن محمد آبنُ يونُس[6] المَوْصِلِىّ فى جُمادى الأولى ببغداد، وله ثلاث وسبعون سنة.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع و إحدى عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا.



السنة الرابعة عشرة من ولاية الملك الظاهر بِيبَرْس على مصر، وهى سنة أثنتين وسبعين وستمائة.

---

(١) فى الأصلين: «خلفناه بالوادى». وما أثبتناه عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان.
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (٣) كذا فى الأصلين والمنهل الصافى وعيون التواريخ وشذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وذيل مرآة الزمان. وفى تاريخ الإسلام: «ابن كاهل». (٤) فى الأصلين: «اللهفى». والتصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام. والكهفى: نسبة إلى كهف جبل قاسيون، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٢٤٦ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (٥) هو التعجيز فى مختصر الوجيز فى فروع الشافعية كما فى كشف الظنون. (٦) فى الأصلين: «ابن يوسف». والتصحيح عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وشذرات الذهب وعقد الجمان وكشف الظنون وذيل مرآة الزمان.

فيها ملك الملك الظاهر بيبرس برقة[(١)] بعد حروب كثيرة .

وفيها توفّى الصاحب محيي الدين أحمد بن على بن محمد بن سليم الصاحب محيي الدين أبو العباس ابن الصاحب بهاء[(٢)] الدين بن حنّا فى ثامن شعبان بمصر ودفن بسفح المقطّم ، ووجد عليه والده وجدًا شديدا ، وعملت له الأعزية والختم ، وكان فاضلا وسمع من جماعة وحدّث ودرّس بمدرسة[(٣)] والده التى أنشأها بزقاق القناديل بمصر إلى حين وفاته .

وفيها توفّى المحدّث مؤيّد الدين أبو المعالى أسعد بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى المعروف بابن القلانسى ، مولده بدمشق سنة ثمان أو تسع وتسعين وخمسمائة ، وسمع الكثير وحدّث بدمشق ومصر ، وهو من البيوتات

---

(١) وصف برقة ياقوت واليعقوبى وابن دقاق بأنها صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية (تونس) أى ساحل طرابلس . ووصفها أحد كتاب الافرنج بأنها نوع جزيرة صخرية واقعة بين البحر الأبيض المتوسط من خليج بومبى إلى سدرة العظمى . وغور عظيم يختلف ارتفاع أرضه عن سطح البحرين مترين إلى ثلاثة أمتار ، وقد يزيد ارتفاع الجبل الأخضر المحاذى للشط عن ألف متر . ومن محصولاتها الزراعية الحبوب بأنواعها كالقمح والشعير ، وتكثر بها المراعى فيجود الضأن والماعز والبقر . وبها أشجار الفاكهة المختلفة خصوصا التى تغرس فى البلاد الحارة كالنخيل والموز . ومن أشهر مدنها ثغر بنى غازى ، وعدد سكانه أكثر من ثلاثين ألفا .

وكانت طرابلس بما فيها برقة تابعة لقرطاجنة ثم للروم . وفى القرن السابع آلت للعرب . وفى سنة ١١٤٦م صارت تابعة لملوك نابلى بإيطاليا ، ثم احتلها الأسبان سنة ١٧١٤ م ثم امتلكها الترك الى سنة ١٩١١ م ثم احتلتها إيطاليا ، ثم تملكتها بعد حروب طويلة بين الترك والعرب وهى الآن ضمن أملاكها (عن البيان لرأفت بك ص ٣٤٩ وقاموس الأمكنة لعلى بك بهجت ص ٥٠) .

(٢) فى الأصلين : « تاج الدين » . وتصحيحه عما تقدّم ذكره للؤلف غير مرة والذيل على مرآة الزمان وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

(٣) هى مدرسة الصاحب بهاء الدين بن حنا . ويستفاد مما ذكره المقريزى عند الكلام على المدرسة الصاحبية البهائية فى ص ٣٧٠ ج ٢ من خططه أن هذه المدرسة قد اندثرت ولم يبق لها أثر من سنة ٨١٧هـ . وأما زقاق القناديل الذى كانت به المدرسة فقد كان واقعا فى الجهة الشرقية من جامع عمرو بمصر القديمة ، وسمى زقاق القناديل لأنه كان سكن الأشراف وكانت أبواب الدور يعلق على كل واحد منها قنديل . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

المشهورة بالحديث والعدالة والتقدّم . ومات فى ثالث [عشر][١] المحرّم ببستانه ظاهر دمشق، وكان وافر الحُرْمة متأهّلا للوزارة كثير الأملاك واسع الصدر

وفيها تُوفّى الأمير فارس الدين أَقْطاى بن عبد الله الأَتابَكىّ المعروف بالمُسْتَعْرِب الصالِحىّ النجمِىّ، كان من أكابر الأمراء وأعيانهم ، وكان الملك المظفر قُطُز قرّبه وجعله أتابكًا وعلّق جميع أمور المملكة به . فلمّا تسلطن الملك الظاهر قام معه وحلَف له وسلطنه فلم يَسَع الملك الظاهر إلّا أن أبقاه على حاله ، وصار الظاهر فى الباطن يتبرّم منه ولا يَسَعُه إلّا تعظيمه لعدم وجود مَن يقوم مقامه ، فإنّه كان من رجال الدهر حزمًا وعزمًا ورأيًا ، فلمّا أنشأ الملك الظاهر بِيلِيك الخازِندار أمَره بملازمته والاقتباس منه فلازمه مدّة ، فلمّا عَلِم الظاهر منه الاستقلال جعله مشاركا له فى الجيش ، وقطَع الرواتب التى كانت لأقطاى المذكور ، فجمع أقطاى نفسه وتعلّل قريب السنة وصارَ يَتَداوَى إلى أن مات ، وكان أظهَر أن به طَرَف[٢] جُذَام ولم يكن به شىء من ذلك ، رحمه الله تعالى .

وفيها تُوُفّى مجاهد[٣] بن سليمان بن مُرْهَف بن أبى الفتح التَّميمىّ المصرىّ الخياط الشاعر المشهور ، وكان يُعرف بابن أبى الربيع . مات فى جُمادى الآخرة بالقرافة الكبرى ، وكان بها سَكَنُه وبها دُفِن ، وكان فاضلًا أديبًا . ومن شعره فى أبى الحسين الجزّار وكان بينهما مُهاجاة :

---

(١) الزيادة عن تاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان . (٢) فى الأصلين : « أظهر أن به عرق جذام » . وما أثبتناه عن المنهل الصافى والذيل على مرآة الزمان وشذرات الذهب ، وما يفهم من عبارة تاريخ الإسلام . (٣) فى أحد الأصلين : « مجاهد الدين » وما أثبتناه عن الأصل الآخر وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ وفوات الوفيات .

أبا الحُسين تأدبْ * ما الفخرُ بالشِّعْر فخرُ
وما ترشّحتَ(١) منه * بقطرةٍ وهو بحرُ

وفيه يقول أيضا :

إنْ تاه جزاركم عليكمْ * بفِطْنةٍ عنده وكَيْس
فليس يرجوه غيرُ كَلْبٍ * وليس يخشاه غيرُ تَيْس

ومن شعره قوله : لُغْز في إبرة وكُشْتبان :

ثلاثةٌ في أمرِ خَصْمَين * إلفين لكن غير إلفين
هما قريبان وإن فرّقت * بينهما الأيام فَرْقَيْن
فواحدٌ يَعْضُده واحدٌ(٢) * ويُعْضَدُ الآخرُ بآثنين
تراهما بينهما وقعة * إذْ تقع العين على العين

وفيها تُوُفّي الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن سليمان [بن محمد بن سليمان](٣) بن عبد الملك بن عليّ المَعَافِرِيّ الشاطبيّ المقرئ الزاهد نزيل الإسكندرية ، قرأ بالسّبع في الأندلس وبَرَع في القراءات والتفسير وله تفسير صغير . ومات في العشرين من شهر رمضان ، وله سبع وثمانون سنة .

وفيها تُوُفّي الشيخ الإمام العلّامة فريدُ عصره جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله [بن عبدالله](٤) بن مالك النحويّ الجَيّانيّ(٥) الشافعيّ الطائيّ العالم المشهور

---

(١) كذا في الأصلين والذيل على مرآة الزمان . ورواية المنهل الصافي وفوات الوفيات :
* وما تبلّلت منه *

(٢) رواية هذا البيت في الأصلين :
وواحد بعضه واحد * وبعض الآخر اثنين
وما أثبتناه عن الذيل على مرآة الزمان . (٣) التكلة عن غاية النهاية وتاريخ الإسلام .

(٤) التكلة عن المصدرين المتقدمين والمشتبه . (٥) الجياني : نسبة إلى جيان : بلد بالأندلس .

صاحب التصانيف فى النحو والعربيّة نزيل دِمَشْق مولده سنة إحدى وستمائة، وسَمِع الحديث وتصدّر بحلب لإقراء العربيّة، وصَرف هِمّته إلى النحو حتى بلغ فيه الغايه، وصنّف التصانيف المفيدة، وكان إمامًا فى القراءات، وصنّف فيهـا أيضا قصيدة مرموزة فى مقدار الشاطبيّة، وكان إمامًا فى اللغة .

قلت : وشهرته تُغْنى عن الإطناب فى ذكره . ومات فى ثانى عشر شعبان وقد نيّف على السبعين، رحمه الله تعالى .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى مؤيّد الدين أسـعد آبن المظفّر التّميمىّ آبن القَلَانِسِىّ عن ثلاث وسبعين سنة فى المحرّم . والسيد نجيب الدين عبد اللطيف بن أبى محمد عبد المنعم [بن علىّ[1] بن نصر بن منصور بن هبـة الله أبو الفرج آبن الإمام الواعظ أبى محمد] بن الصَّيْقَل الحرانىّ فى صـفر، وله خمس وثمانون سنة . والمسنِد تقىّ الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبى اليُسْر [شاكر[2] بن عبد الله] التَّنُوخىّ الكاتب فى صفر، وله ثلاث وثمانون سنة . وأبو عيسى عبد الله بن عبد الواحد ابن محمد [بن[3] عبد الواحد] بن عَلّاق[4] الأنصارىّ الرزاز فى شهر ربيع الأوّل عن ستّ وثمانين سنة . والقاضى كمال الدين عمر بن بُنْدار التَّفلِيسىّ بمصر فى شهر ربيع الأوّل وقد جاوز السبعين . والمحدّث نجم الدين علىّ بن عبد الكافى الرَّبَعِىّ الشافعىّ فى شهر ربيع الآخر شابًا . والشيخ كمال الدين عبد العزيز بن عبد المنعم فى شعبان عن ثلاث وثمـانين سنة . والعلّامة جمال الدين محمد بن عبد الله [بن عبد الله] بن مالك الطائى الجيّانىّ فى شعبان عن نحو سـبعين سنة . والأمير الكبير أتابَك المُسْتَعْرِب ، وآسمه

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام وذيل مرآة الزمان . (٢) زيادة عن المصدرين المتقدمين وشذرات الذهب . (٣) تكملة عن تاريخ الإسلام والسلوك (ص ٦١٤) .
(٤) فى الأصلين : « الرداد » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

فارس الدين أَقْطاى الصالحىّ، وقد ولِى نيابة المظفر قُطُزْ ؛ توفى فى جمادى الأولى، والزاهد الكبير الشيخ محمد بن سليمان [بن محمد بن سليمان] الشاطبىّ بالإسكندريّة وخواجا [محمد بن محمد بن الحسن أبو عبد الله] نصير [الدين] الطُّوسىّ فى ذى الحجة .[1]

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع وإحدى وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وست أصابع .

***

السنة الخامسة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبَرْس على مصر، وهى سنة ثلاث وسبعين وستمائة .

فيهـا كانت أعجوبة فى السابع والعشرين من شعبان وهو أنّه وقع رمل بمدينة المَوْصل ظهر من القِبْلة وانتشر يمينًا وشمالا حتى ملأ الآفاق وعُمِّيت الطّرق ، فخرج العالَم إلى ظاهر البـلد ، ولم يزالوا يبتهلون إلى الله تعـالى بالدعاء إلى أن كشف الله ذلك عنهـم .

وفيها تُوُفّى الأمير شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن موسى بن يَغْمُور بن جَلْدَك . وقد تقدّم ذكر والده الأمير جمال الدين موسى . كان شهاب الدين هذا[2]، مرونا بالشجاعة والشهامة والصّرامة والحرمة، ولّاه الملك الظاهر المَحلّة[3] وأعمالها من الغربيّة من إقليم مصر، فهذّبها ومهّد قواعدها وأباد المفسدين بها بحيث إنّه قطع من الأيدى والأرجل مالا يُحْصَى كثرةً ، وشنق ووسّط فخافه البرىء والسقيم . ومات بالمحلّة فى الرابع والعشرين[4]

---

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان وعقد الجمان . (٢) فى الأصلين : « جمال الدين » . والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) فى الأصلين : « فى رابع عشر جمادى الأولى » . وبما أثبتناه عن عقد الجمان وعيون التواريخ وذيل مرآة الزمان .

من جُمادى الأولى، وكان عنده رياسة وحِشْمَة وبِرّلمن يقصِده؛ وله نظمٌ وعنده فضيلة. ومن شعره يُخاطب الأمير علم الدين الدَّوَادَارى[1] :

إنْ صـدَدتمْ عن منزلى فلكم فـ يـه ثنـاءُ كنَشْر رَوْضٍ بهىِّ
أو رددتُم فأنا المحبُّ الذى من * آل موسى فى الجانب الغربىّ

وله :

خَطْبٌ أتى مُسرِعًا فآذَى * أصبح جسمى به جذاذا
خَضَّـد[2] قلبى وعمّ غيرى * يا ليتنى مِتُّ قبل هــذا

وله فى مَليح نحوِىّ :

ومليح تعلّم النحو يحْـكِى * مشكِلاتٍ له بلفظٍ وَجيزِ
ما تميزتُ حسنَه قطّ إلّا * قام أَيرِى نصبًا على التمييزِ

وفيها هلك بِيُمُنْد الفرنجىّ متملّك طرابُلُس بها فى العشر الأوّل من شهر رمضان ودُفِن فى كنيسة بها، وتملّك بعده آبنه، وكان حسن الشكل مليح الصورة.

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام أبو محمد شمس الدين عبد الله آبن شرف الدين محمد بن عطاء الأَذْرَعِىّ[3] الأصل الدِّمَشقىّ الوفاة الحنفىّ، كان إماما فقيها مفتيًا عالمـا مُفَنَّنًا، أفتى ودرّس بعِـدّة مدارس، وهو أوّل قاضٍ ولى القضاء آسـتقلالا بدمشق من الحنفيّة فى العصر الثانى. وأمّا أوّل الزمان فوليها جماعة كثيرة من العلمـاء فى أوائل الدولة العبّاسيّة. وحسُنت سيرتُه فى القضاء إلى الغاية؛ وقصّته مع الملك الظاهر بيبرس مشهورة لمـّا أوقع الظاهر الحَوْطة على الأملاك والبساتين بدِمَشق، وقعـد

(١) عبارة الذيل على مرآة الزمان وعيون التواريخ : « وقال يخاطب صاحبا له ورد عليـه من الإسكندرية الى المحلة ».
(٢) فى الأصلين : « خضض ».
(٣) فى الأصلين : « البعلبكى ». وما أثبتناه عن الجواهر المضية فى طبقات الحنفية وتاريخ الاسـلام وشـذرات الذهب والمنهل الصافى وعقد الجمان والسـلوك.

الظاهر فى دار العدل بدمّشق وجرى الحديث فى هذا المعنى بحضور القضاة الأربعة والعلمــاء وغيرهم ، فكلٌّ من القضــاة ألآن له القول وخَشِىَ سَطْوة الملك الظاهر إلّا شمس الدين هذا ، فإنّه صدّع بالحقّ وقال : ما يَحِلُّ لمسلم أن يتعرّض لهذه الأملاك والبساتين ! فإنّها بيــد أربابها ويدُهم ثابتةٌ عليها . فغَضِب الملك الظاهر من هــذا القول وقام من دار العــدل وقال : إذا كُنّا ما نحن مسلمون إيش قعودنا ! فشرَع الأمراء يتألّفوه (١) ولا زالوا به حتى سكن غضبُه ؛ فلمّــا رأى الظاهر صــلابة دينه حَظِى عنده وقال : أثبتوا كتبنا عند هــذا القاضى الحنفىّ وعظُم فى عينه وهابه . وكان من العلماء الأعيان تامّ الفضيلة وافرّ الديانة كريم الأخلاق حَسَن العِشرة كثير التواضع عديم النظير ، وآنتفع بعلمه جمّ غفير ، رحمه الله تعالى .

وفيها تُوُفّى الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد آبن محمــد التِّكْرِيتىّ الجــدّ ، المَوْصلىّ الأب ، الدمشقىّ المولد ، المحلىّ الوفاة المعروف بابن الطحّان الشهير بالحافظ اليَغْمُورِىّ ، كان فاضلا سمِــع الكثير بعدّة بلاد ، وكان له مشاركة فى فنون ، وكان أديبًا شاعرًا . ومن شعره :

رجَع الودُّ على رَغْم الأعادى * وأتى الوصلُ على وَفْق مرادِى
ما على الأيام ذنبٌ بعْــد ما * كفّر القربُ إساءات البِعاد

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفى الحافظ وجيه الدين أبو المظفّر منصــور بن سليم الهَمْدانِى (٢) بالإسكندريّة فى شــوّال . وقاضى القضاة

---

(١) فى المنهل الصافى وتاريخ الإسلام : « فشرع الأمراء فى التلطف ... الخ » .

(٢) فى الأصلين . « الهدبانى » . والتصحيح عن الذيل على مرآة الزمان وتاريخ الإسلام وعقد الجمان . والهمدانى « بسكون الميم » : نسبة الى القبيلة المشهورة ، كما فى شذرات الذهب .

شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الحنفىّ فى جمادى الأولى وهو فى عشر الثمانين .
وأبو الفتح عمر بن يعقوب الإربِلىّ الصوفىّ فى يوم النحر .

§ أمر النيل فى هذه السنة المباركة ــ المـاء القديم خمس أذرع وأربع أصابع .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

*
* *

السنة السادسة عشرة من ولاية الملك الظـاهر بيبَرْس على مصر، وهى سنة أربع وسبعين وستمائة .

فيهـا تُوُفّى الأمير عزّ الدين أبو محمد أَيْبَك بن عبد الله الإسكندرانىّ الصالحىّ النجمىّ ، كان أستاذه الملك الصـالح نجم أيّوب يثق به و يعتمِد عليـه وولّاه الشُّوبَك ، وجعل عنده جمـاعة كثيرة من خواصّه : منهم الأمير عزّ الدين أَيْدَمُر الحلّىّ ، والأمير سَنْجَر الحِصْنِىّ(١) ، والأمير أَيْبَك الزرّاد ، وكان عنده كفاية وخبرة تامّة وصرامَة شديدة ومهابة عظيمة يُقِيم الحدود على ما تجِب ، ثم نُقل فى عدّة وظائف إلى أن مات فى شهر رمضان بقلعة الرَّحْبة(٢) ودُفِن بظاهرها .

وفيها تُوُفّى الحسن بن علىّ بن الحسن بن ماهك(٣) بن طاهر أبو محمـد فخر الدين الحُسَيْنى نقيب الأشراف وابن نقيبهم ، مولدُه سنة ثمانٍ وستمائة ، ومات يوم الأحد تاسع شهر ربيع الأوّل ببَعْلَبَكّ ، وكان عنـده فضيلة ومعرفة بأنساب العلويّين ونظَم نظما متوسّطا وكان مبذّرا للأموال .

---

(١) فى الأصلين : « الحلبى » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان . وهو الأمير علم الدين سنجر الحصنى كان من أمراء الألوف وكان فى وقت نائب السلطنة بدمشق . ومات فى هذه السنة (عن الوافى بالوفيات للصفدى) . (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٣) فى الذيل على مرآة الزمان : « ماهد » .

وفيها توفّى الأمير الكبير ركن الدين خاص ترك بن عبد الله الصالحىّ النجمىّ، وكان شجاعا مِقداما مقدّما عند الملوك . مات فى شهر ربيع الأوّل بدمشق .

وفيها توفى الشيخ زَيْن الدين أبو المظفّر عبد الملك بن عبد الله بن عبد الرحمن آبن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر الحلبىّ الشافعىّ المعروف بآبن العَجَمِىّ، مولده بحلب سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وسمع الحديث وحدّث وكان شيخا فاضلا . مات فى ذى القعدة بالقاهرة ، ودُفِن بسفح المقطّم وهو خال قاضى القضاة كمال الدين[1] أحمد بن الأستاذ .

وفيها توفّى الشيخ بهاء الدين[2] أبو عبد الله محمد بن عُبَيْد الله [بن جبريل] كان صَدْرًا كبيرا عالما فاضلا شاعرا . مات بالقاهرة ودُفِن بالقرافة وهو فى عشر الستين ، ومن شعره، رحمه الله تعالى :

ولقد شكوتُ لِمُتْلِفِى * حالى ولطّفْتُ العباره
فكأنّنى أشكو إلى * حَجَرٍ وإنّ من الحِجارَهْ

وله :

يا راحلًا قد كِدْتُ أقضى بعدَه * أسفًا وأحشائى عليه تَقَطَّعُ
شطَّ المَزَارُ فما القلوب سواكنٌ * لكنّ دمعَ العين بعدَك يَنْبُعُ

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام تاج الدين أبو الثناء محمود بن عابد[4] بن الحسين بن محمد [بن][5] الحسين بن جعفر بن عمارة بن عيسى بن علىّ بن عمارة التميمى الصَّرْخَدِىّ

(١) هو كمال الدين أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الأستاذ الشافعى المعروف بابن الأستاذ . تقدمت وفاته سنة ٦٦٢ هـ . (٢) كذا فى الأصلين وذيل مرآة الزمان . وفى المنهل الصافى وتاريخ الإسلام والسلوك : «زين الدين» . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام وذيل مرآة الزمان والمنهل الصافى وعيون التواريخ . (٤) فى الأصلين « ابن عايد » بالياء المثناة آخر الحروف، وهو تصحيف . وتصحيحه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان والمنهل الصافى وشذرات الذهب والسلوك . (٥) التكملة عن الذيل على مرآة الزمان .

الحنفىّ، مولدُه ســنة ثمانٍ وسـبعين وخمسمائة بصَرْخَد[1] . ومات ليلة الجمعة السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر بدمشق ، ودُفِن بمقابر الصوفيّة عنـد قبر شـيخه جمال الدين الحَصِيرِىّ[2]، كان من الصلحاء العلماء العاملين ، كان كثير التواضع قَنُوعا من الدنيا مُعْرِضا عنها، وكانت له وجاهة عظيمة عند الملوك وآنتفع به جمٌّ غفير من الطلبة، وكانت له اليد الطُّولى فى النظم والنثر . ومن شعره قوله :

[3]ما نلتُ من حُبّ من كلِفتُ به * إلّا غراماً عليــه أو وَلَهـا
[4]ومِحْنَــتِى فى هــواه دائرةٌ * آخِرُهـا ما يــزال أوّلَهـا

قلت : وأرشق من هذا مَنْ قال :

مِحنَتِى ما تَنْقضِى * لجفوةٍ تُبْطِلُهـا
كأنّها دائرة * آخرُها أوّلُهـا

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى المحدّث مَكِين الدين أبو الحسن بن عبـد العظيم الحِصْنِىّ المصرىّ فى رجب، وله أربع وسبعون سنة . وسعد الدين أبو الفضل محمد بن مهلهل بن بَدْران[5] الأنصارىّ الجِبْتِىّ المصرى سمِع الأرْتاحِىّ[6] . وتوفى تاج الدين محمود بن عابد التميمىّ الصَّرْخدِى الحنفى الشاعر المشهور

(١) كذا فى الأصلين وذيل مرآة الزمان وعقد الجمان وما يفهم من عبارة السلوك . وفى تاريخ الإسلام وعيون التواريخ والمنهل الصافى : « ولد بصرخد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة » .
(٢) هو محمود ابن أحمد بن عبد السيد الشيخ الإمام جمال الدين بن الحصيرى الحنفى . تقدمت وفاته سنة ٦٣٦ ﻫ .
(٣) رواية هذا المصراع فى الأصلين : * ما قلت من حب من ذا كلفت به * والتصحيح عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان .
(٤) فى الأصلين : « ومحبتى فى هواه ... الخ » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان .
(٥) كذا فى الأصلين . وفى حسن المحاضرة : « محمد بن بدران سعد الدين أبو الفضل الهيثمى » . وقد أورده فى تذكرة الحفاظ فى ترجمة الحافظ عبد الغنى وقال عنه : «محمد بن مهلهل الحيثى» بالحاء والياء وهو ممن روى عن الحافظ المذكور . ولم يرد هذا الاسم فى الذهبى فى وفيات هذه السنة .
(٦) هو أبو العباس أحمد بن حامد بن أحمد ابن حمدين الشيخ المقرى الأنصارى الأرتاحى ثم المصرى الحنبلى . توفى سنة ٦٥٩ ﻫ (عن المنهل الصافى وتذكرة الحفاظ وحسن المحاضرة للسيوطى) .

فى شهر ربيع الآخر عن نيف وتسعين سنة . وسعد الدين الخضِر(١) بن شيخ الشيوخ تاج الدين عبد الله [بن شيخ الشيوخ أبى الفتح عمر](٢) بن حَمّويه الجُوَيْنى فى ذى الحجة عن ثلاث وثمانين سنة . وأبو الفتح عثمان بن هبة الله بن عبد الرحمن [بن مكّى ابن إسماعيل](٣) بن عوف الزهرى آخر أصحاب ابن مُوقا(٤) فى شهر ربيع الآخر بالإسكندرية .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم القاعدة لم تُحترر(٥) لاختلاف المؤرخين . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس عشرة إصبعا .

⁂

السنة السابعة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبَرْس على مصر، وهى سنة خمس وسبعين وستمائة .

فيها تُوُفّى إبراهيم بن سعد [الله](٦) بن جماعة بن علىّ بن جماعة بن حازم بن صخر أبو إسحاق الحَموِىّ الكِنانىّ المعروف بابن جماعة، سمع الفخر بن عساكر(٧) وغيره وحدّث . ومولده يوم الاثنين منتصف رجب سنة ست(٨) وتسعين وخمسمائة بحماة ، وهو والد القاضى بدر الدين بن جماعة(٩) . مات يوم عيد النّحْر

---

(١) سماه الذهبي أيضا مسعود بن عبد الله ، ووافقه فى ذلك عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات والسلوك . (٢) التكملة عن حسن المحاضرة وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٣) التكملة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التواريخ . (٤) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن مكى بن حمزة بن موقا الأنصارى الإسكندرانى التاجر . تقدّمت وفاته سنة ٥٩٩ﻫ . (٥) وقد راجعنا أيضا كنز الدرر ودرر التيجان فلم يكتبا عن الماء القديم شيئا . (٦) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبي والذيل على مرآة الزمان والمنهل الصافى وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك . (٧) هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين فخر الدين بن عساكر . تقدّمت وفاته سنة ٦٢٠ﻫ . (٨) فى الأصلين : « سنة سبع وتسعين » . والتصحيح عن تاريخ الاسلام وعيون التواريخ وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك . (٩) هو القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموى الكنانى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٣٣ﻫ .

وفيهـا تُوفّى الأمير ناصر الدين محمد بن أَيْبَك(١) [بن عبد الله بن] الإسكندرىّ، وكان ممّن جمع بين حسن الصورة وحسن السِّيرة ووفور العقل والرياسـة ومكارم الأخلاق . مات غريقًا ، مرّ بفرسه على جسر جِجر فَزَلِق الفَرَس ووقع به فى النهر وخرج الفرس سباحةً ومات هو . فكأنّ(٢) الجلال بن الصفّار المَـارديِنىّ عناه بقوله :

يأيّهـا الرَّشأ المكحول ناظرُه * بالسِّحر(٣) حَسْبُك قد أحرقتَ أحشائى

إنّ آنغماسـك فى التّيار حقّق أ نّ الشمس تغرُب فى عين من المـاء

أو بقوله أيضا(٤) . وقيل إنهما لأبى إسحاق الشِّيرازىّ(٥) ، والله أعلم :

غريقٌ كأنّ الموتَ رقّ لحُسْنِه * فلان له فى صفحة المـاء جانبُهْ

أَبَى اللهُ أن يسـلُوه قلبى فإنّه * توفّاه فى المـاء الذى أنا شاربُهْ

وفيها تُوفّى الشيخ المُعْتَقد الصالح أبو الفِتْيان أحمد بن علىّ بن إبراهيم(٦) [بن محمد] آبن أبى بكر المَقْدِسىّ(٧) الأصـل البَدوِىّ المعـروف بأبى اللّثامَيْن السطوحىّ(٨) . مولده

---

(١) زيادة عن ذيل مرآة الزمان . (٢) فى الأصلين : « فقال فيه الجلال ... » . وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان . وهو جلال الدين المـارديِنى على بن يوسـف بن شـيبان المعروف بابن الصـفار ، كان كاتب الإنشاء للملك الناصر ناصر الدين أرتق صاحب ماردين . قتـل بيد التتار سـنة ٦٥٨ هـ أى قبل وفاة هـذا المتحدث عنه بسبع عشرة سـنة . وقد قال هذين البيتين فى غلام مليح غرق فى المـاء كما فى المنهـل الصافى وفوات الوفيات . (٣) رواية هـذا المصراع فى فوات الوفيات : * إنى أعيذك من نار بأحشائى * (٤) عبارة الأصـلين : « وقال فيه أيضـا » وفى ذيل مرآة الزمان : « و إيراده بقوله أيضا » . والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٥) هو أبو إسحاق الفيروزابادى الشيرازى إبراهيم بن على بن يوسـف الشافعى . تقدّمت وفاته سنة ٤٧٦ هـ . وقد ذكر المؤلف فى ترجمته أنه قال هذين البيتين فى غريق فى المـاء ، وروايتهما تختلف عما هنا قليلا . (٦) تكملة عن شذرات الذهب والخطط التوفيقية . (٧) كذا فى أحد الأصلين . ولعلها : « الفاسى » لأن مولده كان بفاس من بلاد المغرب . والأصل الآخر لم يترجم له .

(٨) السطوحى : نسبة إلى السطوح لأنه مكث على السطوح مدّة اثنتى عشرة سنة .

سنة ستّ وتسعين وخمسمائة ، وتوفّى فى سنة خمس وسبعين فى شهر ربيع الأوّل ، ودُفِن بطَنْدَتَا(١) وقبره يُقصد للزيارة هناك ، وكان من الأولياء المشهورين ، وسُمّى بأبى اللّثامين لملازمته اللّثامَيْن صيفًا وشتاءً، وكان له كرامات ومناقب جمّة ، رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته .

وفيها تُوُفّى العلّامة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن حَفّاظ السُّلَمِيّ(٢) الحنفىّ المعروف بآبن الفُوَيرة(٣) . مات بدمشق فى يوم السبت حادى عشرين جمادى الأولى وقال الحافظ عبد القادر فى طبقاته : رأيتُ بخط الحافظ الدِّمياطيّ فى مشيخته أنّه توفّى ليلة الجمعة بجأة منتصف شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وستمائة . وكان إماما عالما متبحّرا فى العلوم، درّس

(١) هى المدينة الشهيرة التى تعرف اليوم باسم طنطا قاعدة مديرية الغربية وهى من المدن المصرية القديمة اسمها المصرى «تناسو» والرومى «تانيتاو» وقد وردت فى الكتب العربية بأسماء . «طنتنا» «وطنتنا» «وطنطة» «وطنتدا» «وطندتا» ثم أسقطت الدال للتخفيف فصارت «طنتا» ثم فخمت التاء فصارت «طنطا» وهو اسمها الحالى .

وكانت مدينة المحلة الكبرى قاعدة لإقليم الغربية من أيام الفتح العربى لمصر، فلما عين عباس باشا حلمى الأول مديرا للغربية فى سنة ١٢٤٩ هـ قبل ولايته على مصر سعى لدى جدّه محمد على باشا الكبير لنقل قاعدة المديرية من المحلة الكبرى إلى طنطا فوافقه جدّه على ذلك ، وأصبحت مدينة طنطا قاعدة لمديرية الغربية من سنة ١٢٥٢ هـ = ١٨٣٦ م . وهذه المدينة قد زادت شهرتها من يوم أن دفن بها ولى الله تعالى السيد أحمد البدوى المتوفى سنة ٦٧٥ هـ فان وجود قبره بها كان سببا فى زيادة شهرتها حيث يحتفل فيها سنويا باحياء ذكرى مولده العظيم، ويقصدها خلق كثيرون للتبرك بهذا الولى الذى له فى طنطا ضريح تعلوه قبة عظيمة لاتخلو يوميا من الزائرين. وله جامع من أكبر الجوامع الحافلة بطلبة العلم والمصلين. وإليه ينسب المعهد الدينى الأحمدى .

وطنطا من أكبر مدن مصر وأشهرها ، ومما زاد فى عمارتها وأهميتها التجارية وقوعها فى وسط الوجه البحرى ووجود محطة كبيرة بها تتفرّع منها شبكة من السكك الحديدية المنتشرة فى الوجه البحرى .

(٢) ضبطه صاحب المنهل الصافى والجواهر المضية فى طبقات الحنفية بالعبارة فقالا : بفتح الحاء المهملة وتشديد الفاء) . (٣) ضبطه صاحب الجواهر المضية بالعبارة فقال : (بكسر الراء المهملة . وآشتهر بين الناس بفتح الراء ، كذا قال لى شيخنا قطب الدين) .

بالشّبْلِيّة(١) [بجبل](٢) الصالحيّة وأفتى سنين وبرَع فى الفقه والعربيّة وسمِع الكثير، وكان يكتُب خَطّا حسَنا، وله معرفة أيضا بالأصول والأدب وله نَظْمٌ رائق، وكان رئيسا وعنده ديانة ومُروءة ومكارم أخلاق. ومن شعره [فى مليح شاعر](٣):

وشـاعرٍ يَسْحَرُنى طرفُـه * ورِقّة الألفاظ من شِعْرِه
أنشــدنى نظماً بديعاً فما * أحسَنَ ذاك النظمِ من ثَغْرِه

وله فى معذّر:

عاينتُ حَبّــة(٤) خالِه * فى رَوْضَـةٍ من جُلّنار
فغـدَا فـؤادى طائرًا * فاصطاده شركُ العِذار

وله:

كانتْ دموعىَ حُمْراً يومَ بَيْنهـمُ * فمُذْ نأوا قصّرتهـا لَوْعَةُ الحُرَقِ
قطفتُ باللحظ وردًا من خدودِهُم * فاستقطرَ البعدُ ماء الورد من حَدَقِى

وقيل إنّه رُئِى فى المنام بعد موته فسئل عمّا لَقِى بعد موته فكان جوابه.

ما كان لى من شافعٍ عنده * إلّا اعتقـادى أنّه واحدُ

وفيهـا تُوُفّى الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبـد الوهاب بن منصور الحَرّانىّ الحنبلىّ، كان فقيها إماما عالمـا عارفاً بعلم الأصول والخِلاف والفقه ودرّس

(١) المدرسة الشبلية من أقدم مدارس الحنفية بدمشق بسفح قاسيون بالقرب من جسر توره. أنشأها شبل الدولة كافور الحسامى الرومى طواشى حسام الدين بن لاچين ولدحت الشام سنة ٦٢٦ هـ وقد دفن بها وهى فوق جسر توره من طريق عين الكرش لم يبق منها إلا قطعة يسيرة قاومت صروف الزمان. درس بها عظماء من الفقهاء منهم الصفى السنجارى والشمس ابن الجوزى وابن قاضى آمد وابن الغويرة والبصروى والأذرعى والكاشغرى والطوسى والكفيرى والتركانى والعماد الجيل وابن بشارة وغيرهم. (خطط الشام للأستاذ محمد كرد على ص ٩٣ جـ ٦). (٢) فى الأصلين: «ودرّس بالشبلية وبالصالحية». والتصحيح والزيادة عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ. (٣) زيادة عن عيون التواريخ.
(٤) فى الأصلين: «جنـة خاله». وما أثبتناه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان وشذرات الذهب.

وأفتى وٱشتغل [على الشيخ علم الدين القاسم في الأصول والعربيّة](١) ومات في جُمادى الأولى . ومن شعره قوله :

طار قلبي يوم ساروا فَرَقَا * وسواءٌ فاض دمعي أو رَقَا
حار في سُقْمِيَ من بعدهم * كلّ من في الحيّ دَاوَى أو رَقَى
بعدهم لا طُلَّ وادي المنحنَى * وكذا بانُ الحِمَى لا أورقا

وفيها توفي الأديب الشاعر شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود ابن بركة الشيباني التَّلَّعْفَرِيّ(٢) الشاعر المشهور، مولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالمَوْصِل ، ومات بحَمَاة في شوّال . كان أديبًا فاضلا حافظا للأشعار وأيّام العرب وأخبارها ، وكان يتشيّع ، وكان من شعراء الملك الأشرف موسى شاه أَرْمن ، وكان التَّلَّعْفَرِيّ هذا مع تقدّمه في الأدب وبراعته ٱبْتُلِي بالقِمار ، و وقع له بسبب القِمار أُمور منها : أنه نُودِي بحلب من قِبَل السلطان : من قَامَرَ مع الشّهاب التَّلَّعْفَرِيّ قطعنا يده ، فضاقت عليه الأرض ، فجاء إلى دِمَشق ولم يزل يَسْتَجْدِي و يُقَامِر حتى بقي في أُتُون من الفقر .

قلت : وديوان شعره لطيفٌ في غاية الحسن وهو موجود بأيدي الناس . ومن شعره قصيدته المشهورة :

أيّ دمع من الجفون أَسَالَهْ * إذ أتتْه مع النسيم رِسالَهْ
حَمَّلتْه الرياحُ أسرارَ عَرْفٍ * أودعتْها السحائبَ الهطّالَهْ
ياخليلي وللخليلِ حُقوقٌ * واجباتُ الأداء(٣) في كلّ حالَهْ

---

(١) زيادة عن تاريخ الاسلام وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ . (٢) التلعفرى (بفتح أوّله واللام المشدّدة والفاء وسكون المهملة وراء) : نسبة الى التل الأعفر ، موضع بنواحى الموصل (عن شذرات الذهب) . وضبطه صاحب لب اللباب بفتح التاء واللام المخففة) . (٣) في الأصلين والمنهل الصافي وفوات الوفيات : « واجبات الأحوال ... الخ » . وما أثبتناه عن ديوانه المطبوع في بيروت .

سَلْ عقيقَ الحمى وقل إذ تراه * خاليًا من ظبائه المختاله
أين تلك المَراشِفُ العسلِيّـ * ـاتُ وتلك المعاطفُ العسّاله
وليالٍ قضيتُها كلآلٍ * بغزالٍ تغارُ منه الغزاله
بابليّ الألحاظ والريقِ والألـ * ـفاظ كلّ مدامةٍ سلساله
من بني التُّرْك كلما جذبَ القو * سَ رأينا في بُرْجِه بدر هاله(1)
أوقعَ الوهمَ حين يَرْمي فلم نَد * رِ يداه أم عينُه النبّاله(2)
قلتُ لما لَوَى ديونَ وِصَالي * وهو مُثْرٍ وقادرٌ لا محاله
بيننا الشرعُ قال سِرْ بي فعندي * من صفاتي لكلّ دَعْوى دلاله
وشهودي من خال خدّي و[من] قَد(3) * دِي شهودٌ معروفةٌ بالعداله
أنا وكلتُ مُقلتي في دم الخلـ * ـقِ فقالتْ(4) قبلت هذي الوكاله

وله موشّحة مدح بها شهاب الدين الأعزازيّ(5)، ثم وقع بينهما وتهاجيا. وأوّل الموشّحة :

ليس يُرْوِي(6) ما بقلبي من ظَمَا * غيرُ برقٍ لائحٍ من إضَمِ
* إن تبدّى لك بانُ الأجرعِ *
* وأُثَيْلاتُ النَّقا من لَعْلَعِ *

---

(1) كذا في الأصلين والمنهل الصافي . ورواية ديوانه : * س رأينا في كفه بدرهاله *
(2) هذه رواية الديوان . ورواية الأصلين والمنهل الصافي :
يقطع الوهم حين يرمي ولا تد * ري يداه أو عينه النباله
(3) التكملة عن الديوان وفوات الوفيات . (4) في الأصلين : « فقال » . وما أثبتناه عن ديوانه وفوات الوفيات والمنهل الصافي . (5) هو شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز العزازي الأديب الشاعر . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧١٠ هـ .
(6) كذا في ديوانه وفوات الوفيات . وفي الأصلين : « كيف يروي ... الخ » .

* يا خَلِيلى قِفْ على الدّار مَعِى *
* وتأمّلْ كم بهـا من مَصْرَعِ *
وآحترزْ وآحذرْ فأحداق الدُّمَى * كم أراقت فى رُباها من دمِ
* حظّ قلبى فى الغـرام الوَلَهُ *
* فعـذولى فيـك مالى ولَهُ (١) *
* حسبِيَ (٢) الليـلُ فمـا أطولَهُ *
* لم يـزل آخـرُه أوّلَهُ *
فى هوى أهيفَ معسولِ اللَّمَى * ريقـه كم قـد شفَى من ألم (٣)

وله فى القِمار :

ينشَرِح الصـدرُ لمَنْ لاعَبَنِى * والأرضُ بى ضـيّقةٌ فُرُوجُهـا
كم شوّشت شيوشُها (٤) عقلى وكم * عهـدًا سـقتنى عامدًا بنوجُها

ومن شعره وأجاد ، عفا الله عنه :

أُحبّ الصالحين ولستُ منهم * رجاءً أن أنال بهـم شـفاعَهْ
وأُبغِض من به أثرُ المعـاصى * وإن كنّا سـواءً فى البِضاعَهْ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى القاضى شمس الدين علىّ بن محمود الشَّهْرُزُورِىّ مدرّس القَيْمُرِيّة فى شوّال. والشيخ قطب الدين أحمد بن عبد السلام [بن المطهر (٥) بن عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علىّ] بن أبى عَصْرُون بحلب

---

(١) فى الأصلين : «فعذولى فى الهوى ... الخ» . والتصحيح عن عيون التواريخ .
(٢) رواية هذا المصراع فى الأصلين : * حتى الليل على ما أطوله * والتصحيح عن ديوانه وفوات الوفيات .
(٣) والموشحة أكثر من هـذا كما فى ديوانه وفوات الوفيات والمنهل الصافى .
(٤) فى الأصلين : «شهوتها» . وفى الذيل على مرآة الزمان هكذا «شتوشها» والسياق يقتضى ما أثبتناه .
(٥) التكملة عن ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام والمنهل الصافى والسلوك .

فى جُمادى الآخرة . والإمام شمس الدين محمد بن عبد الوهّاب بن منصور الحَرّانِىّ الحنبلىّ فى جُمادى الأولى . والشهاب محمد بن يوسف بن مسعود التَّلَّعْفَرِىّ الشاعر بحَمَاة فى شوّال، وله ثلاث وثمانون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وثلاث عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .(١)

---

(١) الى هنا انتهى الجزء الثالث من تجزئة المؤلف وها هى صورة ماجاء فى آخر الأصل الفتوغرافى المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بمكتبة أياصوفيا بالآستانة :

« انتهى الجزء الثالث من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة على يد الفقير إلى الله تعالى الراجى عفو ربه الغنى محمد بن عبد العزيز البلقينى الشافعى ، غفرالله له ولمالكه ولمؤلفه ولمن نظر فيه ودعا لهم بالمغفرة وجميع المسلمين . وكان الفراغ من ذلك فى اليوم المبارك العشرين من شهر ذى الحجة الحرام عام خمس وثمانين وثمانمائة .

يتلوه الجزء الرابع من أوّل ترجمة الملك السعيد ناصر الدين أبى المعالى محمد المعروف ببركة خان . إن شاء الله تعالى . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين » .

وصورة ماجاء فى آخر الأصل الفتوغرافى المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس :

« انتهى الجزء الثالث من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة على يد كاتبه علىّ المرزوقى فى خامس عشرين شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وستين وثمانمائة . نقلت من نسخة بخط المؤلف . فسح الله فى مدّته وأسكنه فسيح جنته بمحمد وآله وصحبه وعترته آمين » .

وورد فى آخره أيضا — بعد العبارة المتقدّمة — ذكر ما اشتمل عليه هذا الجزء من ملوك مصر : فأوّلهم الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد العبيدى الفاطمى أحد خلفاء الفاطميين ، ثم من بعده ولى الظافر بالله أبو منصور إسماعيل العبيدى الفاطمى ، ثم من بعده الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى بن الظافر العبيدى الفاطمى ، ثم من بعده العاضد بالله أبو محمد عبد الله ابن الأمير يوسف ابن الخليفة الحافظ بالله عبد المجيد المقدم ذكره . والعاضد هذا هو آخر خلفاء بنى عبيد بمصر وانقرض بموته دولة الرفض ولله الحمد . وملكت بنو أيوب الديار المصرية ، وأوّلهم : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم من بعده ولده الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ، ثم من بعده ولده الملك المنصور محمد وقيل أخوه الأفضل والأول أصح ، ثم من بعده عمه الملك العادل الكبير أبو بكر محمد بن أيوب إلى أن مات ، ثم من بعده الملك الكامل محمد ناصر الدين أبو المعالى محمد إلى أن مات ، ثم من بعده ولده الملك العادل الصغير أبو بكر محمد بن الكامل إلى أن خلع من الملك ، فتولى من بعده أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد إلى أن مات ، ثم من بعده ابنه الملك المعظم توران شاه مدة يسيرة وخلع ، وتولت =

ذكر ولاية(١) السلطان الملك السعيد محمد ابن الملك الظاهر بيبرس على مصر

هو السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد المدعو بركة خان ابن السلطان الملك الظاهر بيبرس البُنْدُقْدارِى الصالحى النَّجْمِى، الخامس من ملوك التُّرك بمصر. سُمّى بركة خان على اسم جدّه لأمّه بركة خان(٢) بن دولة خان الخُوارَزمِى.

تسلطن الملك السعيد هذا فى حياة والده حسب ما ذكرناه فى ترجمة والده فى يوم الخميس ثالث(٣) عشر شوّال سنة اثنتين وستّين وستمائة. وأقام على ذلك سنين، وليس له من السلطنة إلّا مجرّد الاسم، إلى أن تُوفّى أبوه الملك الظاهر بيبرس فى يوم الخميس بعد صلاة الظهر التاسع والعشرين من المحرّم من سنة ستّ وسبعين وستمائة بدِمَشْق. اتفق رأى الأمراء [على](٤) إخفاء موت الظاهر، وكتب الأمير بيليك الخازِندار عرّف الملك السعيد هذا بذلك على يد الأمير بدر الدين بكتوت

= بعده شجرة الدرّ أم خليل جارية الملك الصالح نجم الدين أيوب وأم ولده خليل أشهرا، ثم من بعدها الملك المعز أيبك الصالحى التركمانى أول ملوك الترك بالديار المصرية إلى أن مات قتيلا، ثم من بعده ابنه الملك المنصور على بن أيبك مدّة الى أن خلع، ثم من بعده الملك المظفر قطز المعزى الى أن قتل، وتولى الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى أحد البحرية، الى أن مات رحمه الله. انتهى ملوك هذا الجزء ولله الحمد.

(١) هذا ابتداء النصف الأوّل من الجزء الرابع من تجزئة المؤلف وأوّله: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم». (٢) سيذكر المؤلف وفاته فى هذه الترجمة.

(٣) فى الأصلين: «فى يوم الخميس تاسع صفر سنة سبع وستين وستمائة» وقد ذكر المؤلف ذلك أيضا فى ترجمة الملك الظاهر عند ذكره لتوليته السلطان الملك السعيد هذا ص ١٤٤ من هذا الجزء. والصواب ما أثبتناه هنا نقلا عن السلوك ونهاية الأرب والذهبى والجوهر الثمين وما يفهم من عبارة المؤلف نفسه فى المنهل الصافى. (٤) تكملة يقتضيها السياق.

الجُوكَنْدار الحَمَــوِىّ ، وعلى يد الأمير علاء الدين أَيْدُغْمُش[١] الحَكِيمىّ الجاشْــنِكِير . فلمّا بلَغ الملك السعيدَ موتُ والده الملك الظاهر أخفاه أيضًا ، وخلَع عليهما وأعطى كلّ واحد منهما خمسين ألف دِرهم[٢] ، على أنّ ذلك بِشارةٌ بعَوْد الســلطان إلى الديار المصريّة . وسافرت العساكر من دِمَشْــق إلى جهــة الديار المصريّة فدخلوها يوم الخميس سادس عشرين صفر من سنة ستّ وسبعين وستمــائة ، ومقــدَّمُهم الأمير بدر الدين بِيلِيك الخازِندار، ودخلوا مصر وهم يُخْفُون موت الملك الظاهر فى الصورة الظاهرة ، وفى صدر المَوْكِب مكانَ تَسْـيِير السلطان تحت العصائب[٣] ، مِحَفَّةٌ وراءها السِّلَحْدَارِية[٤] والجَمَــدارِيّة[٥] وغيرُهم من أرباب الوظائف تُوهِم أنّ الســلطان فى المِحفّة مريض ، هــذا مع عمل جِدّ فى إظهار ناموس السلطنة والحُرْمة للمِحفّة والتأدُّب مع مَن فيها حتى تمّ لهم ذلك .

قلتُ : لله درّهم من أمراء وحاشــية ! ولو كان ذلك فى عصرنا هــذا ما قدر الأمراء على إخفاء ذلك من الظهر إلى العصر .

ولـمّـا وصلوا إلى قلعــة الجبل ، ترجّل الأمراءُ والعساكر بين يدى المِحَفّة ، كما كانت العادة فى الطريق فى كل منزلة من حين خروجهم من دمشق إلى أن وصلوا إلى قلعــة الجبل من باب السرّ ، وعند دخولها إلى القلعة اجتمع الأمير بدر الدين بِيلِيك الخازِندار بالملك السعيد هــذا ، وكان الملك الســعيد لم يركب لتلقّيهم ، وقبّل الأرض ورَمَى بعمامته ثم صرَخ ، وقام العَزَاء فى جميع القلعة ، ولوقتهم جمعوا الأمراء

(١) فى نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ١١٧) : « أيدغمش الحكمى » . (٢) فى نهاية الأرب : « وأنعم على كل منهما بخمسة آلاف درهم » . (٣) العصائب : معناها الأعلام ، جمع عصابة وهى راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه (صبح الأعشى ج ٤ ص ٨) . (٤) راجع ص ١٨٤ من هذا الجزء . (٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥ من هذا الجزء

والمقدّمين والجند وحلّفوهم بالإيوان المجاور لجامع القلعة[١] للملك السعيد، وآستثبت له الأمر على هـذه الصورة ، وخُطِب له يوم الجمعـة [سابع عشرين صفر][٢] بجوامع القاهرة ومصر، وصُلّى على والده صلاة الغائب .

ومولد الملك السعيد هـذا فى صفر سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة ؛ وقيل : سنة سبع وخمســين بالعُشّ[٣] من ضواحى مصر ، ونشأ بديار مصر تحت كَنَف والده إلى أن سلطنه فى حياته ؛ كما تقدّم ذكره .

وأمّا الأمير بدر الدين بيلِيك الخازِندار فإنّه لم تَطُل مدّته ، ومات فى ليلة الأحد سابع شهر ربيع الأوّل . وخَلَع الملك السعيد على الأمير شمس الدين آق سُنْقُر الفارِقَانِىّ بنيابة السلطنة عِوَضًا عن بيلِيك الخازِنْدار المذكور .

وفى سادس عشر شهر ربيع الأوّل [يوم الأربعاء][٢] ركب السلطان الملك السعيد من القلعة تحت العَصَائب على عادة والده وسار إلى تحت الجبل الأحمر[٤]، وهذا أوّل ركوبه بعد قدوم العسكر، ثم عاد وشقّ القاهرة وسُرّ الناس به سرورًا زائدا، وكان

---

(١) راجع الحاشـية رقم ٢ ص ١٩٠ من هذا الجزء . (٢) زيادة عن السـلوك .

(٣) العش : بالبحث تبين لى أن ناحيـة العش قرية واقعـة فى منتصف الطريق ما بين القـاهرة وبلبيس ، وكانت بهذا الاسم قديمـا . وفى الروك الناصرى (فك الزمام) الذى عمل سنة ٧١٥هـ. سميت منية الرخا حيث وردت فى التحفة السنية لابن الجيعان باسم منية الرخا المجاورة لشبين القصر من الأعمال القليوبية . وفى العهـد العثمانى عرفت شبين القصر باسم شبين القناطر بسبب القناطر التى أنشئت قديمـا على ترعة الشرقاوية المـارّة بجوارها كما عرفت منية الرخا باسم منيـة شبين لمجاورتها لهـا . ولا يزال اسم هذه القرية القديم وهو العش يطلق على الحوض رقم ٣ المجاور لسكن منية شبين . ومن هـذا يتضح أن ناحية العش هى القرية التى تعرف اليوم باسم منية شبين إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية .

(٤) الجبل الأحمر ، ورد فى الجزء الأوّل من الخطط المقريزية (ص ١٢٥) أن هذا الجبل مطل على القاهرة من شرقيها الشمالى ويعرف باليحموم أى الجبل الأسود المظلم ، ثم قال : واليحاميم الجبال المنفرقة المطلة على القاهرة من الجهة الشرقية ، وقيل لها اليحاميم لاختلاف ألوانها .

وأقول : إن الجبل الأحمر هـذا لا يزال معروفا إلى اليوم بهـذا الاسم ، وحجارته ورمله لونهما أحمر اكن ، وهو واقع فى شمال جبل المقطم ويشرف على الفضاء الواقع شرقى باب النصر من القاهرة وعلى =

عمره يومئذ تسع عشرة سـنة ، وطلَع القلعة وأقام إلى يوم الجمعـة خامس عشرين[1] شهـر ربيع الأوّل المذكور قَبَض على الأمير سُنْقُر الأشـقر وعلى الأمير بدر الدين بَيْسِرى وحبسهما بقلعة الجبل . ثم فى يوم السبت ثامن عشر شهـر ربيع الآخر قَبَض الملك السعيد على الأمير آق سُنْقُر الفارِقانِىّ نائب السلطنة بديار مصر المقدّم ذكره. ثم فى تاسـع عشر الشهر المـذكور أفرج الملك السـعيد عن الأمير سُـنْقُر الأشقر و بيسرى وخلَع عليهما وأعادهما إلى مكانتهما .

وفى يوم الاثنين رابع جُمادى الأولى فُتِحت المدرسة[2] التى أنشأها الأمير آق سُنْقُر الفارَقانِىّ المجـاورة للوزيريّة[3] بالقاهرة وجعل شـيخها على مذهب أبى حنيفـة رضى الله عنه .

وفى يوم الجمعة [رابع عشر جُمادى الآخرة[4]] قَبَض الملك السعيد على خاله الأمير بدر الدين محمد ابن الأمير حسام الدين بركة خان الخُوَارَزْمِىّ وحبسه بقلعة الجبل لأمْرٍ

= الجبانة المستجدّة باسم جبانة العباسية التى تسميها العـامة قرافة الغفير التى يتوسطها قبة السلطان أبى سعيد قنصوه الأشرفى ، و يشرف هـذا الجبل أيضا على مقابر المماليك التى يسمونهـا خطأ مقابر الخلفاء فى حين لا يوجد بينها قبر لأى خليفة من الخلفاء ، ومن هذه المقابر مدرسـة وتربة السلطان إينـال وخانقاه وتربة السلطان برقوق وتربة السلطان برسباى وغيرها من مقابر المماليك كما ذكرت .

(١) فى عيون التواريخ : « وفى تاسع عشر شهر ربيع الأول قبض الملك السعيد على الأميرين سنقر وبدر الدين بيسرى » . (٢) مدرسة الأمير آق سنقر الفارقانى، لمـا تكلم المقريزى (فى ج ٢ ص ٣٦٩) من خططه على المدرسة الفارقانية قال : إن هذه المدرسة بابها شارع فى سويقة حارة الوزيرية من القاهرة ، أنشأها الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانى السلاحدار ، وفتحت يوم ٤ جمادى الأولى سنة ٦٧٦ هـ ، وبهـا دروس للشافعية والحنفية .

وأقول : إن هذه المدرسـة لا تزال موجودة إلى اليوم بشارع درب سعادة على رأس سكة النبوية بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة ، وتعرف الآن باسم جامع محمد أغا أو جامع الحبشلى نسبة إلى محمد أغا الحبشلى الذى كان كتخدا مستحفظان بمصر ، وجدّد هذا المسجد فى سنة ١٠٨٠ هـ ، فعرف باسمه من ذاك الوقت . وقد عرف محمد أغا المذكور بالحبشلى لأنه كان يتاجر فى بنـات الحبش . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٥١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٤) زيادة عن عيون التواريخ .

نقمه عليه، ثم أفرج عنه فى ليلة خامس عشرينه[(١)]، وخلع عليه وأعاده إلى منزلته.

وكان الملك السعيد هذا أمر[(٢)] ببناء مدرسة لدفن أبيه فيها، حسب ما أوصى به والده، فنقل تابوت الملك الظاهر بيبرس فى ليلة الجمعة خامس شهر رجب من قلعة دمشق إلى التربة المذكورة بدمشق داخل باب الفرج قبالة المدرسة العادلية[(٣)]، والتربة المذكورة كانت دار الشريف العقيق[(٤)] فاشتريت وهدمت، وبنى موضع بابها قبة الدفن وفتح لها شبابيك على الطريق وجعل بقية الدار مدرسة على فريقين: حنفية وشافعية. وكان دفنه بها فى نصف الليل ولم يحضره سوى الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب الشام، ومن الخواص دون العشرة لا غير.

ثم وقع الاهتمام إلى السفر للبلاد الشامية وتجهز السلطان والعساكر. فلما كان يوم السبت سابع ذى القعدة برز الملك السعيد بالعساكر من قلعة الجبل إلى مسجد

(١) فى عيون التواريخ: «وفى ثالث عشرين منه أفرج عنه». (٢) راجع آخر ترجمة الظاهر بيبرس. وفى عيون التواريخ: «أن الظاهر أوصى أن يدفن على الطريق السابلة قريبا من داريا وأن يبنى عليه هناك. فرأى ولده الملك السعيد أن يدفنه داخل السور فابتاع له دار العقيق (راجع عيون التواريخ فى ترجمة الملك الظاهر بيبرس). (٣) المدرسة العادلية: تجاه باب الظاهرية يفصل بينهما الطريق المؤدى إلى باب البريد، بدأ بانشائها نور الدين محمود بن زنكى ولم تتم، ثم عمل فيها العادل سيف الدين ولم تتم أيضا، ثم ولده الملك المعظم عيسى ووقف عليها الأوقاف ونسبها لوالده الذى دفن فيها سنة ٦١٩ هـ وكانت أعظم المدارس الشافعية بدمشق.

وفيها وضع المقدسى تاريخه الروضتين سنة ٦١٢ وفيها عمل ابن خلكان تاريخه المشهور. ودرس بها ابن مالك النحوى وابن جماعة وفيها نزل ابن خلدون فى أوائل المائة التاسعة، وفى القرن الثانى عشر كانت مسكن الشهاب أحمد المنينى صاحب التآليف المشهورة. وفى سنة ١٩١٩ م أخذها المجمع العلمى العربى وجعلها مقره ورممها بما يقربها من الأصل وجعل قسما منها متحفا للآثار الاسلامية. (خطط الشام لكرد على جـ ٦ ص ٨٤ — ٨٥).

(٤) الشريف العقيق هو أحمد بن الحسين بن احمد بن على العلوى صاحب الدار المشهورة بدمشق تقدمت وفاته سنة ٣٧٨ هـ. وكانت الدار قد انتقلت إلى ملك الأمير قايماز الدين أقطاى المستعرب الأتابك فاشتريت من ورثته وهدمت وبنى موضع بابها قبة الدفن كما فى الأصل. وانظر الذيل على مرآة الزمان ورقة ٩٦، وعيون التواريخ.

التّبن[(١)] خارج القاهرة فأقام به إلى يوم السبت حادى عشرينه، انتقل بخواصّه إلى المَيْدان[(٢)] الذى أنشاه بين مصر والقاهرة، ودخلت العساكر إلى منازلهم، وبطَلَت حركة السفر بعد أن أعاد قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خِلِّكان إلى قضاء دِمَشق وأعمالها من العَرِيش الى سَلَمْيَة، وتوجّه ابن خلكان إلى الشام، وطلع الملك السعيد إلى قلعة الجبل وأبطل حركة السفر بالكليّة إلى وقت يريده حسب ما وقع الاتفاق عليه، واستمرّ بالقلعة إلى أن أمر العساكر بالتأهب إلى السفر وتجهّز هو أيضا لأمرٍ اقتضى ذلك.

وخرج من الديار المصريّة فى العشر الأوسط من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين وستمائة وخرج من القاهرة بعساكره وأمرائه، وسار حتى وصل إلى الشام فى خامس ذى الحجّة، فخرج أهلُ دِمَشْق إلى ملتقاه وزيّنوا له البلد وسُرُّوا بقدومه سرورًا زائدًا. وعَمِل عيد النَّحْر بقلعة دمشق وصلّى العيد بالمَيْدان الأخضر.

وورد عليه الخبر بموت الصاحب بهاء الدين على[(٣)] بن محمد بن سليم بن حِنّا بالقاهرة، فقَبَض السلطان على حفيده الصاحب تاج الدين محمد[(٤)]، وضرب الحَوْطة على موجوده بسبب موت جَدّه الصاحب بهاء الدين المذكور.

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٩٦ من هذا الجزء. (٢) ميدان الملك السعيد محمد بركة خان بين مصر والقاهرة. لم يذكر أصحاب الخطط ميدانا معينا باسم الملك السعيد محمد بركة خان، وبما أن المؤلف ذكر أن هذا الميدان كان واقعا بين مصر والقاهرة، فأرجح أن هذا الميدان هو بذاته ميدان القرافة الذى ذكره المقريزى فى (ص ٤٤٣ ج ٢) من خططه عند الكلام على القرافة حيث قال: وكان ما بين قبة الامام الشافعى رحمه الله وبين باب القرافة ميدانا واحدا تتسابق فيه الأمراء والأجناد، ويجتمع الناس هنالك للتفرّج على السباق. وفى أوائل القرن الثامن الهجرى أحدث أمراء دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون الترب بأرض هذا الميدان. يضاف إلى ذلك أن هذه المنطقة وردت عند ذكر بعض الأماكن الواردة فى الخطط المقريزية بوصف أنها كانت بين مصر والقاهرة. ومن هذا يتبين أن ميدان القرافة المذكور هو ميدان بركة خان الذى يقصده المؤلف. (٣) فى الأصلين: «بهاء الدين محمد بن على». والتصويب عن تاريخ الإسلام والسلوك ونهاية الأرب. (٤) هو تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن بهاء الدين على. سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٠٧ هـ.

ثم أرسل السلطان الملك السعيد إلى بُرْهان الدين الخَضِر بن الحسن السِّنْجارِىّ (١) بآستقراره وزيرًا بالديار المصرية ثم خَلَع السلطان على الصاحب فتح الدين عبد الله [آبن محمد بن أحمد بن خالد بن نصر] (٢) بن القَيْسَرانِىّ بوزارة دمشق، وبسط يده فى بلاد الشام وأمر القضاة وغيرهم بالركوب معه .

ثم جهّز السلطان العساكر إلى بلاد سِيس للنّهب والإغارة (٣)، ومقدّمُهم الأمير سيف الدين قلاوون الألْفِىّ . وأقام الملك السعيد بدِمَشْق فى نَفَرٍ يسيرٍ من الأمراء والخواصّ، فصار فى غَيْبة العسكر يُكثِر التردّد الى الربعية (٤) من قرى المَرْج يُقيم فيها أيّاما ثمّ يعود . ثم أسقط السلطان ما كان قرّره والده الملك الظاهر على بساتين دِمَشْق فى كلّ سنة، فسُرّ الناس بذلك وتضاعفت أدعيَتُهم له وآستمرّ السلطان بدِمَشْق إلى أن وقع الخُلْف فى العَشْر الأوسط من شهر ربيع الأوّل من سنة ثمانٍ وسبعين بين المماليك الخاصّكِيّة الملازِمين لخدمته وبين الأمراء لأمورٍ (٥) يطول شرحها .

---

(١) فى الأصلين : « بهاء الدين الخضر » . وتصحيحه عن السلوك ونهاية الأرب والمنهل الصافى وعيون التواريخ وشذرات الذهب . فى حوادث سنة ٦٨٦ هـ وهى سنة وفاته .

(٢) تكملة عن المنهل الصافى وشذرات الذهب وما سيذكره المؤلف فى وفاته سنة ٧٠٣ هـ .

(٣) لما آستقر ركاب السلطان بدمشق رسم بتفريق عساكره للتمكن من التدبير عليهم وقرر الخاصكية معه القبض عليهم عند عودهم وأخذ إقطاعاتهم وموجودهم وعينوا خبز كل واحد منهم لواحد منهم، هذا والأمير سيف الدين كوندك مطلع عليهم فأرسل إلى الأميرين بدر الدين بيسرى وسيف الدين قلاوون سرا فعرفهما بما اتفقت الخاصكية عليه (انظر عقد الجمان للعينى وعيون التواريخ فى حوادث سنة ٦٧٧ هـ) .

(٤) فى الذيل على مرآة الزمان : « الزنبقية » .

(٥) ذكر فى نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ١٢٥) وعقد الجمان وعيون التواريخ والنهج السديد سبب هذه الفتنه هو أن الملك السعيد أكثر من الإنعام على الخاصكية وأوسع فى العطاء لهم فاتفق أنه أنعم على بعضهم بألف دينار فتوقف النائب فى إمضاء المرسوم فاجتمع المنعم عليه ببقية خشداشيته وعرفهم فاجتمعوا وحضروا الى الأمير سيف الدين كوندك ودخلوا الى السلطان وصمموا على عزله فأجابهم إلى ذلك فخرجوا اليه ليوقعوا به و يقبضوا عليه و يقتلوه، وكان ذلك بحضور الأمير شمس الدين سنقر الأشقر فمنعهم من ذلك ثم خرج مغاضبا للملك السعيد مع أربعمائة مملوك من الظاهرية للانضمام إلى الأمير سيف الدين قلاوون وصحبه العائدين من الغزو.

وعَجَز الملك السعيد عن تلافى ذلك، وخرج عن طاعته الأميرُ سيف الدين كُوُنْدَك(١) الظاهرىّ نائب السلطنة ومقدّم العساكر مُغاضباً للسلطان الملك السعيد، وخرج معه نحو أربعمائة مملوك من الظاهريّة : منهم جماعة كثيرة مشهورة بالشجاعة ونزلوا بمنزلة القُطَيِّفة(٢) فى آنتظار العساكر التى ببلاد سِيس ففى العشر الأخير من شهر ربيع الأوّل عادت العساكر من بلاد سِيس إلى جهة دِمَشْق فنزلوا بمَرْج عَذْراء(٣) إلى القُصَيْر(٤) ؛ وكان قد آتّصل بهم سيف الدين كُوُنْدَك ومَنْ معه وآستمالوهم فلم يدخل العسكر دِمَشق ، وأرسلوا إلى الملك السعيد فى معنى الخُلْف الذى حصل بين الطائفتين، وكان كُوُنْدَك مائلاً إلى الأمير بَيْسَرى . ولمّا آجتمع بالأمير سيف الدين قلاوون الألفى والأمير بدر الدين بَيْسَرى والأمراء الكبار أوحى إليهم عن السلطان ماغلّت صدورهم، وخوّفهم من الخاصّكيّة وعرّفهم أنّ نيّتهم لهم غير جميلة، وأنّ الملك السعيد موافقٌ على ذلك وأ كثَرَ من القول المختَلَق ؛ فوقع الكلام بين الأمراء الكبار وبين السلطان الملك السعيد ، وتردّدت الرُّسل بينهم ، فكان من جملة ما آقترح الأمراءُ على الملك السعيد إبعادُ الخاصّكيّة عنه، وألّا يكون لهم فى الدولة تدبيرٌ ولا حديث، بل يكونوا على أخبازهم ووظائفهم مُقيمين ؛ فلم يُجب الملك السعيد إلى ذلك؛ فرحل العسكر من مَرْج عَذراء إلى ذَيْل عَقَبة الشُّحُورَة(٥) بأسرهم ولم يعبُروا المدينة بل جعلوا طريقهم من المَرْج، وأقاموا بهذه المنزلة ثلاثة أيام، والرُّسل تتردّد بينهم وبين

(١) ضبطنا هــذا الأسم بالقلم كما ضبطه صاحب عقد الجمان . وفى كتاب سلاطين المماليك (ص ١٥٤) ضبط بالقلم (بفتح الكاف وضم الواو وسكون النون وضم الدال) .

(٢) القطيفة : قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق فى طرف البرية من حمص (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) عذراء : قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة ، وإليها ينسب مرج (عذراء) وإذا انحدرت من ثنيــة العقاب وأشرفت على الغوطة فتأملت على يسارك رأيتهـا أوّل قرية تلى الجبــل وبها منارة . (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٤) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٥٨ من هذا الجزء .

(٥) راجع الحاشية رقم ٨ ص ١٢١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

الملك السعيد ؛ ثم رَحلوا ونزلوا بمَرْج الصُّفَّر(١) وعند رحيلهم رجع الأمير عِزّ الدين أَيْدَمُر الظاهرى نائب الشام وأكثرُ عسكر دِمَشق ، وقدموا مدينة دِمَشق ودخلوا فى طاعة السلطان . وفى يوم رحيلهم من مَرْج الصُّفَّر سَيّر الملك السعيد والدته بنت بركة خان فى مِحَفّــة وفى خدمتهــا الأمير شمس الدين قَرَاسُنْقُر ، وكان من الذين لم يتوجّهوا إلى بلاد سِيس ولحِقوا العسكر ؛ فلمّا سمِعوا بوصولها خرج الأمراء الأكابر المقدّمون لملتقاها ، وترجّلوا بأجمعهم وقبّلوا الأرض أمام المِحَفّــة ، وبَسَطُوا الحرير العَتّابى(٢) وغيره تحت حوافر بِغال المِحَفّة ومشَوْا أمام المِحَفّة حتى نزلت فى المنزلة ، فلمّا آستقرّت بها تحدّثت معهم فى الصلح والآنقياد وآجتماع الكلمة ، فذكروا ما بلغهم من تغيّر السلطان عليهم ، وموافقته الخاصّكيّة على ما يرومونه من إمساكهم وإبعادهم ؛ فحلَفتْ لهم على بُطلان ما نُقِل إليهم ، فآشترطوا شروطا كثــيرة آلتزمتْ لهم بهــا ، وعادت إلى ولدها وعرّفته الصــورة ؛ فمنعه مَن حوله من الخاصّكيّة من الدخول تحت تلك الشروط ، وقالوا : ما القصد إلّا إبعادنا عنك حتّى يتمكنوا منك ويَنْزِعُوك من الملك ، فمال إلى كلامهــم وأَبَى قبول تلك الشروط .

فلمّــا بلغ العسكرَ ذلك رحل من مَرْج الصُّفَّر قاصــدًا الديار المصريّة ؛ فخرج السلطان الملك السعيد بنفسه فيمن معــه من الخاصّكيّة جريدةً ، وساق فى طلبهم ليتلافى الأمر إلى أن بلغ رأس المــاء(٣) ، فوجدهم قــد عَدَّوْه وأبعدوا ، فعاد من يومه ودخل قلعة دِمَشق فى الليــل وهى ليلة الخميس سَلْخ شهــر ربيع الأوّل ســنة ثمانٍ وسبعين وستمــائة . وأصبح فى يوم الجمعة مستهلّ شهر ربيع الآخر خرج السلطان

(١) انظر الحاشية رقم ٨ ص ١٤٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) الحرير العتــابى : كلمة تطلق على صنف من قمــاش مخطط بحمرة وصــفرة . راجع كترمير أول ص ٢٤١ . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

الملك السعيد بجميع من تخلّف معه من العساكر المصريّة والشاميّـة إلى جهة الديار المصريّة بعـد أن صلّى الجمعة بها، وسار بمن معه فى طلب العساكر المقدّم ذكرهم، وجهّز والدته وخزائنـه إلى الكَرَك؛ وسار حتّى وصـل إلى بُلْبَيْس يوم الجمعـة خامس عشر شهـر ربيع الآخر المذكور، فوجد العسكر قـد سبقه إلى القـاهرة؛ فأمر بالرحيل من بُلْبَيْس؛ فلمّا أخذت العساكر فى الرحيل من بُلْبَيْس بعـد العصر فارق الأمير عزّ الدين أَيْدَمُر الظـاهرىّ نائبُ الشام وصحبتُه أكثرُ أمراء دمشق السلطانَ الملكَ السـعيد، وانضاف إلى المصريّين، وبلغ الملكَ السـعيدَ ذلك فلم يَكْتَرِث؛ وركب بمن بَقِىَ معه من خواصّه وعساكره وسار بهم حتّى وصل ظاهر القاهرة؛ وكان نائبُـه بالديار المصريّة الأميرَ عزّ الدين أَيْبَك الأفرم، وهو بقلعة الجبل والعساكر مُحْدِقة بها، فتقدّم الملك السعيد بمَنْ معـه لقتال العساكر، وكان الذى بقِىَ مع السلطان الملك السعيد جمـاعة قليلة بالنسبة إلى من يقاتلونه، ووقع المصافّ بينهم وتقاتلوا فحمَلَ الأميرُ علم الدين سَنْجَر الحلبىّ من جهة الملك السعيد وشقّ الأطلاب ودخل إلى قلعة الجبل بعد أن قُتِل من الفريقين نفرٌ يسير، وملَك القلعة وشال علَمَ السلطان، ثم نزل وفتح للملك السعيد طريقًا وطلَع به إلى القلعة.

وأمّا سُنْقُر الأشقر فإنّه بَقِىَ فى المطرِيّة(١) وحده وصار لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. ولـمّا طلع السلطان إليها أحاطت العساكر بها وحاصروها وقاتلوا مَنْ بها قتالاً شديدا

---

(١) المطرية: هى من القرى المصرية القديمة وردت فى معجم البلدان لياقوت حيث قال: إنها من قرى مصر وبأرضهـا يزرع شجر البلسان يستخرج منـه نوع من الدهن الطبى، ووردت المطرية فى كتاب التحفة السنية لابن الجيعان بأنها من ضواحى مصر. وفى الخطط المقريزية باسم منية مطر.

وأقول: إن المطرية هذه لا تزال موجودة فى الضواحى الشمالية الشرقية لمدينة القاهرة، وبها محطة للسكة الحديدية الموصلة بين محطة كوبرى الليمون وبين قرية المرج. وكان بأراضى ناحية المطرية مدينة عين شمس القديمة التى تسمى بالمصرى «آن» أو «رع» أى الشمس، وبالعبرى «أون» ويقال لها =

وضايقوها وقطعوا الماء الذى يطلُع إليها وزَحَفُوا عليها بخدّوا فى القتال ، ورأى الملك السعيد تخلّى من كان معه وتخاذُل من بقى معه من الخاصّكيّة ، وعَلِم أنّه لا طاقةَ له بهم ، وكان المشار إليه فى العسكر المُخَامِر الأميرَ سيفَ الدين قلاوون الألْفِى، وهو حمو الملك السعيد فإنّ الملك السعيد كان تزوّج ٱبنته قبل ذلك بمدّة[1]، بَخَرت المراسلات بينهم وكثُر الكلام وتردّدت الرُّسل غير مرّة ، حتّى ٱستقرّ الحال على أن الملك السعيد يُخْلَع من السلطنة ويُنَصِّبونَ فى السلطنة أخاه بدر الدين سَلَامُش ٱبن الملك الظاهر بيبرس، ويُقْطِعون الملك السعيد هذا وأخاه نجم الدين خَضِرا الكَرَك والشُّوبَك وأعمالها؛ فسيّر المَلك السعيدُ الأميرَ علم الدين سَنْجَر الحَلَبِىّ والقاضىَ تاج الدين محمد بن الأثير إلى الأمير سيف الدين قلاوون وأعيان الأمراء ليستوثِق لنفسه منهم، فحلَفوا له على الوفاء بما ٱلتزموه من إعطاء الكَرَك والشُّوبَك له ولأخيه. وخرج من قلعة الجبل يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر المذكور ونزل إلى دار

= « عون » وبالرومى هليوبوليس أى مدينة الشمس — وقد ٱندثرت هذه المدينة ولم يبق من آثارها إلا إحدى المسلتين اللتين كان أقامهما على الباب الكبير لمعبد المدينة الملك سانوسريت الأوّل (سيزوستريس) أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة الفرعونية . وأما المسلة الثانية فقد سقطت سنة ١١٩٠ م . واليوم يطلق اسم عين شمس على محطة عين شمس ، وعلى المساكن المجاورة لها الواقعة على السكة الحديدية فى شمالى محطة المطرية ، كما يطلق اسم هيليوبوليس على المدينة الجديدة التى أنشئت فى سنة ١٩٠٦ بالصحراء الشمالية الشرقية لمدينة القاهرة وهى المعروفة بمصر الجديدة . ويوجد بأراضى المطرية بستان قديم يعرف ببستان البلسم ، به شجرة وبئر ، يزعمون أنهما من آثار السيدة مريم العذراء عند مرورها بأرض مصر مع ولدها المسيح عيسى عليه السلام . ولا تزال بقايا هذه الشجرة موجودة إلى اليوم ، وتعرف بشجرة العذراء ، يعظمها المسيحيون ويقصدونها للتبرك بها .

(١) كان الدخول بها فى ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة ، واهتم السلطان الملك الظاهر بذلك اهتماما عظيما لم يسمع بمثله ، وخلع على جميع أكابر دولته من الأمراء والمقدمين والوزراء والقضاة والكتّاب . وأنعم على الأمير سيف الدين قلاوون بتشريف كامل بشربوش كان السلطان قد لبسه ثم خلعه عليه . وقد سبقت الإشارة إلى ذلك فى ترجمة والده الملك الظاهر ، وانظر نهاية الأرب ص ٧٠ ج ٢٨ تجد تفاصيل كثيرة .

العدل[1] التي على باب القلعة، وكانت مركز الأمير قلاوون في حال المصافّ والقتال، وكان الحِصار ثلاثة أيام بيوم القُدوم لاغير .

ولمّا حضر الملك السعيد إلى عند قلاوون أحضر أعيان القضاة والأمراء والمُفتين وخلعوا الملك السعيد هذا من السلطنة وسلطنوا مكانه[2] أخاه بدر الدين سلامش ولقّبوه بالملك العادل سلامش، وعُمُره يومئذ سبع سنين وجعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحىّ النَّجْمِىّ . وآستمرّت بنت قلاوون عند زوجها الملك السعيد المذكور إلى ما سيأتى ذكره .

ثم أخذ قلاوون فى تحليف الأمراء للملك العادل فحلفوا له بأجمعهم على العادة، وضُرِبت السِّكّة فى أحد الوجهين: آسم الملك العادل والآخر آسم قلاوون، وخُطِب لهما أيضًا معًا على المنابر، وآستمرّ الأمر على ذلك، وتصرّف قلاوون فى المملكة والخزائن، وعامله الأمراء والجيوش بما يعاملون به السلطان . ثم عَمِل قلاوون بخَلْع الملك السعيد محضرًا شرعيًّا ووضع الأمراءُ خطوطَهم عليه وشهادتَهم فيه، وكتب فيه المُفتون والقضاةُ وأعطوا الملك السعيد الكَرَك وعملَها، وأخاه نجم الدين خَضِرًا الشُّوبك وعمَلها . وخرج الملك السعيد من قلعة الجبل إلى بِرْكة[3] الحُجّاج متوجّهًا إلى الكَرَك فى يوم الآثنين ثامن عشر شهر ربيع الآخر المذكور من سنة ثمانٍ وسبعين (أعنى ثانى يوم من خلعه) ومعه جماعة من العسكر صورة ترسيم، ومقدّمهم الأمير

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من هذا الجزء . (٢) لما تم خلع السلطان الملك السعيد و إرساله الى الكرك عرضت السلطنة على الأمير سيف الدين قلاوون، وقال له الأمراء الأكابر : أنت أولى بتدبيرها فأبى وقال أنا لم أخلع الملك السعيد شرها إلى السلطنة وحرصا على المملكة، لكن حفظا للنظام وأنفة لجيوش الإسلام أن يتقدم عليهم الأصاغر، والأولى ألا يخرج الأمر من ذرية الملك الظاهر فأقام الأمير بدر سلامش كما فى الأصل . (راجع عقد الجمان فى حوادث سنة ٦٧٨ هـ) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

سيف الدين بيدغان الرُّكْنِى، ثم بَدَا لهم أن يرجعوا به إلى القلعة فعادوا إليها فى نهار الاثنين لأمرٍ أرادوه وقرروه معه ثم أَمَرُوه بالتوجّه؛ فخرج وسافر ليلة الثلاثاء إلى الكَرَك بمن معه فوصلها يوم الاثنين خامس عشرين شهر ربيع الآخر المذكور، وتسلّم أخوه نجم الدين خَضِر الشُّوبَك، وكان الأمير بيدغان ومن معه قد فارقوا الملك السعيد من غَزّة ورجعوا إلى الديار المصريّة؛ وأقام الملك السعيد بالكَرَك وزال مُلْكه؛ فكانت مدّة حُكمِه وسلطنته بعد موت أبيه الملك الظاهر بِيبَرْس إلى يوم خلعه سنتين وشهرين وخمسة عشر يوما[1]، واستمرّ بالكَرَك مع مماليكه وعياله، وقصده الناس والأجناد، فصار يُنعم على من يَقصِده، واستكثر من استخدام المماليك.

ثم رَسَم الأميرُ سيف الدين قلاوون بانتقال الملك خَضِر من الشُّوبَك إلى عند أخيه الملك السعيد بالكَرَك، وتسلّم نُوّاب قلاوون الشُّوبَك؛ ودام الملك السعيد على ذلك حتى خُلِع سَلَامُش من السلطنة وتسلطن قلاوون حسب ما يأتى ذكر ذلك كلّه فى ترجمتهما.

فلمّا تسلطن قلاوون بلغه عن الملك السعيد أنّه استكثر من استخدام المماليك وأنّه يُنْعِم على مَنْ يقصِده فاستوحش منه، وتأثّر من ذلك. فمرِض الملك السعيد بعد ذلك بمدّة يسيرة وتُوفّى، رحمه الله تعالى، فى يوم الجمعة حادى عشر ذى القعدة سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة بالكَرَك، ودُفن من يومه بأرض مُؤْتة[2] عند جعفر بن أبى طالب، رضى الله عنه، ثم نُقِل بعد ذلك إلى دِمَشق فى سنة ثمانين[3] وستمائة فدُفِن إلى جنب والده الملك الظاهر بِيبَرْس بالتُّرْبة التى أنشأها قبالة المدرسة العادليّة[4] السَّيفيّة، وألحده

(١) رواية عقد الجمان والجوهر الثمين: «سنتين وشهرا وأياما».
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة.
(٣) عبارة تاريخ الإسلام والمنهل الصافى: «ثم نقل إلى تربته بدمشق بعد ستة وخمسة أشهر».
(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٦٣ من هذا الجزء.

قاضى القضاة عزّ الدين محمد بن الصائغ (١) . وكانت مدة إقامته بالكَرَك بعد أن خُلِـع من السلطنة ستة أشهر وخمســة وعشرين يوما . ووجد النـاس عليه كثيرًا وعُمِل عزاؤُه بسـائر البلاد ، وخرجت الخَـوَنْدَات حاسراتٍ بجَوَارِيهِنّ يَلْطُمْن بالملاهى والدُّفُوف أيامًا عديدة ، ويُسْـمِعْن الملك المنصور قلاوون الكلام الخشِن وأنواع السبّ وهو لا يتكلّم ، فإنّه نُسِب اليه أنه آغتاله بالسمّ لمّـا سمِـع كثرةَ آسـتخدامه للماليك وغيرهم .

قلتُ : ولا يبعُد ذلك عن الملك المنصور قلاوون لكثرة تخوّفه من عِظَم شَوْكته وكثرة ممـاليك والده وحواشيه . وأبغض الناسُ الملك المنصور قلاوون سنينا كثيرة إلى أن أرضاهم بكثرة الجهـاد والفتوحات ؛ وأبغض الملكَ المنصورَ قلاوون حتى آبنتهُ زوجة الملك السعيد المذكور ، فإنّها وجدت على زوجها الملك الســعيد وَجْدًا عظيما وتألّمت لفَقْده ، ولم تزل باكيةً عليه حزينةً لم تتزوج بعده إلى أن تُوُفِّيت بعد زوجها الملك السعيد بمدّة طويلة فى مستهلّ شهر رجب سنة سبع وثمانين وستمائة . وكانت شقيقةَ الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، ودُفِنت فى تربة (٢) معروفة بوالدها بين مصر والقاهرة .

---

(١) هو قاضى القضـاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبـد الخالق بن خليل الأنصـارى الدمشقى الشافعى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٣ ﻫ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى .

(٢) تربة المنصور قلاون التى دفنت بها آبنته زوجة الملك السعيد بركة خان ، هذه التربة هى التى ذكرها المقريزى فى (ص ٣٩٤ ج ٢) من خططه باسم مدرسة تربة أم الصالح ، وقال : إنها بجوار المدرسـة الأشرفية بالقرب من المشهد النفيسى فيما بين القاهرة ومصر . أنشأها الملك المنصور قلاون فى سنة ٦٨٢ ﻫ برسم زوجته أم ولده الملك الصالح علاء الدين على . ولمـا توفيت يوم ١٦ شوّال سنة ٦٨٣ ﻫ دفنت بهذه التربة ، وقد ذكرها آبن دقـاق فى كتاب الانتصار (ص ١٢٥ ج ٤) باسم التربة الخاتونية بنت قلاوون وقال إنها بجانب المدرسة الأشرفية ، دفن بهـا فى ســنة ٦٨٧ ﻫ الملك الصـالح علاء الدين على بن قلاوون فى حياة والده ، ثم دفنت بها آبنته خاتون أرملة الملك السعيد محمد بركة خان . وفى سنة ٦٧٤٦ ﻫ دفن بها =

وصُـلّى على الملك السعيد بدمشق صلاة الغائب يوم الجمعة رابع وعشرين ذى الحجـة . ثم أنعم الملك المنصور بالكَرَك بعـد موته على أخيـه خَضر ولُقِّب بالملك المسعود خَضِر .

وكان الملك السـعيد ، رحمه الله ، سـلطاناً جليلاً كريمـا سَخِىّ الكَفّ ، كثير العدل فى الرعيّة ، محسناً للخاصّ والعامّ ، لا يردّ سائلا ولا يُخَيِّب آملاً ، وكان متواضعا بَشُوشًا ، حسن الأخلاق ليس فى طبعه عَسْفُ ولا ظلمُ ، كثير الشـفقة والرحمة على الناس ، ليّن الكلمة محبًّا لفعل الخير ، قليـل الحِجَاب على النـاس يتصدّى للأحكام بنفســه ، وكان لا يميل لسَـفْك الدماء مع قدرته على ذلك ، وكان يوم دخوله إلى قلعة الجبل وُلِد له مولود ذَكَر من بعض حظاياه فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة . وكان يُحِبّ التجمُّل ويُكثر من الإنعام على النـاس ويَخْلَع حتّى فى الأعزية . ولمـّا مات خاله الأمير بدر الدين محمد بن بركة خان بن دولة خان ، وكان من أعيان الأمراء بالديار المصريّة فى الدولة الظاهريّة ، وكان حصل له عند إفضاء الملك لابن أخته الملك السعيد تقـدُّم كبير ومكانة عالية ، وتوجّه معه إلى دِمَشق فَمرِض بها إلى أن تُوفّى ليلة الخميس تاسع شهر ربيع الأوّل ، ودُفِن بسـفح قاسيون بالتُّربة المجـاورة لرباط الملك الناصر صـلاح الدين يوسف ؛ ومقدار عمره خمسون سنة ، عَمِل[1] له

= الملك الصالح إسماعيل آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون . وفى سنة ٧٦١ دفن بها الملك الصالح صالح آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون . ومن هذا يتبين أنه دفن بها ثلاث ملوك لقبهم الصالح .

وأقول : إن هـذه التربة لا تزال موجودة إلى اليوم بشارع الأشرف بقسم الخليفة بالقاهرة باسم تربة الست فاطمة خاتون بجرى المدرسة الأشرفية وبالقرب من جامع السيدة نفيسة . وممـا يلفت النظر فى قبة هذه التربة المقرنص الذى تحتها والكتابة الكوفية التى حول عقود شبابيكها ثم مئذنتهـا ذات الشكل المربع المشرفة على الشارع بشكل برج مرتفع . ولانخفاض أرض هذه التربة عن منسوب الأرض المحيطة بهـا قد أقامت إدارة حفظ الآثار العربية حولهـا حائطا مرتفعا لمنع تهايل الأتربة عليها .

(١) فى الأصلين : «فعمل ... الخ» .

عدّةَ أعزِيَةٍ وقُرِئَ بالتُّربة عِدّةُ خَتَمات، حضر إحداها آبن أخته الملك السعيد، ومُدّ خِوَانٌ فيه من عظيم فاخر الأطعمة والحلاوات، فأكل مَن حضر، وخَلَع الملك السعيد على والدته ومماليكه وخواصّــه وهو فى العزاء فلبِسُوا الخِلَع وقبّلوا الأرض، وكانت الخِلَع خارجةً عن الحدّ. فهذا أيضا ممّا يدلّ على كرمه ووسـع نفسه وكثرة إنعـامه حتّى فى الأعزِية، رحمه الله تعـالى. انتهت ترجمـة الملك السـعيد. و يأتى ذكر حوادث سنين سلطنته على عادة هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

***

السنة الأولى من ولاية الملك السعيد محمـد برَكة خان على مصر، وهى سنة ستّ وسبعين وستمـائة.

فيها توفّى الشيخ كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل [بن إبراهيم آبن فارس][(1)] الإسكندرى المقرئ، كان عارفًا بالقراءات، وآنتفع به خلْق كثير، وتَوَلّى نَظَرَ حَبْسِ دِمَشق، ونَظَرَ بيتِ المـال بها مضافا إلى نظر الحَبْس، وباشر عدّة وظائف دينيّة. ومات فى صفر. وكان رئيسا فاضلا.

وفيها تُوفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله المحمَّدىّ الصالحىّ النَّجْمىّ، كان من أعيان الأمراء ومن أكابرهم، وكان الملك الظاهر بيبرس يخافه، فحبَسه مدّة طويلةً ثم أفرج عنه فمات فى شهر ربيع الأوّل، ودفن بتربته[(2)] بالقرافة الصغرى.

---

(1) الزيادة عن تاريخ الإسلام وغاية النهاية.

(2) غير ممكن تعيين موقعها الآن لابد هـ من قديم، بسبب هدم الترب القديمة وإحداث ترب أخرى فى مكانها، لا ما كان منها من الآثار المحفوظة. وهذه ليست منها. والقرافة الصغرى هى التى تعرف اليوم بجبانة الإمام الشافعى.

وفيها تُوفى الأمير عزّ الدين أَيْبَك بن عبد الله المَوْصِلىّ الظاهرىّ نائب السلطنة بحِمْص، وكان ولى حِمْص مدّة ثم عَزَله الملك الظاهر عنها ونفاه إلى حصن الأكراد[1]، وكان شجاعًا مِقداما .

وفيها تُوفى الأمير عزّ الدين أَيْبَك بن عبد الله الدِّمْياطِىّ الصالحىّ النَّجْمِىّ أحد أكابر الأمراء المقدّمين على الجيوش، كان قـديم الهِجْرة [بينهم][2] فى علوّ المنزلة وسموّ المكانة، وكان الملك الظاهر أيضا حبسه مدّة طويلة ثم أطلقه وأعاده إلى مكانته. ومات بالقاهرة فى شعبان ودُفِن بتربتـه التى أنشأها بين القاهرة ومصر فى القُبّـة[3] المجاورة لحوض السبيل[4] المعروف به .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) زيادة عن الذيل على مرآة الزمان . (٣) قبة أيبك بن عبد الله الدمياطى، لما تكلم المقريزى فى (ص ٤٣٠ ج ٢) من خططه على زاوية الدمياطى قال : إن هـذه الزاوية خارج مصر فيما بين خط السبع سقـايات وبين قنطرة السد . أنشأها الأمير عز الدين أيبك الدمياطى أحد الأمراء المقدّمين الأكابر، وبها دفن لما مات فى سنة ٦٧٦ هـ .

وأقول : إن القبة المشار إليها كانت قائمة فوق قبر هـذا الأمير داخل الزاوية من الجهـة البحرية، وقد هدمت هذه القبة . وأما الزاوية فلا تزال موجودة من الجهة البحرية، وتعرف الآن بجامع الحبيبى نسبة إلى الشيخ محمد الحبيبى شيخ الطريقة الحبيبية الذى جدّد هـذا المسجد فى سنة ١٢٤٧ هـ . ثم دفن فيـه بجوار قبر الأمير أيبك فعرف بجامع الحبيبى من ذلك الوقت . وفى سـنة ١٣٣٠ هـ جدّدت نظارة الأوقاف هـذا الجامع ولا يزال مقام الشعائر إلى اليوم بشارع السد الجوّانى على رأس شارع الشيخ سليم بقسم السيدة زينب بالقاهرة . (٤) فى الأصلين : « المجاورة لحوض والسبيل » وما أثبتناه عن الذيل على مرآة الزمان . وحوض السبيل المجاور لقبـة أيبك الدمياطى ، لما تكلم المقريزى على زاوية الدمياطى فى (ص ٤٣٠ ج ٢) من خططه قال : إن هذه الزاوية خارج مصر بين خط السـبع سقايات وبين قنطرة السد بجانب حوض السبيل المعد لشرب الدواب؛ ثم قال : ولايزال يعرف الحوض المجاور لهذه الزاوية بحوض الدمياطى .

وأقول : إن هذا الحوض قد اندثر، ومكانه الدكاكين الواقعة بجوار جامع الحبيبى من الجهة البحرية والمشرفة على شارع السد، حيث كان الطريق العام من عهد الدولة الفاطمية بين مصر والقاهرة إلى اليوم .

وفيها تُوفّى الأمير عِزّ الدين أَيْدَمُر بن عبد الله العَلَائىّ نائب قلعة صَفَد، حضر بعد موت الملك الظاهر إلى القاهرة ومات بها ودُفِن بالقرافة الصغرى، وكان ديّنا عفيفا أمينا ، وهو أخو الأمير علاء الدين أَيْدكين الصالحىّ .

وفيها تُوفّى الأمير بدر الدين بِيلِيك بن عبد الله الظاهرىّ الخازِنْدار نائب السلطنة بالديار المصريّة بل بالممالك كلّها . قد تقدّم من ذكره نبذةٌ جيّدة فى عِدّة مواطن، وهو الذى أخفى موت الملك الظاهر حتى قَدِم به إلى مصر حسب ماتقدّم ذكرُه، وكانت وفاته بالقاهرة فى سادس شهر ربيع الأوّل بقلعة الجبل ودُفِن بتربته التى أنشأها بالقرافة الصغرى[1]، وحَزِن الناس عليه حُزْنًا شديدًا حتى شَمِل مُصابُه الخاصّ والعامّ ، وعُمِل عزاؤه بالقاهرة ثلاثة أيام، فى الليل بالشُّموع وأنواع الملاهى. وصدّعَ موتُه القلوبَ وأبكى العيونَ؛ وقيل : إنّه مات مسموماً، وكان عمره خمسا وأربعين سنة، ومحاسنه كثيرة يطول الشرح فى ذكرها .

وفيها تُوفّى الشيخ المعتقَد خَضِر بن أبى بكر [محمد][2] بن موسى أبو العبّاس المِهْرانىّ العَدَوىّ، كان أصله من قرية المُحَمَّديّة من أعمال جزيرة ابن عمر، وهو شيخ الملك الظاهر بِيبَرْس، وصاحب الزاوية[3] التى بناها له الملك الظاهر بالحُسَيْنيّة[4] على الخليج بالقرب من جامع الظاهر[5] . وقد تقدّم من ذكره فى ترجمة الملك الظاهر ما يُغنى عن الإعادة هاهنا . وكان الشيخ خَضِر بشّر الملك الظاهر قبل سلطنته بالمُلك، فلمّا تسلطن صار له فيه العقيدة العظيمة حتّى إنه كان ينزل إليه فى الجمعة المرّة والمرّتين،

(١) غير ممكن تعيين موقعها الآن لاندثارها من قديم. وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٤ من هذا الجزء.
(٢) زيادة عن المنهل الصافى . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦١ من هذا الجزء.
(٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٤٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦١ من هذا الجزء .

وكان يُطْلِعه على غوامض أسراره، ويستشيره فى أموره، ويستصحبه فى أسفاره، وفيه يقول الشريف محمد بن رِضْوان[(١)] الناسخ .

ما الظاهرُ السلطانُ إلا مالك الـ * ـدنيا بذاك لنا الملاحم تُخْبِرُ
ولنا دليلُ واضحُ كٱلشمس فى * وَسَط السماء بكلّ عَيْنٍ تُنْظَرُ
لمّا رأينا الِخضْر يقدُم جيشَه * أبدًا علمنا أنّه الإسكندرُ

وكان الشيخ يُخبِر الملك الظاهر بأمور قبل وقوعها فتقع على ما يُخْبره، ثم تغيّر الملك الظاهر عليه لأمور بلغتْه عنه وأحضر السلطان مَن حاققه، وذكروا عنه من القبائح ما لم يصدُر عن مسلم! والله أعلم بصحّة ذلك ؛ فٱستشار الملك الظاهر الأمراء فى أمره، فمنهم من أشار بقتله، ومنهم من أشار بحَبْسه، فمال الظاهر إلى قتله ففهم خَضِر، فقال للظاهر : ٱسمع ما أقول لك، إنّ أجلى قريب من أجلك، وبينى وبينك مدّة أيّام يسيرة، فمن مات منّا لحقه صاحبه عن قريب! فوجَم الملك الظاهر وكَفّ عن قتله، فحَبَسه فى مكان لا يُسمع له فيه حديثٌ، وكان حبسه فى شوّال سنة إحدى وسبعين وستمائة، وتُوفّى يوم الخميس أو فى ليلة الجمعة سادس المحرّم سنة ست وسبعين وستمائة، ودُفِن بزوايته بالحُسَيْنِيّة . وكان الملك الظاهر بدِمَشْق، فلمّا بلغه موته ٱضطرب وخاف على نفسه من الموت لِمَا كان قال له الشيخ خَضِر : إنّ أجله من أجله قريب، فمرِض الظاهر بعد أيام يسيرة ومات، فكان بين الشيخ خَضِر وبين الملك الظاهر دون الشهر . انتهى.

---

(١) هو محمد بن رضوان السيد الشريف العلوى الحسينى الدمشقى الناسخ، كان يكتب خطا متوسط الحسن، وله يد فى النظم والنثر والأخبار . تقدمت وفاته سنة ٦٧١ هـ وراجع فوات الوفيات (جـ ٢ ص ٢٥٢).

وفيها تُوفّى شيخ الإسلام محيي الدين أبو زكريّا يحيى بن شرف بن مِرَى[1] بن الحسن ابن الحسين النَّوَوِىّ[2] الفقيه الشافعىّ الحافظ الزاهد صاحب المصنّفات المشهورة . وُلِد فى العشر الأوسط من المحرّم سنة إحدى وثلاثين وستّمائة ، ومات ليلة الأربعاء رابع عشرين شهر رجب بقرية نَوَى .

قلت : وفضله وعلمه وزُهْـده أشهر من أن يُذْكر . وقـد ذكرنا من أمره نبذةً كبيرة فى تاريخنا « المنهل الصافى والمُسْتَوْفَى بعـد الوافى » ؛ إذ هو كتاب تراجم يحسُن الإطناب فيه . انتهى .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيهـا تُوفّى الملك القـاهر عبـد الملك بن المعظّم [عيسى][3] بن العادل [أبى بكر بن أيّوب][3] فى المحرّم مسمومًا . والسلطان الملك الظاهر ركن الدين الصالحىّ بيبَرْس فى أواخر المحرّم بالقصر الأبلق[4]،

(١) ضبطه شارح القاموس بكسر الميم مقصورا . (٢) النووى : نسبة إلى نوى ، بلدة من أعمال حوران وقيل هى قصبتها بينها و بين دمشق منزلان وهى منزل أيوب عليه السلام و بها قبر سام بن نوح عليه السـلام فيما زعموا (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان والمنهل الصافى وعيون التواريخ .

(٤) القصر الأبلق : بناه الظاهر فى مرجة دمشق فى الميدان القبلى سنة ٦٦٨ هـ وعلى أنقاضه بنيت التكية السليمانية سنة ٩٧٤ هـ الباقية الى اليوم كأجل أثر للعثمانيين فى دمشق . وكان على واجهة القصر الأبلق مائة أسد منزلة صورها بأسود فى أبيض وعلى الشمالية اثنا عشر أسدا منزلة صورها بأبيض فى أسود . وقد بنى من أسفله الى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر بتأليف غريب و إحكام عجيب ، ولذلك سمى بالقصر الأبلق وعلى مثاله بنى الناصر محمـد بن قلاوون القصر الأبلق بقلعة الجبـل بمصر . قال ابن فضـل الله العمرى فى وصفه : وأمام هذا القصر دركاه (عرصه) يدخل منها الى دهليز القصر وهو دهليز فسيح يشتمل على قاعات ملكية مفروشة بالرخام الملون البديع الحسن المؤزر بالرخام ، المفصل بالصدف والفص المذهب إلى سجف السقف . وبالدار الكبرى به إيوانان متقابلان تطل شـبابيك شرقيهما على الميدان الأخضر وغربيهما على شاطئ واد أخضر يجرى فيه نهر . وله رفارف عالية تناغى السحب تشرف من جهاتها الأربع على جميع المدينة والغوطة . رآه ابن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ وقرأ عليه أن تاريخ بنائه كان سنة ٦٦٨ وقال : إن على أسكفته ضربا من رخام أبيض وسطه مكتوب ، عمل إبراهيم بن غنائم (المهندس المصرى الشهير) . وقد وصف بهاء الدين الموصلى القصر بعبارة بليغة منها . يبهر الناظر حسن معناه ، ولا يقدر على وصف محاسنه من يراه . (انظر خطط الشام لكرد على ج ٤ ص ١٢٢ وج ٥ ص ٢٨٥ — ٢٨٦) .

وله بِضْعٌ وخمسون سنة . وكمال الدين إبراهيم بن الوزيرى نجيب الدين [أحمد](١) بن إسماعيل [بن إبراهيم](١) بن فارس التِّمِيمىّ الكاتب المقرئ فى صفر، وله ثمانون سنة . والواعظ نجم الدين علىّ بن علىّ بن إسفنديار بِدَمَشْق فى رجب، وله خمس وأربعون(٢) سنة وأشهر . وبِيلِيك الظاهرىّ الخازِنْدار نائب مصر . والصاحب معين الدين سليمان بن علىّ [بن محمد بن حسن](٣) البَرْوَانَاه الرومىّ، قتله أَبْغَا فى المحرّم . والشيخ خَضِر بن أبى بكر العَدَوِىّ شيخ السلطان . والشيخ الإمام شمس الدين محمد [بن إبراهيم ابن عبد الواحد بن علىّ بن سرور](٤) قاضى القضاة أبو بكر وأبو عبدالله المعروف بابن العِماد الحنبلىّ فى المحرّم بمصر . والقاضى تقىّ الدين محمد بن حَيَاة الرَّقِّىّ قاضى حلب بِتَبُوك(٥) فى المحرّم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وثلاث عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثمانى أصابع .

⁂

السنة الثانيــــة من ولاية الملك السعيد على مصر، وهى سنة سبع وسبعين وستمائة .

---

(١) تكملة عن الذهبى وغاية النهاية وما تقدّم للؤلف فى وفيات هذه السنة .

(٢) الذى فى تاريخ الإسلام للذهبى وشذرات الذهب أنه ولد سنة ٦١٦هـ . فلهذا يكون قد مات وسنه ستون سنة . وفى ذيل مرآة الزمان : «وقد نيف على ستين سنة» .

(٣) زيادة عن المنهل الصافى وعيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان .

(٤) التكملة عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب .

(٥) فى الأصلين : «قاضى حلب مقتولا» . وتصحيحه عن المنهل الصافى وذيل مرآة الزمان . وتبوك : موضع بين وادى القرى والشام (عن معجم البلدان لياقوت) .

فيها تُوفّى الشيخ الإمام زَيْن الدين أبو العباس إبراهيم بن أحمــد بن أبى الفَرَج[(١)] الدِّمشقىّ الحنفىّ المعروف بآبن السِّديد إمام مقصورة الحنفيّة[(٢)] شمالى جامع دِمشق وناظر وقفها . كان إمامًا فقيهـا ديِّنا كثير الخـير غزير المُروءَة . مات فى جُمادى الأولى ببستانه بالمِزّة[(٣)] ودُفِن بسفح قاسيون .

وفيهـا تُوفّى الأمير شمس الدّين آق سُنْقُر بن عبد الله الفارِقانِىّ ، كان أصله من مماليك الأمير نجم الدين حاجب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ، ثم آنتقل إلى مِلْك السلطان الملك الظاهر بِيبَرْس ، وتقــدّم عنده وجعله أستـادارا كبـيرًا ، وكان للملك الظاهر عِدّةُ أستادارية ، وكان الملك الظّاهر كثيرَ الوثوق به فى أموره ويَسْتَنِيبه فى غَيْبَته ويُقَــدِّمه على عساكره ، ولمّـا صار الأمر إلى الملك السعيد جعله نائبه لسائر الممـالك بعد بِيلِيك الخَازِنْدار ، فلمّا ثارت الخاصَّكيّة قَبَضُوا عليه وقتلوه ، وقيل إنّه بَقِىَ فى هذه السنة ، والأصحُّ أنّهم قبَضُوا عليه وسجنوه إلى أن مات فى جُمـادى الأولى من هــذه السنة . وكان أميرًا كبيرًا جسيمًا شجاعًا مِقْــدامًا مُهابًا ذا رأيٍ وتدبير وعقــل ودَهاء ، كثير البِرّ والصدقات عالى الهِمّة[(٤)] ، وله مدرســة عند داره داخل باب سعادة[(٥)] بالقاهرة .

---

(١) فى الأصلين : «آبن أبى الفتوح» . والتصحيح عن تاريخ الإسلام وذيل مرآة الزمان والجواهر المضية فى طبقات الحنفية والمنهل الصافى . (٢) المقصورة الحنفية ، من مدارس الحنفية بدمشق وهى محل التدريس فى حرم الجامع الأموى وقف عليها كاتب الممـالك القاضى فخر الدين أوقافا . انظر (خطط الشام الكرد على ج ٦ ص ٩٧) . وفى تاريخ الاسلام : «إمام مقصورة الحلبيين» . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٧ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٢ من هذا الجزء .

(٥) باب سعادة ، يستفاد ممـا ذكره المؤلف عن موضع المدرســة المذكورة وممـا ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على بناء القاهرة (ص ٣٦٠ ج ١) وعلى أبواب القاهرة (ص ٣٨٠ ج ١) وعلى باب سعادة (ص ٣٨٣ ج ١) وعلى بستان العدة (ص ١١٩ ج ٢) وعلى مسجد يانس (ص ٤١١ ج ٢) يستفاد من كل ذلك أن باب سعادة مكانه اليوم الباب الغربى للطرقة الفاصلة بين ديوان محافظة مصر و بين محكمة الاستئناف الأهلية بميدان باب الخلق بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة . وهذه الطرقة كانت طريقا عاما =

وفيهــا تُوفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله النَّجيبىّ الصــالحىّ النَّجْمِىّ الأَيُّوبِىّ، كان مُقرَّبا عند أستاذه الملك الصالح وولّاه أُسْتادارا، وكان كثير الاعتماد عليه . ثم ولّاه الملك الظاهر بيبَرْس نيــابة دِمَشْق فأقام بهــا تسع سنين، ثم عَزَله وتركه بطّالا بالقاهرة إلى أن مات بها فى ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بداره (١) بدرب مُلُوخِيّا من القاهرة، ودُفِن يوم الجمعة بتربته (٢) بالقرافة الصغرى .

وفيهــا تُوفّى الشيخ جمال الدين طَه بن إبراهيم بن أبى بكر بن أحمد بن بَخْتِيــار الهَذَبانى الإِرْبِلِىّ، كان عنده فضيــلة وأدب ورياسة، وله يدٌ فى النظم . ومات فى جُمادى الأولى . ومن شعره فى النهى عن النظر فى النجوم :

دَعِ النجــومَ لطُرْقِىٍّ (٣) يعيشُ بهــا * وبالعزيمــة فانْهَضْ أيُّهــا المَلِكُ
إنّ النبىَّ وأصحابَ النبىِّ نَهَوْا * عن النجوم وقد أبصرتَ ما مَلَكُوا

وفيها تُوُفّى قاضى القضاة مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلىّ الحَلَبِىّ الحنفىّ ابن الصاحب كمال الدين عمر بن العَدِيم (٤) . كان إماما

= فى امتداد سكة النبوية الواقعة تجاه الطرقة من الجهة الشرقية . ولما سدّ باب سعادة بطل استعمال هذا الجزء من الطريق من زمن بعيد . ولما أنشأ منصورباشا يكن سرايه التى بها اليوم ديوان محافظة مصر دخلت هذه الطرقة فى السراى وأنشأ بحريها حديقة وعلى أرض هذه الحديقة أنشئت محكمة الاستئناف الأهلية .

وأما سعــادة المنسوب إليه هــذا الباب فهو سعادة بن حيان أحد قواد جيش الخليفة المعز لدين الله أبى تميم معد الفاطمى . فلما جاء سعادة وجيشه إلى القاهرة فى ســنة ٣٦٠ هـ دخل إليها من هــذا الباب فعرف من ذاك الوقت بباب سعادة .

(١) هــذه الدار غير ممكن تعيين موقعها الآن لاندثارها من قديم الزمن ، وأما درب ملوخيا فكانه اليوم الطريق المعروفة بحارة قصر الشوك أحد فروع قصر الشوك بقسم الجمالية بالقــاهرة . وراجع الحاشية رقم ٦ ص ٤٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٢) هــذه التربة قد اندثرت من قديم الزمن ولا يعلم مكانها اليوم .

(٣) ذكر المؤلف هذين البيتين فى حوادث سنة ٥٨٢ هـ بصدد حكم المنجمين بخراب العالم فى تلك السنة وبيان كذبهم ؛ وقد رواهما المؤلف هناك وقال إنه يعرف قائلهما . ورواية المصراع الأوّل فيما تقدّم :

* دع النجوم لصوفى يعيش بها *

والصواب ما روى هنا .

(٤) تقدّمت وفاته سنة ٦٦٠ هـ .

عالمـا فاضلا كبير الديانة والورَع، كان جمع بين العلم والعمل والرياسة، وَلِى قضاء دِمَشق مع عِدّة تداريس، ولم يزل قاضياً إلى أن تُوفّى بظاهر دِمَشْق بجَوْسَقِه[1] الذى على الشَّرَف [الأعلى][2] القبلى فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الاخر، ودُفن فى تُرْبة أنشأها قُبالة الجَوْسَق المذكور . ومن شعره ما كتبَه لخاله عَوْن الدين سليمان[3] ابن العَجَمِىّ بسبب آبن مالك، فقال :

أمولاىَ عونَ الدين يا راويًا لنــا * حديثَ المعـالى عن عَطاءٍ ونافِع
بعيشك حدّثنى حديثَ آبنِ مالكٍ * فأنت له يا مالكى خيرُ شافِــع

وفيها تُوُفّى الشيخ موفّق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن نصر الله الأنصارىّ، كان أديبا فاضلا. قال الشيخ قطب الدين اليُونينِىّ فى الذيل على المرآة : « صاحبنا [كان أديبًا فاضلا مقتدرًا على النظم][4]، وله مشاركة فى علوم كثيرة، منها : الكُحْل والطبّ، وغير ذلك من الفقه والنحو والأدب ، ويَعظ الناس، حُلْو النادرة حسن المحاضرة » . انتهى كلام قطب الدين . قلتُ ومن شعره :

قَلْـــبِى وطَرْفى فى ديارهمُ * هــذا يَهِيمُ بهـا وذا يَهْمِى
رَسَمَ الهوى لمـا وقَفْتُ بها * للدمع أن يجرى على الرَّسْمِ

وفيها تُوفّى الأديب نجم الدين أبو المعالى محمد بن سَوّار بن إسرائيل بن الخَضِر بن إسرائيل الشَّيْبَانىّ الدمشقىّ المولد والدار والوفاة، كان أديباً فاضــلا قادرا على النظم

(١) الجوسق معرّب جوسك أو جوسه وهو القصر . (٢) زيادة عن عيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات . (٣) هو سليمان بن عبد المجيد بن الحسن بن أبى غالب ابن عبــد الله بن الحسن بن عبــد الرحمن الأديب البارع عون الدين بن العجمى الحلبى الكاتب توفى سنة ٦٥٦ ﻫ بدمشق (عن المنهل الصافى) .

(٤) هذه العبارة منقولة عن الذيل على مرآة الزمان وليست بالأصلين .

صوفيًّا. وقد ذكرنا حكايته مع الشّهاب الخِيَمِى[1] لمـّا ٱدّعى كلٌّ منهما القصيدة البائية التى أوّلها :

* يا مَطْلَبًا ليس لى فى غيره أَرَبُ *

وتداعيا عند الشيخ شرف الدين عمر بن الفارِض فأمر ٱبن الفارض أن يَعْمَل كلٌّ منهما قصيدةً على الوزن والقافية فعملا ذلك ، فحَكَمَ ٱبنُ الفارض بالقصيدة للشهاب الخِيَمِىّ . وقد ذكرنا القصائد الثلاث فى « المنهل الصافى » فى ترجمة شهاب الدين الخِيَمِىّ . وٱبن إسرائيل هذا ممّن تكلّموا فيه ورمَوْه بالأتّحاد . والله أعلم بحاله . ومن شعر ٱبن إسرائيل هذا على مذهب القوم :

خَلَا منه طَرْفى وٱمتلا منه خاطرى * فطَرْفى له شاكٍ وقلبىَ شاكرُ
ولو أنّنى أنصفتُ لم تَشْكُ مُقْلَتِى * بِعادًا ودارات الوجود مَظاهِرُ

وله أيضاً :

يا من تناءَى وفؤادى دارُهُ * مُضْناكَ قد أقلقه تَذْكارُه
صددتَ عنه قبل ما وصلتَه * وكان قبل سُكْره خُماره

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام العلّامة مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر ٱبن أحمد بن أبى شاكر الإرْبِلىّ الأديب الفقيه الحنفِىّ المعروف بٱبن الظّهِير . مولده بإربل فى ثانى صفر سنة ٱثنتين وستمائة ونشأ بها، وطلب العلم وتفقّه وبَرَع فى الفقه والأصول والعربيّة، وقَدِم دِمَشْق وتَصدَّى بها للإقراء والتدريس ودرّس بالقايمازِيّة[2]

(١) هو محمد بن عبد المنعم بن محمد الشيخ الإمام البارع الشاعر الأديب شهاب الدين بن الخيمى الأنصارى. سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٥ هـ . وقد أورد المؤلف هذه الحكاية فى ترجمته أيضا .

(٢) القايمازية : من مدارس الحنفية بدمشق . داخل بابى الفرج والنصر أنشأها صارم الدين قيماز النجمى المتوفى سنة ٥٩٦ هـ كان خيرا عاقلاً يتولى أعمال السلطان صلاح الدين و يعمل عمل أستاذ الدار، وكلما فتح السلطان بلدة سلمها إليه ليروضها . وكانت هذه المدرسة بالمناخلية ثم درست عندما جرى توسيع الطريق . (عن خطط الشام ج ٦ ص ٩٦) .

بِدَمَشْق؛ وهو من أعيان شيوخ الأدب وفحول المتأخرين وله ديوان شعر، وسمع الحـديث ببغداد من أبى بكر بن الخازن[١] والكاشغرى[٢] [و] بدمشق من السَّخَاوى[٣] وكَرِيمة[٤] وتاج الدين بن حَمَّويه[٥]؛ ورَوَى عنه أبو شامة[٦] والقُوصى[٧] والدِّمْياطى[٨] والشهاب محمود[٩]، وعليه تدرّب فى الأدب، و[أبو الحسين] اليُونِينى[١٠] والحافظ جمال الدين المِزّى[١١]. ولمّا مات رثاه تلميذه الشّهاب محمود بقصيدة أوّلها :

تمكّن[١٢] ليـلى واطمأنّت كواكبُهْ * وسُدّت على صُبْح[١٣] الغداة مذاهبُهْ
بكتْـه معاليـه ولم يُرَ قبـلَه * كـريمٌ مضى والمكرماتُ نوادبُه[١٤]

ومن شعر ابن الظُّهير :

قَلْبِى[١٥] وطَرْفِى ذا يَسِـيل دمًا وذا * دون[١٦] الوَرَى أنت العليم بقَـرْحِهِ

(١) هو أبو بكر محمد بن سعد بن الموفق الصوفى ابن الخـازن . تقدّمت وفاته سنه ٦٤٣ هـ فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبى . (٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن يوسف الزركشى الكاشغرى : نسبة إلى كاشغر، مدينة بالمشرق . توفى سنة ٦٤٥ هـ عن شذرات الذهب . (٣) هو علم الدين على بن محمد بن عبد الصمد الهمدانى السخاوى المفسّر الشافعى . تقدّمت وفاته سـنة ٦٤٣ هـ .

(٤) هى كريمة بنت عبدالوهاب القرشية . تقدّمت وفاتها سنة ٦٤١ هـ . (٥) هو تاج الدين أبو محمد عبدالله بن عمر بن على بن محمد بن حمويه شيخ الشيوخ . تقدّمت وفاته سنة ٦٤٢ هـ . (٦) هو أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم تقدّمت وفاته سنة ٦٦٥ هـ . (٧) فى الأصلين : «والفرضى» وهو تحريف ، وتصحيحه عن تاريخ الإسلام . وهو الشهاب القوصى أبو المحامد وأبو العرب وأبو الفداء وأبو الطاهر إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الفقيـه الشافعى الأنصارى الخزرجى . تقـدّمت وفاته سنة ٦٥٣ هـ فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبى . (٨) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٦ من هذا الجزء . (٩) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥٩ من هذا الجزء . (١٠) الزيادة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافى . وهو شرف الدين أبو الحسين على بن محمد بن أحمد اليونينى الحنبلى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٠١ هـ . (١١) هو جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف بن على بن عبدالملك بن على بن أبى الزهر الكلبى القضاعى الدمشقى المزى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٤٢ هـ .

(١٢) فى فوات الوفيات : «تنكر ليلى ... الخ» . (١٣) هـذه رواية فوات الوفيات وفى الأصلين : «وسدّت على صحبى الغداة ... الخ» . (١٤) اقتصر المؤلف على هذين البيتين وهى قصيدة طويلة كلها على هـذا النمط وتقع فى خمسة وأربعين بيتا كما فى عيون التواريخ فى حوادث هـذه السنة . (١٥) هذه الأبيات من قصيدة واردة فى عيون التواريخ وفوات الوفيات ، تقع فى نحو ثمانية عشر بيتا أوّلها : غش المفنـد كامن فى نصحه * فأطل وقوفك بالغوير وسفحه

(١٦) فى عيون التواريخ وفوات الوفيـات : «بين الورى» .

وهما بحُبّك شاهدان وإنّما * تعـديلُ كلٍّ منهما فى جَرْحِهِ
والقلب منزلُك القديمُ فإن تَجِد * فيـه سـواك من الأنام فَنَحِّهِ

الدين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة، قال:- وفيها تُوفّى الأديب نجم الدين محمد [بن سوّار](1) بن إسرائيل الحَرِيرى(2) الشاعر المشهور فى شهر ربيع الآخر. والإمام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر بن الظَّهِير الحنفى الأديب فى شهر ربيع الآخر أيضا. والأمير شمس الدين آق سنقر الفارِقانِىّ فى الحبس فى جُمادى الأولى. والأمير جمال الدين آقوش النَّجِيبِىّ بالقاهرة فى شهر ربيع الآخر. وشيخ الحنفية وقاضيهم الصَّـدْر سليمان بن أبى العِزّ بن وُهَيب(3) الحنفى فى شعبان، وله ثلاث وثمانون سنة. والصاحب مجدالدين أبوالمجد عبد الرحمن بن أبى القاسم عمر بن أحمد بن هبةالله العقيلىّ قاضى الحنفية فى شهر ربيع الآخر، وله ثلاث وستون سنة. والوزير بهـاء الدين علىّ بن محمد بن سليم المصرىّ(4) بن حِنّا فى ذى القعدة. والمحـدّث ناصر الدين محمد ابن عَرَنْشاه(5) الهَمَذَانِىّ فى جمادى الأولى. والمحدّث شهاب الدين أحمد بن محمد بن عيسى الجَزَرِىّ. وأبو المُرَجَّى(6) المؤمَّل بن محمد بن علىّ [بن محمد(7) بن علىّ بن منصور عِزّ الدين] البالِسِىّ فى رجب.

§ أمر النيل فى هذه السـنة — المـاء القـديم سبع أذرع وإحدى وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وخمس أصابع.

(١) التكملة عن تاريخ الاسلام وما تقدّم ذكره للؤلف. (٢) الحريرى: نسبة الى الحريرية وهم أتباع الشيخ على الحريرى الذى تقدّمت وفاته سنة ٦٤٥ هـ. (٣) فى الأصلين والجواهر المضية: «ابن وهب». وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وعقد الجمان وشذرات الذهب.

(٤) ضبط بالقلم فى تاريخ الإسلام (بفتح السين). وفى عقد الجمان وعيون التواريخ بضمها.

(٥) فى الأصلين: «محمد بن عمر شاه» والتصحيح عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافى وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وعيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك. (٦) فى الأصلين: «أبو الرجا». ما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب. (٧) زيادة عن تاريخ الإسلام.

ذكر سلطنة الملك العادل سَلَامُش[(1)] على مصر

هو السلطان الملك العادل بدر الدين سَلَامُش آبن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بِيبَرْس البُنْدُقْدَارِىّ الصالحىّ النجمىّ السادس من ملوك الترك بمصر. تسلطن بعد خَلْع أخيه الملك السعيد أبى المعالى ناصر الدين محمد بَرَكة خان بآتّفاق الأمراء على سلطنته، وجلس على سرير الملك فى يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة وعمره يوم تسلطن سبعُ سنين. وجعلوا أتابَكه ومدبّر مملكته الأمير سيف الدين قلاوون الصالحى النَّجْمِىّ. وضُرِبت السِّكّة على أحد الوجهين باسم الملك العادل سَلَامُش هذا، وعلى الوجه الآخر آسم الأمير قلاوون، وخُطِب لهما أيضا على المنابر. وآستمرّ الأمر على ذلك وصار الأمير قلاوون هو المتصرِّف فى الممالك والعساكر والخزائن، ولم يكن لسَلَامُش فى السلطنة مع قلاوون إلّا مجرّد الأسم فقط. وأخذ قلاوون فى الأمر لنفسه. فلمّا آستقام له الأمر دَخَل إليه الأمير شمس الدين سُنْقُر الأشقر ووافقه على السلطنة وأخْفَى ذلك لكونه كان خُشْدَاشَه، وكان الأمير عِزّ الدين أَيْدَمُر نائب الشام عاد إلى الشام بمَنْ معه بعد خلع الملك السعيد، فوصل إلى دِمَشق يوم الأحد مستهلّ جُمادى الأولى، فخرج لتلقّيه من كان تخلّف بِدمَشق من الأمراء والجند، والمقدَّم عليهم الأمير جمال الدين آقوش الشمسىّ. وكان قلاوون قد كاتب آقوش فى أمر أَيْدَمُر هذا والقَبْض عليه، فلمّا وصلوا إلى مُصَلّى العيد بقصر حَجّاج آحتاط الأمير جمال الدين آقوش الشمسى والأمراء الذين معه على الأمير أَيْدَمُر نائب الشام وأخذوه بينهم، وفرّقوا بينه وبين عسكره الذين حضروا معه من الديار المصريّة، ودخلوا إلى

(1) ضبط بالقلم فى عيون التواريخ: (بفتح السين وضم الميم). وفى السلوك: (بضم السين وكسر الميم) ووافقه عقد الجمان فى ضم السين ولم يضبط الميم.

دِمَشْق من باب الجابية[1]، ورسموا عليه بدار في دِمَشْق، ثمّ نقلوه إلى قلعة دمشق وآعتقلوه بها . وكان الملك السعيد قبل أن يخرج من الشام سلّم قلعة دِمَشْق للأمير علم الدين سَنْجَر الدُّوَيْدَارِي وجعله النائب عنه أيضا في البلد . ثمّ أرسل قلاوون جمال الدين آقوش الباخِلي وشمس الدين سُنْقُر جاه [الكَنْجِي[2]] إلى البلاد الشاميّة وعلى يدهم نسخة الأيمان بالصورة التي آستقرّ الحال عليها بمصر، وأحضروا الأمراء والجند والقضاة والعلماء وأكابر البلد للحَلِف، وكان معهم نسخة بالمكتوب المُتَضَمِّن خَلْع الملك السعيد وتولية الملك العادل سَلَامُش، فقُرِئ ذلك على الناس وحَلَفوا وآستمرّ الحَلِف أيّاما . ثم إنّ الأمير قلاوون وَلّى خُشْدَاشَه الذى آتفق معه على السلطنة، وهو الأمير شمس الدين سُنْقُر الأشقر، نيابة الشام وأعمالها فتوجّه سُنْقُر الأشقر إليها، ودَخَلها يوم الأربعاء ثالث جُمادى الآخرة من سنة ثمانٍ وسبعين المذكورة بتجمّل زائد، فكان مَوْكِبُه يُضاهي مَوْكِبَ السلطان، وعند وصوله إلى دِمَشْق أمر الأمير علم الدين سَنْجَر الدُّوَيْدَارِي بالنزول من قَلْعة دِمَشْق فنزل في الحال . وصفا الوقت للأمير قلاوون بمَسْك أَيْدَمُر نائب الشام، وبخروج سُنْقُر الأشقر من الديار المصريّة وآنبرَم أمره مع الأمراء والخاصّكيّة، وآتّفقوا معه على خَلْع الملك العادل سَلَامُش من السلطنة وتوليته إيّاها . فلمّا كان يوم الثلاثاء حادى عشرين شهر رجب سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة آجتمع الأمراء والقضاة والأعيان بقلعة الجبل وخَلَعوا الملك العادل بدر الدين سَلَامُش من السلطنة لِصِغَر سنّه، وتسلطن عِوَضه أتابكه الأميرُ سيف الدين قلاوون الألْفي الصالحيّ النَّجْمي،

---

(١) باب الجابيـة، هو السابع من أبواب دمشق، منسوب إلى قرية الجابية، وكانت في الجاهلية مدينة عظيمة . (عن نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٢٥) .

(٢) زيادة عن عيون التواريخ والسلوك .

ونُعِت بالملك المنصور، على أنّه كان هو المتصرِّف فى المملكة منذ خُلِـع الملك السعيد وتسلطن الملك العـادل سَلَامُش ، ولم يكن لسَلَامُش فى أيام سلطنته غيرُ الاسم ، وقلاوون هو الكلّ! وكان عدم سلطنة قلاوون قبل سَلَامُش أنّه خاف ثَوْرَة المماليك الظاهريّة عليه، فإنّهم كانوا يوم ذاك هم معظمَ عسكر الديار المصريّة ، وأيضا كانت بعض القلاع فى يد نُوّاب الملك السعيد فلمّا مهّد أمرَه تسلطن . ولمـّا بلغ سُنْقُر الأشقر سلطنةُ قلاوون داخله الطَّمَع فى الملك وأظهر العِصْيان، على ما سيأتى ذكره فى ترجمة الملك المنصور قلاوون إن شاء الله تعالى .

وكانت مدّة سلطنة الملك العـادل بدر الدين سَـلَامُش على مصر ثلاثةَ أشهر وستّة أيام[(١)] . ولزِم الملك العادل سَلَامُش داره عند أُمّه إلى أن أرسله الملك المنصور قلاوون إلى الكَرَك ، فأقام به عند أخيه الملك خَضِر[(٢)] مدّة ؛ ثم رسم الملك المنصور بإحضاره إلى القاهرة فحَضَر[(٣)] إليها ، وبَقِى خاملًا إلى أن مات الملك المنصور قلاوون وتسلطن من بعده ولدُه الملك الأشرفُ خليل بن قلاوون، جهزه وأخاه الملك خضرا وأهله إلى مدينة اسْطَنْبُول بلاد الأَشْكُرِى ، فأقام هناك إلى أن تُوفِّى بهـا فى سنة تسعين وستمائة . وكان شابًّا مليحًا جميلًا تامّ الشكل رَشِيق القَدّ طويل الشَّعْرِ ذا حياء

(١) فى الأصلين : « ثلاثة أشهر تنقص ستة أيام » . والصـواب ما أثبتناه لأنه حكم من سابع عشر شهر ربيع الآخر الى الحادى والعشرين من شهر رجب كما سيقوله المؤلف بعد قليل . وفى عقد الجمان والسلوك : « وكانت مدّة ملكه مائة يوم » . وفى النهج السديد للفضل بن أبى الفضائل (ج ٢ ص ٤٧٥) : « وكانت مدّة تسميته بالسلطنة ثلاثة أشهر ونصفا) .

(٢) لعله يريد الملك السعيد، لأنه هو الذى أخذ الكرك . وأما أخوهما الخضر فقد أخذ الشوبك كما تقدم ذكر ذلك فى أواخر ترجمة الملك السعيد .

(٣) الذى فى السلوك وتاريخ أبى الفدا وعقد الجمان فى حوادث سنة ٦٨٥ أن السلطان أرسل عسكرا كثيفا مع حسام الدين طرنطاى المنصورى ، وأمره بمنازلة الكرك فسار إليها وتسلمها بالأمان ، وعاد وصحبته أصحاب الكرك جمال الدين خضر و بدر الدين سلامش ولدا الملك الظاهر، فأحسن السلطان إليهما ، ووفى لهما بأمانه ، ثم بلغه عنهما ما كرهه فاعتقلهما فبقيا فى الحبس حتى توفى الملك المنصور .

ووقار وعقل تام . مات وله من العُمُر قريب من عشرين سـنة ؛ قيل : إنّه كان أحسن أهل زمانه ، و به آفتتن جماعة من الناس ، وشبّب به الشعراء وصار يُضرب به المَثَل فى الحسن حتى يقول القائل : « ثغرُ سَلَامُشِيّ » . انتهت ترجمة الملك العادل سَلَامُش ، رحمه الله .

* * *

السنة التى حكم فيها الملك السعيد إلى سابع عشر شهر ربيع الآخر ، ثم حكم من سابع عشر شهر ربيع الآخر إلى حادى عشرين شهر رجب الملك العادل سلامش ، ثم فى باقيها الملك المنصور سَيف الدين قلاوون الألْفِيّ ، وهى سنة ثمان وسبعين وستمائة .

فيها كان خَلْعُ ولدى الملك الظاهر بِيبَرْس من السلطنة : الملك السعيد محمد بركة خان ، والملك العادل بدر الدين سَلَامُش ، وتسلطن بعد سلامش الأمير قلاوون . وقد تقدّم ذكرُ ذلك كلّه .

وفيها تُوفّى الفقيه المحدّث صفىّ الدين أبو [محمد] (١) إسحاق [بن] (١) إبراهيم بن يحيى الشَّقْرَاوِيّ (٢) الحنبلى ، وُلِد بشقراء من ضياع بَرْزَة (٣) من عمل دِمَشق سنة خمس وستمائة . ومات بدمشق فى ذى الحجّة ، وكان فاضلا فقيها سمع الكثير وحدّث .

وفيـها تُوفّى الأمير جمـال الدين آقوش بن عبـد الله الرُّكْنِيّ المعروف بالبطاح (٤) أحد أكابر أمراء دمشق ، عاد من تجريدة سِيس مريضًا ومات بحلب ونُقِل إلى حِمص فدُفِن عند قبر خالد بن الوليد ، رضى الله عنه . والركنى : نسبة الى أسـتاذه

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التواريخ . (٢) فى المنهل الصافى : «الشعراوى ... ولد بشعر من ضواحى دمشق» . (٣) فى شذرات الذهب : «من ضياع زرع» .
(٤) فى الأصلين والمنهل الصـافى : « المعروف بالطباخ » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسـلام وعقد الجمان .

الأمير ركن الدين بيبَرْس الصالحىّ النَّجْمِىّ الذى لَقِى الفرنج بأرض غَزّة وكسرهم، وهو غير الملك الظاهر بيبَرْس .

وفيها تُوفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الشّهابِىّ السِّلَحْدار، كان أيضا فى تجريدة سِيس وعاد مريضا، وتُوُفّى بحماة ثم نُقِل إلى دِمَشق ودفن عند خشداشه أيدكِين [بن عبد الله](١) الشهابى ، نسبة إلى الطَّوَاشى شهاب الدين رَشِيد الخـادم الصالحىّ الكبير وهو أستاذهما .

وفيها تُوفّى الأمير نور الدين أبو الحسن علىّ بن عمر بن مُجَلِّىّ الهكّارىّ، كان من أجل الأمراء وأعظمهم ، ولى نيـابة حلب ، وكان حسن السيرة عالى الهمة كريم الأخلاق شجاعا مِقداما عارفا مدبِّرا معظَّما فى الدُّول . مات بعد عزله عن نيابة حلب فى مرض موته بآستعفائه عنها بها فى شهر ربيع الآخر ودُفِن بهـا ، وقد نيّف على السبعين سنة، رحمه الله تعالى .

وفيهـا تُوُفّى الشيخ جمال الدين أبو زكرِيّا يحيى بن أبى المنصور بن أبى الفتـح آبن رافع بن علىّ الحَرّانىّ الحنبلىّ المعروف بآبن الصَّيْرَفِىّ ، كان إماما فقيهـا عالمـا مُفْتِيًا فى الفقه متبحِّرا فيـه كثير الإفادة ، وأفتى ودرّس وآنتفع به الطلبـة ، ومات فى صفر .

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيهـا تُوفّى السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد بن الظاهر بالكَرَك فى ذى القعدة،وله عشرون سنة وأشهر . والمُسْنِد أبو العبّاس أحمد بن أبى الخَيْر سلامة بن إبراهيم الحَدّاد الحنبلىّ يوم عاشوراء . والإمام جمال الدين يحيى بن أبى المنصور بن الصَّيْرَفىّ الحرّانىّ فى صفر، وله خمس

---

(١) زيادة عن المنهل الصافى . وقد ذكر أنه توفى سنة ٦٩٧ هـ .

وتسعون سنة . وصفىّ الدين إسحاق بن إبراهيم الشَّقْراوِىّ . وفاطمة بنت الملك المحسن[1] ببُزاعة[2] .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ست أذرع سواء . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وإصبع واحدة .

---

(١) هو الملك المحسن أحمد ابن السلطان صلاح الدين تقدمت وفاته سنة ٦٣٤ هـ فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبى . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٨٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

ذكر سلطنة الملك المنصور سيف الدين قلاوون على مصر

السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو المعالى وأبو الفتح قَلَاوُون (١) بن عبد الله الألْفِي التركىّ الصالحىّ النَّجْمِىّ السابع من ملوك الترك بالديار المصرية، والرابع ممن مسّه الرِّقّ .

مَلَك الديار المصرية بعد خَلْع الملك السعيد وصار مدبّر مملكة الملك العادل بدر الدين سَلَامُش إلى أن خلع سَلَامُش وتسلطن الملك المنصور قلاوون هذا من بعده فى حادى (٢) عشرين، وقيل عشر شهر رجب سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة، وجلس على سرير الملك بأُبَّهة السلطنة وشِعار المُلْك وتمّ أمره . ولمّا آستقل بالمملكة أمسك جماعة كثيرة من المماليك والأمراء الظاهريّة وغيرهم، وآستعمل مماليكه على البلاد والقِلَاع ، فلم يبلَع رِيقَه حتّى خرج عليه الأمير شمس الدين سُنْقُر الأشقر نائب دِمَشْق، فإنّه لمّا وصل إليه البَرِيد إلى دِمَشْق بسلطنة المنصور قلاوون فى يوم الأحد سادس عشرى (٣) رجب، وعلى يده نُسْخةُ يمين التّحليف للأمراء والجند وأرباب الدولة وأعيان الناس ، فأحْضِروا إلى دار السعادة (٤) بدمشق وحَلَفُوا إلّا الأمير سُنْقُر الأشقر نائب الشام ، فإنّه لم يَحلِف ولا رَضِى بما جرى من خَلْع سَلَامُش وسلطنة قلاوون،

---

(١) فى الأصلين : « أبو الفتوح » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمنهل الصافى .

(٢) هذا ماجرى عليه أكثر المصادر التى تحت يدنا خلا الجوهر الثمين و بدائع الزهور ففيهما : « وجلس على التخت فى يوم الأحد ثانى عشر رجب » .

(٣) فى الأصلين : « سادس عشر رجب » . والصواب ما أثبتناه، لأن ولايته كانت فى الحادى والعشرين من رجب . عن تاريخ الدول والملوك لابن الفرات .

(٤) دار السعادة هى دار العدل التى أنشأها فى دمشق قريبا من باب النصر قبلى قلعة دمشق الشهيد محمود بن زنكى وآشتهرت فى عصر المماليك بدار السعادة ؛ ونظرا لقربها من باب النصر يطلقون عليها اسم باب دار السعادة . وموضعها اليوم قبلى سوق الأروام (أفادنيه حضرة الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان الدمشقى) . وفى أحد الأصلين : «باب السعادة» .

فلم يلتفت أهلُ دِمشق إلى كلامه . وخُطِب بجامع دمشق للملك المنصور قلاوون وجوامع الشام بأسْرها خلا مواضع يسيرة توقّفُوا، ثم خطبوا بعد ذلك .

وأمّا الملك المنصور قلاوون فإنّه فى شهرِ رمضان عَزَل الصاحب بُرْهان الدين السِّنْجارِىّ (١) عن الوزارة بالديار المصريّة ، وأمَره بلزوم مدرسة (٢) أخيه قاضى القضاة بدر الدين السِّنْجَارِىّ بالقرافة الصغرى ، وآستقرّ مكانه فى الوزاره الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لُقْمان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصريّة ، وتولى عِوضَه صحابة الديوان القاضى فتح الدين محمد آبن القاضى مُحيي الدين [عبد الله] (٣) بن عبد الظاهر، وهو أوّل كاتب سرّ كان فى الدولة التُّركية وغيرها ، و إنما كانت هذه الوظيفة فى ضمن الوزارة، والوزير هو المتصرّف فى الديوان، وتحت يده جماعة من الكتّاب المُوَقّعين، وفيهم رجلٌ كبير كاتب كاتب السرّ الآن ، سُمّى فى الآخر صاحب ديوان الإنشاء . ومن النـاس من قال : إنّ هذه الوظيفة قديمة. وآستدلّ بقول صاحب صبح الأعشى وغيره ممّن كتب للنبيّ ، صلى الله عليه وسلم، ومَن بعده . وردّ على من قال ذلك جماعةٌ أُخَر، وقالوا : ليس فى ذكر من كتب للنبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، وغيره من الخلفاء دلاله على وظيفة كتابة السرّ، و إنّما هو دليل لكلّ كاتب كتب لملك أو سلطان أو غيرهما كائنًا من كان ، فكلّ كاتب كَتَب عند رجل يقول : هو أنا ذاك الكاتب، وإذا الأمر آحْتَمل وآحْتَمل سَقَط الآحتجاج به . ومَنْ قال: إنّ هذه الوظيفة ما أحدثها إلّا الملك المنصور قلاوون فهو الأصحّ، ونُبيّن ذلك ، إن شاء الله تعالى . فى أواخر هـذه الترجمة ، ونذكر من ذكره

(١) هو الصاحب برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٦ هـ .

(٢) هذه المدرسة غير ممكن بعين موقعها الآن لاندثارها واحداث ... فى منطقتها . وأما القرافة الصغرى فهى التى تعرف اليوم بجبانة الإمام الشافعى .

(٣) التكملة عن المنهل الصافى وشذرات الذهب ومما سيأتى ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩١ هـ .

صاحب صبح الأعشى وغيره من الكُتّاب من عهد النبىّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، إلى يومنا هذا على سبيل الآختصار. انتهى . وقد خرجنا عن المقصود .

وأمّا سنقر الأشقر فإنّه فى يوم الجمعة رابع عشرى[1] ذى القعدة من السنة ركب من دار السعادة بدمشق بعد صلاة العَصْر ومعه جماعةٌ من الأمراء والجند ، وهم رَجّالة وهو راكب وحدَه وقصد القلعة من الباب الذى يلى المدينة فهجَمَها بمن كان معه ، وطلَعها وجلس بها من ساعته وحَلّف الأمراء والجند ومَن حضر وتسلطن وتلقب «بالملك الكامل» ، ونادت المنادية فى المدينة بسلطنته وآستقلاله بالممالك الشاميّة ، وفى بُكرة يوم السبت خامس عشرين ذى القعدة طَلَب القضاة والعلماء ورؤساء البلد وأكابره وأعيانه إلى مسجد أبى الدَّرْدَاء ، رضى الله عنه ، بقلعة دمشق وحلّفهم وحلّف بقيّة الناس على طاعته ؛ ثم وَجّه العساكر فى يوم الأربعاء تاسع عشرينه إلى بلاد غَزّة لحفظ البلاد ومَغَلّها ودفع من يأتى إليها من الديار المصريّة. وخرجت سنة ثمانٍ وسبعين وليس للملك المنصور قلاوون حكمٌ إلّا على الديار المصرية وأعمالها فقط .

ولمّا آستهلت سنة تسع وسبعين والملك المنصور سلطان مصر، والملك الكامل شمس الدين سُنْقُر الأشقر سلطان دِمَشق وما والاها، وصاحبُ الكرك الملك المسعود خَضِر آبن الملك الظاهر بيبَرْس، وصاحب حَماة والمَعَرّة الملك المنصور ناصر الدين محمد آبن الملك تقى الدين محمود الأيُّوبىّ؛ والعراق والجزيرة والمَوْصل وإربِل وأذَرْبيجان وديابكر وخِلاط وخُراسان والعجم وما وراء ذلك بيد التّتار والروم ؛ وصاحب اليمن الملك المظفّر شمس الدين يوسف بن عمر [بن علىّ بن رَسول][2] ، وصاحب مكّة ، شرّفها الله تعالى ، الشريف نجم الدين أبو نُمَىّ الحَسَنىّ ، وصاحب المدينة الشريفة،

---

(١) فى الأصلين : «رابع عشر» . والتصحيح عن تاريخ أبى الفداء وما سيذكره المؤلف بعد قليل .
(٢) زيادة عما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٤ هـ .

على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام ، الأمير عِزّ الدين جمّاز بن شِيحة الحُسَيْنيّ ؛ ذكرنا هؤلاء تنبيهاً للناظر فى الحوادث الاتية، ليكون فيما يأتى على بَصيرة . انتهى.

ثم إنّ السلطان الملك المنصور قلاوون فى أوّل سنة تسع وسبعين وستّمائة المذكورة جهّز عسكرًا لغزّة ، فلمّا قاربوها لَقِيهم عسكر الملك الكامل سُنْقُر الأشقر وقاتلوهم حتّى نزحوهم عنها ، وآنكسر العسكر المصرىّ وقَصَد الرمل وآطمأنّ الشاميّون بغَزّة ونزلوا بها ساعةً من النهار، وكانوا فى قِلّة ، فكَرّ عليهم عساكر الديار المصريّة ثانياً وكبسوهم ونالوا منهم منالًا كبيرا، ورَجَع عسكر الشام منهزماً إلى مدينة الرَّمْلة (١) .

وأمّا الملك الكامل سُنْقُر الأشقر فإنّه قَدِم عليه بدمشق الأميرُ شرف الدين عيسى آبن مُهَنّا ملك العرب بالبلاد الشرقيّة والشماليّة ؛ ودَخَل على الكامل وهو على السِّماط فقام له الكامل ، فقبّل عيسى الأرضَ وجلس عن يمينه فوق مَن حضر . ثم وصل إلى الملك الكامل أيضا الأميرُ شهاب الدين أحمد بن حِجّى بن بُرَيد (٢) مَلِك العرب بالبلاد الحجازيّة فأكرمه الملك الكامل غاية الإكرام .

وأمّا الملك المنصور لما بلغه ما وقع لعسكره بغَزّة جهّز عسكرا آخر كَثيفًا إلى دِمَشق لقتال الملك الكامل سُنْقُر الأشقر ، ومقدَّمُهم الأمير علم الدين سَنْجَر الحلبىّ، وخرجوا من مصر وساروا إلى جهة الشام، فصار عسكر دِمَشق الذى بالرَّمْلة كلّما تقدّم العسكر المصرىّ منزلة تأخّر هو منزلة إلى أن وصل أوائلُهم إلى دمشق فى أوائل صفر . وفى يوم الأربعاء ثانى عشر صفر المذكور خرج الملك الكامل من دِمَشق بنفسه بجميع مَنْ عنده من العساكر، وضَرَب دِهْليزَه بالجُسُورة (٣) وخيّم هناك

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) فى الأصلين وما سيأتى ذكره للؤلف فى حوادث سنة ٦٨٢ هـ : « ابن يزيد » والتصحيح عن المنهل الصافى وعيون التواريخ وتاريخ الإسلام .

(٣) الجسورة : موضع بظاهر دمشق .

بجميع الجيش، واستخدم المماليك وأنفق الأموال، وجمع خلقا عظيما وحضر عنده عرب الأميرين : ابن مهنا وابن حجى ونجدة حلب ونجدة حماة، مقدمهما الملك الأفضل نور الدين على أخو صاحب حماة؛ ورجالة كثيرة من جبال بعلبك، ورتب العساكر والأطلاب بنفسه وصف العساكر ميمنة وميسرة ووقف هو تحت عصائبه؛ وسار العسكر المصرى أيضا بترتيب هائل وعساكر كثيرة، والأطلاب أيضا مرتبة، والتقى الجيشان فى يوم الأحد [سادس عشر صفر][1] وقت طلوع الشمس فى المكان المذكور وتقاتلا أشد قتال، وثبت كل من الطائفتين ثباتا لم يسمع بمثله إلا نادرا لاسيما الملك الكامل سنقر الأشقر، فإنه ثبت وقاتل بنفسه قتالا شديدا، واستمر المصاف بين الطائفتين إلى الرابعة من النهار ولم يقتل من الفريقين إلا نفر يسير جدا، وأما الجراح فكثيرة . فلما كانت الساعة الرابعة من النهار خامر أكثر عسكر دمشق على الملك الكامل سنقر الأشقر وغدروا به وانضافوا إلى العسكر المصرى[2]، وكان لما وقع العين على العين قبل أن يلتحم القتال انهزم عساكر حماة وتخاذل عسكر الشام على الكامل، فمنهم : من دخل بساتين دمشق واختفى بها، ومنهم من دخل دمشق راجعا، ومنهم من ذهب إلى طريق بعلبك، فلم يلتفت الملك الكامل لمن ذهب منه من العساكر وقاتل، فلما انهزم عنه من ذكرنا فى حال القتال ضعف أمره ومع هذا استمر يقاتل بنفسه ومماليكه إلى أن رأى الأمير عيسى بن مهنا الهزيمة على الملك الكامل أخذه ومضى به إلى الرحبة[3]، وأنزله عنده ونصب له بيوت الشعر .

وأما الأمير شهاب الدين أحمد بن حجى فإنه دخل إلى دمشق بالأمان، ودخل فى طاعة الملك المنصور قلاوون .

---

(١) زيادة عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان .
(٢) عبارة عن ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام . « وعند ما وقعت العين على العين ... الخ » .
(٣) يريد رحبة مالك بن طوق، كما فى ذيل مرآة الزمان .

وأمّا عساكر الشام فإنهم آجتمعوا على القصب من عمل حِمْص، ثم عاد أكثر الأمراء إلى جهة دِمَشق وطلبوا الأمان من مقدّم العساكر المصرية الأمير علَم الدين سَنْجَر الحلَبيّ .

وأمّا العساكر المصرية فإنّهم ساقوا من وقتهم إلى مدينة دِمَشق وأحاطوا بها، ونزلوا بخيامهم ولم يتعرّضوا للزحف، وراسلوا مَنْ بالقلعة إلى العَصْر من ذلك النهار، وفُتِح من المدينة بابُ الفرج ودَخَل منه إلى دمشق بعضُ مقدّمي الجيش؛ ثم طَلَب مَن بالقلعة الأمان فأمّنهم سَنْجَر الحلبي، ففُتِحت القلعة فدخلوا إليها من الباب الذي داخل المدينة وتَسلّموها بالأمان وأفرجوا عن جماعة كثيرة من الأمراء وغيرهم، كان آعتقلهم سُنْقُر الأشقر، منهم : الأمير ركن الدين بِيبَرْس(١) العَجَمِيّ المعروف بالجالق، والجالق : آسم للفَرَس الحادّ المِزاج باللغة التركية، والأمير حُسام الدين لاچين(٢) المنصوريّ، والقاضي تقيّ الدين تَوْبة(٣) التِّكرِيتيّ وغيرهم . وكَتَب الأمير علم الدين سَنْجَر الحلبيّ بالنصر إلى الملك المنصور قلاوون فسُرّ المنصور بذلك، ودقّت البشائر لذلك أياما بالديار المصرية وزُيِّنت القاهرة ومصر .

وأما سَنْجَر الحلبيّ فإنه لما ملك دِمَشق وقلعتها جهز في الحال قطعة جيّدة من الجيش المصريّ تُقارب ثلاثة آلاف فارس في طَلَب سُنْقُر الأشقر ومَنْ معه من الأمراء والجند . ثم حضر جواب الملك المنصور قلاوون بسرعة يتضمّن : بأننا قد عَفَوْنا عن جميع الناس الخاصّ والعام أرباب السيوف والأقلام، وأمّنّاهم على أنفسهم وأهليهم وأموالهم؛ وحضر التشريفُ للأمير حُسام الدين لاچين المنصوري

(١) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٠٧ هـ . (٢) هو حسام الدين لاچين بن عبد الله المنصوري الذي تسلطن على الديار المصرية بعد سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الأولى كما سيأتي في الجزء الثامن من هذه الطبعة، إن شاء الله تعالى . (٣) هو التقي الصاحب الكبير أبو البقاء توبة ابن علي بن مهاجر التكريتي ويعرف بالبيع . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٨ هـ .

السِّلَحْدار بنيابة دِمَشق ، فلبِس الخلعة وقبّل الأرض ؛ ثم أردف الأميرُ سنجر الحلبىّ العسكرَ الذى كان توجّه لقتال سُنْقُر الأشقر بعسكرآخر ، مقــدّمه الأمير عِزّ الدين الأفرم ، فلَحِق بمَنْ كان توجّه قبله وســار الجميع فى طلب سُنْقُر الأشقر . فلمّا بلغ سُنْقُر ذلك رَحَل عن عيسى بن مُهَنّا وتوجّه فى البريّة إلى الحصون التى كانت بَقِيتْ فى يد نُوّابه ، فتحصّن هو ومن معه بهـا فى أواخر الشهر المذكور وهى : صِهْيَوْن ، كان بها أولاده وخزائنه ودَخَلها هو أيضاً ، و بلاَطُنُس وحصْن بُرْزَيْه وحصن عكّار[(١)] وجَبَلة واللّاذِقِيّة وغيرها ؛ ثم عادت العساكر إلى دِمَشق وتردّدت الرسل بينهم و بين سُنْقُر الأشقر .

و بينما هم فى ذلك وردت الأخبار فى أوائل جُمادى الآخرة أنّ التّتار قصــدوا البــلاد الشاميّة ، فخرج مَنْ كان بدمشق من العساكر الشاميّة والمصريّة ، ومقدّمُهم الأمير رُكن الدين اياجى[(٢)] ، ولَحِقهم العساكر الذين كانوا فى طَلَب سُــنْقُر الأشــقر ، ونزل الجميع بظاهر حَمَاة ؛ وكانوا كاتبوا الملك المنصور قلاوون بمجىء التّتار . فجهّز إليهــم فى الحال عسكرًا عليــه الأمير بدر الدين بكتّاش النَّجْمِىّ ، فلَحِق بهــم الأمير بكتّاش[(٣)] المذكور بمن معــه من العسكر المصرىّ ، وآجتمع الجميع على حَمَاة وأرســلوا كشّافة فى العشر الأوســط من جمادى الآخرة إلى بلاد التّتار . هــذا وقد جفَــل غالبُ مَنْ بالبلاد الشاميّة وخرجوا عن دورهم ومنازلهم ولم يبقَ هناك إلّا من عجَز عن الحركة . وكان سبب حركة التّتار أنّهم لمّــا سمِعوا آختلاف الكلمة ، وظنّوا أنّ

---

(١) فى الأصلين : «عكا» . وتصحيحه عن عيون التواريخ وعقد الجمان والذيل على مرآة الزمان ، وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥١ من هــذا الجزء . (٢) لقبه المؤلف فى المنهل الصافى : « سيف الدين اياجى » وذكر أن وفاته ســنة ٦٨٦ ﻫ . (٣) هو بكتّاش بن عبــد الله الفخرى النجمى الأمير بدر الدين أمير سلاح كان مقدّم العساكر المصرية . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٠٦ ﻫ والفخرى : نسبة الى فخر الدين بن الشيخ ، كما فى الدرر الكامنة والمنهل الصافى وما سيذكره المؤلف .

سُنْقُر الأشقر بمن معه يتّفِق معهم على قتال الملك المنصور قلاوون . فأرسل أمراءُ العساكر المصريّة إلى سنقر الأشقر يقولون له : هذا العدوّ قد دَهَمنا وما سببه إلا الخُلْف بيننا ! وما ينبغى هلاك الإسلام ، والمصلحة أنّنا نجتمِع على دَفْعه ؛ فآمتثل سنقر ذلك وأنزل عسكره من صِهْيَوْن وأمَر رفيقَه الحاج أَزْدَمُر أن يفعل كذلك من شَيْزَر ، وخَيّمت كلّ طائفة تحت قلعتها ، ولم يجتمعوا بالمصريين ، غير أنهم آتّفقوا على آجتماع الكلمة ودَفْع العدوّ المخذول عن الشام ، وآستمرّوا على ذلك إلى يوم الجمعة حادى عشرين جُمادى الآخرة . وصل طائفة كبيرة من عساكر التّتار إلى حلب ودخلوها من غير مانع يَمْنَعُهم عنها ، وأحرقوا الجوامع والمساجد والمدارس المُعْتَبَرة ودار السلطنة ودور الأمراء ، وأفسدوا إفسادا كبيرا على عادة أفعالهم القبيحة ، وأقاموا بها يومين على هذه الصورة ؛ ثم رحلوا عنها فى يوم الأحد ثالث عشرينه راجعين إلى بلادهم بعد أن تقدّمتهم الغنائم التى كسبوها وكان شيئًا كثيرا . وكان سبب رجوعهم لمّا بلغهم آتّفاق الطائفتين على قتالهم ؛ وقيل فى رجوعهم وجه آخر ، وهو أن بعض من كان آستتر بحلب يَئِس عن نفسه من الحياة (١) ؛ فطلَع منارة الجامع وكبّر بأعلى صوته على التّتار ، وقال : جاء النَّصْرُ من عند الله وأشار بمنديل كان معه إلى ظاهر البلد ، وأوهم أنّه أشار به إلى عسكر المسلمين ، وجعل يقول فى خلال ذلك : اقبضوهم من البيوت مثل النّساء ! فتوهّم التّتار من ذلك وخرجوا من البلد على وجوههم وسَلِم الذى فعل ذلك .

وأمّا سُنْقُر الأشقر فإنّ جماعة من الأمراء والأعيان الذين كانوا معه فرّوا إلى العسكر المصرىّ ودخلوا تحت طاعة الملك المنصور قلاوون .

---

(١) فى ذيل مرآة الزمان : « يئس من الحياة » .

وأمّا الملك المنصور قلاوون فإنّه لما طال عليه أمر سُنْقر الأشقر وأمرُ التّتار جَمع أعيان مملكته فى هذا الشهر بقلعة الجبل ، وجعل ولده الأمير علاءَ الدين[(١)] عليًّا وَلِىَّ عهده، ولقبه « الملك الصالح » ، وخُطِب له على المنابر. ثم تجهّز السلطان وخرج من الديار المصريّة بعساكره ، وسار حتى وصل إلى غَزّة بلَغه رجوع العدو المخذول ، فأقام بالرَّمْلة وتوقّف عن التوجه إلى دمشق لعدم الحاجة إلى ذلك ، وقَصَد تخفيف الوَطْأة عن البلاد وأهلها . ثم رحَل يوم الخميس عاشر شعبان راجعًا من الرَّمْلة إلى الديار المصريّة، فدخلها وأقام بها أقلّ من أربعة أشهر. ثم بَدَا له التوجُّه إلى الشام ثانيا، فتجهّز وتجهّزت عساكره وخرج بهم من مصر فى يوم الأحد مستهلّ ذى الحجّة قاصدًا الشام، وتَرَك ولده الملك الصالح عليًّا يُباشر الأمور عنه بالديار المصريّة .

وسار الملك المنصور قلاوون حتى وصل إلى الرَّوْحَاء من عمل الساحل ، ونزل عليها فى يوم الثلاثاء سابع عشر ذى الحجّة ، وأقام قُبالة عكّا ، فراسلتْه الفرنج من عكّا فى تجديد الهُدْنة ، فإنّها كانت آنقضت مدّتها ، وأقام بهذه المنزلة حتى آستهلّت سنة ثمانين وستّمائة رحَل عنها يوم الخميس عاشر المحرّم . ونزل اللَّجُّون[(٢)]، وحضر رُسل الفرنج بها بحضرة الأمراء، وسمعوا رسالة الفرنج، فآستشارهم السلطان فحصل الآتّفاق على الهُدْنة ، وحَلَف لهم الملك المنصور على الصورة التى وقع الآتّفاق عليها ، وآنْبَرَم الصلح وآنعقدت الهُدْنة فى يوم الأحد ثالث عشر المحرّم . ثم قَبَض الملك المنصور على الأمير كُونُدُك[(٣)] الظاهرىّ وعلى جماعة من الأمراء الظاهريّة لمصلحة آقتضاها الحالُ، وعند قَبْضهم هرب الأمير سيف الدين بَلَبان الهارُونىّ ومعه

(١) فى عقد الجمان وبدائع الزهور لابن إياس : « نور الدين » . وسيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٦٨٧ هـ . باسم علاء الدين .

(٢) اللجون : بلد بالأردن ، بينه وبين طبرية عشرون ميلا ، وإلى الرملة مدينة فلسطين أربعون ميلا (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٦ من هذا الجزء .

جماعةٌ وقصدوا صِهْيَوْن إلى عند سنقر الأشقر، و رُكِبت الخيل فى طلبهم فلم يدركوهم، ثم هرب الأمير أَيْتَمُش السَّعْدِىّ[1] أيضا ومعه جماعةٌ إلى صِهْيَوْن من منزلة خَرِبة اللّصوص .

ثم سار الملك المنصور إلى دِمَشق فدخلها فى يوم السبت تاسع عشره، وأقام بدِمَشق الى أن قَدِم عليه فى صفر الملك المنصور محمد صاحب حَمَاة، فخرج الملك المنصور قلاوون لتلَقّيه وأكرمه . ثم تردّدت الرسل بين السلطان الملك المنصور قلاوون و بين سُنْقُر الأشقر فى تقرير قواعد الصلح . فلمّا كان يوم الأحد رابع شهر ربيع الأوّل من سنة ثمانين وستمائة وصل من جهة سنقر الأشقر الأميرُ علم الدين سَنْجَر الدُّوَيْدارِىّ[2] ومعه خازِنْدار سُنْقُر الأشقر فى معنى الصلح والوقوف على اليمين، فحلف الملك المنصور قلاوون يوم الآثنين خامسه، ونادت المناديةُ فى دمَشق بآنتظام الصلح وآجتماع الكلمة، فرَجع رسل سُنْقُر الأشقر ومعهم الأمير فخر الدين ايازُ[3] المُقْرِئ ليحضُر يمين سُنْقُر الأشقر، فحلفه وعاد إلى دمشق يوم الآثنين ثانى عشره، فضُرِبت البشائر بالقلعة وسُرّ الناس بذلك غايةَ السرور . وصورة ما آنتظم الصلح عليه أنّ سُنْقُر الأشقر يرفع يده عن شَيْزَر و يُسلّمها إلى نُوّاب الملك المنصور قلاوون، وعوّضه قلاوون عنها فامِيَةَ وكَفَرْطَاب وأنطاكِيَة والسُّوَيْدِيّة[4] و بَكَاس ودَرْكُوش بأعمالها كلّها وعدّة ضِياع معروفة، وأن يُقيم على ذلك، وعلى ما كان آستقرّ بيده عند الصلح، وهو صِهْيَوْن و بَلاطُنُس وحِصْن بَرْزَةَ وجَبَلَةَ واللّاذِقيّة

(١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) فى الأصلين هنا : « الدواداری » . والتصحيح عما تقدّم ذكره للؤلف فى ترجمة العادل سلامش، وذيل مرآة الزمان فى غير موضع وعقد الجمان .

(٣) هو ایاز بن عبد الله الصالحى النجمى الأمير فخر الدين المعروف بالمقرئ . توفى سنة ٦٨٧ هـ . (عن المنهل الصافى وتاريخ الإسلام) .

(٤) السويدية : من بلاد الشام على ساحل البحر الأبيض، وهى ميناء لأنطاكية (راجع تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل) .

بستمائة فارس، وأنه يُسَلِّم الأمر إلى الملك المنصور قلاوون؛ وخُوطِب سُنْقُر الأشقر فى مكاتباته «بالمقر العالى المولوى السَّيِّدى العالمى العادلى الشمسى» ولم يُصرح فى مخاطباته بالملك ولا بالأمير، وكان يُخاطَب قبل ذلك فى مكاتباته من الملك المنصور قلاوون إلى الجناب العالى الأميرى الشمسى. انتهى.

وبينما السلطان فى ذلك ورَدَ عليه مجىء التَّتار إلى البلاد الشامية وهو بِدمَشق، فتهيّأ لقتالهم وأرسل يطلب العساكر المصرية، وبعد قليل حضرت عساكر مصر إلى دِمَشْق واجتمعت العساكر عند السلطان، ولم يتأخر أحدٌ من التُّرْكُمان والعُرْبان وسائر الطوائف. ووصل الخبرُ بوصول التّتار إلى أطراف بلاد حلب، فخلت حلب من أهلها وجُنْدها ونزحوا إلى جهة حَمَاة وحِمْص، وتركوا الغلال والحواصل والأمتعة، وخرجوا جرائدَ على وجوههم؛ ثم ورد الخبر بوصول مَنْكُوتَمُر بن هولاكو ملك التّتار إلى عَيْنتَاب وما جاورها فى يوم الأحد سادس عشرين جُمادى [الآخرة](١) فخرج الملك المنصور قلاوون بعساكره فى يوم الأحد المذكور وخيّم بالمَرْج، ووصل التتار الى بَغْرَاس، فقدّم الملك المنصور عسكره أمامه، ثم سافر هو بنفسه فى سَلْخ جُمادى الآخرة المذكور، وسار حتى نزل السلطان بعساكره على حِمْص فى يوم الأحد ثالث عشرين(٢) شهر رجب، وراسل سُنْقُر الأشقر بالحضور إليه بمَنْ معه من الأمراء والعساكر، وكذلك الأمير أَيْتَمُش السَّعْدى الذى كان هرَب من عند السلطان لما قَبَض على الأمراء الظاهريّة؛ فامتثل سُنْقُر الأشقر أمرَ السلطان بالسمع والطاعة وركب من وقته بجماعته، وحضَر إلى عند الملك المنصور قلاوون، واستحلفه لأَيْتَمُش السَّعْدى يمينا ثانية ليزداد طُمَأْنِينةً، ثم أحضره وتكامل حضورهم

(١) الزيادة عما يفهم من الذيل على مرآة الزمان والتوفيقات الإلهامية وما سيذكره المؤلف بعد قليل.

(٢) فى ذيل مرآة الزمان: «ثالث شهر رجب».

عنـد السلطان ، وعامَل السلطانُ سُنْقُرَ الأشقرَ بالاحترام التـام والخدْمة البـالغة والإقامات العظيمة والرواتب الجليلة . وشَرَعت التـار تتقدم قليلًا قليلًا بخـلاف عادتهم ، فلمّا وصلوا حَمَاة أفسـدوا بنواحيها ، وشَعّثوا وأحرقوا بُستان الملك المنصور صاحب حَمَاة وجَوْسَقَه وما به من الأبنية . واستمر عسكر السلطان بظاهر حِمْص على حاله إلى أن وصلت التتار إليه في يوم الخميس رابع عشر شعبان ، فركب الملك المنصور بعساكره وصافَفَ العَدُوَّ ، والتقى الجمْعان عند طلوع الشمس ، وكان عددُ التتار على ما قيل مائة ألف فارس أو يزيدون ، وعسكرُ المسلمين على مقدار النصف من ذلك أو أقلّ ، وتواقعوا من ضَحْوة النهـار إلى آخره ، وعَظُم القتـال بين الفريقين وثبَت كلٌّ منهم .

قال الشـيخ قُطب الديـن اليُونينيّ : « وكانت وَقْعَةٌ عظيمةٌ لم يُشْهَد مثلُها في هـذه الأزمان ولا من سـنين كثيرة ، وكان المُلْتَقَى فيما بين مَشْهَد خالد بن الوليد ، رضي الله عنـه ، إلى الرَّسْتَن(1) والعاصي ، واضطربت مَيْمَنة المسلمين ، وحَملت التتار على مَيْسرة المسلمين فكسرُوها وانهزم مَن كان بهـا ، وكذلك انكسر جَنَـاح القلب الأيسر وثبَت الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، رحمـه الله تعـالى ، في جَمْـع قليل بالقلب ثَباتًا عظيما ، ووصل جماعةٌ كثيرة من التتار خَلْفَ المنكسرين من المسلمين إلى بُحَيْرة حِمْص ، وأحدق جمـاعةٌ من التتار بحِمص ، وهي مغلقة الأبواب ، وبذلوا نفوسهم وسـيوفَهم فيمَنْ وجدوه من العوامّ والسُّوقَة والغِلْمان والرَّجّالة المجاهـدين بظاهرها ، فقتلوا منهم جماعةً كثيرة ، وأشرف الإسلام على خُطّة صعبة ! ثم إنّ أعيانَ الأمراء ومشاهيرهم وشُجعانهم : مثل سُنْقُر الأشقر المقدَّم ذكره ، وبدرالدين بَيْسَرِي ،

(1) الرستن : بلدة قديمة بين حماة وحمص في نصف الطريق ، بها آثار باقية إلى الآن تدل على جلالتها ، وهي خراب ليس بها ذو مرىء ، وهي في علو تشرف على العاصي (عن معجم البلدان لياقوت) .

وعلم الدين سَنْجَر الدُّوَيْدَارِىّ، وعلاء الدين طَيْبَرْس الوَزِيرى، وبدر الدين بيليك أمير سلاح، وسيف الدين أَيْتَمُش السَّعْدِىّ، وحُسام الدين لاچين المنصورىّ، والأمير حسام الدين طُرُنْطَاى(١) وأمثالهم لمـَّا رَأَوْا ثبات السلطان ردُّوا على التّتار وحَمَلوا عليهـم حَمَلات حتّى كسروهم كَسْرَةً عظيمة، وجُرِحَ مَنْكُوتَمُر مقدّم التّتار، وجاءهم الأمير شرف الدين عيسى بن مُهَنّا فى عربه(٢) عَرْضًا فتمّت هزيمتُهم، وقتلوا منهم مَقتلةً عظيمةً تُجاوز الوصف، وٱتّفق أنّ مَيْسَرة المسـلمين كانت ٱنكسرت كما ذكرنا، والميمنة ساقتْ على العدُوّ ولم يبقَ مع السلطان إلاّ النَّفَرُ اليسير، والأمير حُسام الدّين طُرُنْطَاى قُدّامه بالسناجق، فعادت المَيْمَنة الذين كَسرُوا ميسرة المسلمين فى خَلْق عظيم ومَرُّوا به، وهو فى ذلك النَّفَر تحت السناجق (يعنى الملك المنصور قلاوون) والكُوسات تضرب. قال: ولقد مررتُ به فى ذلك الوقت وما حوله من المقاتلة ألف فارس إلا دون ذلك(٣)، فلمّـا مرّوا به (يعنى ميمنة التّتـار التى كانت كسرت ميسرة المسلمين) ثبَت لهم ثباتا عظيما، ثم ساق عليهم بنفسه فٱنهزموا أمامه لا يَلْوُون على شىء، وكان ذلك تمام النَّصر، وكان ٱنهزامهم عن آخرهم قبل الغروب، وٱفترقوا فرقتين: فرقة أخذت جهة سَلَمْيَةَ والبَرّيّة، وفرقة أخذت جهة حلب والفُرات.

ولمـّا ٱنقضى الحرب فى ذلك النهار عاد السلطان إلى منزلته. وأصبح بُكرة يوم الجمعة سادس عشر رجب(٤) جهّـز السلطان وراءهم جمـاعةً كثيرة من العسكر والعُرْبان، ومقدَّمُهم الأمير بدر الدين بِيليك الأَيْدَمُرِىّ، وكان لمـّا لاحت الكَسْرة على المسلمين

---

(١) هو طرنطاى بن عبد الله المنصورى الأمير حسام الدين أبو سعيد. توفى سنة ٦٩٩ ﻫ (عن المنهل الصافى). (٢) فى الأصلين: فى «حزبه». وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وما يفهم من عبارة عقد الجمان وعيون التواريخ. (٣) كذا فى الأصلين وذيل مرآة الزمان الذى نقل عنه المؤلف. ولعل صوابه: «أو دون ذلك». (٤) فى الأصلين: «سادس عشر شعبان». وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان والتوفيقات الإلهامية، وما يفهم من عبارة عيون التواريخ وعقد الجمان.

نُهِب لهم من الأقمشة والأمتعة والخزائن والسلاح مالا يُحصى كثرةً ، وذهب ذلك كلّه أخذته الحرافشة (١) من المسلمين مثل الغِلْمان وغيرهم . وكُتِبت البشائر بهذا النصر العظيم إلى سائر البلاد ، وحصّل للناس السرورُ الذى لامَزيد عليه ، وعُمِلت (٢) القِلاع وزُيِّنت المُدُن » .

وأمّا أهل دمشق فإنّه كان وَرَد عليهم الخبر أوّلاً بكَسْرة المسلمين ، ووصَل إليهم جماعةٌ ممّن كان آنهزم ؛ فلمّا بلغهم النصرُ كان سرورهم أضعاف سرور غيرهم . وكان أهل البلاد الشامية من يوم خرَج السلطان من عندهم إلى مُلْتَقَى التتار وهم يدعون الله تعالى فى كلّ يوم و يبتهلون إليه ، وخرج أهلُ البلاد بالنساء والأطفال إلى الصَّحارَى والجوامع والمساجد ، وأكثروا من الآبتهال إلى الله ، عزّ وجلّ ، فى تلك الأيام لا يَفْتُرُون عن ذلك حتى ورَد عليهم هذا النصرُ العظيم ولله الحمد ، وطابت قلوبُ الناس ، وردّ مَن كان نَزَح عن بلاده وأوطانه وآطمأنّ كلّ أحد وتضاعف شكرُ الناس لذلك . وقُتِل فى هذه الوقعة من التتار مالا يُحصى كثرةً ؛ وكان مَن آستُشْهِدَ من عسكر المسلمين دون المائتين على ماقيل ؛ وممّن قُتِل الأمير الحاج أَزْدَمُر (٤) ، وسيف الدين بَلَبَان الرومىّ ، وشهاب الدين تُوتل (٣) الشَّهْرُزُورِىّ ، [وناصر الدين بن جَمَال الدين الكاملىّ] ، و[عزّ الدين بن النُّصْرة] (٥) من بيت الأتابك صاحب المَوْصِل وكان أحدَ الشُّجْعان المُفْرِطين فى الشجاعة ، رحمهم الله تعالى أجمعين .

---

(١) الحرافشة ، جمع حرفوش وهو ذميم الخلق والخلق « عن دوزى مادة حرفش » .

(٢) لعلها : « وزينت القلاع والمدن » كما يفهم من سياق كلام اليونينى فى الذيل .

(٣) كذا فى الأصلين وتاريخ الإسلام . وفى ذيل مرآة الزمان والوافى بالوفيات : « توبل » بالباء بدل التاء الثانية .

(٤) تكملة عن تاريخ الإسلام .

(٥) فى الأصلين : « ابن بنت الأتابك » . والتصحيح والزيادة عن ذيل مرآة الزمان .

ثم إن السلطان آنتقل من منزلته بظاهر حِمْص إلى البُحيرة التي بحِمْص ليبعُـد عن الجِيَف ، ثم توجّه عائدًا إلى دِمَشْق فـدخلها يوم الجمعة الثـانى والعشرين من شعبان قبل الصلاة ، وخَرج الناس إلى ظاهر البلد للقائه ، فدخل دِمَشق و بين يديه جماعةٌ من أَسْرَى التَّتار و بأيديهـم رِماحٌ عليها رءوسُ القَتْلى من التَّتار ، فكان يومًا مشهودًا . ودخل السلطان الشام وفى خدمته جماعةٌ مِن الأعيان ، منهم : سُـنْقُر الأشقر الذى كان تسـلطن وتلقب بالملك الكامل ، وأَيْتَمُش السعـدىّ ، و [الأمير علم الدين سَنْجَر](١) الدُّوَيْدَارِىّ ، وبَلَبَان الهارونىّ ؛ ثم قَدِم بعد ذلك [الأمير بدر الدين](١) الأَيْدَمُرِىّ بمن معه من العسكر عائدًا من تَتبّع التَّتار بعد ما أنْكى فيهم نِكايةً عظيمة ، و وصل إلى حلب وأقام بها ، وسـيَّر أكثرَ من معه يتبعونهم ، فهلك من التَّتار خَلْقٌ كثير غَرِقوا بالفُرات عند عُبورهم . وعند ماعَدَوْه نَزَل إليهم أهلُ البيرة فقتلوا منهم مقتـلةً عظيمة وأَسَرُوا منهـم جمعًا كثيرا ، وتفرّق جَمْعُ التتـار وأُخذت أموالُهم . وأقام السلطان بدِمَشْق إلى ثانى شهر رمضان خرَج منه عائدًا إلى الديار المصريّة ، وخرج النـاس لوَدَاعه مُبتهلين بالدعاء له ، وسـار حتى دخل الديار المصريّة يوم ثانى عشرين الشهر بعـد أن آحْتَفَل أهـلُ مصر لملاقاته ، وزُيِّنت الديار المصرية زينة لم يُرَ مثلُها من مدّة سنين ، وعُمِلت بها القلاع(٢) ، وشقّ القاهرة فى مروره إلى قلعة الجبل حتى طَلَع إليها ؛ فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة ، وتضاعف سرورُ الناس بسلامته و بنصر المسلمين على العدوّ المخذول .

ثم إنّ السلطان عَقِيبَ دخوله إلى مصر قبَض على الأمير ركن الدين اياجى الحاجب ، وبهاء الدين يعقوب مقدّم الشُّهْرُزُورِيّة بقلعة الجبل . وآستمرّ السلطان

---

(١) زيادة عما تقدم ذكره للؤلف فى هذه الترجمة .

(٢) راجع الحاشية المتقدمة رقم ٢ ص ٣٠٥ فى هذه الترجمة .

بمصر إلى خامس ذى القعـدة من السنة قَبَض على الأمير أَيْتَمُش السَّـعْدِى بقلعة الجبل وحبَسه بهـا، ثم أرسل إلى نائب دِمَشْق بالقَبْض على الأمير بَلَبـان الهارُونِى بدمشق فقبض عليه .

وفى هذه السنة (أعنى سنة ثمانين وستمائة) تَرَبَّتْ جزيرةُ[1] كبيرة ببحر النيل تُجَاه قرية بُولاق[2]

---

(١) قال المؤلف : إن هـذه الجزيرة تربت ببحر النيل فى سنة ٦٨٠ هـ . تجاه قرية بولاق واللوق ؛ وعبارة المؤلف ليست دقيقة فى التعبير ، لأنها توهم أن بولاق كانت موجودة قبل ظهور هـذه الجزيرة فى حين أنها أنشئت فى سـنة ٧١٣ هـ على جزء من هذه الجزيرة بعد ظهورها فى سـنة ٦٨٠ هـ . ولو عبر المؤلف بأن الجزيرة تربت فى مكان بولاق تجاه اللوق لاسـتقام التعبير . ويفهم من عبارة المؤلف فى هذا الموضوع أن هذه الجزيرة اتصلت بشاطئ النيل تجاه اللوق فأصبحت الطريق من اللوق الى مكان بولاق سالكة للشى ، ويفهم أيضا من هذه العبارة أنه فى السنة التى ظهرت فيها هـذه الجزيرة طمت السيالة التى كانت فى مجرى البحر بين جزيرة الفيل وبين منية السيرج فانسد ذلك المجرى ونشف البحر بينهما واتصل مابين المقس وجزيرة الفيل بالمشى أى اتصل ميدان باب الحديد بجزيرة بدران بعد أن كان النيل يجرى بينهما آتيا من الجنوب بمحاذاة شارع الملكة نازلى وذاهبا إلى الشمال من ميدان باب الحديد إلى منية السيرج .

(٢) بولاق — يستفاد مما ذكره المؤلف بعاليه ومما ذكره المقريزى فى الجزء الثانى من خططه عند الكلام على اللوق (ص ١١٧) وعلى بولاق (ص ١٣٠) وعلى قنطرة باب البحر (ص ١٥١) وعلى جزيرة الفيل (ص ١٨٥) أن شاطئ النيل الشرقى القديم تجاه القاهرة كان إلى سنة ٦٨٠ هـ بعد أن يمر فى مجراه الحالى من مصر القديمة إلى قصر النيل ينعطف قليلا إلى الشرق . ويمتد فى الأمكنة التى تعرف اليوم بشارع الملكة نازلى من أوله عند مصلحة المجارى ، ثم يسير فيه الى ميدان باب الحديد فيدان محطة مصر فمحطة كوبرى الليمون وبعد أن يمر شرق مخازن محطة مصر ينعطف شمالا فيسير فى شارع مهمشة ثم فى مكان جسر السكة الحديدية وعنـد عزبة الخمايسة يميل الى الشمال الغربى مارا تحت سكن منية السـيرج ثم يسير شمـالا الى الغرب حتى يتصل بمجراه الحالى عند فم ترعة الإسماعيلية . وفى سنة ٦٨٠ هـ انحسر النيل عن جانب المقس من الجهة الغربيـة وتقلص ماء النيل عن سور مدينة القـاهرة الذى كان ينتهى إلى المقس عنـد ميدان باب الحديد وظهر فى مجرى النيل بجوار الشاطئ القديم جزر من الرمال الفساد وصارت أرض هذه الجزر تتسع وتنضم إلى بعضها حتى أصـبحت جزيرة واحدة كبيرة اتصلت من بحريها بجزيرة الفيل ومن قبليهـا بأرض اللوق ثم طرح عليها البحر فربت وارتفعت أرضها عن منسوب ماء النيل بسبب ما كان يتركه عليها من الطمى سنويا وأصبحت أطيانها صالحة للزراعة والسكنى . وفى سنة ٧١٣ هـ صرح الملك النـاصر محمد بن قلاوون بالعمارة والبناء فى تلك الأراضى فتسابق الأمراء والجند والكتّاب والتجار والعامة فى البناء وأنشئوا على النيل الدور والقصور والبساتين وتكون من مجموع ذلك بلدة جديدة هى بولاق . ومن هـذا يتبين ان بولاق التى على شاطئ النيل بالقاهرة أنشئت فى سنة ٧١٣ هـ = ١٣١٣ م .

واللّوق (١) ، وآنقطـع بسببهـا مجْرَى البحـر ما بين قلعـــة المُكْس (٢) وساحل

= ومن الاطلاع على خريطة مدينة القاهرة طبع سنة ١٨٥٨ يتبين أن بولاق كانت لغاية تلك السنة بلدة صغيرة واقعة على النيل ولم تتجاوز مبانيها المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع السبتية ومن الجنوب بشارع أسطبلات الطرق ومن الشرق بشوارع سيدى العليمى وعلوة الجحاج وتل نصر ووابور النور ، وكانت الأرض التى بين بولاق القديمة و بين شارع الملكة نازلى كلها أرضا زراعية و بساتين ولم تحدث فيها المبانى إلا فى زمن الخديو إسماعيل ومن ذاك الوقت أخذت بولاق تتسع فى العمارة حتى اتصلت مبانيها بمدينة القاهرة وأصبحت بولاق قسما إداريا من أقسام القاهرة .

(١) اللوق : يستفاد مما ذكره المقريزى عند الكلام على اللوق (ص ١١٥ ج ٢) من خططه أن اللوق هو الأرض اللينة التى تزرع بطريق التلويق فبعد أن ينتهى فيضان النيل و يصرف الماء عنها تنكشف أرضها ولا تحتاج إلى الحرث للينها و رخاوتها بل تلاق لوقا عند نثر البذور حيث تزرع أصنافا شتوية أسوة بأراضى الملق التى فى حياض الوجه القبلى .

ومن تطبيق الحدود التى ذكرها المقريزى لأرض اللوق يتبين أنها كانت ممتدة على النيل فى الجهة الغربية من مدينة القاهرة وتشمل المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع قنطرة الدكة ومن الغرب بشارع الملكة نازلى إلى أوله عند مصلحة المجارى ثم ينعطف الحد إلى قصر النيل ومنـــه يسير محاذيا للنيل إلى كوبرى محمد على . والحد القبلى مستشفى قصر العينى وشارع بستان الفاضل . والحد الشرقى شارع الخليج المصرى فشارع سعد الدين فشارع نو بار باشا (الدواوين سابقا) إلى أن يتقابل مع شارع الشيخ ريحان فينعطف الحد مائلا الى الشرق حتى يتصل بشارع عمـاد الدين عند نقطة تلاقيه بشارع الخديوى إسمـاعيل ثم يستقيم الحد متجها الى الشمال فى شارع عماد الدين إلى أن يتقابل مع الحد البحرى وهذا الحد الشرقى لأرض اللوق كان هو مكان الشاطئ الشرق للنيل تجاه القاهرة لغاية سنة ٦٩ هـ أى أن النيل كان يجرى عند هذا الحد قبل ظهور أرض اللوق وكانت أراضى اللوق فى الزمن المـاضى مما يغمره ماء النيل ثم انحسر عنها فى سنتى ٣٣٠ و ٥٦٠ هـ وأصبحت أرضا زراعية أنشئ بها كثير من البساتين والمنشآت مثل منشأة القاضى الفاضل و بستانه ومنشأة ابن ثعلب و بستانه ومنشأة الكتبة وغيرها مما ذكره المقريزى ، ثم زالت هذه المنشآت و بقيت أرض اللوق أرضا زراعية ولم يحدث فيها بناء بعد ذلك الا فى سنة ٦٦٠ هـ حيث قدم على مصر طائفة من التتار مستأمنين فأنزلهم الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فى دور كان قد أمر بعمارتها من أجلهم فى أراضى اللوق . وفى آخر سنة ٦٦١ هـ قدم طوائف عدّة من المغل والبهادرية فأنزلهم السلطان فى مساكن عمرت لهم باللوق . ومن ذلك الوقت أصبح بأرض اللوق عدة أحكار عامرة آهلة بالسكان ثم أخذت هذه الأحكار فى الخراب تدريجيا إلى أن اندثرت عن آخرها فى القرن العاشر الهجرى .

ومن الاطلاع على خريطة مدينة القاهرة طبع سنة ١٨٥٨ م يتبين أن أرض اللوق التى ذكرنا حدودها كانت لغاية تلك السنة أطيانا زراعية وليس فيها من المبانى الا مجموعة من المساكن واقعة خارج باب اللوق بين شارع البستان و بين شارع جامع جركس . وفى زمن الخديو إسماعيل بدأ الناس فيها بالعمارة والبناء حتى صارت هـــذه المنطقة مشغولة كلها بالدور والقصور يتخللها الشوارع الواسـعة والميادين كما ترى اليوم من قنطرة الدكة إلى مستشفى قصر العينى وشارع بستان الفاضل .

(٢) قلعة المكس : هى قلعة المقس ، و يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على سور =

باب البحر[1]، والرَّمْلة[2] [و]بين جزيرة الفِيل[3] وهو المـارّ تحت مُنْيــة السَّيرج، وآنسدّ هذا البحر ونشف بالـكليّة، وآتصل ما بين المَقْس و جزيرة الفِيل بالمشى، ولم يُعهد

= القاهرة (ص ٣٧٧ ج ١) وعلى منظرة المقس (ص ٤٨٠ ج ١) وعلى جامع المقس (ص ٢٨٣ ج ٢) أن السلطان صـلاح الدين يوسف بن أيوب لمـا عمر السور الثالث للقاهرة فى سنة ٥٦٦ هـ وقت وزارته للخليفة العاضد زاد فى هذا السور القطعة التى من باب الشعرية إلى باب البحر وبنى قلعة المقس على شكل برج كبير فى نهايته السور الغربى على شاطئ النيل بجرى جامع المقس فى مكان منظرة المقس التى كانت على النيل وقت أن كان يمر تحت المقس من الجهة الغربية . وكانت هذه القلعة قائمة إلى أن هدمها الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى عند ما جدد جامع المقس فى سنة ٧٧٠ هـ وجعل فى مكانها جنينة .

وبما أن جامع المقس لا يزال موجودا وهو الذى يعرف اليوم بجامع أولاد عنان بشارع إبراهيم باشا كما أن أجزاء من السور الذى أقامه صـلاح الدين بين باب الشعرية وباب البحر لا تزال قائمة إلى اليوم كما هو مبين على خريطة مدينة القاهرة الحالية . وبما أن هذه القلعة كانت واقعة فى نهاية هذا السور وعلى امتداده من الجهة الغربية فيكون مكانها الأرض القائم عليها اليوم عمارتا الأوقاف وراتب باشا المجاورتان لجامع أولاد عنان من الجهة البحرية بميدان باب الحديد .

(١) يستفاد ممـا ذكره المؤلف فى موضوع الجزيرة التى تربت بجرالنيـل فى سـنة ٦٨٠ هـ ، أن مجرى النيل القديم تجاه باب البحر كان الى تلك السنة مارا بميـدان باب الحديد فيدان محطة مصر فشارع غمره فشارع مهمشة ومتجها الى الشمال الغربى حيث يمر تحت سكن ناحية منية السيرج .

وبمـا أن باب البحر الذى يعرف اليوم بباب الحديد كان واقعا على مدخل شارع فم باب البحر من جهة ميدان باب الحديد الحالى فيكون ساحل باب البحر الذى يشير إليه المؤلف واقعا بميـدان باب الحديد وما جاوره من شارع الملكة نازلى من جهته القبلية وما جاوره من محطة كوبرى الليمون من جهته البحرية .

(٢) هـذه الرملة ذكرها أيضـا المقريزى عند الكلام على الجزر (ص ١١٩ ج ٢) من خططـه ويفهم من عبارته أن هـذه الرملة كان يقال لهـا منية بولاق ومكانها المنطقة التى لا تزال تعرف الى اليوم برملة بولاق الواقعة عند كوبرى امبابه بين النيل وبين شارع كوبرى روض الفرج بقسم بولاق .

(٣) يستفاد ممـا ذكره المقريزى عنـد الكلام على جزيرة الفيـل (ص ١٨٥ ج ٢) من خططه أن هذه الجزيرة كانت واقعة فى وسـط النيل تجاه ناحية منية السيرج خارج باب البحر من القاهرة وكان موضعها غامرا بالمـاء فى أيام الدولة الفاطمية ، وفى أواخر حكم تلك الدولة انكسر مركب كبير كان يعرف بالفيل وترك فى مكانه ، فربا عليه الرمل وانطرد عنه المـاء فصارت جزيرة يحيط بها المـاء من جميع الجهات ثم علا أراضيها الطمى ومابرحت تتسع مساحة أراضيها حتى تم تكوينها حول سنة ٥٧٠ هـ ، فزرعت فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وفى سنة ٦٨٠ هـ ، طرح البحر بجوارها فاتصلت أراضيها بأرض ناحية منية السيرج وبالمقس حيث ميدان باب الحديد الآن . وفى زمن الملك المنصور قلاوون . أنشأ بهـا الأمراء والأعيان الدور والقصور والبساتين حتى صارت بلدا كبيرا بها جامع وسوق كبير وعدة بساتين جليلة . ثم أخذت مبانيها فى الخراب تدريجا ولم يبق بها إلا البساتين والأراضى الزراعية .

فيما تقدّم ، وحصل لأهـل القاهرة مشقّة من نقل المـاء الحلو لبُعد البحر ، فأراد السلطان حفره فنهَوْه عن ذلك ، وقالوا له : هذا ينشف إلى الأبد ، فتأسّف السلطان وغيره على ذلك .

قلت : وكذا وقع ، ونحن الآن لا نعرف أين كان جريان البحر المذكور إلّا بالحَـدْس ، لإنشاء الأملاك والبساتين والعمائر والحارات فى محـلّ مجرى البحر المذكور ، فسبحان القادر على كلّ شىء !

ثم فى أوّل سـنة إحدى وثمانين وستمائة ورد الخـبر على السلطان أنّه تسلطن فى مملكة التّتار مكان أبْغا بن هولاكو أخوه لأبيه أحمـد بن هولاكو ، وهو مُسْلِمٌ حسَن الإسلام وعمرُه يومئذ مقدارُ ثلاثين سـنة ، وأنّه وصلت أوامره إلى بغداد تتضمّن إظهار شعائر الإسلام وإقامة منَاره ، وأنّه أعلى كلمة الدين ، وبنى الجوامع والمساجد والأوقاف ورتّب القُضاة ، وأنه آنقاد إلى الأحكام الشرعية ، وأنّه ألزم أهل الذّمّة بلُبْس الغِيَار(١) ، وضرَب الجِـزْية عليهم ، ويقال إنّ إسلامه كان فى حياة والده هولاكو ، فسُرّ السلطان بذلك سُرورا عظيماً . وبعد مدّة قَبَض السلطان على

= وأقول : إن جزيرة الفيل هى التى تعرف اليوم باسم شبرا أحد أقسام مدينة القاهرة ولا يزال الجزء الجنوبى منها يعرف بجزيرة بدران وكانت جزيرة الفيل تشغل المنطقة التى يتوسـطها اليوم شارع بشـبرا من الجنوب الى الشمال و يحدها من الغرب النيل حيث جسر طراد النيل القديم وشارع أبى الفرج اليوم ومن الجنوب النيل حيث شارع جزيرة بدران وشارع بركات اليوم ومن الشرق سيالة مياه كانت فاصلة بين هـذه الجزيرة وبين الشرابية ومنية السيرج ثم طمئت فى سنة ٦٨٠ هـ .

وبالاطلاع على خريطة القاهرة وضع الحملة الفرنسية فى سـنة ١٨٠٠ م يتبين أن أرض قسم شـبرا كانت أرضا زراعية و بهـا كثير من البساتين ومجموعة مساكن قليلة بجزيرة بدران ولم يستجد فيها البناء إلا فى عهد الخديو إسماعيل حيث أنشأ بها قصر النزهة (المدرسة التوفيقية اليوم) ثم تبعه الأعيان وكبار التجار فأنشئوا بهـا القصور والبساتين على جانبى شارع شبرا ثم أخذت العمارة فى الزيادة والاتساع الى أن امتدت المبانى الى شاطئ النيل وجسر السكة الحديدية وترعة الإسماعيلية .

(١) الغيار: علامة أهل الذمة كالزنار ونحوه.

الأمير بدر الدين بيْسَرِى، وعلى علاء الدين كُشْتُغْدِى الشّمسى وٱعتقلهما بقلعة الجبل، وذلك فى يوم الأحد مستهلّ صفر من السنة . وٱستمرّ السلطان على ذلك إلى يوم الأربعاء(١) ثانى عشرين شعبان طافوا بكسوة البيت العتيق التى عُمِلت برسْم الكعبة، عظّمها الله تعالى، بمصر والقاهرة على العادة، ولَعِبت مماليك السلطان الملك المنصور قلاوون أمام الكسوة بالرّماح والسلاح .

قلت : وأظنّ هذا هو أوّل ٱبتداء سَوْق المحمل المعهود الآن، فإنّنا لم نقف فيما مضى على شىء من ذلك مع كثرة ٱلتفاتنا إلى هذا المعنى، ولهذا غلَب على ظنّى من يوم ذاك بدأ السوق المعهود الآن، ولم يكن إذ ذاك على هيئة يومنا هذا، وإنّما ٱزداد بحسب ٱجتهاد المعلّمين، كما وقع ذلك فى غيره من الفنون والملاعيب والعلوم، فإن مبدأ كلّ أمر ليس كنهايته، وإنّما شَرَع كلّ معلّم فى ٱقتراح نوع من أنواع السَّوْق إلى أن ٱنتهى إلى ما نحن عليه الآن، ولا سبيل إلى غير ذلك . يَعْرِف ما قلته مَن له إلمامٌ بالفنون والعلوم إذا كان له ذَوْقٌ وعقل . وعلى هذه الصيغة أيضًا اللعب بالرمح فإنّ مماليك قلاوون هم أيضا أحدثوه، وإن كانت الأوائل كانت تلعبه، فليس كان لعبهم على هذه الطريقة؛ وأنا أضرب لك مثلا لِمِصْداق قولى فى هذا الفنّ، وهو أنّ مماليك الملك الظاهر برقوق كان أكثرهم قد حاز من هذا الفنّ طَرَفًا جيّدا، وصار فيهم من يُضرب بلعبه المثَل، وهم جماعة كثيرة يطول الشرح فى ذكرهم، ومع هذا أحدث معلّمو زماننا هذا أشياء لم يَمْهَدوها أولئك من تغيير القَبْض على الرمح فى مواطن كثيرة فى اللّعب، حتى إنّ لعب زماننا هذا يكاد أنّه يُخالف لعب أولئك فى غالب قُبوضاتهم وحَرَكاتهم . وهذا أكبر شاهدٍ لى على ما نقلتُه من أمر المحمل، وتَعْداد فنونه، وكثرة ميادينه، وٱختلاف

(١) فى الأصلين: «الى يوم الأحد ... الخ». وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان والتوفيقات الإلهامية.

أسمائها لتغيير لعب الرمح فى هــذه المدّة اليسيرة من صفة إلى أخرى ، فكيف وهذا الذى ذكرناه من ابتداء السوق من ســنة إحدى وثمانين وستمائة ! فمن باب أولى تكون زيادات أنواع ســوق المحمل أحقّ بهذا لطول السنين ، ولكثرة مَن باشره من المعلّمين الأستاذين، ولتغير الدُّوَل، ولمحبّة الملوك وتعظيمهم لهذا الفن، ولإنفاق سوق من كان حاذقا فى هذا الفن . وقد صنّفتُ أنا ثمانية ميادين كلّ واحد يخالف الآخر فى نوعه لم أُسْبَق إلى مثلهــا قديمًا ولا حديثا ، لكنّنى لم أُظْهِرها لكَسَاد هذا الفنّ وغيره فى زماننا هــذا، ولعدم الإنصاف فيه وكثرة حُسّاده ممّن يدّعى فيه المعرفة وهو أجنبيّ عنها، لا يعرف آسم نوع من أندابه[1] على جَلِيّته بل يدّعيه جهْلًا ، ويَقْوَى على دعواه بالشَّوْكة والعصبيّة . ولله درّ القائل :

أيُّهــا المــدّعى سُلَيْمى كفاحًا * لستَ منهــا ولا قُلامة ظُفْــرِ
إنّمــا أنت من سُلَيْمَى كواوٍ * أُلحِقتْ فى الهجاء ظُلْمًــا بعَمْرو

وشاهدى أيضا قول العلّامة جار الله محمود الزَّمَخْشَرِىّ[2] وأجاد، رحمه الله تعالى:

وأخّرنى دهرى وقدّم معْشَرًا * على أنّهم[3] لا يعلمونــ وأعلمُ
ومُذْ أفلح الجُهّال أيقنتُ أنّنى[4] * أنا المِيمُ والأيّام أَفْلَــح أَعْلَمُ

قلت : وتفســير الأفلح هو مشقوق الشّفة العُليــا ، والأعلم مشقوق الشّــفة السُّفْلى ، وفائدة ذلك أن مشقوق الشفتين العُلْيــا والسُّفْلى لا يقــدر أن يتلفّظ بالميم ولا ينْطِق بها . فانظُر إلى حسن هذا التخيّل والغَوْص على المعانى .

(١) الأنداب ، جمع ندب ، وهو ندب النشاب : نوع من اللعب به ؛ يقال لعب أندابا فى الميدان ، وكان عارفا بأنداب الحرب وأظهر أندابا غريبة ، وأظهر من هــذه الأنداب العجائب (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزى ص ٦٥١ وانظر كترمير ج ٢ مجلد ٢ ص ٩٨) .
(٢) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشرى . تقدّمت وفاته سنة ٥٣٨ هـ .
(٣) فى الأصلين : « لأنهم » . (٤) فى الأصلين : «أعلم أنى» .

وما أحسن قولَ الإمام العلّامة القاضى الفاضل[1] عبد الرحيم وزير السلطان صلاح الدّين، وهو :

ما ضرّ جهــلُ الجاهلـ * ـين ولا انتفعتُ أنا بحِذْقى
وزيادة فى الحِــذْق فهـ * ـى زيادةٌ فى نقص رِزْقى

وقول الشّريف الرّضى[2] فى المعنى :

ما قَدْرُ فضلك ما أصبحتَ تُرْزَقُهُ * ليس الحظوظ على الأقدار والمِهَنِ
قد كنتُ قبلك من دهرى على حَنَقٍ * فــزاد ما بك فى غَيْظى على الزمنِ

وفى المعنى :

كم فاضلٍ فاضلٍ أعيتْ مذاهبُــه * وجاهلٍ جاهــلٍ تلقــاه مرزوقَا
هــذا الذى تَرَكَ الألبــابَ حائرةً * وصــيّرَ العالِمَ النِّحريرَ زِنْديقَا

قلت : ويُعجبنى المقالةُ السادسة عشرة من كتاب « أطباق الذهب » للعلّامة شرف الدين عبد المؤمن الأصفهانىّ المعروف بشَوَرْوَة[3]، وهى :

« طَبْعُ الكريم لا يحتمل حُمَةَ[4] الضَّيْم، وهواءُ الصيف لا يَقْبَل غُمّةَ الغَيْم ؛ والنَّبيل يَرْضَى النِّبال والحُسام ، ويأبى أن يُسام[5]؛ ولأَنْ يُقْتَــل صَبْرًا ، ويُودَعَ قبرًا ؛ أحبُّ إليه من أن يُصيبه نُشّابُ الجفاء، من جَفِير[6] الأكفاء؛ يَهْوَى المَنيّة ، ولا يَرْضَى الدَّنيّة ؛ يستقبل السيف ، ولا يقبل الحَيْف ؛ إن سِيمَ أخذتْه الهِزّة ، وإن ضِيم أخذتْه

(١) هو القاضى الفاضل عبد الرحيم ابن القاضى الأشرف أبى المجد على ابن القاضى السعيد أبى محمد محمد محيى الدين . تقدّمت وفاته سنة ٥٩٦ هـ . (٢) هو الشريف الرضى أبو الحسن الموسوى محمد ابن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم . تقدّمت وفاته سنة ٤٠٦ هـ .
(٣) فى الأصلين هنا : « بشيفروه » . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٩ من هذا الجزء .
(٤) الحمة (بالضم) : سم كل شىء يلدغ أو يلسع . (٥) يقال سامه خسفا أى أولاه إياه وأراده عليه . (٦) الجفير : جعبة من جلود لا خشب فيها ، أو من خشب لا جلود فيها .

العِزّة ؛ إن عاشرتَه سال عَذْبا ، و إن عاسرتَه سُلَّ عَضْبا[١] ؛ إن شاربتــه تخمّر ، و إن حاربتَه تنمّر ؛ يَرَى العِزّ مَغْنَمًا ، والذّل مَغْرَما ، وكان كأنف اللَّيْث لا يَشْتَمّ مُرْغَما ! .

فياهــذا كن فى الدنيا حَمِىّ الأنف مَنِيع الجنــاب ، أبِىّ النفس طَرِير[٢] النّاب ؛ ولا تصحب الدنيا صحبةَ بِعَال[٣] ، ولا تنظر إلى أبنائها إلّا من عال ؛ ولا تخفض جَناحك لبنيها ، ولا تُضَعْضِع ركنَك لبانيها ؛ ولا تَمُدَّنّ عَيْنَيْك إلى زخارفها ، ولا تَبْسُط يَدك إلى مَخَارِفها ؛ وكن من الأكياس ، وٱتْلُ على اللِّئام سُورةَ الناس[٤] ، ولا تُصَعِّرْ خدّك للنــاس » . انتهى .

قلتُ : وقد خرجنا عن المقصود غير أنّا وجدنا المقال فقلنا . ولنعُد إلى ما نحن فيه من ترجمة الملك المنصور قلاوون .

ودام السلطان الملك المنصور بديار مصر إلى سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، تُوفّى صاحب حَمَاة الملك المنصور محمد الأيُّوبىّ ، فأنعم السلطان الملك المنصور على ولده بسلطنة حَمَاة ، وولّاه مكان والده المنصور . ثم تجهّز السلطان فى السنة المذكورة وخَرَج من الديار المصريّة بعسكره متوجِّهًا إلى الشام فى أواخر جُمادى الأولى ، وسار حتى دخل دِمَشْق فى ثانى عشر جُمادى الآخرة ، وأقام بدِمَشْق إلى أن عاد إلى جهة الديار المصريّة فى الثُّلُث الأخير من ليــلة السبت ثالث عشرين شعبان ، وسار حتى دخل مصر فى النصف من شهر رمضان ، وأقام بديار مصر إلى أوّل سنة أربع وثمــانين وستمائة تجهّز وخرج منهــا بعساكره إلى جهــة الشام ، وسافر حتى دخل دمشــق يوم السبت ثانى عشرين المحرّم من الســنة المذكورة ، وعَرَض العسكر الشامى عدّة أيّام ، وخرجوا جميعًا قاصدين المَرْقَب فى يوم الاثنين ثانى صفر . وكان

(١) العضب : السيف . (٢) طرير : حاد . (٣) البعال : ملاعبة المرء أهله .

(٤) فى أطباق الذهب : « وٱتل على اللئام سورة الياس » .

قد بَقِى فى يد سُنْقُر الأشقر قطعة من البلاد، منها : بِلَاطُنُس وصِهْيَوْن وبُرْزَيْه وغير ذلك، وكان عمل السلطان فى الباطن آنتزاع ما يُمكن آنتزاعه من يدسُنْقُر الأشقر المذكور و إفساد نُوّابه. فآتفق الحال بين نُوّاب السلطان و بين نُوّاب سنقر الأشقر على تسليم بِلَاطُنُس فسُلِّمت فى أوّل صفر . ووافى السلطانَ البُشْرَى بتسليمها وهو على عيون القَصَب فى توجُّهه إلى حصار المَرْقَب فسُرّ بذلك وآستبشر بنَيْل مقصوده من المَرْقَب، وكان فى نفس السلطان من أهل المَرْقَب لِمَا فعلوا مع عسكره مافعلوا فى السنين الماضية، فنازل السلطانُ حصن المَرْقَب فى يوم الأربعاء عاشر صفر، وشرَع العسكر فى عمل الستائر والمجانيق. فلمّا آنتهت الستائر التى للمجانيق حَمَلَتْها المُقَاتِلة لباب الحصن ، فسقَطت السّتارة إلى بِركة كبيرة كان عليها جماعةُ من أصحاب الأمير علم الدين سَنْجَر الدُّوَيْدَارِىّ ، منهم شمس الدين سُنْقُر أستاداره وعِدّةُ من مماليكه فآستُشْهِدُوا جميعهم ، رحمهم الله تعالى .

ثمّ فى يوم الأحد رابع عشره[(١)]، حضَر رسُل الفرنج من عند مَلِكهم الإسبتار، وسألوا السلطانَ الصُّلح والأمانَ لأهل المَرْقَب على نفوسهم وأموالهم ويُسَلِّمون الحِصْن المذكور، فلم يُجِبْهم السلطان إلى ذلك، وكَمَّل نَصْب المجانيق ورَمى بها وشَعّث الحصن وهدَم معظَم أبراجه وآستمرّ الحال إلى سادس عشر شهر ربيع الأوّل، زحَف السلطان على الحصن فأذعن مَن فيه بالتسليم ؛ وحصَلت المُرَاسلةُ فى معنى ذلك .
فلمّا كان يوم الجمعة ثامن عشر شهر ربيع الأوّل المذكور سُلِّم، ورُفِعت عليه الأعلام الإسلاميّة ونزَل من به بالأمان على أرواحهم فركبوا، وجهّز معهم مَن أوصلهم إلى أَنْطَرْطُوس . [و][(٢)] بالقُرب من هذا الحصن [مَرَقِيَة][(٢)] وهى بلدة صغيرة على البحر، وكان

(١) فى الأصلين : «ثم فى يوم الأربعاء رابع عشره» . وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان .

(٢) تكملة عن ذيل مرآة الزمان ونثر الجمان للفيومى والمنهل الصافى .

صاحبها قد بَنَى فى البحر بُرْجا عظيما لأيُرام ولا تَصِله النُّشّاب ولا حجرُ المَنْجَنِيق وحصّنه؛ وآتفق حضورُ رُسُل صاحب طَرَابُلُس إلى السلطان بطَلَب مراضيه، فآقترح عليه خَرَاب هذا البرج و إحضار مَن كان فيه أسيرا من الجُبَيْلِيِّين الذين كانوا مع صاحب جُبَيْل؛ فأحضر مَن بَقِي منهم فى قَيْد الحَيَاة وآعتذر عن هَدْم البُرْج بأنه ليس له، ولا هو تحت حُكْمه؛ فلم يقبَل السلطان آعتذاره وصمّم على طلبه منـه، فقيل : إنّه آشـتراه من صاحبه

(١) كان هذا البرج من حصون فرسان التمبلار وهى طائفة الداوية المشهورة التى تقـدّم ذكرها غير مرة فى الجزء السادس من هـذه الطبعة . وأطلق عليها اسم التمبلار أيضـا ، ومعناه فرسان الهيكل ، وكان للتمبلار فى الحروب الصليبية شأن عظيم منذ أول عهدها حتى محاربتهم لبيموند الرابع صاحب طرابلس ثم محالفتهم له وللاسماعيلية على عهد بيبرس وكانت لهم حصون بغراس وعثليث وأنطرطوس وجبيل السابق ذكرها (انظـر تاريخ الصليبيين فى المشرق لاستفنسون . وفلسطين الاسلامية لاسترانج ص ٤٤٧) .

(٢) يقصد بالجبيليين هنا جماعة من المسلمين كانوا مع صاحب جبيل سيرجى (Sir Guy) الفارس التمبلارى الذى سماه القطب اليونينى سيركى . أمدهم به الأمير سيف الدين بلبان لأخذ طرابلس سنة ٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م وكان صاحب جبيل المذكور قـد كاتب معظم الخيالة بطرابلس لانضمامهم اليه ضـد صاحبها بيموند السابع وآشترط على نفسه أنه متى تملكها تكون مناصفة بينه و بين الملك المنصور ، فلما كان فى أواخر شوّال ركب صاحب جبيل فى أصحابه و جماعة من الجبيليين ودخلوا ميناء طرابلس ليـلا وخرجوا من المراكب ودخلوا البلد وكان الخبر قد نمى الى بيموند فأوقع بهم وقصد «جى» دار الديوية فقبض عليه بيموند ومات فى أسره. قيـل أغرقه وأصحابه فى البحر، واحتل جبيل فصارت له مع طرابلس . وأما الجبيليون فبقوا فى الأسر حتى نازل السلطان المرقب وحضر اليه رسول صاحب طرابلس بطلب الأمان فطلبهم السلطان ولم يسمع له رسالة فعاد الى صاحبه وأخبره ما رسم به السلطان فكساهم جميعا و جهزهم الى أعتاب السلطان . (انظر اليونينى ذيل مرآة الزمان فى وفيات سنة ٦٨١ هـ فى ترجمة سيركى . وانظر الصليبيين فى المشرق لاستفنسون ص ١٤٨)

(٣) جبيل : بلدة على شاطئ سوريا بين بيروت والبترون فتحت فى عهد يزيد بن معاوية وكانت من جند دمشق كبقية مدن الشاطئ الى عهد الفاطميين وقد ظهر فيها علماء مشاهير . وفى سنة ٤٩٦ هـ = ١١٠٣ م سقطت فى يد الصليبيين وكان يحكمها بارون من قبل ملك أورشليم وكان لها مرفأ صغير به حصن منيع ، وقد سقطت فى عهد صلاح الدين فى يد المسلمين ، لكن الصليبيين استردوها بستة آلاف دينار من الأكراد، وفى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى كانت فى يد بنى حمادة المتاولة (الشيعة) حكام جبل لبنان الى آخر القرن الثامن عشر فتحولت الى قرية صـغيرة عديمة الأهمية ثم صارت عاصمة مديرية باسمها فانتعشت قليلا، ولكنها لم يبق لها مرفأ . سكانها ٢٠٠٠ نفس غالبهم موارنة وقليل من المسلمين (دائرة المعارف الإسلامية ص ١٠٥٧ ومعجم البلدان لياقوت) .

بعدّة قُرى وذَهب كثير ، ودفعه إلى السلطان ، فأمر بهدمه فهُدِم وآستراح الناس منه . وحَصَل الآستيلاء فى هذه الغزوة على المَرْقَب وأعماله ومَرَقِيَة . والمَرْقَبُ هو من الحصون المشهورة بالمَنَعَة والحصانة وهو كبير جداً ، ولم يفتحه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتح ، فأبقاه السلطان الملك المنصور بعد أن أشير عليه بهَدْمه ، ورمّ شَعَثَه وآستناب فيه بعض أمرائه ورتّب أحواله . وكُتِبت البشائر بهذا الفتح إلى الأقطار .

ولمّا كان السلطان الملك المنصور على حصار المَرْقَب جاءته البُشْرَى بولادة ولده «الملك الناصر محمد بن قلاوون» ، فمولِدُ الملك الناصر محمد هذه السنة ، فيحفظ إلى ما يأتى ذكره فى ترجمته ، إن شاء الله تعالى ، فإنّه أعظم ملوك الترك بلا مدافعة .

ولمّا فَتَح السلطان الملك المنصور المَرْقَب عَمِلت الشعراء فى ذلك عِدّة قصائد ، فمن ذلك ما قاله العلّامة شهاب الدين أبو الثّناء محمود ، وهى قصيدة طنّانة أوّلها :

اَللهُ أكبرُ هذا النّصرُ والظّفَرُ * هذا هو الفتح لا ما تَزْعُم السِّيَرُ
هذا الذى كانت الآمالُ إن طَمَحتْ[1] * إلى الكواكب ترجوه وتَنْتَظِرُ
فآنهضْ وسِرْ وآمْلِك الدّنيا فقد تَحَلّتْ * شَوْقًا منابرُها وآرتاحت السُّرُرُ
كَمْ رام قبلَك هذا الحِصْنَ من مَلِكٍ * فطال عنه وما فى باعه قِصَرُ
وكيف تَمْنَحه الأيّامُ مملكةً * كانت لدولتك الغرّاء تُدَّخَرُ
وكيف يسمو إليها مَن تأخّر عن * إسعادِه مُنْجِداك[2] القَدْرُ والقَدَرُ

(١) فى الذيل على مرآة الزمان : «كادت» .

(٢) فى الأصلين هكذا : * إسعاده منحدر إلى القدر والقدر *
وما أثبتناه عن المنهل الصافى .

غَرَّ العِـدَا منـك حِلْمٌ تحتـه هِمَمٌ * لأشقر البَرْق من تحجيلها غُرَرُ
لها وإن أشبهت لُطفَ النَّسيمِ سُرًى * معنى العواصف لا تُبْقِي ولا تَذَرُ
أو ردتها المَرْقَبَ العالى وليس سوى * ماءِ المَجَرَّة فى أرجائها نَهَـرُ
كأنه وكأنّ الجـوَّ يَكْنُفُـه * وهـمٌ تُمَثِّـلُه فى طَيِّها الفِكَرُ
يختال كالغادة العَذْرَاءِ قد نُظِمَتْ * منه مكانَ اللآلى الأنجُـمُ الزُّهُرُ
له الهلالُ سِـوَارٌ والسُّهـا شَنَفٌ * والقَلْبُ قُلْبٌ[(١)] ومسودّ الدُّجى طُرَرُ
تعلو الرياحُ إليـه كى تُحِيـطَ به * [خُبْرًا] وتدنو[(٢)] وما فى ضِمْنها خَبَرُ
ويُومِضُ البَرْقُ يهفو نحـوه لِيَرَى * أدنى رُبَاه ويأتى وهو معتـذِرُ
وليس يَرْوَى بماء السُّحْبِ مُصْعِدَةً * إليـه مَنْ فِيـهِ إلّا وهو منحدِرُ

ومنهـا :

وأُضْرِمَتْ حـوله نارٌ لهـا لَهَبٌ * من السّيوف ومن نَبْلِ الوَغَى شَرَرُ

ومنهـا :

كأنّهـا ومجانيـقُ الفرنج لهَـا * فرائسُ الأُسْـدِ فى أظفارها الظُّفُرُ
وكَمْ شكا الحصن ما يَلْقَى فما اكترثَتْ * يا قلبهـا أحديدٌ أنت أم حَجَـرُ
وللنقوب دَبِيبٌ فى مفاصـلِهِ * تُشـير سُـقْمًا ولا يبـدو له أَثَرُ
أضحى به مثـل صَبٍّ لا تَبِـينُ به * نارُ الهَوَى وهى[(٣)] فى الأحشاء تستعِرُ

ومنهـا :

رِكِبْتَ فى جُندك الأُولى إليه ضُحًا * والنصرُ يتلوك منـه جُنـدُك الأُخَرُ
قـد زال تُجْـلَى قُوَاهُ عن قواعِده * وخرّ أعلاه نحـوَ الأرض ينتـدِرُ

---

(١) المراد قلب العقرب : منزلة من منازل القمر، وهو كوكب نير و بجانبيه كوكبان .
(٢) فى الأصلين : « كى تحيط به * منه وتدنو ... » . والتكملة عن ذيل مرآة الزمان والمنهل الصافى .
(٣) فى الأصلين : «وهو» . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان .

وساخَ وآنكشفت أقباؤُه وبدَا * لديك من مُضْمَرات النصر ما ستَرُوا
فمالَ يَهوِى إليهم كلُّ ليثِ وغًى * له من البِيض نابٌ والقَنا ظُفُرُ

ومنها بعد أبيات كثيرة براعة المَقْطَع :

إن لم يُوَفِّ الورَى بالشكر ما فتَحتْ * يداك فالله والأملاكُ قد شَكَرُوا

ثم سار الملك المنصور قلاوون من المَرْقَب إلى دِمَشق وأقام بها أياما، ثم خرج منها عائدًا إلى نحو الديار المصرية في بُكرة الآثنين ثانى عشر جُمادى الأولى؛ فدخل الديار المصرية في أوائل شهر رجب .

ولمّا دخل القاهرة وأقام بها أخَذ في عمل أَخْذ الكَرَك من الملك المسعود نجم الدين خَضِر آبن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبَرْس البُنْدُقْدَارِى حتى أُخِذت، وورد عليه الخبر بأخذها في ليلة الجمعة سابع صفر [سنة خمس وثمانين وستمائة][1] ودُقّت البشائر بالديار المصرية ثلاثة أيام .

ثمّ في سنة ستّ وثمانين وستمائة جهّز السلطان طائفة من العسكر بالديار المصرية صحبة الأمير حُسام الدين طُرَنْطَاى إلى الشام لحصار صِهيَوْن وبُرْزَيْه وآنتزاعهما من يد سُنْقُر الأشقر، فسار حُسام الدين المذكور بمَن معه حتى وصل دِمَشق في أثناء المحرّم، وآستصحب معه الأميرَ حُسام الدين لاچين نائب الشام، وتوجّه الجميع إلى صِهيَوْن بالمجانيق فوصلوها وشرعوا في حصارها ؛ وكان سُنْقُر الأشقر قد آستعدّ لهم وجمع إلى القلعة خَلْقًا كثيرا، فحاصروه أيّاما، ثم بعد ذلك توجّه الأمير حُسام الدين إلى بُرْزَيْه وحصرها وآستولى عليها، وهي ممّا يُضْرَب المَثَلُ بحَصَانتها . ولمّا فتحها وجد فيها خُيولًا لسُنْقُر الأشقر . ولمّا فُتِحت بُرْزَيْه لانت عريكةُ سُنْقُر الأشقر،

(١) زيادة يقتضيها سياق كلام المؤلف والذيل على مرآة الزمان وعيون التواريخ .

وأجاب إلى تسليم صِهْيَوْن على شروط آشترطها ، فأجابه طُرُنْطَاى إليها ، وحلف له بما وَثِق به من الأيمان ، ونزل من قلعـة صِهْيَوْن بعد حصرها شهرًا واحدًا ، وأُعِين على نَقْل أثقاله بجمالٍ كثيرة وحضر بنفســه وأولاده وأثقاله وأتباعه إلى دمشق . ثم توجّه إلى الديار المصريّة صحبةَ طُرُنْطاى المذكور ووَفّى له بجميع ما حلف عليه؛ ولم يزل يَذُبُّ عنه أيام حياته أشدَّ ذَبٍّ . وأعطى السلطانُ لسُنْقُر الأشقر بالديار المصريّة خُبْزَمائة فارس ، وبَقِي وافرَ الحرمة إلى آخر أيام الملك المنصور قلاوون . وآنتظمت صِهْيَوْن وبُرْزَيْه فى سلك المـالك المنصورية .

ثم خرَج الملك المنصور من الديار المصرية قاصـدًا الشام فى يوم سابع عشرين شهر رجب سنة ستّ وثمانين وسار حتى وصل غَزّة أقام بتَلّ العُجُول (١) أياما إلى شوّال، ثم رجَع إلى الديار المصرية فدخلها يوم الآثنين ثالث عشرين شوّال، ولم يَعْلَم أحد ما كان غرضُه فى هذه السَّفْرة . وفى شوّال هــذا سَلْطن الملكُ المنصورُ ولدَه الملك الأشرفَ صلاح الدين خليلًا وجعله مكان أخيــه الملك الصالح عَلَاء الدين علىّ بعد موته ، ودُقّت البشائر لذلك سـبعةَ أيام بالديار المصرية وغيرها ، وحلَف الناس له والعساكرُ، وخُطِب له بولاية العهد .

ثمّ فى سـنة ثمانٍ وثمانين وستّمائة فُتِحت طَرَابُلُس، وهو أنّ صاحب طرابلس كان وقَع بينـه وبين سِيْر تلميــه الفرنجىّ (٢) ، وكان من أصحـاب صاحب

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٢٧١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) ورد هكذا فى الأصلين . وفى المراجع الأفرنجية : « سـير بارثلميو » (Bartholomew) وهو صـاحب جبيل . كان قائدا لجيش لوسـيا أخت بيوند السابع صاحب طرابلس الذى مات فى سنة ٦٨٦ هـ — ١٢٨٧ م . ولم يعقب فورثته لوسيا المذكورة . وكان بارثلميو قائدا للخيالة فى طرابلس بعد موت بيوند ، وهو نجل سيرجى الفارس التمبلارى صاحب جبيل المذكور فى الحاشية رقم ٢ ص ٣١٦ من هذا الجزء ، وقد سأل بارثلميو السلطان أن يساعده على تملك طرابلس على أن تكون مناصفة بينهما كما —

الحصن[(١)] الذى أخربه صاحب طَرَابُلُس رضاءً للملك المنصور قلاوون حسب ما تقدّم ذكرُه. فحصلت بينه و بين صاحب طَرَابُلُس وحشةٌ بسبب ذلك، وآتّفق موتُ صاحب الحصن، وسأل سِير تلميه من السلطان الملك المنصور المساعدة، وأن يتقدّم للأمير بَلَبَان[(٢)] الطَّبَاخى السِّلَحْدَار أن يساعده على تملّك طَرَابُلُس، على أن تكون مناصفةً، و بذَل فى ذلك بُذُولاً كثيرة، فسُوعِد إلى أن تمّ له مراده، ورأى أنّ الذى بذَله للسلطان لا يُوافقه الفرنجُ عليه، فشَرع فى باب التّسويف والمُغالطة ومدافعة الأوقات؛ فلمّا عَلِم السلطان باطنَ أمره عزَم على قتاله قبل آستحكام أمره، فتجهّز وخرج من الديار المصريّة بعساكره لحِصار طَرَابُلُس، وسار حتّى وصل دِمَشق وأقام بها، ثم تهيّأ وخرج منها، ونازل طَرَابُلُس فى مستهلّ شهر ربيع الأوّل، ونصب عليها المجانيق وضايقها مضايقةً شديدة إلى أن ملكها بالسيف فى الرابعة من نهار الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر، وشمِل القتلُ والأَسْر لسائر من كان بها، وغرِق منهم فى الماء جماعة كثيرة، ونُهِب من الأموال والذخائر والمتاجر وغير ذلك ما لا يُوصف، ثم أُحرِقت وخُرِّب سُورُها، وكان من أعظم الأسوار وأمنعِها . ثم تَسَلّمَ حصن أَنَفَة[(٣)] وكان أيضًا لصاحب طَرَابُلُس

= فعل أبوه من قبل، فلما تم له ما أراد رأى أن الفرنج لا يوافقونه على ذلك فشرع فى باب التسويف والمغالطة كما فى الأصل مما دعا السلطان الى حصار طرابلس والاستيلاء عليها . وفى آبن الفرات نقلا عن اليونينى أن السلطان بعد أن ملك طرابلس أبق على أخت البرنس صاحب طرابلس قريتين من قراها . قال : وحضر الى السلطان بظاهر طرابلس ولد سيركى صاحب جبيل وكان صاحب طرابلس قتل أباه سنة ٦٨١هـ. فخلع عليه السلطان وأقره على جبيل على سبيل الإقطاع وأخذ منه معظم أموالها . وفى المقريزى وأقر جبيل على صاحبها على مال أخذه منه . (انظر تاريخ الصليبيين فى المشرق لاستفنسون ص ٣٥٠، وانظر ابن الفرات ج ١٥ ص ٢٦١ والسلوك للمقريزى ترجمة كترمير عدد ٢ جـ ١ ص ١٠٣) .

(١) يقصد بالحصن هنا حصن مرقية السابق ذكره . وكانت مرقية وجبيل كلتاهما من حصون التمبلار . (٢) هو الأمير بلبان بن عبد الله الطباخى المنصورى سيف الدين . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٠٠ هـ . (٣) أنفة : بليدة على ساحل بحر الشام شرق جبل صهيون بينهما ثمانية فراسخ (عن معجم البلدان لياقوت) .

فأمر السلطان بتخريبه ، ثم تَسَلَّمَ السـلطان البِتْرُون وجميع ما هناك من الحصون . وكان لطرابُلُس مدّة طويلة بأيدى الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى الآن .

قلت : وكان فتح طرابُلُس الأوّل فى زمن معـاوية بن أبى سـفيان ، رضى الله عنـه ، وتنقّلت فى أيدى الملوك ، وعُظمت فى زمن بنى عَمّار قضـاة طرابُلُس وحُكّامها . فلمّـا كان فى آخر المـائة الخامســة ظَهَرت طوائف الفــرنج فى الشام واسـتَوْلَوا على البـلاد فآمتنعت عليهم طرابُلُس مـدّة حتّى ملكوها بعـد أمور فى سنة ثلاث وخمسمائة ، وآستمرّت فى أيديهم إلى أن فتحها الملك المنصور قلاوون فى هذه السنة .

وقال شرف الدين محمد بن موسى المَقْدِسىّ الكاتب فى «السِّيرة المنصورية» : إن طَرَابُلُس كانت عبارةً عن ثلاثة حصـون مجتمعة باللسان الرومى ، وكان فتحها على يد سُفيان بن مُجيب الأزدىّ[(١)] ، بعثه لحِصارها معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان بن عَفّان ، رضى الله عنه ، ٱنتهى كلام شرف الدين بآختصار .

قلت : وأما طرابُلُس القديمة كانت من أحسن المُدُن وأطيبها ، ثمّ بعد ذلك آتخذوا مكانا على ميل من البلدة وبَنَوْه مدينةً صغيرة بلا سُور ، فجاء مكانا ردىءَ الهوى والمزاج من الوَخَم . ٱنتهى .

ولمّـا فُتِحت طرابُلُس كُتِبت البشائر إلى الآفاق بهـذا النصر العظيم ، ودُقّت البشائر والتهانى وزُيِّنَت المُدُن وعُمِلت القِلاع فى الشوارع وسُرّ النـاس بهذا النصر غايةَ السُّرور . وأنشأ فى هذا المعنى القاضى تاج الدين آبن الأثير كتابا إلى صاحب اليمن بأمر الملك المنصور يُعَرِّفه بهذا الفتح العظيم وبالبِشارة به . وأوّله :

(١) فى الأصلين «ابن نجيب» . وما أثبتناه عن ابن الأثير (ج ٢ ص ٣٣١) . وعقد الجمان للعينى فى حوادث سنة ٦٨٨ هـ .

[بسم[1] الله الرحمن الرحيم أعزّ الله] نَصْرَ المقام العالى السلطانى الملكى المظفّرى الشمسى. ثم آستطرد وحكى أمر الفتح وغيره إلى أن قال فأحسن فيما قال : وكانت الخلفاء والملوك فى ذلك الوقت ما فيهم إلا من هو مشغول بنفسه، مُكِبّ على مجلس أُنسه؛ يرى السلامةَ غنيمة، و إذا عنّ له وصفُ الحرب لم يَسأل [منها[2] إلا] عن طُرُق الهزيمة؛ قد بلَغ أَمَلَه من الرتبة، وقَنِـع [من[3] ملكه كما يقال با] لسكة والخطبة؛ أموالٌ تُنْهب، وممالك تَذْهَب؛ لا يُبالون[4] بما سلبوا، وهم كما قيل :

إن قاتلوا قُتِلوا أو طَارَدوا طُرِدوا * أو حارَبُوا حُرِبُوا أو غَالَبُوا غُلِبوا

الى أن أوجد الله مَنْ نصر دينه، وأذلّ الكُفر وشياطينَه[5]. انتهى .

قلت : والكتاب هذا خلاصته والذى أعجبنى منه .

وعَمِل الشعراء فى هذا الفتح عِدّةَ قصائد، فمن ذلك ما قاله العلّامة شهاب الدين أبو الثّناء محمود كاتب الدَّرْج المقدم ذكرُه يمدَح الملك المنصور قلاوون ويذكر فتحه طَرَابُلُس، والقصيدة أولها :

عَلَيْنَـا لمَن أولاك نِعْمَتَه الشكرُ * لأنّك للإســـلام يا سيفَه ذُخْرُ
ومِنّا لك الإخلاصُ فى صالح الدُّعا * إلى مَن له فى أمر نُصرتك الأمرُ
ولله فى إعلاء مُلْكك فى الوَرَى * مرادٌ وفى التأييد يوم الوَغَى سِرّ
ألا هكذا يا وارِثَ الْمُلكِ فليكُنْ * جِهادُ العِدا لا ما تَوَالَى به الدَّهْرُ

(١) فى الأصلين : «وأوله نصرة المقام ... الخ» . والتصحيح والتكملة عن نثر الجمان للفيومى . (٢) زيادة عن نثر الجمان . (٣) تكملة عن نثر الجمان . (٤) فى الأصلين : « لايسألون » . وما أثبتناه عن نثر الجمان . (٥) راجع بقية هـذا الكتاب؛ إن شئت، فى نثر الجمان للفيومى فى حوادث سنة ٦٨٨ هـ .

ومنهـا :

نهضتَ إلى عَلْيـا طَرابُلُسَ التى * أقلُّ عَناها أنّ خنــدقها البَحْرُ

والقصيدة طويلة كلّها على هذا المِنْوال ، أضربتُ عنها خوفَ الإطالة . انتهى .[1]

ثم عاد الملك المنصور إلى الديار المصريّة فى جُمادى الآخرة من السنة، وٱستمرّ بالقاهرة إلى أول سـنة تسع وثمـانين وستمائة، جهّز الأميرَ حُسام الدين طُرُنْطاى كافلَ الممالك الشاميّة إلى بلاد الصَّعيد، ومعه عسكر جيِّد من الأمراء والجند، فسكّن تلك النواحى وأباد المفســدين وأخذ خَلْقا عظيما من أعيانهم رهائنَ ، وأخذ جميـع أسلحتهم وخيولهم، وكانـ معظم سلاحهم السيوفَ والجَحَفَ[2] والرماح، وأحْضَرُوا إلى السلطان من ذلك عِدّةَ أحمال، ففرّق السلطان من الخيول والسلاح فيمن أراد من الأمراء والجند وأودع الرهائن الحبوس .

وفى هــذه السنة أيضا عاد الأمير عِزّ الدين أَيْبَك الأفرم من غَزْو بلاد السودان بمغانم كثيرة ورَقيق كثير من النساء والرجال وفيلٍ صغير .

ثم فى هــذه السنة أيضا رَسَم الســلطان ألَّا يَسْتَخْدِمَ أحدٌ من الأمراء وغيرهم فى دواوينهــم أحدًا من النصارى واليهود وحرّض على ذلك ، فٱمتثل ذلك الأمراء جميعُهم .

وفى هذه السنة عزَم السلطان الملك المنصور على الحجّ فبلغه خبرُ فرنج عكّا، ففترَ عزْمُه وتهيّأ للخروج إلى البلاد الشاميّة، ورأى أن يُقدِّم غَزْوَهم والانتقامَ على الحجّ ؛ وأخذ فى تجهيز العساكر والبعوث، وضرب دِهْلِيزَه خارج القاهرة، وبابُ الدهليز إلى

(١) راجع بقية هذه القصيدة فى نثر الجمان وعيون التواريخ .

(٢) الجحف : التروس من جلود بلا خشب ولا عقب .

جهة عكّا . وخرج من القاهرة إلى مُخيّمه وهو متوعّك لأيام خلت من شوّال، ولا زال متمرّضا بمُخيّمه عند مسجد التبن[1] خارج القاهرة إلى أن تُوُفّى به فى يوم السبت سادس ذى القعدة من سنة تسع وثمانين وستمائة، وحُمل إلى القلعة ليلة الأحد . وتسلطن من بعده ولدُه الملك الأشرف صلاح الدين خليل الذى كان عَهِد له بالسلطنة قبل تاريخه حسب ما ذكرناه . وكثُر أسفُ الناس عليه .

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي فى «تاريخ الإسلام» بعد ما سمّاه ولقّبه قال : اشتُرِى بألف دينار، ولهذا كان فى حال إمْرته يُسمّى بالألفى، وكان من أحسن الناس صورةً فى صِباه ، وأبهاهم وأهيبهم فى رجوليّته، كان تامّ الشكل مستديرَ اللحية قد وخَطه الشيْب، على وجهه هيبةُ الملك وعلى أكتافه حِشْمة السلطنة، وعليه سَكينة ووَقار ، رأيْته مرات آخرُها مُنصَرَفَه من فتح طرابُلُس . وكان من أبناء الستين . ثم قال : وحدّثنى أبى أنه كان مُعجَمَ اللسان لا يكاد يُفصح بالعربية ، وذلك لأنه أُتِى به من بلاد التُّرْك وهو كبير . ثم قال بعد كلام آخر : وعمِل بالقاهرة ببين القصرين تُربةً عظيمةً ومدرسة كبيرة، قال : وبِيمارِستانا[2] للمرضى.

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٩٦ من هذا الجزء .

(٢) تكلم المقريزى فى (ص ٣٧٩ و ٣٨٠ و٤٠٦ من الجزء الثانى) من خططه على هذه الأماكن الثلاثة فقال : إنها داخل باب المارستان الكبير المنصورى بخط بين القصرين بالقاهرة ، أنشأها الملك المنصور قلاوون ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشاء التربة والمدرسة ، ولكنه ذكر فقط تاريخ الشروع فى بناء المارستان . وقد تبين لى من الكتابات المنقوشة على مبانى هذه الأماكن الثلاثة أن المارستان بدئ فى عمارته فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ . وانتهت فى شوّال من تلك السنة ، وأن القبة بدئ فى عمارتها فى شوّال سنة ٦٨٣ هـ ، وانتهت فى صفر سنة ٦٨٤ هـ . وأن المدرسة بدئ فى عمارتها فى صفر سنة ٦٨٤ هـ . وانتهت فى جمادى الأولى من السنة المذكورة ، ويجمع هذه التواريخ الثلاثة تاريخ واحد كتب على الباب الرئيسى لهذه العمارة ذكر فيه تاريخ البدء فى البناء وهو شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ وتاريخ الفراغ منه وهو شهر جمادى الأولى سنة ٦٨٤ هـ .

=

قلت : ومن عمـارته البيمارِستانُ المذكور وعِظَم أوقافه تُعرِّف هِمَّتَـه ، ونذكر عمارة البيمارِستان إن شاء الله تعالى بعد ذلك . انتهى .

وقال غيره : وكان يُعرف أيضا قلاوون الآقسُنْقُرِى الكامِلى الصالحى النَّجْمى ، لأن الأمير آق سُنْقُر الكامِلِى كان اشتراه من تاجره بألف دينـار ، ثم مات الأمير آق سنقر المذكور بعد مدّة يسيرة ، فارتجع هو وخشداشيته إلى الملك الصالح نجم الدين أيّوب فى سنة سبع وأربعين وستمائة ، وهى السنة التى مات فيها الملك الصالح أيُّوب ، وهذا القول هو الصحيح فى أصل مشتراه .

قلت : ولـمّا طلع الملك المنصور قلاوون إلى قلعة الجبل ميتاً ، أخذوا فى تجهيزه وغسله وتكفينه إلى أن تمّ أمره ، وحمَـلوه وأنزلوه إلى تربته ببين القصرين فدُفن بهـا . وكانت مدّةُ مُلْكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ، رحمه الله تعـالى ، وكان سلطاناً كريماً حليما شجاعاً مِقداماً عادلا عَفِيفًا عن سَـفْك الدماء مائلاً إلى فعل الخير والأمر بالمعروف ، وله مآثر كثيرة :

منها البيمارِسْتان الذى أنشأه ببين القصرين ، وتمّ عِمارته فى مدة يسيرة ، وكان مُشِدُّ عمارته الأميرَ عَلَم الدين سَنْجَر(1) الشُّجَاعِىّ المنصورى وزير الديار المصرية ومُشِدّ

= وهذه الأماكن واقعة بشارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقا) بالقاهرة ، ووجهتها الشرقية المشرفة على الشارع تتكوّن من قسمين : البحرى منهما وهو الواقع على يمين الداخل من الباب الرئيسى هو وجهة التربة وتعلوها القبة ، والقبلى منهما وهو الخارج هو وجهة المدرسة المزخرفة بالحنايا المحمولة على عمد من الرخام يتوسطها شبابيك على أشكال جميلة ، وبين القبة والمدرسـة دهليز طويل فيه أبوابهما ، وكان يوصل قديما إلى المـارستان . وأما القبة من الداخل فشكلها من أبدع وأجمل القباب المزخرفة بالفسيفساء والخشب المذهب ، يحملها أربعة أعمدة أسطوانية سميكة وطويلة من الجرانيت الأحمر . والجدران مكسوّة بالرخام وتحت هذه القبة القبر المدفون به الملك المنصور قلاوون وابنه الملك الناصر محمد .

وأما المدرسـة فيوجد الآن من مبانيها القديمـة الإيوان الشرقى وما فيه من الزخارف الجميلة ثم محرابها البديع . وأما المـارستان فقد خربت مبانيه القديمة ولم يبق منها إلا أجزاء من بعض قاعاته . وفى سنة ١٩١٥ م أنشأت وزارة الأوقاف مستشفى للرمد بباب خاص على جزء كبير من أرض المـارستان المذكور

(١) هو الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الشجاعى المنصورى . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٩٣ ﻫ .

دواوينها ، ثمّ ولى نيابةَ دِمَشق ونهَض بهذا العمل العظيم وفرَغ منه فى أيّام قلائل ، ولمـّا كمل عمارة الجميع آمتدحه مُعِين الدين بن تُولُوَا[(١)] بقصيدة أوّلهـا :

أنشأتَ مدرسـةً ومَارَسْـتانَا * لتُصَحِّح الأديان والأبـدانا

قلت : وهذا البيمارِسْتان وأوقافه وما شرّطه فيه لم يَسْبِقْه إلى ذلك أحد قديمـاً ولا حديثا شرقًا ولا غربا . وجدّد عمارة قلعة حلب وقلعة كُرْكُر[(٢)] وغير موضع .

وأمّا غزَواته فقد ذكرناها فى وقتها . وجمع من المماليك خَلْقًا عظيما لم يجمعهم أحد قبله ، فبلغتْ عِدَّتُهم آثنى عشر ألفا ، وصار منهم الأمراء الكبار والنوّاب ، ومنهم من تسلطن من بعده على ما يأتى ذكره . وتسلطن أيضا من ذُرّيّته سلاطين كثيرة آخرُهم الملك المنصور حاجِّى الذى خَلَعه الملك الظاهر بَرْقُوق . وأعظمُ من هذا أنّه مَنْ تسلطن من بعـده من يوم مات إلى يومنا هـذا ، إمّا من ذريته ، وإمّا من مماليكه أو مماليك مماليك أولاده وذريّته ، لأنّ يَلْبُغَا مملوك السلطان حسن ، وحسن آبن محمـد بن قلاوون ، وبَرْقوق مملوك يَلْبُغَا ، والسلاطين بأجمعهم ممـاليك بَرْقوق وأولاده . انتهى . وكان من محاسن الملك المنصور قلاوون أنّه لا يَمِيل إلى جنس بَعْينه بل كان مَيْله لمن يتخيّل فيه النّجابة كائنًا من كان .

قلت : ولهـذا طالت مدّة مماليكه وذرّيته بآختلاف أجناس مماليكه ، وكانت حرمتُه عظيمةً على ممـاليكه لا يستطيع الواحد منهـم أن يَنْهَر غلامه ولا خادمه خوفًا

(١) هو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن تولوا الفهرى المصرى التنيسى معين الدين الشاعر الأديب . سيذكره المؤلف سنة ٦٨٥ هـ . وقد ضبطه الصفدى فى الوافى بالوفيات بالعبارة فقال (بضم التاء ثالثة الحروف وسكون الواو الأولى وضم اللام وفتح الواو الثانية وبعدها ألف) .

(٢) كركر : قلعـة حصينة شاهقة جدا ، على جانب الفرات الغربى ، وهى من أعظم ثغور الشام (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل) .

منه، ولا يتجاهر أحد منهم بفاحشة، ولا يتزوّج إلا إن زَوّجه هو بعض جوَارِيه؛ هذا مع كَثْرة عَدَدِهم .

قلت رحمه الله تعـالى : لولم يكن من محاسنه إلّا تربية ممـاليكه وكفّ شَرّهم عن الناس لكفاه ذلك عند الله تعالى، فإنّه كان بهم منفعة للسلمين، ومضرّة للشركين وقيامُهم فى الغَزَوات معروف، وشرّهم عن الرعيّة مكفوف؛ بخلاف زماننا هـذا ، فإنّه مع قلّتهم وضعف بِنْيَتِهم وعدم شجاعتهم ، شرّهم فى الرّعية معروف ، ونفعهم عن النـاس مكفوف ؛ هـذا مع عدم التجاريد والتقاء الخـوارج وقـلّة الغزوات ،فإنّه لم يَقَع فى هذا القرن ،وهو القرن التاسع ،لقاءٌ مع خارجىّ غير وقعة تَيْمُور، وٱفتضحوا منه غاية الفضيحة ، وسلّموا البلاد والعِباد وتسحّب أكثرُهم من غير قتال .

وأمّا الغَزَوات فأعظم ما وقع فى هـذا القَرْن(١) فتحُ قُبْرُس(٢) ، وكان النصر فيهـا من الله سـبحانه وتعالى ، اِنكسر صاحبُها وأُخِذ من جمـاعةٍ يسيرةٍ ، تلقّاهم بعض

(١) يريد القرن التاسع ، وهو الذى فتحت فيه قبرس ، كما ذكره المؤلف وسيذكره أيضا فى هذا الكتاب .

(٢) قبرس : جزيرة كبيرة فى الزاوية الشمالية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط على مسافة قريبة من آسيا الصغرى وسوريا ، حيوانها ونباتها كنبات وحيوان سوريا . أما جوها فيشبه جو آسيا الصغرى . اعتاد أهلها الحيـاة البحرية الساذجة ، وٱشتهرت بغاباتها العظيمة التى كانت تمد الملاحة القـديمة بأحسن الأخشاب ، لذا كان تاريخها مشاعا بين آسـيا الصغرى وسـوريا ومصر وبلاد اليونان ، تنافس الكل فى امتلاكها ، وصار أهلها خليطا من اليونان والترك والعرب وانتشرت فيها المسيحية والإسلام .

احتلها معاوية سـنة ٢٨ هـ = ٦٤٨ م . وأدخل فيها الإسلام هارون الرشيد ثم احتلها اليونان إلى آخر القرن الثانى عشر الميـلادى إلى أن سقطت عكا فى يد المسلمين سنة ٦٩٠ هـ = ١٢٩١ م . ثم تملكها ملوك أورشليم فتعاقب عليهـا ١٨ أميرا من أسرة لوزينيان الى أن فتحها الأشرف بارسباى سنة ٨٢٩ هـ = ١٤٢٦ م ، وأسر ملكها وفرض عليه الجزية كل عام . وكانت ممر التجارة بين أوروبا وآسيا ثم ٱستولى عليها الأتراك سنة ٩٧٩ هـ = ١٥٧١ م . وفى سنة ١٨٣٢ م احتلتها جيوش محمد على الكبير . وفى سنة ١٨٧٨ م تنازلت عنها الدولة العلية لانجلترا فى مقابل دفاعها عن شواطئ تركيا الأسيوية ، وهى للآن تابعة لها ، وإدارتها منوطة بمندوب سام تعينه لندن يساعده مجلس تشريعى من أهل الجزيرة (ملخص عن دائرة المعارف الإسلامية) .

عساكره . خِذلانٌ من الله تعالى ! وقع ذلك كلُّه قبل وصول غالب عسكر المسلمين .

وأمّا غير ذلك من الغَزَوات فسَفَرٌ في البحر ذَهابًا و إيابًا ، فكيف لو كان هؤلاء أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب عند ما غزا الساحل ، وغاب عن الديار المصريّة نحو العشر سنين ، لا يفارق فيها الخِيَم والتَّشتُّت عن الأوطان واتّصال الغَزْوة بالغزوة ! أو لو كانوا أيّام الملك الكامل محمد لمّا قاتل الفرنج على دِمْياط نحو الثلاث سنين لم يدخل فيها مصرَ إلى أن فتح الله عليه ، أو لو كانوا أيّام الملك الظاهر بيبرس وهو يتجرّد و يغزُو فى السنة الواحدة المرّة والمرّتين والثلاث وهَلُمّ جَرًّا ! إلى أيّام الملك الأشرف شعبان بن حسين لمّا أُخِذت الإسكندرية . وهذا شيء معروف لا يُشَاحُّ فيه أحدٌ . وأعجبُ من هذا كلّه أنّ أولئك كانوا على حَظٍّ وافرٍ من الأدب والحِشْمة والتواضع مع الأكابر، و إظهار الناموس وعدم الآزدراء بمَنْ هو دونهم ، وهؤلاء أَنْفٌ فى الماء وأنْفٌ فى السماء ، لايهتدى أحدُهم لمَسْك لِجَام الفَرَس ، و إن تَكلّم تَكلّم بنَفَس ؛ ليس لهم صناعة ، إلّا نهب البضاعة ؛ يتَقَوَّون على الضعيف ، ويَشْرَهُون حتّى فى الرَّغيف ؛ جهادُهم الإحراق بالرئيس ، وغَزْوُهم فى التِّبْن والدريس ؛ وحظُّهم مُنْقَام ، ولا مُرُوءة لهم والسلام . انتهى .

قال ابن كَثِير فى حقّ الملك المنصور قلاوون المذكور : اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيُّوب من الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيُّوب بألف دينار ، فلذلك سُمِّىَ بالألْفِىّ .

قلت : وهذا بخلاف ما نقله الشيخ صلاح الدين خليل بن أَيْبَك الصَّفَدِىّ فى أنّ الذى آشتراه بألف دينار إنّما هو الأمير آق سُنْقُر الكامِلِىّ ، والأرجح عندى ماقاله الصَّفَدِىّ فى أنّ الذى آشتراه بألف دينار إنما هو الأمير آق سُنْقُر من وجوهٍ عديدة .

قال ابن كَثِير أيضــا : وكان الملك المنصور قد أَفْرَدَ من ممــاليكه ثلاثةَ آلاف وسبعمائة مملوك من الأمراء والجَرَا كِسَــة وجعلهم بالقلعــة ، وسمّاهم « البُرْجِيّة » ، وأقام نُوّابَه فى البُلْدان من مماليكه ، وهم الذين غيّروا ملابس الدولة المــاضية .

قال الصــلاح الصَّفَدِىّ : ولَبِسُــوا أحسن الملابس ، لأنّ فى الدولة المــاضيه الصــلاحيّة كان الجميع يَلْبَسُونَ كلّوتات[1] صُفْر مُضَرّبة بكلبندات[2] بغير شاشــات[3] ،

(١) الكلوتات : جمع كلوتة بتشديد اللام وهى فارسية ، معناها الطاقية الصغيرة من الصوف المضربة بالقطن ، كانت غطاء الرأس فى الدولتين : الأيوبية والمماليك ، وكانت شارة الأمراء يلبسونها بغير عمامة فوقها ، ولها كلاليب تعقد تحت الذقن هى الكلبندات الآتى ذكرها فى الحاشية التالية ، وكانت لهم ذوائب شعر يرسلونها خلفهم وكانت صفراء . فلما كانت دولة الأشرف خليل بن قلاوون غير لونها من الصفرة إلى الحمرة وأمر بالعمائم فوقها وبقيت كذلك حتى حج الناصر محمد بن قلاوون فى أواخر دولته فحلق رأسه فحلق الجميع رءوسهم . وكانت عمامتهم صغيرة فزيد فى قدرها فى دولة الأشرف شعبان بن حسين فحسنت هيئتها . قال المقريزى : كانت فى أيام الناصر تسمى الناصرية وفى أيام الأشرف شعبان تسمى الطرخانية وفى زمن الظاهر برقوق تسمى الجركسية وآستمر الحال على ذلك الى زمنه . (كترمير أول ص ١٢٧ وصبح الأعشى رابع ص ٤٩ وخطط على باشا مبارك ج ١٢ ص ٢٦ وخطط المقريزى ج ٢ ص ٩٨ ، ٢١٧ ودوزى المــلابس عند العرب ص ٣٧٨ والقاموس الفارسى الانجليزى لاستنجاس ص ١٠٩٦) .

(٢) الكلبندات : جمع كلبندة وهى فارسية ، معناها لباس الرقبة أوكوفية الرقبة يلبسها النساء على رءوسهن وتربط تحت الذقن لحفظ ما فوق رءوسهن من اللبــاس حتى لا يتزحزح ما على الشعر وتطلق أيضا على نوع من حلى الذهب تلبس حول الرقبة . والذى فى المقريزى أن السلطان والأمراء والعساكر إنما يلبسون على رءوسهم كلوتة صــفراء مضربة تضريبا عريضا ولهــا كلاليب بغير عمامة ، والكلاليب هنا هى الكلبندات الآتفة الذكر (انظر خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٨ والسلوك ج ١ ص ٤٩٤ طبــع دار الكتب المصرية وانظر استنجاس ص ١٠٩٦) .

(٣) الشاشات : جمع شاش لا توجد فى القــاموس وهى قطعة من قاش كانت تلاث على الكلوتة . جاء فى النويرى : تعمم بشاش دخانى عتيق . وفى السلوك فأكرمه السلطان وأحسن إليه وأنعم عليه بتشريف أطلس معدنى بطرز زركش وكلوتة زركش وشاش رقم وحياصــة ذهب مجوهرة على عادة أكابر نواب السلطنة الشريفة . وفى موضع آخر ركب فى الموكب بالأقبية الإسلامية والكلوتة والشاش على عادة العساكر الشريفة . وفى ابن إياس فى حوادث سنة ٧٨٧ هـ : «جرت عادة وهى أن آمرأة صالحة رأت النبى صلى الله عليه وسلم فى منام وهو يقول لها : قولى للنساء ينتهين عن لباس الشاش وكان شيئا قد آقترحته النساء يلبسنه على رءوسهن مثل سنام الجمل ، طوله نحو ذراع وارتفاعه ربع ذراع و يزخرفنه بالذهب واللؤلؤ و يبالغن فى ذلك وكان بدعة سيئة من السيئات » . وشاع لبس الشــاش فى القرون الوســطى حول الكلوتة فى بلاد العرب وسوريا ومصر وفارس وما وراء النهر . (انظر الملابس العربيــة لدوزى ص ٢٣٦ — ٢٤٠) .

وشعورهم مضفورة ديابيق[١] فى أكياس حرير ملونة ، وكان فى خواصرهم موضع الحوائص بنود ملونة أو بعلبكية[٢] ، وأكمام أقبيتهم[٣] ضيقة على زى ملابس الفرنج ، وأخفافهم برغالى[٤] أو سقامين[٥] ومن فوق قماشهم كرات[٦] بحلق وإبزيم[٧] ، وصوالقهم[٨] كبار يسع كل صولق نصف ويبة أو أكثر ، ومنديلهم كبير طوله ثلاث أذرع ، فأبطل المنصور ذلك كله بأحسن منه ، وكانت الخلع للأمراء المقدمين المروزى ،

---

(١) يقصد أن شعورهم كانت مضفورة مدلاة بدبوقة كما فى خطط المقريزى (ج ٢ ص ٩٨) . والديابيق : نوع من الحرير المنسوب الى ديبق بلد قديم من أعمال تنيس بمصر راجع الحاشية رقم ٣ ص ٨٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٣ من هذا الجزء .

(٣) الأقبية جمع قباء ، وهو ثوب يلبس فوق الثياب و يقصد بالقباء هنا البغلطاق وهى فارسية معناها المعطف . والبغلطاق : قباء صغير ، قال المقريزى فى الكلام على الأسواق : استجد الأميرسلار أيام الملك الناصر محمد القباء الذى يعرف بالسلارى ، وكان قبل ذلك يعرف بالبغلطاق . وكانت هذه البغالطيق إما بيضا أو مشجرة أحمر وأزرق مرصعة بالجوهر وهى ضيقة الأكمام على هيئة ملابس الفرنج اليوم . ولم يزل هذا زيهم إلى أيام الملك المنصور قلاوون فغير هذا الزى بأحسن منه وأبطلوا الكم الضيق . فلما ملك الأشرف خليل جمع خاصكيته ومماليكه وتخير لهم الأقبية الأطلس المعدنى . راجع خطط المقريزى (ص ٩٩ ج ٢) وخطط على باشا مبارك (جـ ١٠ ص ٣٤) و (دوزى الملابس عند العرب من ٣٥٢ — ٣٦٢ وكترمير مجلد ١ جـ ٢ ص ٧٥ — ٧٦) .

(٤) الخف البرغالى : ذكر ابن بطوطة فى رحلته فى كلامه حين انصرف عن القسطنطينية ما يلى : وكنت ألبس ثلاث فروات وسروالين أحدهما مبطن ، وفى رجلى خف من صوف وفوقه خف مبطن بثوب كتان وفوقه خف من البرغالى وهوجلد الفرس مبطن بجلد ذئب » . وابن بطوطة (جـ ٢ ص ٤٤٥) .

(٥) السقامين : جمع سقمان وهو خف ثان يلبس فوق خف آخر كان يستعمل فى دولة المماليك يلبسه الحريم والجنود والأمراء والسلطان نفسه . وقد ورد فى المقريزى : «وفى أرجلهم من فوق الخف سقمان وهو خف ثان » . (المقريزى خطط جـ ٢ ص ٩٨) .

(٦) كرات : جمع كر ، فارسية معناها الحزام المفرغ من وسطه لحشو النقود أونحوها ، شائع الاستعمال فى مصر الآن ، وقد ورد فى المقريزى : «ومن فوق القباء كران بحلق و إبزيم »(المقريزى خطط جـ ٢ ص ٩٨) .

(٧) الإبزيم كما ورد فى اللسان : حديدة تكون فى طرف الحزام يدخل فيها الطرف الآخر . والحلق معروف . (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٨ من هذا الجزء .

فخصّص الملك المنصورُ من الأمراء بلُبْس الطَّرْد وحش[(١)] أربعةً من خُشْـداشِيَتِه ، وهم : سنقر الأشقر الذى كان تسلطن ولُقِّب بالملك الكامل والبَيْسَرى والأَيْدَمُرِىّ والأفرم . وباقى الأمراء والخاصّكيّة والبَرّانيّة تَلْبَس المَرْوَزِىّ والطبلخانات بالملَوّن، والعشرات بالعَتّابى[(٢)] .

قلت : وهذا أيضا بخلاف زماننا فإنّه لبس فيه أوباش الناس الخِلَع السَّنيّة ، وأعجب من هذا أنّه لمّـا لبِس هؤلاء الخِلَع السَّنِيّة زالت تلك الأُبَّهَةُ والحِشْمة عن الخِلَع المذكورة وصارت كمن دونهـا من الخلع فى أعين الناس لمعرفتهم بمقام اللابس . انتهى .

قلت : والآن نذكر ماوعدنا بذكره فى أوائل ترجمة الملك المنصور قلاوون من أمر كُتّاب السِّرّ، لأنّه هو الذى أحدث هذه الوظيفة وسمّى صاحبها بكاتب السِّرّ على ما نُبيِّنه من أقوال كثيرة :

منهـا أنّه لمّـا كان أيّام الملك الظاهر بِيبَرْس كان الدَّوَادَار يوم ذاك بَلَبَان بن عبد الله الرومى . قال الشيخ صلاح الدين خليل الصَّفَدِىّ : كان من أعيان الأمراء (يعنى عن بَلَبَان المذكور) ومن نُجبائهم ،وكان الملك الظاهر بيبرس يَعْتَمِدُ عليه ويُحمِّله أسراره إلى القُصّاد . ولم يؤمِّره إلا الملكُ السـعيد ابن الملك الظـاهر بِيبَرْس .

---

(١) الطرد وحش ، كلمة مركبة تطلق على ضرب من الثياب تصـنع على هيئة جلد الوحش . ذكر المقريزى فى باب الخلع ومراتبها الطرد وحش فقال : إنه ثانى الأطلسين : الأطلس الأوّل لأكابر أمراء المئين . والطرد وحش لمن دونهم فى المرتبة ؛ وكان يعمل بدار الطراز بالإسكندرية ومصر ودمشق ، وهو مجوخ بجاخات ألوان ممتزجة بقصب مذهب يفصل بين هذه الجاخات نقوش وطراز من هذا القصب . وربما كبره بعضهم فركب عليه طراز امزركشا بالذهب وعليه فرو سنجاب وسندس (خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٢٧ وكترمير ج ٤ ص ٧٠ — ٧١) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٧ من هذا الجزء .

واستشهد بمصاف حمص سنة ثمانين وستمائة ، وكان يباشر وظيفة الدوادارية ولم يكن معه كاتب سرّ، فاتفق أنه قال يومًا لمحيي الدين بن عبد الظاهر : اُكتب إلى فلانٍ مرسوما أن يُطلَق له من الخزانة العالية بدمَشْق عشرة آلاف درهم ، نصفُها عشرون ألفا ، فكَتَب المرسوم كما قال له وجهّزه إلى دِمَشْق، فأنكروه وأعادوه إلى السلطان، وقالوا : ما نعلم ! هل هذا المرسوم بعشرين نصفها عشرة أو بعشرة نصفها خمسة؟ فطلب السلطان محيي الدين وأنكر عليه ذلك ، فقال : ياخَوَنْد، هكذا قال لى الأمير سيف الدين بَلَبان الدَّوَادار؛ فقال السلطان : ينبغى أن يكون للملك كاتبُ سِرٍّ يتلقّى المرسوم منه شِفاها . وكان الملك المنصور قلاوون حاضرًا من جملة الأمراء فسمع هذا الكلام . وخرج الملك الظاهر عقيب ذلك إلى نوبة أَبلُسْتَيْن ، فلمّا تُوُفِّى الملك الظاهر ومَلَك الملك المنصور قلاوون اتّخذ كاتب سِرّ . انتهى كلام الصَّفَدىّ باختصار .

قلت : وفى هذه الحكاية دلالة على أن وظيفة كتابة السرّ لم تكن قبل ذلك أبدًا، لقوله : ينبغى للملك أن يكون له كاتب سِرّ يتلقّى المرسوم منه شِفاها . وأيضًا تحقيق ما قلناه : أنّ وظيفة كتابة السرّ لم تكن قديمًا ، وإنّما كانت الملوك لا يَتلقّى الأمورَ عنهم إلّا الوزراء .

قضية فخر الدين بن لُقْمان مع القاضى فتح الدين محمد بن عبد الظاهر فى الدولة الأشرفيّة خليل بن قلاوون، وهو أنه لمّا توزّر فخر الدين بن لُقمان قال له الملك المنصور: من يكون عِوضَك فى الإنشاء ؟ قال : فتح الدين بن عبد الظاهر، فولّى فتحَ الدين وتمكّن عند السلطان وحَظِى عنده، وفتح الدين هذا هو الذى قلنا عنه فى أوّل الكتاب إنه أوّل كاتب سِرّ كان، وظهر اسمُ هذه الوظيفة من ثَمّ . انتهى. وحَظِى فتحُ الدين

عند السلطان إلى الغاية . فلمّا كان بعضُ الأيام دخل فخرُ الدين بن لُقمان على السلطان فأعطاه السلطان كتابا يقرؤه، فلمّا دخل فتح الدين أخذ السلطان الكتّاب منه وأعطاه لفتح الدين، وقال لفخر الدين : تأخّر ! فعظم ذلك على فخر الدين بن لُقمان .

قلت : ولولا أنّ هذه الواقعة خرق العادة ما غَضِب آبن لُقمان من ذلك ، لأنّ العادَة كانت يوم ذاك لا يقرأ أحدٌ على السلطان كتابا بحضرة الوزير . انتهى .

ومنها واقعة القاضى فتح الدين المذكور مع شمس الدين آبن السَّلْعُوس(١) لمّا ولى الوزارة للملك الأشرف خليل بن قلاوون، فإنّه قال لفتح الدين : اِعْرِض علىّ كلّ ما تكتبه عن السلطان كما هى العادة ، فقـال فتح الدين : لا سبيلَ إلى ذلك، فلما بلغ الملكَ الأشرفَ هذا الخبرُ من الوزير المذكور، قال : صدَق فتح الدين، فغضب من ذلك الوزير آبن السَّلْعُوس .

قلت : وعنـدى دليل آخر أقوى من جميع ما ذكرته ، أنّه لم أقف على ترجمة رجل فى الإسلام شرقًا ولا غَرْبًا نُعت بكاتب السرّ قبل فتح الدين هذا، وفى هذا كفاية . وما ذكره صاحب صبح الأعشى وغيرُه ممّن كتبوا للنبىّ صـلى الله عليه وسـلّم ومَن بعده ليس فى ذلك دليلٌ على أنّهم كُتّاب السّرّ، بل ذلك دليلٌ لكلّ كاتبٍ كَتَب عن مخدومه كائنًا من كان . ونحن أيضا نذكر الذين ذكرهم صاحبُ صبح الأعشى وغيرُه من الكُتّاب، ونذكر أيضا مَن ألحقناه بهم من كُتّاب السّرّ إلى يومنا هـذا ، لِيُعْلَم بذلك صِدْقُ مقالتى بذكرهم وألقابهم وزمانهم . انتهى . قال : اِعلم أنّ كُتّاب النبىّ ، صـلّى الله عليه وسـلّم ، كانوا نيّفًا على ستة وثلاثين كاتبًا ، لكن المشهور منهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ ومعاوية بن أبى سُفْيان ومَرْوان بن الحَكَم .

(١) هو الوزير الصاحب شمس الدين محمـد بن عثمان بن أبى الرجا التنوخى الدمشقى المعروف بآبن السلعوس . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٩٣ هـ .

قلت : و فى مَرْوَانَ خلاف ، لأنّ الحافظ أبا عبـد الله الذهبيّ قال فى ترجمة مَرْوَان بن الحَكَم : له رُؤْية إن شاء الله ، ولم يَعُدّه من الصحابة ، فكيف يكون من الكُتّاب ! وأيضا حَذَف جماعة من كِبَار الصحابة كُتّاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأثبت مروان هذا ، وفى صحبته خلاف . ولولا خشية الإطالة لذكرنا مَن ذكره الحافظ العلامة مُغْلَطَاى[1] ممّن كتب للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليُعلم بذلك غَلَطُ من عَدّ مَرْوَانَ من الكُتّاب . انتهى . قال : ولمّا تُوفّى النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم وصارت الخلافة إلى أبى بكر كتب عنه عمر بن الخطّاب وعثمان وعليّ رضى الله عنهم . فلمّا آستخلف عمر كَتَب عنه عثمان وعليّ ومعاوية وعبد الله بن خَلَف[2] الخُزَاعيّ ، وكان زيد بن ثابت[3] وزيد بن أَرْقَم[4] يكتبان على بيت المال . فلمّا آستخلف عثمان كتب عنه مَرْوَان بن الحَكَم . فلمّا آستخلف عليّ كتب عنه عبد الله بن رافع مَوْلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وسعيد بن نِمْران[5] . فلمّا آستخلف الحسن كَتَب عنه كُتّاب أبيه . فلمّا بايعوا معاوية كَتَب عنه عبـد الله بن أَوْس ، وكتب عبد الله المذكور عن آبنه يزيد أيضًا ، وآبن آبنه معاوية بن يزيد . فلمّا خَلَع معاوية آبن يزيد نفسه وتولّى مَرْوانُ بن الحَكَم كتب عنه سُفْيانُ[6] الأحول وقيل عُبَيْدالله بن أَوْس . فلمّا آستخلف عبدُ الملك بن مَرْوان كَتَب عنه رَوْح بن زِنْباع الجُذَاميّ . فلما آستخلف الوليدُ كتب عنه قُرَّةُ بن شَرِيك ، ثم قَبِيصةُ بن ذُؤَيب ، ثم الضحّاك آبن زِمْل[7] . فلما آستخلف سليمانُ كتب عنه يزيد بن المُهَلَّب ، ثم عبد العزيز بن

(١) هو مغلطاى بن قليج بن عبد الله البكجرى الحنفى الحافظ . سيذكر المؤلف وفاته سنه ٧٦٢ ﻫ .

(٢) كان من كتّاب عمر رضى الله عنه ، قتل فى يوم الجمل وكان مع عائشة رضى الله عنها سنة ٣٦ ﻫ .

(٣) تقدّمت وفاته سنة ٤٥ ﻫ . (٤) تقدّمت وفاته سنة ٦٧ أو سنة ٦٨ ﻫ .

(٥) فى الأصلين : «سعد بن نمر» . والتصحيح عن طبقات آبن سعد وأسد الغابة والاستيعاب فى معرفة الأصحاب والطبرى . (٦) فى حسن المحاضرة، للسيوطى : «شعبان الأحول» .

(٧) فى الأصلين : «ابن رمل» . وتصحيحه عن أسد الغابة وشرح القاموس .

الحارث . فلما آستخلف الإمام عمرُ بن عبـد العزيز رضى الله عنـه كتب عنه رَجَاء بن حَيْوَة الكِنْدِىّ ، ثم آبن أبى رُقَيَّة[1]؛ فلما آستخلف يزيد بن عبد الملك كتب عنـه سعيد بن الوليـد الأبْرَش ، ثم محمد بن عبد الله بن حارثة الأنصارىّ. فلما آسـتخلف هِشامُ بن عبد الملك أبقاهما على عادتهما ، وآستكتب معهما سالمًا مولاه . فلما آسـتخلف الوليدُ بن يزيد كتب عنه العباس بن مُسْلِم . فلما آستخلف يزيدُ بن الوليد كتب عنه ثابت بن سليمان . فلما آستخلف إبراهيم[2] بن الوليد كتب عنه أيضا ثابت على عادته . فلما صارت الخلافة إلى مَرْوان بن محمد بن مروان كتب عنه عبدالحميد بن يحيى مَوْلَى بنى عامر إلى حين آنقراض الدول الأُمَويّة . ثم صارت الخلافة لبنى العباس فآتخذوا كُتَّابهم وزراء ، وكان أوّل خلفاء بنى العباس أبو العباس عبد الله ابن محمد السفّاح فآتخذ أبا سَلَمة [حفص بن سليمان][3] الخلّال ، وهو أوّل وزير وزر فى الإسلام؛ ثم آستوزر معه [خالد بن][4] بَرْمك وسليمان بن مَخْلَد والربيع بن يُونُس ، فتراكمت عليهم الأشغال ، وآتّسعت عليهم الأمور ، فأفردوا للمكاتبات ديوانًا ، وكانوا يُعبِّرون عنـه تارة بصاحب ديوان الرسائل ، وتارة بصاحب ديوان المكاتبـات ، وتفرّقت دواوين الإنشاء فى الأقطار ، فكان بكلّ مملكة ديوانُ إنشاء؛ وكانت الديار المصريّة من حين الفتح الإسلامى و إلى الدولة الطُّولُونيـة إمارةً ، ولم يكن لديوان الإنشاء فيها كبيرُ أمرٍ . فلما آستولى أحمد بن طُولُون عظُمت مملكتها وقوِى أمْرها فكتب عنه أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودُود . وكتب لولده خُمَارَوَيْه إسحاقُ بن نصر

(١) هو الليث ابن أبى رقية ، كما فى حسن المحاضره والطبرى . (٢) لم يتم لابراهيم بن الوليد بن عبدالملك هذا أمر الخلافة ، فقد كان يسلم عليه جمعة بالخلافة و جمعة بالإمرة و جمعة لا يسلمون عليه بالخلافة ولا بالإمرة فكان على ذلك حتى قدم مروان بن محمد فخلعه . (راجع الطبرى ق ٢ ص ١٨٧٥) .

(٣) فى الأصلين : « أبو مسلم الخلال » . والتصحيح والزيادة عن التنبية والإشراف للمسعودى والطبرى والفخرى فى الآداب السلطانية . (٤) تكملة عن المصادر المتقدمة .

العبادىّ. وتوالت دواوين الإنشاء بذلك إلى حين آنقراض الدولة الإخشيديّة . ثم كانت الدولة الفاطميــة فعظُم ديوان الإنشاء بهــا ، ووقع الاعتناء به وآختيــار بُلَغــاء الكُتّاب مابين مُسلم وذِمّىّ ، فكتب للعَزيز بن المُعِزّ فى الدولة الفــاطمية أبو المنصور بن جورس النَّصْرانِىّ (١) ، ثم كتب لأبنه الحاكم ومات فى أيامه ، وكتب للحاكم بعــده القاضى أبو الطاهر النهركىّ (٢) . ثم تولى الظاهر بن الحــاكم فكتب عنه أبو الطاهر المذكور . ثم تولى المستنصر فكتب عنه القاضى ولى الدين بن خَيْرَان (٣) ، وولىّ الدولة موسى بن الحسن بعــد آنتقاله إلى الوزارة (٤) ، وأبو سـعيد العَمِيدِىّ (٥) . ثم تولى الآمر والحافظ فكتب عنهما الشيخ أبو الحسن علىّ بن أبى أُسامة الحَلَبِىّ إلى أن تُوُفِّى (٦) فى أيام الحافظ ، فكتب بعده ولده أبو المكارم إلى أن تُوُفِّى ، ومعه الشيخ أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علىّ بن سليمان بن مُنْجِب (٧) المعروف بآبن الصَّيْرَفِىّ ، والقاضى كافى الكُفاة محمود آبن القاضى الموفّق أسعد بن قادُوس ، وآبنُ أبى الدّم اليَهُودِىّ ، ثم كتب بعــد أبى المكارم (٨) القــاضى الموفَّق بُن الخَلّال (٩) بقية أيام الحافظ إلى آخر أيام العاضِد آخرِ خلفائهم ، وبه تَخَرّج القاضى الفاضل عبد الرحيم البَيْسانِىّ . ثم أشرك العاضدُ مع الموفّق بن الخَلّال فى ديوان الإنشاء القاضىَ جلالَ الدين محمودًا

(١) كذا فى الأصــلين وحسن المحاضرة . وفى صــبح الأعشى (ج ١ ص ٩٦) : « أبو المنصور ابن ســورد بن النصرانى » . (٢) كذا فى الأصــلين . وفى حسن المحاضرة : « أبو الطاهر الهولى » . وفى صبح الأعشى « أبو الطاهر البهزكى » . وقد بحثنا فى المصادر التى تحت أيدينا عن هذه النسب الثلاث فلم نعثر على واحدة منها . (٣) هو ولى الدين أبو محمد أحمد بن على المعروف بابن خيران الكاتب الشاعر (عن ابن خلكان فى ترجمة على بن أحمد بن نوبخت) . (٤) فى صبح الأعشى : « قبل آنتقاله إلى الوزارة ... » . (٥) فى حسن المحاضرة : « أبو سعيد العبدى » .

(٦) فى الأصلين : « بعــده » . وهو خطأ والتصويب عن حسن المحاضرة وصبح الأعشى .

(٧) فى الأصلين : « منجد » وتصحيحه عن الإشارة فيمن نال الوزارة ، وهى من مؤلفاته .

(٨) فى الأصلين وحسن المحاضرة : « بعد آبن أبى المكارم » . والتصحيح عن صبح الأعشى . وما تقدّم ذكره للؤلف قريبا . (٩) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

الأنصارى . ثم كتب القاضى الفاضل بين يدى الموفّق بن الخلّال فى وزارة صلاح الدين يوسف بن أيّوب . ثم كانت الدولة الأيوبية ، فكتب للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القاضى الفاضل المذكور ، ثم أضيفت اليه الوزارة . ثم كتب بعد الناصر لابنه العزيز ولأخيه العادل أبى بكر، ثم مات العادل والفاضل .

قلت : هنا مجازفة لم يكتب القاضى الفاضل للعادل وكان بينهما مُشاحنة ، ومات الفاضل قبل وصول العادل إلى مصر ، وقيل وقت دخول العادل من باب النصر إلى القاهرة كانت جنازة القاضى الفاضل خارجة . وقد ذكرنا ذلك كلّه فى هذا الكتاب(١) ، وإنما كتب الفاضل للعزيز عثمان ولولده الملك المنصور محمد ، فالتبس المنصور على الناقل بالعادل . انتهى .

قال : ثم تولّى الكامل بن العادل فكتب له أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدّرج إلى أن تُوفّى(٢) ، فكتب له بعده الشيخ أمين الدين عبد المحسن [بن حمود] الحلّبى مدّة قليلة ؛ ثم كتب للصالح نجم الدين أيّوب ، ثم ولى ديوان الإنشاء الصاحب بهاء الدين زُهَيْر ، ثم صُرِف وولى بعده الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان الإسعردى ، فبقى إلى انقراض الدولة الأيّوبية . فلما كانت الدولة التركية كتب للعز أيبك الصاحب فخر الدين المذكور ، ثم بعده للمظفر قُطُز ، ثم للظاهر بيبرس ، ثم للمنصور قلاوون ، ثم نقله قلاوون من ديوان الإنشاء للوزارة ، وولى ديوان الإنشاء مكانه القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر فكتب عنه بقية أيامه ؛ ثم كتب لابنه الأشرف خليل إلى أن تُوفّى ، فولّى مكانه القاضى تاج الدين [أحمد](٣) بن الأثير فكتب إلى أن

(١) راجع حوادث سنة ٥٩٦ هـ .
(٢) الزيادة عما تقدّم ذكره للمؤلف فى حوادث سنة ٦٤٣ هـ وحسن المحاضرة .
(٣) الزيادة عن صبح الأعشى .

تُوفِّى ، فكتب بعــده القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله (١) فكتَب بقية أيام الأشرف . فلما تَوَلّى أخوه الناصر محمد كتَب عنه القاضى شرف الدين المذكور فى سلطنته الأولى ثم فى أيام العادل كَتْبُغَا ثم أيام المنصور لاچين ثم فى أيام سلطنة الناصر محمد الثانية ؛ ثم نقله إلى كتابة السِّرّ بدمشق عِوَضًا عن أخيه القاضى مُحيي الدين (٢) ، وتولى مكانه بمصر القــاضى علاء الدين [بن تاج الدين] (٣) بن الأثير فبقى حتى مَرِض بالفالج فاستدعى الملك الناصر مُحيي الدين بن فضل الله من دِمَشق وولده شهاب الدين [أحمد] (٤) وولّاهما (٥) ديوان الإنشاء بمصر . ثم وَلّى بعدهما القاضى شمس الدين (٦) ابن الشهاب محمود فَبقِىَ إلى عَوْد السلطان من الحجّ فأعاد القاضى محيي الدين وولده القاضى شهاب الدين إلى ديوان الإنشاء بمصر فبَقِيَا مدّةً . ثم تغيّر السلطان على القاضى شهاب الدين وصرفه عن المباشرة ، وأقام أخاه القاضى علاء الدين (٧) وكلاهما معين لوالده لِكبَر سِنه ، ثم سأل القاضى مُحيي الدين السلطانَ فى العَوْد إلى دمشق فأعاده وصحبته ولده شهاب الدين ؛ وآستمرّ ولده القاضى علاء الدين بالديار المصريّة فباشر بقيّة أيام الناصر ، ثم أيّام ولده الملك المنصور (٨) ، ثم أيام الأشرف كُجُك ، ثم أيام الناصر أحمد إلى أن خلَع نفسه وتوجّه إلى الكَرَك توجه معه القاضى علاء الدين ؛ فلمّا تَوَلّى الملكَ الصالح إسماعيل السلطنة

(١) هو عبــد الوهاب بن فضــل الله بن المجلى بن دعجان بن خلف القاضى شرف الدين القرشى العمرى . توفى سنة ٧١٧ هـ . (عن المنهل الصافى وشذرات الذهب) .

(٢) هو يحيي بن فضل بن المجلى بن دعجان القاضى الكبير الرئيس محيي الدين أبو المعالى القرشى العدوى العمرى . توفى ســنة ٧٣٨ هـ . (عن الدرر الكامنة) .

(٣) تكملة عن حسن المحاضرة .

(٤) زيادة عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى . توفى سنة ٧٤٩ هـ .

(٥) فى الأصلين : «وولاه» . والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٦) فى الأصلين وصبح الأعشى : «شرف الدين» . وما أثبتناه عن المنهل الصافى وشذرات الذهب والدرر الكامنة . وهو محمد بن محمود بن سليمان بن فهد . توفى سنة ٧٢٧ هـ .

(٧) هو علاء الدين على بن يحيي بن فضل الله . توفى سنة ٧٦٩ هـ . كما سيذكر المؤلف بعد قليل .

(٨) هو السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ابن السلطان الملك الناصر أبى المعالى بن المنصور قلاوون الذى تسلطن بعد وفاة أبيه سنة ٧٤١ هـ .

بمصر بعد أخيه الناصر أحمد قرز القاضى بدرّالدين محمد[1] آبن القاضى محيي الدين بن فضل الله عِوَضًا عن أخيه علاء الدين .

قلت : لم يلِ بدر الدين محمد بعد أخيه علاء الدين الوظيفة آستقلالا و إنما ناب عنه إلى حين حضوره . انتهى .

قال : ثم أُعيد علاء الدين أيّام الصالح إسماعيل وأيّام الكامل شعبان، ثم أيام المُظَفَّر حاجّى ثم أيّام النـاصر حسن فى سلطنته الأولى، ثم فى أيّام الصالح صالح، ثم فى أيّام الناصر حسن فى سلطنته الثانية، ثم أيام المنصور محمد آبن المظفر حاجّى، ثم فى أيّام الأشرف شعبان[2] وتُوُفِّى فى أيّامه .

قلت : وكانت وفاته فى شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة بعد أن باشر كتابةَ السر نَيِّفًا وثلاثين سنة لأحد عشر سلطانا .

قال : ثم ولى الوظيفة بعده ولده بدر الدين[3] محمد آبن القاضى علاء الدين، فباشر بقيّة أيام الأشرف شعبان ، ثم ولده المنصور علىّ ، ثم أخيه الملك الصالح حاجّى بن شعبان إلى أن خُلِـع بالظاهر بَرْقُوق، فآستقر برقوق بالقاضى أوحد الدين عبدالواحد آبن إسماعيل التُّرْكُمَانِىّ[4] إلى أن تُوفّى .

قلت : وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة ستّ وثمانين وسبعمائة .

---

(١) توفى سنة ٧٤٦ ﻫ عن المنهل الصافى والدرر الكامنة وما سيذكره المؤلف .

(٢) هو الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون . تولى السلطنة سنة ٧٦٤ﻫ وتوفى سنة ٧٧٨ﻫ وهو غير الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون الذى ولى السلطنة فى سنة ٧٤٦ ﻫ وتوفى سنة ٧٤٧ ﻫ كما سيأتى ذكره للؤلف .

(٣) سيذكر المؤلف سنة وفاته بعد قليل .

(٤) هو أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن يس بن أبى حسن الإفريقى ثم المصرى الحنفى سبط القاضى كمال الدين بن التركمانى» . (عن شذرات الذهب والمنهل الصافى) .

قال : ثم أُعيد بدر الدين فباشر حتى خُلِع الظاهر برقوق بالمنصور حاجّىّ ، فاستمر بدر الدين إلى أن عاد بَرْقُوق إلى سلطنته الثانية، صرفه بالقاضى علاء الدين على بن عيسى الكَرَكى ، ثم صرَف الكَرَكىّ .

قلت : ومات معزولا فى شهر ربيع الأوّل فى سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

قال : ثم أُعيد القاضى بدر الدين من بعد عَزْل القاضى علاء الدين فاستمرّ بدر الدين إلى أن عاد برقوق فتوفّى بِدَمَشْق .

قلت : ووفاته فى شوّال سنة ست وتسعين وسبعمائة .

قال : وولِى بعده القاضى بدر الدين محمود الكُلُسْتَانِىّ فباشر إلى أن تُوُفّى .

قلت : وكانت وفاته فى عاشر جمادى الأولى سنة إحدى وثمانمائة .

قال : فتولى بعده القاضى فتح الدين فتح الله [التّبْرِيزِىّ][1] فباشر بقية أيام الظاهر ، ومدّة من أيام الناصر إلى أن صَرفه الناصر فرج بالقاضى سعد الدين بن غُراب[2] مدّة يسيرة ، ثم صُرِف ٱبن غراب وأُعيد القاضى فتح الله ثانيا ، فباشر إلى أن صُرِف بالقاضى فخر الدين بن المزوّق[3]، فباشر مدة يسيرة ، ثم صُرِف وأُعيد فتح الله فباشر إلى أن صرَفه الملك المؤيَّد شيخ وقَبَض عليه وصادره .

قلت : ومات تحت العقوبة خَنْقًا فى ليلة الأحد خامس عشر شهر ربيع الأوّل سنة ست عشرة وثمانمائة، وهو فتح الله بن مستعصم بن نَفِيس التّبْرِيزِى الحنفى الداوُودى، يأتى ذكره هو وغيُره من كُتّاب السِّرّ فى محلهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

---

(١) زيادة عن حسن المحاضرة وما سيذكره المؤلف بعد قليل . (٢) هو سعد الدين إبراهيم ابن عبد الرزاق بن غراب . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٠٨ هـ. (٣) هو فخر الدين ماجد، ويدعى عبد الله، بن السديد أبى الفضائل بن سناء الملك المعروف بابن المزوّق . سيذكره المؤلف سنة ٨٣٣ هـ.

قال : وتولّى بعده القاضى ناصر الدين محمد البارِزِىّ[1] فباشر إلى أن تُوُفّى .

قلت : وكانت وفاته يوم الأربعاء ثامن شوّال سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، ومولده بحَمَاة فى يوم الاثنين رابع شوّال سنة تسع[2] وستين وسبعمائة . وتولى بعده ولده القاضى كمال الدين محمد[3] بن البارِزِى ، فباشر إلى أن صرفه الملك الظاهر ططر وولّى علمَ الدين داود [ابن عبد الرحمن][4] بن الكُوَيْز ، فباشر إلى أن تُوفّى سنة ست وعشرين وثمانمائة فى دولة الملك الأشرف بَرْسْبَاى . وولّى بعده جمالَ الدين يوسف بن الصَّفِىّ[5] الكَرَكِىّ فباشر قليلاً إلى أن صُرِف بقاضى القضاة شمس الدين[6] محمد الهَرَوِىّ ، ودام الكَرَكِىّ بعد ذلك وباشر عِدّة وظائف بالبلاد الشامية إلى أن تُوُفّى فى حدود سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، وباشر الهَرَوِى إلى أن عُزِل بقاضى القضاة نجم الدين عمر ابن حِجّى ، فباشر ابن حِجّى إلى أن عُزِل وتوجّه إلى دِمَشْق على قضائها ، ودام إلى أن قُتِل بها فى ذى القعدة سنة ثلاثين وثمانمائة ، وولّى بعده القاضى بدر الدين محمد [ابن محمد بن أحمد][7] بن مُزْهِر ، واستمرّ إلى أن مات فى ليلة الأحد سابع عشرين جُمادى الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة . وولى بعده ابنه جلال الدين ، وقيل بدر الدين محمد[8] مدّة يسيرة . وصُرِف بالشريف شهاب الدين أحمد [بن علىّ بن إبراهيم ابن عَدْنان][9] الحُسَيْنى الدمشقى ، فباشر مدةً يسيرةً وتُوُفّى بالطاعون فى سنة ثلاث وثلاثين ،

---

(١) هو ناصر الدين أبو المعالى محمد ابن القاضى كمال الدين محمد بن عز الدين محمـد بن عثمان الجهنى الحموى الشافعى المعروف بابن البارزى كاتب السر الشريف .

(٢) فى الأصـلين هنا : «سنة سبع وستين وسبعمائة» . وما أثبتناه عما سيذكره المؤلف فى سنة وفاته .

(٣) سيذكر المؤلف وفاته بعد قليل فى ولايته الثالثة .

(٤) زيادة عما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٣١ هـ والمنهل الصافى .

(٥) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٥٦ هـ .

(٦) هو شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن أحمد بن فضل الله بن محمد الرازى الهروى الشافعى . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٢٩ هـ .

(٧) التكملة عن المنهل الصافى وما سيذكره المؤلف فى سنة وفاته .

(٨) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٣٣ هـ .

(٩) زيادة عن المنهل الصافى وما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٣٣ هـ .

وولى بعده أخوه نحو الجمعة بغير خِلْعَة وتُوُفّى بالطاعون أيضا . وولى بعدهما شهاب الدين أحمد [بن صالح بن أحمد بن عمر المعروف بآ][1] بن السَّفَاح الحَلَبى فباشر إلى أن مات فى سنة خمس وثلاثين . وولى بعده الوزير كريم الدين[2] عبد الكريم آبن كاتب المَنَاخ مضافا للوزارة، فباشر أشهرا وصُرِف، وأُعِيد القاضى كمال الدين محمد بن البارِزِىّ فى يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ستّ وثلاثين، فباشر إلى أن صُرِف يوم الخميس سابع شهر رجب سنة تسع وثلاثين ؛ وولى مكانه الشيخ مُحِبّ الدين محمد آبن الأشقر فباشر إلى أن صرف، وولى صلاح الدين محمد آبن الصاحب بدر الدين حسن بن نصرالله، فباشر إلى أن تُوُفّى بالطاعون فى سنة إحدى وأربعين، وولى مكانه والده الصاحب بدر الدين حسن فباشر إلى أن صرف، وأُعيد القاضى كمال الدين بن البارِزِىّ فى يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة آثنتين وأربعين وثمانمائة ، وهى ولايته الثالثة ؛ فباشر إلى أن تُوُفّى بُكْرة يوم الأحد سادس عشرين صفر سنة ستّ وخمسين وثمانمائة . ولم يُخَلِّف بعده مثلُه ، وولى بعده القاضى محب الدين محمد بن الأشقر المقدّم ذكُره، وباشر إلى أن صَرَفه الملك الأشرف إينال بالقاضى مُحِب الدين محمد بن الشِّحْنَة الحَلَبىّ، فباشر آبن الشِّحْنَة أشهرًا ثم صُرِف ، وأُعِيد القاضى محب الدين محمد بن الأشقر وهى ولايته الثالثة . انتهى .

قلت : وغالب مَن ذكرناه من هؤلاء الكُتّاب قد تقدّم ذكر أكثرهم، ويأتى ذكر باقيهم فى محلّهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . وقد آستطردنا من ترجمة الملك المنصور إلى غيرها، ولكن لا بأس بالتطويل فى تحصيل الفوائد . انتهى .

---

(١) التكملة عن المنهل الصافى وماسيذكره المؤلف فى سنة وفاته .

(٢) هو الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم آبن الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرزاق آبن شمس الدين عبد الله المعروف بآبن كاتب المناخ، سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٥٢ هـ .

*
* *

السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور قلاوون على مصر وقد تقدّم ذكرها فى ترجمة الملك السعيد، والملك العادل سَلَامش وَلَدى الملك الظاهر بِيبَرْس، وهى سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة، فإنه حَكَم فيها من شهر رجب إلى آخرها .

*
* *

وهذه السنة الثانية من ولاية الملك المنصور قلاوون المذكور، وهى سنة تسع وسبعين وستمائة .

فيها تُوُفّى الشيخ مُحيي الدين أبو العباس أحمد [بن علىّ](1) بن عبد الواحد بن السابق الحلبى العدل الكبير، كان من أكابر بيوت حلب، وكان عنده فضيلةٌ ورياسةٌ ومات بدمشق فى ذى الحجة .

وفيها تُوُفّى الأمير سيف الدين، وقيل صارم الدين، أُزْبَك بن عبد الله الحلَبى العَـدْل الكبير، كان من أعيان أمراء دِمَشْق، وهو منسوبٌ إلى أستاذه الأمير عزّ الدين أَيْبَك الحلَبِى، وكان قد تجرّد إلى بَعْلَبَكّ فتمرّض بها، فحُمِل فى مِحَفّة إلى دِمَشق، فمـات بها فى شوّال .

وفيها تُوُفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الشّمسِىّ، كان من أعيان الامراء وأماثلهم وشُجعانهم، وهو الذى أمسك الأمير عزّ الدين أَيدَمُر الظاهرى، وهو الذى باشر قتل كَتْبُغَا نُوين مقـدّم التّتار يوم عَيْن جالوت، وكان ولى نيـابة حلب فى السنة الخالية، ومات بها فى يوم الاثنين خامس المحرّم ودُفِن بحلب، وهو فى عشر الخمسين .

---

(1) التكلة عن تاريخ الإسلام .

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام كمال الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الحنفىّ الفقيه العَدْل، كان من أعيان الفقهاء العدول، وكان كثير الديانة والتعبّد، وهو أخو قاضى القضاة شمس(1) الدين الحنفىّ.

وفيها تُوُفّى الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد [بن أيُّوب بن أبى رحلة](2) الحِمْصِى المولد والدار البَعْلَبَكّى الوفاة، كان فاضلًا ظريفًا أديبًا شاعرا، ومما ينسب إليه من الشعر قوله:

والدهرُ كالطيف بؤساه وأنْعُمُه * عن غير قَصْد فلا تَحْمَد ولا تَلُمِ
لاتسألِ الدهرَ فى البأساء يكشفها * فلو سألتَ دوام البؤس لم يَدُمِ

وفيها تُوُفّى الأديب الفاضل الشاعر المُفْتَنّ جمال الدين أبو الحسين يحيى ٱبن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علىّ المصرىّ المولد والوفاة، المعروف بالجَزّار، الشاعر المشهور أحد فحول الشعراء فى زمانه. مولده سنة إحدى(3) وستمائة. ومات يوم الثلاثاء ثانى عشر شوّال ودُفِن بالقرافة، وكان من محاسن الدنيا، وله نوادر مُسْتَظْرَفَةٌ ومُداعبات ومُفاوضات(4) مع شعراء عصره، وله ديوانُ شعر كبير.

قال الشيخ صلاح الدين الصَّفَدىّ: لم يكن فى عصره مَن يُقارِبه فى جَوْدة النظم غير السِّرَاج الورّاق(5)، وهو كان فارس تلك الحَلْبَة، ومنه أخذوا، [و] على نَمَطِه نسجوا، ومن مادّته ٱستمدُّوا. ٱنتهى كلام الصَّفَدىّ.

---

(1) هو شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرعى الحنفى قاضى القضاة أبو محمد. تقدمت وفاته فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبي سنة ٦٧٣ هـ.

(2) زيادة عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان وعقد الجمان.

(3) كذا فى الأصلين وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ فى إحدى روايتيه. وروايته الثانية وتاريخ الإسلام والمنهل الصافى أن مولده سنة ٦٠٣ هـ.

(4) فى الذيل على مرآة الزمان: «ومكاتبات».

(5) هو أبو حفص عمر بن محمد السراج الوراق. سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٥ هـ.

قلتُ : ونذكر قطعةً من شعره فمن ذلك قوله :

أكلِّفُ نفسى كلَّ يومٍ وليـلةٍ * هموماً[1] علَى مَن لا أفوز بخَـيْرِه
كما سَوّدالقَصار بالشمس وجهَهُ * ليَجْهَد فى تبييض أثوابِ غيرِه

وقيل : إنه بات ليلة فى رمضان عند الصاحب بهاء الدين بن حِنَّا ، فصلَّى عنده التراويحَ وقرأ الإمامُ فى تلك الليلة سورةَ الأنعام فى ركعة واحدة ؛ فقال أبو الحسين :

مالى على الأنعام من قُدْرةٍ * لا سِيَّما فى ركعـةٍ واحده
فلا تَسُومونى حضوراً سِوى * فى ليـلة الأنفالِ والمـائده

ومن شعره :

طرف المُحِبِّ[2] فمٌ يُذاع به الجَوَى * والدمـعُ إن صمتَ اللسانُ لسـانُ
تبكى الجفونُ على الكَرَى فاعْجَب لِمَنْ * تبكى عليـه إذا نأى الأوطانُ

وفيهـا تُوُفِّى الشيخ الإمام عِماد الدين أبو بكر بن هِلال بن عَبّاد الجِيلىّ[3] الحنفى مُعيد المدرسة الشِّبْلِيّة . كان إماماً عالمـا صالحا منقطعًا عن الناس مشتغلًا بنفسه ، وكان معدودا من العلماء ، أفتى وأعاد ودرّس وانتفع به الناس ومات فى تاسع عشر شهر رجب ، وقد كمَل له مائة سنة وأربع سنين . و رَوَى عنه ابن الزُّبيدىّ[4] ؛ وروى بالإجازة العامّة عن السِّلَفِىّ .

---

(١) فى الأصلين : « شرورا » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ والمنهل الصافى .

(٢) قبل هذين البيتين ، كما فى عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان ، هذا البيت :
سر القلوب تذيعه الأجفان * هيهات ينفـع مغرما كتمان

(٣) كذا فى الأصلين . وفى تاريخ الإسلام للذهبى : « ابن عباد الجيلى » . وفى نثر الجمان للفيومى والذيل على مرآة الزمان : « المعروف بالحنبلى » .

(٤) هو سراج الدين الحسين بن أبى بكر المبارك بن محمـد الزبيدى . تقدّمت وفاته سنة ٦٣١ هـ . فيمن نقل المؤلف فاتهم عن الذهبى .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى الفقيه شمس الدين محمد بن عبد الله [بن محمد بن عمر بن مسعود] (١) بن النّنّ . والأديب البارع أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجَزّار بمصر . وشيخ الرافضة النَّجيب أبو القاسم بن الحسين ابن العُود الحِلّىّ بجِزِّين فى شعبان . والشيخ الزاهد يوسف [بن نَجاح بن موهوب] (٢) الفُقّاعىّ بزاويته بقاسيون .

§ أمر فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وخمس أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

⁂

السنة الثالثة من ولاية السلطان الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة ثمانين وستمائة .

فيها تَرِبَتْ جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بُولاق (٣) واللُّوق (٤)، وانقطع بسببها مَجْرى البحر ما بين قلعة المَقْس (٥) وساحل باب البحر والرَّمْلة (٦) و بين جزيرة الفِيل (٧) ؛ ولم يعهد هذا فيما تقدّم ، وحصل لأهل القاهرة مَشَقّة يَسيرةٌ من نقل الماء لبُعْد البحر عنهم ؛ وأراد السلطان حَفْرَه فمنعوه ، وقالوا له : هذا نَشَفٌ إلى الأبد .

قلت : وكذا وقع، وغالب أملاك باب البحر والبساتين خارج باب البحر وداخله هى مكان البحر الذى نَشَف ، والتصقت المبانى والبساتين بجزيرة الفِيل وصارت غيرَ جزيرة، فسبحان القادر على كل شىء ! .

---

(١) تكملة من تاريخ الإسلام . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٧ من هذا الجزء . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٨ من هذا الجزء . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٨ من هذا الجزء . (٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٩ من هذا الجزء . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٩ من هذا الجزء .

وفيها تُوُفِّى الشيخ الصالح المولَّه المُعتَقــد إبراهيم بن سعيد الشَّاغُورىّ المعروف بجَيْعَانة فى يوم الأحد سابع جُمادى الأولى بدمشق ، ودُفِن بمقبرة المُوَلَّهين بسـفح قاسِـيون ، وله من العُمر نحو سبعين سـنة ، وكانت له جنازةٌ عظيمة ، وكان له أحوالٌ ومكاشفاتٌ ، رحمه الله .

وفيها تُوفّى ملك التّتار أَبغَا بن هُولاكو بن تُولى خان بن جِنكِزْخان مَلِك التّتار وطاغيتُهم ، كان مَلِكًا جليلَ القَدْر عالى الهِمّة شجاعًا مِقدامًا خبيرًا بالحروب ، لم يكن بعد والده مثلُه ، وكان على مذهب التّتار واْعتقادهم ، ومملكته متّسعة جدًّا وعساكره كثيرة ، وكان مع ذلك كلمته مسموعةٌ فى جنـده مع كَثْرتهم . ولمّا توجّه أخـوه مَنْكُوتَمُر بالعساكر إلى جهة الشام لم يكن ذلك عن رأيه بل أُشير عليه فوافق ، ونزلَ فى ذلك الوقت الرَّحْبَة ، أو بالقرب منها ، فلما بلغ أَبغَا(١) كَسْرَةُ مَنْكُوتَمُر رجعَ الى هَمَذَان فمات غَمًّا وكَمَدًا ومات منكوتَمُر بعـد أخيه أبغَا بمدّة يسيرة بين العيدين ، وله من العُمر نحو خمسين سنة ، وقيل : ثلاثين سـنة والثانى أرجح . ومات بعده بيومين أخوه آجَاىْ على ما يأتى ذكر منكوتمر فى القابلة .

وفيها تُوُفِّى التاجر نجم الدين أبو العبّاس أحمد بن علىّ بن المظفَّر بن الحِلّىّ ، كان ذا نِعْمَة ضخمة وثَرْوة ظاهرة ، وأموالٍ جَمّة ، وله التقدّم فى الدولة .

وفيها تُوُفِّى الشيخ موفّق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف المعروف بالكَوَاشِىّ(٢) الإمام العالم المفسِّر صاحب التفسير الكبير والتفسير الصغير وهما من أحسن التفاسير ، وكانت له اليَـدُ الطُّولَى فى القراءات ومشاركةٌ فى غير ذلك من العلوم ، وكان مقيمًا

(١) فى الأصلين : «فلما بلغ منكوتمر الكسرة رجع الى همذان فات غما وكمدا بعد أخيه أبغا ... الخ» . وتصحيح هذه العبارة عن عيون التواريخ والمنهل الصافى والذيل على مرآة الزمان ونثر الجمان .

(٢) الكواشى (بالفتح والتخفيف) : نسبة الى كواشة ، قلعــة بالموصل (عن لب اللباب وشذرات الذهب وذيل مرآة الزمان) .

بالجامع العتيق بالمَوْصِل منقطعًا عن الناس مجتهـدًا فى العبادة لا يقبل لأحد شيئًا، وكان يزوره المَلِك ومَنْ دونه فلا يقوم لهم ولا يَعْبأ بهم، وكان له مجاهداتٌ وكشوفٌ وكراماتٌ، ولأهل تلك البلاد فيه عقيدةٌ. ومات وله تسعون سنة تقريبًا، وكانت وفاته فى سابع عشر[1] جُمادى الآخرة بالموصل ودُفن بها .

وفيها تُوُفّى الأمير عِزّ الدين المعروف بالحاجّ أَزْدَمُر بن عبد الله الجَمْدار، كان من أعيان الأمراء، وكان ممن آنضاف إلى سُنْقُر الأشقر لمّـا تسلطن، وكان سنقر جعله نائبًـا بدِمَشْق ، ووقع له أمورٌ ذكرنا بعضها فى أوّل ترجمـة الملك المنصور قلاوون إلى أن آستُشْهِد فى واقعـة التّتار مع المنصور قلاوون بظاهر حِمْص مقبلًا غيرَ مدبر رحمه الله وتقبّل منه .

وفيها تُوُفّى الأمير عِزّ الدين أَيْبَك بن عبـد الله الشُّجَاعىّ الصالحى العِمادى والى الوُلَاة بالجهات القبلية[2]، كان دينًا خيرًا لينّ الجانب شـديدا على أهل الرِّيَب وجيهًا عند الملوك ، وكان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه فى أموره ؛ ثم إنه ترك الأمر بآختياره ولزم داره إلى أن مات بدِمَشْق فى جُمادى الآخرة، وقد بلغ خمسا وثمانين سنة.

وفيها تُوُفّى الأمير بدرالدين بَكْتُوت بن عبد الله الخَازِنْدار، اسْتُشْهِد أيضًا فى وقعة التّتار بحِمْص وكان أميرًا جليلًا .

وفيـا تُوفّى الأمير سيف الدين بَلَبَان الرُّومِى[3] الدوادار المقـدّم ذكرُه فى قضيّة كُتّاب السرّ ، كان الملك الظاهر بِيبَرْس يعتمد عليه وولّاه دَوَادَارًا، وكان المطّلِـعَ

---

(١) فى أحد الأصلين : « فى سابع رجب » . وفى الأصل الآخر : « فى سابع عشر رجب » . والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وغاية النهاية .

(٢) كذا فى الأصلين والذيل على مرآة الزمان . وفى تاريخ الاسلام للذهبي : « والى إقليم حوران والسواد » .

(٣) فى تاريخ الاسلام : « بلبان الدوى » بالدال .

على أسراره، وتدبير أمور القُصّاد والجواسيس والمكاتبات لايُشاركه فى ذلك وزيرٌ ولا نائبُ سلطنة، بل كان هو والأمير حُسام الدين لاچين الأيْدَمُرِىّ المعروف بالدَّرْفِيل، فلما تُوُفّى لاچين المذكور آنفرد بَلَبَان بذلك وحدَه، وكان مع هــذه الخصوصية عند الملك الظاهر أميرَ عشرة، وقيل جندياً .

قال الصَّفَدِى : لم يُؤَمِّره طبلخاناه إلى أن مات الملك الظاهر أنعم عليه ولده الملك السعيد بإِمْرة ستين فارسًا بالشام، وبَقِىَ بعد ذلك إلى أن آستُشْهِد بظاهر حِمْص رحمه الله وقد نيّف على ستين سنة (١) .

وفيها تُوُفّى الأمير شمس الدين سُنْقُر بن عبد الله الألْفِى، كان من أعيان الأمراء الظاهرِيّة، وولى نيابةَ السلطنة بمصر للملك السعيد بعد موت الأمير بدر الدين بِيلِيك الخازِنْدار، وباشر النّيابة أحسن مُباشرة إلى أن آستَعْفَى فأُعْفِى، وولى النيابة عِوَضَه الأمير كُونْدَك، فكان ذَهابُ الدولة على يده . ثم قبَض الملك المنصور على سُنْقُر هذا وآعتقله بالإسكندرية، وقيل بقلعة الجبل، إلى أن مات، وله من العمر نحو أربعين ســنة .

وفيها تُوُفّى الشيخ علاء الدين أبو الحسن علىّ بن محمود بن الحسن بن نَبْهان اليَشْكُرِى ثم الربعىّ، كان له اليَدُ الطُّولى فى علم الفَلَك، وتفرّد بحَلّ الأزياج وعَمَلِ التقاويم، وغَلَب ذلك عليه مع فضيلة تامة فى علم الأدب وجَوْدَة النظم . ومن شعره :

ولمــا أتانى العاذِلون عدِمْتُهم * وما منهــمُ إلا لِلَحْمِى قارضُ
وقد بُهِتُوا لمــا رأَوْنِىَ شاحبًا * وقالوا به عينٌ فقلت وعارضُ

وله :

إنى أغار من النَّسيم إذا سَرَى * بأَرِيج عَرْفِكَ خِيفةً من ناشِقِ

(١) فى ذيل مرآة الزمان : « وقد نيف على خمسين سنة » .

وأودّ[1] لو سُهِّرتُ لا من علّةٍ * حذَرًا عليكَ من الخيال الطارقِ

قلت : وأجاد الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح فى هذا المعنى حيث قال :

فلو أمسَى على تلَفِى مُصِرًّا * لقلتُ معذِّبى بالله زِدْنِى
ولاتَسْمَح بوَصْلك لى فإنِّى * أغَارُ عليك منك فكيف مِنِّى

ومثل هذا أيضا قول حَفْصَة المَغْرِبية[2] ، رحمها الله :

أغَارُ[3] عليكَ من غيرى ومِنِّى * ومنك ومن مكانك والزمانِ
ولو أنِّى خبَأْتُك فى جُفونى * إلى يوم القيامة ما كفانِى

وفيها تُوُفِّى الشيخ الإمام الأديب البارع بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذّهبىّ الشاعر المشهور ، كان أبوه لؤلؤ عتيقَ الأمير بدر الدين صاحب تلّ باشر . وكان بدر الدين هذا فاضلًا شاعرا ماهرًا . ومن شعره ممّا كتبه للشيخ نجم الدين [محمد][4] بن إسرائيل وله صاحب يميل إليه يُسَمَّى بالجارح :

قلبُك اليوم طائرٌ * عنك فى الجوائح
كيف يُرْجَى خَلاصُه * وهو فى كَفّ جارحْ

---

(١) رواية هذا المصرع فى ذيل مرآة الزمان :
* وأودّ لو سهدت جفونى فى الكرى *

(٢) هى حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الأديبة المشهورة بالجمال والحسب والمال . (عن نفح الطيب ج ٢ ص ٥٣٩) . (٣) رواية هذين البيتين فى نفح الطيب :
أغار عليك من عينى رقيب * ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنى خبأتك فى عيونى * إلى يوم القيامة ما كفانى

(٤) زيادة عما تقدّم ذكره للؤلف ص ٢٨٢ من هذا الجزء .

ومن شعره فى دولاب :

ورَوْضــةٍ دُولَابُهـا * إلى الغُصون قـد شَكَا

من حين ضاع زَهْرُها * دار عليـه وبَكَى

ولـه :

يا عاذِلى فيـه قل لِى * إذا بَدَا[1] كيف أَسْلُو

يَمُــرُّ بى كلَّ حينٍ * وكلما مرّ يَحْـلُو

ولـه :

حلّا نباتُ الشّعْرِ يا عاذِلى * لمّا بدا فى خدّه الأَحْمَــرِ

فشاقِنى ذاك العِـذارُ الذى * نبـاته أحلى من السُّكَّرِ

وله فى غلام على وجهه حَبّ شباب :

تعشّقْتُه لَدْنَ القَـوَامِ مُهفْهَفًا * شَبِيِىَّ اللَّمَى أحوى المراشف أَشْنَبَا

وقالوا بَدَا حَبُّ الشباب بوجهـهِ * فيـا حُسْـنَه وجهًا إلىّ مُحبَّبًا

ولـه :

رِفقًـا بصَبٍّ مُغْــرَمٍ * أبليتَه صَــدًّا وهَجْـراَ

وافاك سائلُ دَمْعِــهِ * فرددْتَه فى الحال نَهْـرَا

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيها تُوُفّى العلّامة الزاهد مُوَفّق الدين أحمد بن يوسف الكَوَاشِىّ[2] المفسّر بالمَوْصِل فى جُمادى الآخرة ، وقـد جاوز التسعين . والقاضى نجم الدين محمد[3] آبن القاضى صـدر الدين بن سَنِىّ الدولة بِدِمَشْق

(١) رواية هذا المصراع فى ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام :

* عن حبه كيف أسـلو *

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٤٨ من هـذا الجزء . (٣) هو محمد بن أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن بن سنى الدولة ، قاضى القضاة نجم الدين أبو بكر آبن قاضى القضاة صدر الدين أبى العباس آبن قاضى القضـاة شمس الدين أبى البركات الدمشقى الشافعى (عن تاريخ الإسـلام وشذرات الذهب والمنهل الصافى) .

فى المحزم . والعلّامة قاضى القضاة تقىّ الدين محمد بن الحسين بن رَزِين العامرىّ بالقاهرة فى رجب ، وله سبع وسبعون سنة . والحافظ المُسْنِد جمال الدين أبو حامد محمد بن علىّ بن محمود بن الصابونىّ فى ذى القعدة . والمُسْنِد شمس الدين أبو الغنائم المُسْلم بن محمد بن المُسْلِم بن عَلّان فى ذى الحجّة ، وله سبع وثمانون سنة . والعَدْل أمين الدين القاسم بن أبى بكر بن القاسم الإِرْبِلىّ فى جُمادى الأولى . والعارف الزاهد ولىّ الدين علىّ بن أحمد بن بدر الجَزَرىّ[2] المقيم بجامع بَيْت لِهْيَا[3] فى شوّال .

وأَبْغَا بن هُولاكو مَلِك التّتار ببلاد هَمَذَان . والحاج أَزْدَمُر الأمير بمصافّ حِمْص شهيدًا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وثلاث أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع أصابع .

⁂

السنة الرابعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر ، وهى سنة إحدى وثمانين وستمائة .

فيها تُوُفّى قاضى القضاة شمس الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خَلِّكان بن بَاوَل[4] بن عبد الله بن شاكِل[5] بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك البَرْمَكىّ الإربلىّ الشافعىّ قاضى قضاة دِمَشْق وعالِمُها ومؤرِّخُها .

---

(١) فى الذيل على مرآة الزمان : «أبو عبد الله» . (٢) فى الأصلين : «الخزرجى» . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٦ من الجزء الثانى من هذه الطبعة . (٤) فى الأصلين : «ابن نازل» . وفى عيون التواريخ : «ابن تاوك» . وفى ذيل مرآة الزمان : «ابن ناول» . وما أثبتناه عن المنهل الصافى ، وقد ضبطه بالعبارة فقال : «بفتح الواو» . (٥) ضبطه المؤلف بالعبارة فى المنهل الصافى (بفتح الكاف) .

مولده فى ليلة الأحد حادى عشر جمادى الآخرة (١) سنة ثمانٍ وستمائة بإربِل وبها نشأ . ذكره آبن العديم فى تاريخه فقال : من بيت معروف بالفقة والمناصب الدينية . وقال غيره : كان إمامًا عالمـا فقيها أديبًا شاعرًا مُفتنًّا مجموع الفضائل معدوم النظير فى علوم شتّى ، حُجْـةً فيما ينقُله مُحَقّقًا لِمَـا يُورِده منفرداً فى علم الأدب والتـاريخ ، وكانت وفاته فى شهر رجب وله ثلاثُ وسبعون سنة .

قلت : وهو صاحبُ التاريخ المشهور ، وقـد آستوعبنا من حاله نُبْـذَةً جيّدة فى تاريخنا « المنهل الصـافى والمُسْتَوْفَى بعد الوافى » . انتهى .

وكان ولى قضاء دِمَشْق مرّتين : الأولى فى حدود الستين وستمائة وعُزِل وقَدِم القاهرة ، وناب فى الحُكْم بها عن قاضى القضاة بدر الدين السِّنْجَارِىّ ، وأفتى بها ودرّس ودام بها نحو سبع سنين ؛ ثم أُعِيد إلى قضاء دِمَشْق بعد عِزّ الدين بن الصائغ (٢) ، وسُرّ الناس بعوْده . ومدحتْه الشعراء بعِدّة قصائد ؛ من ذلك ما أنشده الشيخ رشيد الدين عمر بن إسماعيل [بن مسعود بن سعد بن سعيد] (٣) الفارقىّ فقال :

أنت فى الشام مثل يُوسف فى مِصـ * ـرِ وعندى أنّ الكِرامَ جِنَاسُ
ولكلِّ سَـبْعٌ شِدَادٌ وبعـد السَّبْـ * ـعِ عامٌ فيـه يُغَـاثُ النـاسُ

وقال فيه أيضا نور الدين علىّ بن مُصْعَب .

رأيتُ أهـلَ الشـآم طُـراًّ * ما فيهـم قَـطُّ غـيرُ راضِ

---

(١) كذا فى الأصلين وذيل مرآة الزمان . وفى المنهل الصافى وترجمة آبن خلكان التى بآخر الجزء الثانى من كتابه وفيات الأعيان طبع بولاق : «ومولده بإربل فى يوم الخميس حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة » . (٢) هو قاضى قضاة دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر ابن عبد الخالق الأنصارى المعروف بابن الصائغ . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٣ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبى . وكانت وفاته سنة ٦٨٩ هـ كما فى عيون التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام والمنهل الصافى .

أتاهـمُ الخـيرُ بعـد شَرٍّ * فالوقتُ بَسْـطٌ بلا ٱنقباضِ
وعُوِّضُـوا فرحـةً بحُزْنٍ * قـد أنصف الدهرُ فى التقاضى
وسَرَّهم بعـد طُولِ غَـمٍّ * قـدومُ قاضٍ وعَزْلُ قاضِ
فكلُّهـم شاكرٌ وشاكٍ * لحـال مسـتقبَلٍ وماضِ

ومن شعر ٱبن خلّكان المذكور قوله :

تَمثَّلْـتُمُ لِى والبـلادُ بعيـدةٌ * فخُيِّـل لى أنّ الفؤادَ لكم مَغْنَى
وناجاكُمُ قلبى على البُعْـد والنَّوَى * فآنستُمو لفظًا وأوحشتمو مَعْنَى

وله دو بيت :

قَاسُـوكَ ببـدْر التِّمِّ قومٌ ظلموا * لا ذنبَ لهـم لأنّهـم ما عَلِمُـوا
من أين لبـدرِ التِّمِّ يا ويحَهُـمُ * جِيـدٌ وعيونٌ وقَوامٌ وفَمٌ

وله :

يا رب إنّ العبـدَ يُخْفِى عَيْبَـهُ * فٱسـتُرْ بحلمك ما بدا من عَيْبِـهِ
ولقـد أتاك وما له من شافعٍ * لذنوبه فٱقْبَلْ شـفاعةَ شَيْبِه

قلت ويعجبنى فى هذا المعنى قولُ القائلِ :

إن كانت الأعضاء خالفتِ الّذى * أُمِرت به فى سالفِ الأزمانِ
فسلوا الفؤادَ عن الذى أودعتُمُ * فيه من التوحيد والإيمانِ
تجـدوه قـد أدّى الأمانةَ فيهما * فهَبُـوا له ما خَلّ فى الأركانِ

وفيها تُوُفِّى ملك التّتار مَنْكُوتَمُر بن هُولاكوخان بن تُولى خان بن جِنكِزْخان، هو أخو أبغا ملك التّتار، ومَنْكُوتَمُر هذا هو الذى ضَرَب المصافّ مع السلطان الملك المنصور قلاوون على حِمْص حسب ما تقدم ذكره وٱنكسرت عساكره ، فلمّا وقع

ذلك عَظُمَ عليه وحصل عنده غَمٌّ شديدٌ وكَمَدٌ زائد، وحدّثته نفسه بجمع العساكر من سائر ممالك بَيت هولاكو، واستنجد بأخيه أَبْغَا على غَزْو الشام، فقدّر الله سبحانه وتعالى موتَ أَبْغَا، ثم مات هو بعده فى محرّم هذه السنة، وأراح الله المسلمين من شرّهما. وكان مَنْكُوتَمُر شجاعًا مقدامًا وعنده بَطْش[1] وجَبَرُوت وسَفْك للدّماء، وكان نَصْرانيًّا، وكان جُرِح يوم مَصافّ حِمْص، والذى جَرَحه الأمير علم الدين سَنْجَر الدُّوَيْدَارِىّ.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوُفِّى الإمام زَيْن الدين عبدالسلام بن علىّ الزَّوَاوِىّ المالِكىّ شيخ القُرَّاء فى رجب، عن آثنتين وتسعين سنة. وقاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان الإرْبِلِىّ فى رجب، وله ثلاث وسبعون سنة. ونجيب الدين المِقْدَاد بن هِبَة الله القَيْسِىّ العدل فى شعبان. وأبو الطاهر إسماعيل بن هِبَة الله المَلِيجِىّ[2] آخر من قرأ القرآن على أبى الجُود[3] فى رمضان بالقرافة. والبُرهان إبراهيم بن إسماعيل [بن إبراهيم بن يحيى بن عَلَوِىّ المعروف بـ][4] آبن الدَّرَجِىّ إمام المدرسة المُعِزِّيّة فى صفر، وله آثنتان وثمانون سنة. والعِماد إسماعيل بن جوسلين البَعْلَبَكّىّ. والعلّامة برهان الدين محمود ابن عبد الله المَرَاغِى فى شهر ربيع الآخر، وله ستّ وسبعون سنة. والإمام أمين الدين

(١) فى الأصلين: «طيش». وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان. (٢) ضبطه صاحب غاية النهاية بالعبارة فقال: (بفتح الميم و ياء ساكنة بعد اللام المكسورة وجيم). والمليجى: نسبة إلى مليج، قرية واقعة على شاطئ بحر شبين من الجهة الغربية وهى تابعة لمركز شبين الكوم بمديرية المنوفية.

(٣) هو أبو الجود غياث بن فارس اللخمى مقرئ الديار المصرية. تقدّمت وفاته سنة ٦٠٥ هـ فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبى. وفى الأصلين: «ابن أبى الجود». والتصحيح عما تقدم ذكره للمؤلف وغاية النهاية وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام. (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام والجواهر المضية فى طبقات الحنفية وشذرات الذهب والمنهل الصافى

أحمد بن عبد الله [بن محمد بن عبد الجبّار] بن الأُشْتَرِى [1] [2] الشافعى فى شهر ربيع الأوّل. والشيخ الزاهد عبد الله [بن أبى بكر بن أبى البَدْر [3] البغدادِى ويُعرف] بكُتَيْلة ببغداد.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا.

*
* *

السنة الخامسة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة اثنتين وثمانين وستمائة.

فيها تُوُفّى الأمير شهاب الدين أحمد بن حجّى بن بُرَيْد البَرْمَكى [4] أمير آل مِرَى، كان من فُرسان العرب المشهورين، كانت سراياه تُغير إلى أقصى نجد وبلاد الحجاز ويؤدّون له الخَفَر، وكذلك صاحب المدينة الشريفة، وكانت له المنزلة العالية عند الظاهر والمنصور قلاوون وغيرهما من الملوك، كانوا يُدارونه ويتّقون شرّه، وكان يزعُم أنه من نَسْل الوزير جعفر بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك البَرْمَكى من أخت الخليفة هارون الرشيد الذى امتُحِن جعفر بسببها وقُتِل. وكان بين شهاب الدين هذا وبين عيسى بن مُهَنّا أمير آل فضل منافسةٌ، فكتب إليه شهاب الدين هذا مرّةً كتابا وأغلظ فيه، وكان عند عيسى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم [5] فسأله عيسى بن مُهَنّا المجاوبة، فكتب عنه يقول:

---

(١) زيادة عن المنهل الصافى وذيل مرآة الزمان وشذرات الذهب. (٢) فى الأصلين: «ابن الأشرى». وتصحيحه عن المصادر المتقدمة. (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ.

(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٥ من هذا الجزء.

(٥) كان من أعيان شعراء مكة فى عصره. توفى سنة ٧٤١ هـ كما فى المنهل الصافى.

زَعَمُــوا أَنَّا هَجَــوْنا[(١)] * جَمْعَهُــم بالإفــتراءِ
كَذَبُوا فيما آدَّعَــوْهُ * وآفــتَرَوْا بالإدِّعاءِ
إنّمـا قلنا مَقـالًا * لا كقول السُّفَهاءِ
آلُ فضلٍ آلُ فضلٍ * وأنــتُمُ آل مِرَاءِ

وفيهـا تُوُفّى شرف بن مِرَى بن حسن بن حسين بن محمد النَّوَاوِى والد الشيخ محيي الدين النَّوَاوِىّ[(٢)] ، كان مقتنعًا بالحلال يزرع أرضًا يقتاتُ منها هو وأهله ، وكان يُمَوِّن ولده الشيخ محيي الدين منها ، ومات فى صفر .

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام شمس الدين أبو محمد[(٣)] عبــد الرحمن بن محمــد بن أحمد آبن محمــد بن قُدَامة الحَنْبَلِىّ المَقْدِسِىّ ، كان إمامًا فقيها وَرِعًا زاهــدا كبير القَدْر جَمّ الفضائل ، إنتهت إليه رياسة مذهب الإمام أحمــد بن حَنْبَل ، رضى الله عنه ، فى زمانه ، وشرح كتاب « المُقْنِــع » فى الفقه تأليف عمّه شيخ الإسلام موفّق الدين[(٤)] ، رحمه الله :

وفيها تُوُفّى الأمير علاء الدين كُشْتُغْدِى[(٥)] بن عبد الله الشرفىّ[(٦)] الظاهرىّ المعروف بأمير مجلس ، كان من أعيــان الأمراء وأكابرهم بالديار المصريّة وكان بطلًا شجاعًا وله مواقف مشهورة ونِكايات فى العدوّ المخذول . ومات بقلعة الجبل وقــد نَيَّف على خمسين سنة ، وحضر الملك المنصور قلاوون جنازته .

---

(١) رواية هذه الأبيات فى أحد الأصلين وذيل مرآة الزمان تختلف عن هذه الرواية .

(٢) هو محيي الدين يحيى بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن محمــد النواوى . تقدّمت وفاته سنة ٦٧٦ هـ .

(٣) فى تاريخ الإسلام : «أبو محمد وأبو الفرج» .

(٤) هو موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر الله أبو محمد . تقدّمت وفاته سنة ٦٢٠ هـ .

(٥) فى الأصلين : « كشى دغدى » . وما أثبتناه عن تاريخ الإســلام والذيل على مرآة الزمان والمنهل الصافى .

(٦) فى ذيل مرآة الزمان : « المشرف » .

وفيها تُوفّى الكاتب المُجَوِّد عماد الدين أبو عبد الله، وقيل أبو الفضل، محمد ابن محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله الشِّيرازى الدمشقى صاحب الخطّ المنسوب. انتهت إليه الرياسة فى براعة الخط لاسيّما فى [القلم] (١) المُحَقَّق و [قلم] (١) النَّسْخ. سمع الكثير وروى عنه الحافظ جمال الدين المِزِّىّ (٢) وغيره، وتصدّى للكتابة وانتفع به الناس. وقدم القاهرة واتّفق أنّه ركب النيل مرّة مع الصاحب بهاء الدين بن حِنّا، وكان معه جماعةَ من أصحابه وفيهم شخصُ معروف بابن الفُقّاعى ممّن له عناية بالكتابة، فسأل الصاحبَ بهاء الدين، وقال: عندى لمولانا الصاحب وهؤلاء الجماعةِ يومٌ كامل الدَّعْوَة، ومولانا يدعو المولى عماد الدين يُفيدنى قَطَّةَ القَلَم، فقال الصاحب: والله ما فى هذا شىء، مولانا يتفضّل عليه بذلك، فأطرق عماد الدين مُغْضَباً، ثم رفع رأسه وقال: أو خيرٌ لك من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أَحمل إليك رَبْعَةً بخطّى، ويُعفينى من هذا، فقال الصاحب: لا والله، الرَّبْعَة بخطّ مولانا تُساوى ألفى درهم، وأنا ما آكل من هذه الضيافة شيئاً يُساوى عشرة دراهم.

وفيها تُوفّى الشيخ أبو محمد، وقيل أبو المحاسن، عبد الحليم بن عبد السلام ابن تَيْمِيّة الحَرّانى أحد علماء الحنابلة ووالد الشيخ تقىّ (٣) الدين بن تَيْمِيّة. مولده بحرّان فى ثانى عشر شوّال سنة سبع وعشرين وستمائة، وسمع الكثير وتفقه وبرع فى الفقه وتميّز فى عِدّة فنون، ودرّس ببلده وأفتى وخَطَب ووعَظ وفسّر، ولى هذه الوظائف

---

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ. والقلم المحقق، هو قلم استحدثت كتابته فى طغراوات كتب القانات فى زمن القلقشندى مؤلف صبح الأعشى (صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢).

(٢) هو الشيخ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف القضاعى توفى سنة ٧٤٢ هـ عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب وتذكرة الحفاظ. والمزى: نسبة إلى المزة، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٧٧ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

(٣) هو شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرانى الحنبلى. سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٢٨ هـ.

عَقِيب موت والده مَجد الدين، وعمره خمس وعشرون سنة ، وكان أبوه أيضا من العلماء . ومات فى سَلْخ ذى الحِجّة ودُفِن بمقابر الصوفيّة بدِمَشق .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفّى الإمام عماد الدين علىّ بن يعقوب [بن شُجاع بن علىّ بن إبراهيم بن محمد](١) بن أبى زَهْران المَوْصِلىّ الشافعىّ شيخ القرّاء بدِمَشْق فى صفر، وقد قارب الستين . وشيخ الإسلام الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبى عُمَر المَقْدِسىّ [محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامَة](٢) فى شهر ربيع الآخر، وله خمس وثمانون سنة . والإمام شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام بن تَيْمِيّة الحَرّانىّ والد شيخنا فى سَلْخ السنة ، وله ستّ وخمسون سنة . والشيخ محيى الدين عمر بن محمد بن أبى سعد [عبد الله(٣) بن محمد بن هبة الله بن على بن المطهر] بن أبى عصرون التَّمِيمىّ فى ذى القعـدة عن ثلاث وثمـانين سـنة . والإمام شمس الدين محمـد ابن أحمـد بن نِعْمة المَقْدِسىّ مدرّس الشاميّـة(٤) فى ذى القعـدة . وخطيب دمشق مُحيِى الدين محمد بن الخطيب عماد الدين عبد الكريم [ابن القاضى(٥) أبى القاسم عبد الصمد] ابن الحَرَسْتَانِىّ فى جُمادى الآخرة، وله ثمـانٍ وستون سـنة . والحافظ شمس الدين محمـد بن محمـد بن عبّاس [بن أبى بكر](٦) بن جعوان الأديب فى جمـادى الأولى .

---

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وغاية النهاية . (٢) زيادة عما تقدّم ذكره للؤلف قريبا . (٣) زيادة عن تاريخ الإسـلام وذيل مرآة الزمان . (٤) يريد بها الشامية البرانية كما صرح بذلك فى ذيل مرآة الزمان وشذرات الذهب ، وهى من مدارس الشافعية بدمشق بمحلة العقيبة . إنشاء ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شادى والدة الملك إسماعيل المتوفاة سنة ٦١٦هـ. وتعرف هذه المدرسة بالحسامية لأن ابنها حسام الدين دفن فيها كما أنها هى أيضا دفنت فيها .

وهى اليوم مدرسة ابتدائية للأيتام تقوم بهـا جمعية الإسعاف الخيرى . وكان درس بهـا من المشاهير تقى الدين بن الصلاح ، وعبـد العزيز بن أبى عصرون ، ومحيى الدين بن الزكى ، والفارقى ، والشريشى ، وابن الوكيل ، وابن قاضى شهبة وغيرهم . (عن خطط الشام جـ٦ ص ٨١ لكرد على) . (٥) تكملة عن شـذرات الذهب وعيون التواريخ وتاريخ الإسلام . (٦) تكملة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان .

والرئيس مُحيي الدين يحيى بن على بن القَلَانِسِىّ فى شوّال . والرئيس عماد الدين أبو الفضل محمد [بن محمد](١) آبن القاضى شمس الدين هبة الله بن الشِّيرازِى فى صفر . وشرف الدين محمد بن عبد المنعم بن القوّاس فى شهر ربيع الآخر . والمحدّث جمال الدين عبد الله بن يحيى الجزائرى فى شوّال . والرشيد محمد بن أبى بكر بن محمد العامِرِىّ فى ذى الحجّة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى أصابع .

*
* *

السنة السادسة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

فيها تُوُفّى قاضى القضاة ناصر الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد(٢) بن منصور الجُذَامِىّ المالكىّ المعروف بآبن المُنَيِّر قاضى الإسكندرية، مولده فى ذى القعدة سنة عشرين وستمائة، ومات بالإسكندرية ليلة الخميس مستهلّ شهر ربيع الأوّل، ودُفِن عند تربة والده عند الجامع المَغْرِبِىّ(٣)، وكان إماماً فاضلا متبحّراً فى العلوم وله اليد الطُّولَى فى علم الأدب والنظم والنثر . ومن شعره ما كتبه لقاضى القضاة شمس الدين آبن خلّكان فى صدر كتاب :

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التواريخ وما ذكره المؤلف فى وفيات هذه السنة . (٢) كذا فى الأصلين وشذرات الذهب وعيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . وفى تاريخ الإسلام : «أحمد بن منصور بن القاسم بن مختار» . (٣) لا يزال هذا الجامع موجودا ، ويعرف اليوم بجامع المنير وبه قبره . وكان مسجدا صغيرا . وفى سنة ١٣٠٩ ﻫ هدمه إبراهيم بك الناضورى من أعيان الإسكندرية ووسع مساحته وجدده بمئذنته ، وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية . ولا يزال قبر المنير فى المكان الذى دفن فيه من يوم وفاته داخل الجامع الذى يقع على رأس تقاطع شارع المنير بشارع الباب الأخضر بالإسكندرية .

ليس شمسُ الضُّحَا كأوصاف شمس الدِّين قاضى القضـاة حاشـا وكَلّا
تلك مهما عَلَتْ محلّا تَنَتْ ظِـلاً وهـــذا مهما عَـــلا مدّ ظِـلا

وله يهجو القاضى زَيْن الدين بن أبى القَرَج لمـّا نازعه فى الحكم :

قل لمن يدّعِى المناصب بالجهـ * ـل تَنَحَّ عنهـا لمَنْ هو أعلَمْ
إن تكن فى ربيـع وُلِّيتَ يومًا * فعليـــك القضاءُ أمسى محـرّمْ

وله فى صدر كتاب كتبه إلى الفائزى (١) يسأله رفع التصقيع عن ثغر الإسكندريّة :

إذا ٱعتلّ الزمانُ فمنك يرجو * بنو الأيام عاقبـةَ الشِّـفاءِ
وإن ينزل بساحتهم قضاءٌ * فأنت اللُّطْفُ فى ذاك القَضَاءِ

وفيها تُوُفّى ملك التتار أحمد بن هولا كوقان بن تُولى قان بن جِنْكِزْقان، كان مَلِكًا شَهْمًا خبيرًا بأمور الرعيّة سالكًا أحسن المسالك، أسلم وحَسُن إسلامُه وبَنَى بممالكه الجوامع والمساجد، وكان مُتّبِعًا دينَ الإسلام لا يصدُر عنه إلّا ما يوافق الشريعة، وكان لـمّا حَسُن إسـلامُه صالح السلطان الملك المنصـور قلاوون، وفرِح السلطان بذلك، فمات أحمد بعد مُدّة يسيرة، وملَك بعده أرغون بن أَبْغَا .

وفيها تُوُفّى القاضى نجم الدين أبو محمد عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المُسْلِم (٢) ابن هبة الله بن حَسّان بن محمد بن منصور بن أحمد الجُهَنِىّ الشافعىّ المعروف بٱبن البارِزىّ ، وُلِد بحَماة سنة ثمانٍ وستمائة، وروَى الحديث وبرَع فى الفقه والحديث والنحو والأدب والكلام والحكمة، وصنّف فى كثير من العلوم، وتولّى القضاء بحَماة نيابةً عن والده، ثم ٱستقلّ بعده ولم يأخذ على القضاء رزقًا، وصُرِف قبل موته بسنين. ومن شعره تضمينا لأوّل قصيدة البهاء زُهَيْر البائية :

(١) يريد الوزير الفائزى، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) فى تاريخ الإسلام : « المسلم عبد الله » .

وكانَ الرِّضا منى إليه ولم يكن * رســولٌ فأخشى أن ينمّ ويكذبا
وناديتُ أهــلًا بالحبيب ولم أَقُــلْ * رسولَ الرِّضا أهلًا وسهلًا ومرحبا

وفيهـا تُوُفّى الأمـير شرف الدين عيسى بن مُهَنَّا أمير آل فضـل ومَلِكُ العرب في وقته؛ وكانــ له منزلةٌ عظيمة عنـد الملوك لا سيّما عند الملك الظاهر بيبَرْس البُنْدُقْدارِيّ، ثم تضاعفت عند الملك المنصور قلاوون، وكان كريمَ الأخلاق حَسَنَ الجِوار مكفوف الشر مبذولَ الخير، لم يكن فى العرب وملوكها من يُضاهيه، وكان عنده ديانةٌ وصدقٌ . ولمّـا مات وَلّى الملك المنصورُ قلاوون وَلَدَه مُهَنَّا عِوَضَـه، وكان بين وفاته ووفاة عدوه الأمير أحمد بن حَجِّيّ أمير آل مِرَى دون السنة .

وفيهـا تُوُفّى الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبـد الله محمد بن موسى بن النُّعْمان التِّلِمْسانِيّ، سمِـع الكثير بعدّة بلاد وحدّث، ومولده بتِلِمسَان فى سنة ستّ أو سبع وستمائة، ومات بمصر ودُفِن بالقرافة الكبرى، وهو غير شمس الدين محمد بن العَفِيف(١) التِّلِمْسَانِيّ .

وفيها تُوُفّى الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالى محمـد ابن الملك المظفّر محمود ابن الملك المنصور محمد بن تقيّ الدين عمر بن شاهِنْشاه بن أَيُّوب صاحب حَمَاة والمَعَرَّة وابن صاحبهما، مَلَكهما بعد وفاة أبيه سنة اثنتين وأربعين وستمائة، ووالدته الصاحبة غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد صاحب مصر ابن الملك العادل أبى بكر ابن أيوب . وكان مولده سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، ووَلّى الملك المنصور قلاوون ابنَه بعد وفاته .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى القاضى ناصر الدين أبو العبّاس أحمد بن محمـد بن منصور الجُـذَامىّ(٢) ابن المُنَيِّر بالإسكندريّة فى شهر

(١) هو شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان بن على التلمسانى الكاتب الأديب، سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٨ هـ .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٦١ من هذا الجزء .

ربيع الأول[1]، وله ثلاث وستون سـنة . والملك أحمـد بن هولاكو ملك التتار . وقاضى حَمَاة نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن البارِزِىّ الشافعىّ فى ذى القعدة، وحُمِل ودُفِن بالبقيع. وله خمس وسبعون سنة. وقاضى دمشقّ عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبـد القادر بن عبـد الخالق الأنصارى بن الصائغ فى شهـر ربيع الآخر فى آخر الكهولية . وصاحب حَمَاة الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن المظفّر محمود عن إحدى وخمسين سنة . والشيخ العارف أبو عبـد الله محمد بن موسى بن النُّعْمان التِّلِمْسَانىّ بمصر فى رمضان، وله سبع وسبعون سنة . ومَلِكُ العرب عيسى بن مُهَنَّا فى شهر ربيع الأول .

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ المـاء القديم أربع أذرع وعِدّة أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

*
* *

السنة السابعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة أربع وثمـانين وستمائة .

فيها كان فتوح المَرْقَب وغيره من القِلَاع بالساحل حسب ماذكرناه فى أول الترجمة.

وفيها وُلِد الملك الناصر محمد بن قلاوون، ووالده على حصار المَرْقَب؛ وقد تقدّم ذكر ذلك أيضًا .

وفيها تُوُفِّى الشيخ زَيْن الدين أبو العبّاس أحمـد بن محمد بن أحمـد الأَنْدَلُسِىّ الإشبيلىّ الأصل المعروف بكتاكت المصرى الواعظ المقرئ الأديب الشاعر، مولده سنة خمس وستمائة، وقيل غير ذلك، ومات بالقاهرة فى شهر ربيع الأول . وكان إمامًا فى الوعظ ولديه فضيلةٌ ومشاركة . وله شِعْر جيّد. من ذلك قوله :

(١) فى الأصلين هنا وتاريخ الإسلام : « ربيع الآخر » . وتصحيحه عما تقدّم ذكره للمؤلف فى وفيات هذه السنة وشذرات الذهب وعيون التواريخ ونثر الجمان للفيومى .

مَنْ أنت محبُوبُه ماذا يُغَيِّره * ومَن صفوتَ له ماذا يُكَدِّرُه

هيهاتَ عنك ملاحُ الكَوْن تشغَلُنِي * والكلّ أعراضُ حُسنٍ أنت جوهرُه

وله القصيدة المشهورة عند الفقراء التى أوّلها :

حضروا فمُذْ نَظَرُوا جَمَالَك غابوا * والكُلّ مذ سمِعُوا خطابك طابُوا

وفيها تُوُفّى الأمير علاء الدين أيْدَكِين بن عبد الله البندقْدارِىّ الصالحىّ النجمىّ أستاذ الملك الظاهر بِيبَرْس البندقدارى ، كان أصل أيْدكِين هذا من مماليك الأمير جمال الدين موسى بن يَغْمُور ، ثم انتقل عنه للملك الصالح نجم الدين أَيُّوب وجعله بُنْدُقْدَارَه وأَمَّرَه ثم نَكَبه ، وأخذ منه الملكَ الظاهرَ بِيبَرْس ثم أعاده . ثم تَرَقَّى بعد موت أستاذه وولى نيابة الشام من قِبَل مملوكه الملك الظاهر بِيبَرْس ، وكان الملك الظاهر بيبَرْس يُعَظِّمه ويقول له : أنت أستاذى ويعرف له حقّ التربية ! وكان هو أيضًا يبالغ فى خدمة الملك الظاهر والنُّصح له ؛ وهو الذى انتزع له دمشق من يد الأمير سَنْجَر الحَلَبِىّ كما تقدّم ذكره . وعاش أيْدكِين إلى دولة الملك المنصور قلاوون ، وهو من أكابر الأمراء وأعيانهم إلى أن مات فى القاهرة فى شهر ربيع الآخر(١) ، ودفن بتربته(٢) قريب بركة الفيل(٣) وقد ناهز السبعين .

(١) كذا فى الأصلين وذيل مرآة الزمان . وفى تاريخ الإسلام : « توفى فى جمادى الأولى بالقاهرة » .

(٢) تربة علاء الدين أيدكين البندقدارى ، ذكرها المقريزى فى (ص ٤٢٠ ج ٢) من خططه باسم الخانقاه البندقدارية ، وقال : إنها بالقرب من الصليبة تجاه المدرسة الفارقانية . كان موضعها يعرف قديما بدويرة مسعود . أنشأها الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى النجمى وجعلها مسجدا لله تعالى وخانقاه ، ورتب فيها صوفية وقراء فى سنة ٦٨٣ هـ ولما مات فى ربيع الآخر سنة ٦٨٤ هـ دفن بقبة هذه الخانقاه .

وأقول : إن هذه الخانقاه لا تزال موجودة إلى اليوم وتعرف بزاوية الأبار بشارع السيوفية بقسم الخليفة بالقاهرة . وقد جدّدها ديوان الأوقاف فى سنة ١٣٠٠ هـ وعلى يسار الداخل من باب الزاوية قبة أثرية فخمة تشرف على الشارع تحتها قبر الأمير علاء الدين أيدكين منشئها وأهم ما يلفت النظر فى هذه القبة تابوت من الخشب الأثرى موضوع فوق قبر أيدكين من تاريخ وفاته والزخارف الجصية التى حول محراب القبة . وفى داخل الزاوية قبة أخرى أثرية فخمة من عصر أيدكين يرجح أنه أنشأها تربة لزوجته ، ومما يلفت النظر فى هذه القبة الشبابيك والزخارف التى برقبة القبة ، فهى من أدق النماذج الموجودة فى الزخارف الجصية .

(٣) بركة الفيل ، يستفاد مما ذكره ابن دقماق فى كتاب الانتصار عند الكلام على بركة الفيل (ص ٥٤ =

قلت : وما العجب أنّ أَيْدكين هذا كان من جُملة أمراء مملوكه الملك الظاهر بيبرس ، والعجب أن أستاذ أيدكين هـذا الأمير جمال الدين بن يَغْمو ر كان أيضا من جملة أمراء الظاهر بيبَرْس فكان الظاهر أستاذ أستاذه فى خدمتـه ومن جملة أمرائه فانظر إلى تقلبات الدهر بالملوك وغيرها !

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام رشِيد الدين أبو محمد سعيد بن علىّ بن سعيد البُصْراوِىّ الحنفىّ مدرّس الشِّبْلِيّة ، كان إمامًا عالـمًا فاضلًا مدرِّسا كثير الدِّيانة والوَرَع ، عُرِض عليه القضاء غير مرّة فآمتنع ، وكانت له اليدُ الطُّولَى فى العربيّة والنظم ، وكانت وفاته فى شعبان ودُفن بقاسِيون . ومن شعره :

= ج ٥) ، ومما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على هذه البركة (ص ١٦١ ج ٢) أنها بركة كبيرة ظاهر القـاهرة تمتد من بستان الحبانية إلى بستان سيف الإســلام إلى تحت الكبش إلى الجسر الأعظم الفاصل بينها و بين بركة قارون ، ومناظر الكبش مطلة عليها ، وأنه لمـا أنشأ جوهر القائد مدينة القاهرة كانت البركة تجاهها خارج باب زو يلة فيما بين القاهرة ومصر ولم يكن عليها مبان ثم عمر الناس حولها بعد سنة ٦٠٠ هـ.

وأقول : إن بركة الفيل لم تكن بركة عميقة فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة ، وإنمـا كانت تطلق على أرض زراعية يغمرها ماء النيل سنو يا وقت الفيضان ، وكانت تروى من الخليج المصرى ، وبعد نزول الماء تزرع أصنافا شتو ية ، وكان أشهر محصولاتها القرط المعروف بالبرسيم حيث كان يستهلك فى تغذية دواب القاهرة . وكانت بركة الفيل معتبرة فى دفاتر المساحة من النواحى المربوط على أراضيها الخراج ولم يحذف آسمها من جداول أسماء النواحى إلا بعد أن تحول معظم أراضيها إلى مساكن . وقد تحولت أراضيها تدريجيا من الزراعة إلى السكن من سنة ٦٢٠ هـ ولم يبق من أرض البركة بغير بناء إلى سنة ١٢١٥ هـ = ١٨٠٠ م التى رسمت فيهـا الحملة الفرنسية خريطة القـاهرة إلا قطعة أقيم عليهـا فيما بعد سراى عباس حلمى باشا الأوّل والى مصر المعروفة بسراى الحلميـة وحديقتها الكبيرة . وفى سـنة ١٨٩٤ م قسمت أراضى الحديقة . وفى سـنة ١٩٠٢ م هدمت السراى وقسمت أراضيها أيضا و بيعت جميع القطع وأقيم عليها عمارات حديثة تعرف بين أخطاط القاهرة بالحلمية الجديدة .

وكانت بركة الفيل تشغل من القاهرة الحالية المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بسكة الحبانية ، ومن الغرب بشوارع درب الجماميز واللبودية والخليج المصرى ، ومن الجنوب شارع مراسينا ، ثم يميل الحد إلى الشمال الشرقى حتى يتقابل مع أوّل شارع نور الظلام ويسير فيه إلى أوّل شارع الألفى ، ومن الشرق كالة شارع نور الظلام فشارع مهذب الدين الحكيم فسكة عبد الرحمن بك وما فى آمتدادها إلى الشمال حتى تقابل الحد البحرى . =

أَرَى عناصرَ طِيبِ العيش أربعةً * مازال منها فطيبُ العَيْش قد زالا
أَمْنًا وصِحّـةَ جِسْمٍ لا يُخـالطها * مُغـايرٌ(١) والشّبـابَ الغَضَّ والمـالا

وله مواليا :

كيف آعتمدتَ على الدنيا وتجريبِكْ * أراك فُلْكُ تَرَاهَا كيف تجرى بِكْ
ما زالت الخادعه تدنو فتَغْرِى بِكْ * حتى رَمَتْكَ بإبعـادِكْ وتَغْـرِيبِكْ

وفيهـا تُوُفّى الأديب البـارع مُجِير الدين أبو عبد الله محمـد بن يعقوب بن علىّ المعروف بآبن تميم الشاعر المشهور، وهو سِبْط آبنِ تميم، كان أصله دِمَشْقيًّا وآنتقل إلى حَمَـاة وخدَم صاحبها الملك المنصـور جُنْـديًّا، وكان له به آختصاص، وكان فاضـلًا شجاعًا عاقـلًا، وكان من الشعراء المعـدودين . ومن شـعره فى الشجاعة والإقدام قولُه :

دَعْنِى أُخاطر فى الحُروبِ بمُهْجَتِى * إمّا أمـوتُ بهـا وإمّا أُرْزَقُ
فسـوادُ عَيشى لا أراه أبيضًـا * إلاّ إذا آحمرّ السِّنانُ الأزرقُ

= ومن هذا التحديد يتبين أن بركة الفيل لم تكن على شكل فيل وأن اسمها أتى من شكلها كما يقول العامة، وإنما كانت على شكل بيضاوى مفرطح من جهتيه الغربية وقد وصفها ابن سعيد صاحب كتاب المغرب فقال : إنها كانت دائرة كالبدر والمناظر حولها كالنجوم .

وأما سبب تسميتها بركة الفيل فهو لأن الأمير خمارويه بن أحمد بن طولون كان مغرما باقتناء الحيوانات من السباع والنمور والفيلة والزرافات وغيرها، وأنشأ لكل نوع منها دارا خاصة له وكانت دار الفيلة واقعة على حافة البركة من الجهة القبلية الشرقية حيث شارع نور الظلام، وكان الناس يقصدون البركة للنزهة والفرجة على الفيلة فاشتهرت بينهم ببركة الفيل من وقتها إلى اليوم .

ودار الفيلة هذه هى غير دار الفيل التى كانت على بركة قارون وآشتراها كافور الإخشيدى أمير مصر من حبس بنى مسكين، فهـذه الدار كانت واقعة على سكة المذبح من الجهة الشمالية منها جنوبى خط البغالة بقسم السيدة زينب .

(١) فى أحد الأصلين والذيل على مرآة الزمان : « لا يخالطها معا ترف ... الخ » . وفى الأصل الآخر : « ولا يخالطها ترف » . ونظم البيت يقتضى ما أثبتناه .

وله :

لم لا أَهِيمُ إلى الرِّياض وزَهْرِها * وأقيم منها تحت ظِـلٍّ ضَافِي
والغصـنُ يلقـانى بثَـغْرٍ باسِمٍ * والمـاءُ يلقـانى بقلبٍ صـافى

وله :

عاينتُ وَرْدَ الرَّوْض يَلْطِمُ خَدَّهُ * و يقول وهو على البَنَفْسَجِ مُحْنَقُ
لا تقـرَبوه و إن تضَـوَّع نَشْرُهُ * مابينـكم(١) فهـوا العـدوُّ الأزرقُ

قلت : وقريب من هذا قولُ القائل :

بَنَفْسَجُ الروضِ تاه عُجْبًا * وقال طِيبى للجَـوِّ ضَمَّخْ
فأقبل الزهرُ فى آحتفالٍ * والبـان من غيظه تَنَفَّخْ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّيت أُمُّ الخير ستّ العرب بنت يحيى بن قَيْماز الكِنْدِيّة فى المحرّم . والمحدِّث أبو القاسم علىّ بن بَلَبَان الناصرىّ فى رمضان . وأبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد الله الأَنْمَاطِىّ فى ذى الحجة . والقُدْوة الشيخ محمد بن الحسن الإخْمِيمِىّ بقاسيون فى جُمادى الأولى . والشيخ الزاهد شرف الدين محمد آبن الشيخ عثمان [بن علىّ](٢) الرُّومىّ . والإمام الرشيد سعيد بن علىّ [آبن سعيد](٣) الحنفىّ فى رمضان . والعلّامة رضىّ الدين محمد بن على بن يوسف الشاطبىّ اللغوى بمصر ، وله نيّف وثمانون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم لم يحرّر . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وعشرون إصبعا .

(١) فى الأصلين : « من بينكم » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ وشذرات الذهب والمنهل الصافى ونثر الجمان للفيومى . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وذيل مرآة الزمان . (٣) زيادة عما تقدم ذكره فى ص ٣٦٦ من هذا الجزء .

*
* *

السنة الثامنة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة خمس وثمانين وستمائة .

فيها آستولى الملك المنصور قلاوون على الكَرَك وآنتزعها من يد الملك المسعود خَضِر آبن الملك الظاهر بيبَرْس .

وفيها تُوُفِّى الشيخ معين الدين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن[1] بن أحمد ابن تُولُوَا الفِهْرِى، مولده بِتِنِّيس[2] سنة خمس وستمائة، ومات بمصر فى شهر ربيع الأوّل، ودُفِن بالقرافة الصغرى، وسمِع الحديث وتفقّه وكان له معرفةٌ بالأدب وله يَدٌ طُولَى فى النظم، وشعره فى غاية الجَوْدَة . ومن شعره وقد أَمَر قاضى مصر بقطع أرزاق الشعراء من الصدقات سوى أبى الحُسين الجَزّار[3] . فقال :

تقدّم القاضى لنُوّابِهِ * بقَطْع رزق البَرّ والفاجرِ
وقرّ الجزّارَ من بينهم * فٱعْجَبْ لُلطْفِ التَّيس بالجازرِ

وفيها تُوُفِّى الشيخ شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارى الصوفى الفقيه الشافعى، الشاعر المشهور المعروف بآبن الخَيمِى، كان إمام عصره فى الأدب ونظم الشعر مع مشاركة فى كثير من العلوم . ومولده سنة آثنتين وستمائة، وتوفى بمشهد الحُسَين بالقاهرة فى شهر رجب، وقد أوضحنا أمره مع نجم الدين آبن إسرائيل لمّا تداعيا القصيدة التى أوّلها :

(١) فى الأصلين : «آبن عبد الرحيم بن أحمد بن لؤلؤ» . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وشذرات الذهب، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٣٢٧ من هذا الجزء .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٣) راجع حوادث سنة ٦٧٢ .

يامطلبًا ليس لى فى غيرِهِ أَرَبُ * إليكَ آلَ التَّقَصِّى وآنتهى الطَّلَبُ

فى تاريخنا « المنهل الصافى والمُسْتَوْفَى بعد الوافى » وذكرنا أَمْرَهما لمّا أمرهما آبنُ الفارض بنظم قصيدتين فى الرَّوِىّ والقافية وذكرنا القصيدتين أيضًا بكمالها، ثم حكّمَ آبنُ الفارض بالقصيدة لشهاب الدين هذا. والقصيدة التى نظَمها شهاب الدين آبن الخِيَمِىّ هذا لمّا أمره آبن الفارض بالنظم أوّلها :

لله قومٌ بجَـرْعاءِ الحِمَى غيَبُ * جَنَوْا علىّ ولمّا أَنْ جَنَوْا عَتَبُوا

والتى نظمها آبن إسرائيل .

لم يَقْضِ من حُبِّكم بعضَ الذى يجِبُ * قلبٌ متى ماجَرَى تَذْكارُكم يجِبُ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّى المُسنِد أبو العبّاس أحمد بن شَيْبان الصالحىّ فى صفر، وقد قارب التسعين . والعلّامة جمال الدين محمد ابن أحمد بن محمد البَكْرِىّ . والشهاب محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارىّ آبن الخِيَمِىّ الشاعر فى رجب، وله ثلاث وثمانون سنة. والشيخ عبد الرحيم بن محمد ابن أحمد بن فارس العَلْثِىّ[(١)] بن الزَّجّاج فى المحرّم . وأَمَةُ الحقّ شاميّة آبنة صدر الدين الحسن بن محمد بن محمد البكرىّ فى رمضان . والإمام صفىّ الدين خليل بن أبى بكر آبن محمد المَرَاغىّ فى ذى القعدة . وقاضى القضاة بهاء الدين يوسف آبن القاضى محيى الدين [يحيى][(٢)] بن الزكى فى ذى الحجّة ، وله ستّ وأربعون سنة . والمقرئ[(٣)] برهان الدين إبراهيم بن إسحاق بن المظفَّر الوَرِيرِىّ فى ذى الحجّة قافلًا من الحجّ . وخطيب كَفَرْبَطْنَا[(٤)]

---

(١) فى أحد الأصلين : «العلبى» . وفى الأصل الآخر: « العلبى » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام. والعلثى : نسبة إلى علث قرية بين عكبرا وسامرا (عن لب اللباب) . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٣) فى تاريخ الإسلام وغاية النهاية وشذرات الذهب أن وفاته كانت فى سنة ٦٨٤ هـ . (٤) كفربطنا : من قرى غوطة دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) .

جمال الدين محمد بن عمر الدِّينَورِىّ فى رجب، وله آثنتان وسبعون سنة . والمقرئ الشيخ حسن بن عبد الله بن وَيْحِيان[1] الرَّاشِدىّ[2] فى صفر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع، وقيل خمس، وست أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع .

❖

السنة التاسعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة ست وثمانين وستمائة .

فيها تُوُفّى الشيخ الإمام العارف بالله تعالى قطب زمانه شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن عمر المُرْسِىّ الأنصارىّ الإسْكَنْدَرِىّ المالكىّ الصالح المشهور، كان علّامة زمانه فى العلوم الإسلاميّة، وله القَدَم الراسخةُ فى علم التحقيق، وله الكَرَاماتُ الباهرة، وكان يقول : شَارَكْنا الفقهاءَ فيما هم فيه، ولم يشاركونا فيما نحن فيه . وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلىّ : أبو العبّاس بطُرُق السماء أعلم منه بطُرُق الأرض . انتهى .

قلت : وكان لديه فضيلةٌ ومشاركةٌ، وله كراماتٌ وأحوالٌ مشهورة عنه، وللناس فيه آعتقاد كبير لا سيّما أهل الإسكندرية، وقد شاع ذكْرُه وبَعُد صِيته بالصلاح والزُّهد، وكان من جملة الشهود بالثَّغر، وبها تُوُفّى ودُفِن[3] وقبرُه يُقصد للزيارة .

(١) ضبطه صاحب غاية النهاية بالعبارة فقال : (بفتح الواو وسكون آخر الحروف وحاء مهملة مكسورة بعدها آخر الحروف . (٢) الراشدى : نسبة إلى بنى راشد، قبيلة من البربر لا إلى الراشدية التى هى من قرى ديار مصر (عن تاريخ الإسلام للذهبي) . وقرية الراشدية المذكورة هى التى تعرف اليوم باسم الرجدية إحدى قرى مركز طنطا .

(٣) هذا القبر لا يزال موجودا وفى مكانه الذى دفن فيه أبو العباس، وهو اليوم تحت القبة التى على يمين الداخل من الباب الغربى لجامعه . وكان هذا القبر قائما بذاته فى جبانة قديمة تعرف بجبانة سيدى المرسى عند الميناء الشرقى بالإسكندرية، وكان يزوره المغاربة الذين يقصدون الحج، =

وفيهـا تُوُفّى الشيخ شرف الدين أبو الربيع سليمان بن بُليمان بن أبى الجيش آبن عبد الجبّار بن بُليمان الهَمَذانِىّ الأصـل الرَّعْبانِىّ[1] المولد، الإرْبِلِىّ المنشأ، الشاعر المشهور صاحب النوادر، كان من شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد صاحب الشام، وكان أبوه صائغًا وتَعَانَى هو أيضا الصِّياغة، قيل إنّه جاء إليه مملوك مليحٌ من مماليك الملك الأشرف موسى، وقال له: عندك خاتَمٌ لإصْبَعِى؟ فقال له: لا، إلا عندى إصبع مليح لخاتَمك . ومات بدمشق فى ليلة عاشر صفر . ومن شعره :

وما زالتِ الرُّكبانُ تُخْـبر عنـكمُ * أحاديثَ كالمِسْـك الذَّكِىّ بلامَـيْنِ
إلى أن تلاقينـا فـكان الذى وعَتْ[2] * من القول أُذْنِى دون ما أبصرتْ عَيْنِى

ولـمّا قَامَر التَّلَعْفَرِىّ[3] بثيابه وأخفافه قال فيه شرف الدين هذا قصيدةً وأنشـدها للملك الناصر بحضرة التَّلعفرِىّ . فلمّا فرَغ من إنشادها قال له التَّلَعْفَرِىّ : ما أنا جُندىٌّ

= وقد قام بعضهم بإنشاء مسجد يشمل هذا القبر للمحافظة عليه من الآندثار . وفى سنة ١١٨٩ هـ، لاحظ بعض المغاربة النازلون بالإسكندرية أن المسجد صغير فوسعوه وجددوه، ثم قام بعد ذلك بعض نظاره فى توسعة مساحته من أرض الجبانة المجاورة له حتى أصبح من الجوامع الشهيرة بالإسكندرية .

ولـما رأى المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول أن مدينة الإسكندرية خالية من الجوامع الكبيرة ذات البناء الفخم الذى يتفق مع عظمة هذه المدينة أمر — رحمه الله — بهدم هذا الجامع و إعادة تجديده على مساحة كبيرة بشكل أجمل وأفخم مما كان عليه . وقـد نفذت وزارة الأوقاف إرادة جلالته الساميـة وأضيف إلى مساحة المسجد ضعفها من الأرض المجاورة له من الجهة الشرقية فأصبح مسطحه ٢٥٠٠ متر مربع، والعمارة جارية به الآن، وقد رأيت عند زيارتى له أنه من أكبر جوامع الإسكندرية بل أجملها وأفخمها، وهو مبنى على أساس مثمن الشكل وسقفه محمول على ستة عشر عمودا سميكة من الجرانيت المضلع والمكفت بالنحاس . وبالجامع مئذنة مرتفعة من الأسمنت المسلح مزخرفة بنقوش عربية جعلتها من أجمل المآذن فى مصر .

وقـد روعى فى بناء الجامع أن يكون من الداخل على طراز المبانى الأندلسية لأن أبا العباس المرسى أصله من مدينـة مرسية إحدى مدن بلاد الأندلس، وأن تكون المئذنة على طراز مبانى العصر الأيوبى، وهو العصر الذى جاء فيه أبو العباس إلى مصر .

(١) الرعبانى، نسبة إلى رعبان: مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة فى العواصم (عن معجم البلدان لياقوت) . وفى ذيل مرآة الزمان : «الرغبانى» بالغين المعجمة .

(٢) فى الأصلين : «رعت» . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ ونثر الجمان للفيومى .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٥ من هذا الجزء .

حتى أقامرَ بأخفافى . فقال له شرف الدين : بخفاف آمرأتك . فقال : مالى آمرأة ، فقال له : لك مقامرةٌ من بين الجحرين إمَّا بالخفاف أو بالنِّعال[1] . انتهى .

قلت : وأنا مسامح التَّلَعْفَرِىّ على القمار، لحسن ماقاله من رائق الأشعار :

فمن كان ذَا عُذرٍ قبلتُ آعتذارَهُ * ومَن لاله عُذرٌ فعندى له عُذْرُ

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام المحدّث قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علىّ بن محمد بن الحسن بن أحمد بن عبد الله[2] بن مَيْمون القَيْسِىّ الشَّاطبىّ المحدّث الإمام العلّامة ، كان شيخ الكاملّية بالقاهرة المعروف بابن القَسْطَلّانى التَّوْزَرىّ[3] الأصل المصرى المولد المكّىّ المنشأ الشافعىّ المذهب ، مولده سنة أربع عشرة وستمائة ، ومات يوم السبت ثامن عشر المحرّم ، ودُفن بالقرافة الصغرى ، وكان مجموع الفضائل ، رحمه الله .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى الإمام النَّحْوِىّ بدر الدين محمد آبن الشيخ جمال الدين بن مالك[4] فى المحرّم . والإمام قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علىّ القَسْطَلّانِىّ بالقاهرة فى المحرّم . وقاضى القضاة برهان الدين الخَضِر بن الحسن بن علىّ السِّنْجَارِىّ بمصر فى صفر . والحكيم عماد الدين محمد بن عبّاس الرَّبَعِىّ الدُّنَيْسِرىّ ، وله إحدى وثمانون سنة . وشرف الدين سليمان آبن بُلَيمان الإِرْبِلِىّ الشاعر . والمحدث وجيه الدين عبد الرحمن بن حسن السِّبْتِىّ فى جُمادى الأولى . والمُسْنِد عِزّ الدين أبو العزّ عبد العزيز بن عبد المنعم [بن علىّ][5] ابن الصَّيْقَل الحَرّانِىّ فى شهر رجب .

---

(١) فى عيون التواريخ : « إما بالخفاف وإما بالنقال » . (٢) فى تاريخ الاسلام والمنهل الصافى ونثر الجمان : « محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد » . (٣) فى الأصلين : « التبريزى » . والتصحيح عن تاريخ الإسلام ونثر الجمان . والتوزرى : نسبة إلى توزر : مدينة بافريقية (عن لب اللباب ومعجم البلدان لياقوت) . (٤) راجع حوادث سنة ٦٧٢ هـ . (٥) تكملة عن تاريخ الإسلام ونثر الجمان وذيل مرآة الزمان .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وأصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .

***

السنة العاشرة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة سبع وثمانين وستمائة .

فيها تُوُفّى الشيخ المعتقـد الصالح برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن مِعْضَاد بن شَدّاد الجَعْبَرِىّ الأصل والمولد المصرىّ الدار والوفاة، الصالح المشهور، نشأ بجعبر ثم آنتقل إلى الديار المصريّة وآستوطنها ولزم مسجده، وكان يَعِظُ به ويجتمع عنده خَلْق كثير، ولأصحابه فيه عقيدةٌ حسنة، وله مقالاتٌ كثيرة، وكان زاهدًا عابدًا، سمِـع الحديث وروَى عن السَّخَاوِىّ (١) وغيره، وكان غَزِير الفضيلة حُلْوَ العبارة .

قال الصلاح الصَّفَدِىّ : أخبرنى الشيخ الإمام العلّامة أثير الدين (٢) أبو حَيّان من لفظه قال : رأيتُ المـذكور بالقاهرة، وحضرتُ مجلسه أنا والشيخ نجم الدين بن مَكّىّ، وجرت لنا معه حكاية، وكان يجلس للعوامّ يُذَكِّرهم ولهم فيـه آعتقاد، وكان يَدْرِى شيئًا من الحديث، وله مشاركةٌ فى أشياء من العلوم وفى الطب، وله شعر جيّد. وأنشَدَ له قصيدةً أذكر منها القليل :

عَشِقوا الجَمَـال مجرّدًا بمجرّد الر * وح الزكيّـة عِشْقَ مَن زكّاهَا
متجرّدين عن الطّبـاع ولؤمِها * متلبّسين عَفافهـا وتُقـاها

انتهى كلام الصَّفَدِىّ .

---

(١) هو علم الدين على بن محمد بن عبد الصمد أبو الحسن السخاوى . تقدمت وفاته سنة ٦٤٣ هـ

(٢) هو محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطى أثير الدين أبو حيان الأندلسى الجيانى . توفى سنة ٧٤٥ هـ (عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب والمنهل الصافى وحسن المحاضرة للسيوطى).

وقال القُطْب اليُونِينِيّ : وأظُنّـه نَيَّف على الثمـانين من العُمر ، ولمّـا مَرِض مرضَ الموت أمَر أن يُخرج به إلى مكان مَدْفنـه ، فلما رآه قال له : « قُبَيْر جاك دُبَيْر » . ومات بعد ذلك بيوم فى يوم السبت رابع عشرين المحرّم بالقاهرة ودُفن من يومه بالحُسَيْنِيّة[1] خارج باب النَّصْر ، وقبره[2] معروف هناك يُقصد للزيارة .

قلت : ويُعجبنى فى هـذا المعنى المقالة السابعـة الزُّهْدِيّة من مقالات الشيخ العارف الرّبانِيّ شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله الأصفهانِيّ المعروف بشَوْرَوَة من كتابه « أطباق الذهب » وهى :

طُوبَى للتَّقِيّ الخامل ، الذى سَلِم عن إشارة الأنامل ؛ وتَعْسًا لمن قَعَد فى الصوامع لِيُعْرَف بالأصابع ؛ خزائنُ الأمناء مكتومةٌ ، وكنوز الأولياء مختومة ؛ والكامل كامنٌ[3] بتضاءل ، والناقص قصيرٌ يتطاوَل ؛ والعاقل قُبَعَة[4] ، والجاهل طُلَعَة ؛ فاقْبَعْ قُبوعَ الحيّات ، وٱكْمُنْ فى الظُّلُماتِ ، كُمُونَ[5] ماء الحيَاة ؛ وصُن كنزَك فى التُّراب ، وسيفَك فى القِراب ؛ وعَفِّ آثارَك بالذّيْل المسحوب ، وٱستُرْ رُواءَك بِسُفْعَة[6] الشُّحُوب ؛ فالنباهة فِتْنة ، والوَجاهة مِحْنة ؛ فكن كَنزًا مستُورا ، ولا تكن سَيْفًا مشهورا ؛ إنّ الظـالم جدير أن يُقْبَرَ ولا يُحشر ، والبـالى خليقٌ أن يُطْوَى ولا يُنْشَر ؛ ولو عرف

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) قبر برهان الدين أبى إسحاق الجعبرى ، يستفاد مما ذكره المقريزى (فى ص ٤٣٤ ج ٢) من خططه عنـد الكلام على زاوية الجعبرى أن الشيخ برهان الدين إبراهيم أبا إسحاق الجعبرى مات يوم السبت ٢٤ المحرم سنة ٦٨٧ﻫ ودفن فى زاويته الواقعة خارج باب النصر من القاهرة . وبالبحث عن مكان قبره تبين لى أن الزاوية قد اندثرت وأما القبر فلا يزال باقيا وهو ظاهر يزار وعليه مقصورة من الخشب داخل قاعة بصحراء أبى قلاوة بجبانة باب النصر ، ويتوصل إليه من شارع نجم الدين تجاه حوش الحاج دسوقى الفوانيسى من الجهة الغربية قرب المساكن . (٣) فى أطباق الذهب : «والكامل طائل يتطامن» . (٤) القبعة : من يدخل رأسه فى قميصه . (٥) فى الأصلين : « وآكمن فى الظلمات كماء الحياة » . وما أثبتناه عن أطباق الذهب طبع بيروت . (٦) السفعة : تغيير لون البشرة بلفح النار والسموم .

إلجذل صَولة النّجار، وعَضّة المِنشار، لما تَطاول شِبْرا، ولا تخايل كِبرا، وسيقول البُلبُل المُعتَقَل : ياليتنى كنتُ غُرابا، ويقول الكافر ياليتنى كنتُ تُرابا » . انتهى .[١]

وفيها تُوفّى الشيخ ناصرالدين أبو محمد حسن بن شَاوَر بن طَرْخان الكِنَانِىّ ويعرف بآبن الفُقَيْسِىّ وبآبن النَّقِيب الشاعر المشهور، كان من الفضلاء الأدباء، ومات ليلة الأحد منتصف شهر ربيع الأوّل ودُفن بسَفْح المقطّم، وله تسع وسبعون سنة؛[٢] وكان بينه وبين العلّامة شهاب الدين محمود صحبةٌ ومجالسةٌ ومذاكرةٌ فى القَرِيض .

ومن شعره :

نَهيْناه عن فعل القبيح فما آنتهى * ولا رَدّه رَدْع وعاد وعادى
وقلنا له دِنْ بالصّلاح فقلّما * رأينا فتى عانَى الفَساد فسادا

وله :

وجُدتُ مع فَقرى وشيخوختِى التى * تراها فنَومى عن جُفونى مُشَرّدُ
فلا يَدّعِى غيرى مَقامى فإنّنى[٣] * أنا ذلك الشيخ الفقيرُ المُجَرّدُ

وله :

حدّثَتْ عن ثَغره المُحَلّى * فمل إلى خَدّه المُوَرّدْ
خَدٌّ وثَغرٌ فجلّ ربٌّ * بمُبْدِع الحسن قد تفرّدْ

وله :

يامن أدار سُلافةً[٤] من رِيقه * وحَبابُها الثّغرُ الشّنِيب الأشنبُ
تُفّاحُ خَدّك بالعِذار مُمَسّكٌ * لكنّه بدم القلوب مُخَضّبُ

(١) والجذل : ماعظم من الحطب و يبس . (٢) فى عيون التواريخ : « وقد جاوز الثمانين سنة من العمر » (٣) رواية فوات الوفيات : * فلا يدعى غيرى ثيابى فاننى * . (٤) رواية هذا البيت فى عيون التواريخ وفوات الوفيات :

يامن أدار بريقه مشمولة * وحبا بها الثغر النقى الأشنب

وله :

أنا العُـذْرِىُّ فاعذرنى وسَـامحْ * وجُرّ علىّ بالإحسان ذَيْـلَا
ولمّـا صِرتُ كالمجنون عِشْقـًا * كتمتُ زيارتى وأتيتُ ليـلا

وفيها تُوُفّى الملك الصالح على آبن السلطان الملك المنصور قلاوون، كان والده المنصور قلاوون قـد جعله ولىَّ عَهْده وسـلطنه فى حياته حسب ما تقدم ذكرُه فى سنة تسع وسبعين وستمائة ، فدام فى ولاية العَهْد إلى هـذه السنة مَرِض ومات بعد أيّام فى رابع شـعبان بقلعة الجبل ، ووجد عليـه أبوه الملك المنصور قلاوون كثيرًا ، فإنّه كان نجيبًا عاقلاً خليقا للملك .

وفيها تُوُفّى الشيخ الطبيب علاءالدين علىّ بن أبى الحرم[1] القرشى الدِّمَشْقِىّ المعروف بآبن النَّفِيس الحكيم الفاضل العلّامة فى فنّه، لم يكن فى عصره من يُضاهيه فى الطّبّ والعِلاج والعـلم، آشتغل على المهذّب الدَّخْوَار[2] حتى برَع، وآنتهت إليه رياسـة فنّه فى زمانه ، وهو صـاحب التصانيف المفيدة ، منهـا : « الشامل فى الطب » ، و « المهذّب فى الكُحل » ، و « الموجز[3] » ، و « شرح القانون لآبن سينا » . ومات فى ذى القعدة بعـد أن أوقف داره وأملاكه وجميع مايتـعلّق به على البِيمَارِسْتان المنصورىّ بالقاهرة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيها تُوُفّى الشيخ إبراهيم بن مِعْضَاد الجَعْبَرِىّ بالقـاهرة فى المحرّم عن نيّف وثمانين سـنة . والإمام أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن عبد الله [بن أحمد[4] بن محمد بن قُدَامة] المَقْدِسِىّ الفَرَضِىّ . وخطيب

(١) فى أحد الأصـلين وحسن المحاضرة للسيوطى : « ابن أبى الحزم » . وما أثبتناه عن الأصل الآخر وعيون التواريخ وتاريخ الاسلام وشذرات الذهب ونثر الجمان للفيومى . (٢) هو عبد الرحيم ابن على مهذب الدين رئيس الأطباء . تقدمت وفاته سنة ٦٢٨ هـ . (٣) هو موجز القانون فى الطب ، كما فى كشف الظنون . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام وشـذرات الذهب .

القُــدْس قُطْب الدين أبو الزَّكاء[1] عبد المنعم بن يحيى الزُّهْرِىّ فى رمضان . والجمال أحمد بن أبى بكر بن سليمان بن الحَمَوِىّ . والشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز اللُّورِى[2] شيخ المالكية فى صفر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع أصابع .

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة ثمانٍ وثمانين وستمائة .

فيها فُتِحَتْ طرابُلُس وما أُضيف إليها بعد أمور ووقائع حسب ما ذكرناه فى أصل هذه الترجمة مُفَصّلا .

وفيها تُوُفّى الشيخ علم الدين أحمد ابن الصاحب صَفِىّ الدين[3] يوسف بن عبد الله ابن شُكر المعروف بابن الصاحب ، كان نادرةَ زمانه فى المُجون والهزل وإنشاد الأشعار والبلّيقات[4] وكان بقِىَ فى آخر عمره فقيرا مجرّدًا ، وكان اشتغل فى صباه وحصّل ودرس ، وكان لديه فضيلةٌ وذكاء وحسنُ تصور ، إلّا أنه تَمَفْقَر فى آخر عمره وأطلق طباعه على التّكدى وصار يُجارِد[5] الرؤساء ، ويركب فى قفص [على رأس][6] حمّال ويتضارب الحمّالون على حمله ؛ لأنّه كان مهما فُتِح له من الرؤساء كان للّذى يحمله ،

(١) فى أحد الأصلين : « أبو البركات » . وتصحيحه عن الأصل الثانى وتاريخ الاسلام وعيون التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات . (٢) اللورى : نسبة إلى لورة : قلعة من أعمال إشبيلية بالأندلس (عن تاريخ الإسلام ونثر الجمان) . (٣) فى نثر الجمان : « أبو العباس أحمد ابن الصاحب تاج الدين يوسف ابن الصاحب صفى الدين عبد الله » .
(٤) البليقات : نوع من التواشيح العامية كانت شائعة فى بلاد الشام . (٥) فى لسان العرب : « جرد القوم جردا : سألهم فمنعوه أو أعطوه كارهين » . (٦) زيادة عن عيون التواريخ .

فكان يستمر راكبًا فى القفص والحمّال يدور به فى أماكن الفُرَج والنُّزَه، وكان يتعمّم بشرطوط[(١)] طويل جدًّا رقيق العَرْض ويعاشر الحرافيش ، وكان له أولادٌ رؤساء، ويقال: إنّ الصاحب بهاء الدين بن حِنّا هو الذى أحوجه إلى أن ظهر بذلك المَظْهَر، وأخمله وجننّه لكونه كان من بيت وزارة ، فكان آبن الصاحب هـذا إذا رأى الصاحب بهاء الدين بن حنّا يُنْشِد :

اِشْرَبْ[(٢)] وكُلْ وتهنّا * لابدّ أن تتعنّى

محمّـد وعـلىّ * من أين لك يا آبن حنا

قال الشيخ صلاح الدين الصَّفَدى: «أخبرنى من لفظه الحافظ نجم الدين أبو محمد الحسن[(٣)] خطيب صَفَد ، قال : رأيتُه (يعنى ابنَ الصاحب) أشقر أزرَق العَيْنَيْن عليه قميصٌ أزرق، وبيده عُكّازٌ حديد . قال : وأخبرنى من لفظه الحافظ فتح الدين[(٤)] آبن سَيِّد الناس، قال : كان آبن الصاحب يُعاشر الفارس أَقْطَاىْ فاتّفق أنّهم كانوا يومًا على ظهر النِّيل فى شُخْتُور[(٥)] ، وكان الملك الظاهر بِيبَرْس مع الفارس أَقْطَاىْ وجرى بينهم أمرٌ ، ثم ضَرَب الدهر ضَرَبانَه حتّى تسلطن الملك الظاهر بِيبَرْس وركب يومًا إلى المَيْدان، ولم يكن عُمِّر قنطرة السِّباع[(٦)] ، وكان التوجه إلى المَيْدان من على باب زويلة على باب الخَرْق[(٧)] ، وكان آبن الصاحب هذا نائمًا على قفص صَيْرَفِىّ

(١) شرطوط (شرموط) : الخرقة (عن قاموس دوزى) .

(٢) هذه رواية الأصلين والمنهل الصافى والوافى بالوفيات للصفدى . ورواية عيون التواريخ وابن كثير :

اقعـد بها وتهنا * لابد أن تـتعنى

يكتب على بن محمـد * من أين لك يابن حنا

(٣) هو الحسن بن محمد بن محمـد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن مفرج ، خطيب صفد وعالمها . توفى سنة ٧٢٣ هـ (عن شذرات الذهب والدرر الكامنة) .

(٤) هو فتح الدين أبو الفتح محمد ابن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يحيى بن سيد الناس . سيذكره المؤلف سنة ٧٣٤هـ.

(٥) الشختور : المركب الصغيرة للتنزه (عن قاموس دوزى) .

(٦) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٩١ من هذا الجزء .

(٧) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٩٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

من تلك الصَّيارف بَرًّا باب زويلة، ولم يكن أحدُ يتعرّض لآبن الصاحب، فمّر به الملك الظاهر فلم يَشْعُر إلا وآبن الصاحب يضرب بمفتاح فى يده على خشب الصيرفى قويّا، فآلتفت الظاهر فرآه فقال : هاه! علم الدين؟ فقال : إيش علم الدين أنا جَيْعان! فقال : أعطوه ثلاثة آلاف درهم . وكان آبن الصاحب أشار بتلك الدّقّة إلى دقّة مثلها يوم المَرْكَب» . انتهى [كلام الصّفدى] .

قلت : ومن نوادره اللّطيفة أنّه كان بالقاهرة إنسان [كثيرًا ما][1] يُجرِّد الناس فسمَّوْه زُحَل، فلمّا كان فى بعض الأيام وَقَف آبن الصاحب على دُكّان حَلْوَى يَزِن دراهم يشترى بها حَلْوَى، وإذا بزُحَل قد أقبل من بعيد، فقال آبن الصاحب للحلاوى[2] : أعطنى الدراهم، ما بَقِىَ لى حاجةٌ بالحَلْوَى، فقال: لِمَ؟ قال: أما ترى زُحل قارن المُشْتَرِى فى المِيزان ! وله من هذا أشياءُ كثيرة ذكرنا منها نبذة فى ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى » . ومن شعره :

يانفسُ مِيلى إلى التَّصابِى * فاللّهْوُ منه الفتَى يعيشُ
ولا تَملّى من سُكْرِ يومٍ * إن أعوز الخمرُ فالحشيشُ

وله فى المعنى :

فى خُمَار الحشيش مَعنى مَرامِى * يا أُهَيْل العقولِ والأفهامِ
حَرَّموها من غير عَقْلٍ ونَقْلٍ * وحرامٌ تحريمُ غير الحَرَامِ

قلت : وأحسن ماقيل فى هذا المعنى قول القائل ولم أدرِ لمَنْ هو :

وخضراء ما الحمراءُ تفعل فعلَها * لها وَثَبَاتٌ فى الحشى وَثَباتُ
تُؤَجِّجُ نارًا فى الحشى وهى جَنّةٌ * وتُرْوِى مَرِيرَ الطَّعْم وهى نَباتُ

(١) زيادة عن المنهل الصافى والوافى بالوفيات . (٢) يريد بائع الحلوى .

وفيها تُوُفِّى الشيخ الأديب البارع المفتّن شمس الدين محمد بن عَفِيف الدين سليمان آبن على التِّلِمْسَانِىّ الشاعر المشهور، كان شابًّا فاضلًا ظريفًا، وشعره في غاية الحسن والجَوْدة. وديوان شعره مشهورٌ بأيدى الناس، ومن شعره:

يا ساكنًا قلبي المُعَنَّى * وليس فيه سِواك ثانى
لأىّ معنًى كسرتَ قلبى * وما ٱلتقى فيه ساكنان

وله في ذمّ الحشيش:

ما للحشيشة فضلٌ عند آكلها * لكنه غير مصروفٍ إلى رَشَدِه
صفراءُ في وجهه خضراءُ في فَمِه * حمراءُ في عينه سوداء في كَبِده

وله أيضًا:

لى من هواك بعيدُه وقريبُهُ * ولَكَ الجمالُ بديعُه وغريبُهُ
يامَن أُعيذُ جمالَه بجلاله * حَذَرًا عليه من العيون تُصيبُهُ
إن لم تكن عينى فإنّك نُورُها * أو لم تكن قلبي فإنت حبيبُهُ
هل رحمةٌ أو حُرْمةٌ لمُتَيَّم * قد قلَّ منك نصيرُه ونَصيبُهُ
أَلِفَ القصائد في هواك تغزُّلًا * حتّى كأنّ بك النسيبَ نَسِيبُهُ
لم تُبقِ لى سِرًّا أقولُ تُذيعُهُ * عنّى ولا قلبٌ أقول تُنيبُهُ (1)
كم ليلةٍ قضَّيتُها متسهِّدًا * والدمع يجرحُ مُقلتى مسكوبُهُ
والنجم أقربُ من لِقاكَ منالُهُ * عندى وأبعدُ من رضاك مَغيبُهُ
والجوّ قد رَقّتْ علىّ شَمالُهُ (2) * وجُفُونُه وشَمالُه وجَنُوبُهُ

(1) في أحد الأصلين: «تريبه». (2) هذه رواية الديوان: وفى الأصلين:
والجو قد رقت على شماله * وجنوبه وشماله وجنوبه

هى مُقلةٌ سَهْمُ الفِراقِ يُصيبُها * ويَسُحُّ وابلُ دمعها فيَصُوبُهُ
وجوًى تضرّمَ جَمْرُه لولا نَدَى * قاضى القضاة قضى علىّ لَهِيبُـه

وله :

أخجلتَ بالثَّغرِ ثنايا الأقَاح * ياطُرَّةَ الليـل ووجهَ الصَّباحْ
وأعجمتْ أعينُك السِّحرَ مُذْ * أعربتَ منهن صِفَاحاً فِصاحْ[1]
فيالهـا سُـوداً مِرَاضاً غدتْ * تَسُلُّ للعاشقِ بِيضاً صِحاحْ
يالَلْهَوَى مَنْ مُسْعِدٌ مُغْرَمًا * رأى حَمَام الأيك غنّى فناح[2]
يا بانـةً مالت بأعطافـه * علّمتِنى كيف تُهَزُّ الرِّماح
وأنتِ يا أسهـمَ ألحاظِهِ * أثخنتِ والله فؤادى جِـراح

الذين ذكر الذهبي وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفّى كمال الدين أحمد آبن يوسف بن نصر الفاضِلىّ . والمفتى فخر الدين عبد الرحمن بن يوسف البعلبكّىّ الحنبلى فى رجب . ورئيس الشهود زَيْن الدين المهذب آبن أبى الغنائم التَّنُوخىّ . والعلّامة شمس الدين الأصبهانِىّ الأُصولى محمد بن محمود بالقاهرة فى رجب . والمقرئ تقىّ الدين يعقوب بن بَدْرَان الجرائِدِىّ[3] بالقاهرة فى شعبان . والمُسْنِدة العابدة زينب بنت مَكّىّ فى شوّال ، ولها أربعٌ وتسعون سنة . والعماد أحمد آبن الشيخ العِماد إبراهيم ابن عبدالواحد المَقْدِسِىّ . والإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الكمال عبد الرحيم ابن عبد الواحد[4] المَقْدِسِىّ فى جُمادى الأولى .

---

(١) رواية الأصلين : * أعرب منهن صـفاح فصاح *
وما أثبتناه عن ديوانه . (٢) فى الأصل : « ... غنى فصاح » . وما أثبتناه عن ديوانه .
(٣) لم يذكر أحد الأصلين هذا الاسم ، وذكره الأصـل الآخر باسم : « محمـود بن يعقوب بن بدر الد ـ » . وهو خطأ . وصوابه عن تاريخ الإسـلام وشذرات الذهب وغاية النهاية وحسن المحاضرة للسيوطى والوافى بالوفيات للصفدى . (٤) فى الأصلين : «بن عبد الله» . والتصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام والمنهل الصافى والوافى بالوفيات .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .

⁂

السنة الثانية عشرة من ولاية السلطان الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة تسع وثمانين وستمائة .

فيها كانت وَفَاة صاحب الترجمة الملك المنصور قلاوون فى ذى القعدة حسب ما تقدّم ذكره، وتسلطن بعده ابنه الملك الأشرف خليل .

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام أبو المعالى برهان الدين أحمد بن ناصر بن طاهر الحُسَيْنىّ الحنفىّ إمام المقصورة الحنفية الشمالية بجامع دِمَشق، كان إماما عالمـا فاضلا زاهدا صالحًا مُتعبدًا مُفْتيًا مشتغلًا بما هو فيه من الاشتغال بالعلم والأوراد والقراءة إلى أن مات فى يوم السبت ثانى عشرين شوّال ، وتَوَلّى بعـده الإمامة الشيخ نجم الدين يعقوب البروكارى(1) الحنفىّ، وسلك مَسْلكه .

وفيها تُوُفّى الأمير حسام الدين أبو سـعيد طُرُنْطَاى بن عبـد الله المنصورىّ الأمير الكبير، كان أوحد أهـل عصره ، كان عظيم دولة أستاذه الملك المنصـور قلاوون ؛ وكان المنصور قد جعله نائبَه بسائر الممالك، وكان هو المتصّرف فى مملكته. فلمّا مات الملك المنصور قلاوون وتسلطن ولده الملك الأشرف خليل استنابه أيّاما إلى أن رَتّب أموره ودبّره ودبّر أحوالَه ، وكان عظيم التنفيذ سـديدَ الرأى ، مُفْرط الذكاء غزيرَ العقل؛ فلمّا رَسخت قَدَمُ الأشرف فى السلطنة أمسكه ، وكان فى نفسه

(1) كذا فى أحد الأصلين . وفى الأصل الآخر هكذا : « البروحارى » وقد أطلنا البحث عن كلتا النسبتين فى المعاجم التى تحت يدنا فلم نعثر على شىء يقربنا إلى وجه الصواب فيهما .

منه أيّام والده ، وبَسَط عليه العذابَ إلى أن مات شهيدًا وصَبَر على العذاب صَبْرًا لم يَعهد مثلَه عصر إلى أن هَلَك ، ولمـّا غَسّلوه وجدوه قد تهرّأ لحمُه وتزايلت أعضاؤه ، وأنّ جوفَه كان مشقوقا ، كلّ ذلك ولم يُسمع منه كلمةٌ . وكان بينه و بين الأمير علم الدين سَنْجَر الشُّجاعِيّ عداوةٌ على الرُّتبة ، فسلّمه الأشرف إلى الشُّجاعِيّ وأمره بتعذيبه ، فبسَط الشجاعىُّ عليــه العذاب أنواعًا إلى أن مات ، فحُمِل إلى زاوية الشيخ عمر السُّعودِيّ (١) ، فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه بظاهر الزاوية . وكان له مواقف مع العدوّ ، وغَزَوَات مشهورة وفتوحات . و بنى مدرسةً حسنةً بقرب داره بخُط البُنْدُقانيين (٢) بالقاهرة ، وقُبَّةً برسم الدفن ، وله أوقاف على الأَسْرَى وغيرها . وكان فيــه محاسن لو لا شُحُّه وبذاءةُ لسانه لكان أوحدَ أهل زمانه ، وخَلّف أموالاً جَمّة .

---

(١) زاوية الشيخ عمر السعودى ، لمـا تكلم المقريزى على المدرسة الحسامية فى (ص ٣٨٦ ج ٢) من خططه ، قال فى ترجمــة الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى : إن الملك الأشرف خليل بن قلاوون أمر بقتله فقتل يوم الخميس ٢٤ ذى القعدة ســنة ٦٨٩ هـ ، ثم أخرجت جثته من قلعة الجبل حيث لفت فى حصير وحملت إلى زاوية شيخ أبى السعود بن أبى العشائر بالقرافة فغسله الشيخ عمر السعودى شيخ الزاوية وكفنه ودفنه خارج الزاوية ، وبقيت جثته هنــاك إلى سلطنة العــادل كتبغا ، فأمر بنقــل جثة طرنطاى إلى تربته التى أنشأها بمدرسته الحسامية بخط المسطاح من حارة الوزيرية من القاهرة .

وأقول : تكلم ابن الزيات فى كتابه الكواكب السيارة (ص ٣١٦) وما بعدها على زاوية الشيخ أبى السعود ابن أبى العشائر وعلى قبر الشيخ سلامة المعروف بأبى طرطور وعلى زاوية الشيخ عبد الله محمد المعروف بوفا الشاذلى . ويستفاد مما ذكره ابن الزيات أن هذه الأماكن الثلاثة قريب بعضها من بعض ويجمعها اليوم جبانة سيدى على أبى الوفا الواقعة تحت الجبل شرقى جبانة الإمام الليث و بالبحث والمعاينة تبين أن زاوية الشيخ أبى السعود التى دفن بجوارها الأمير طرنطاى قد اندثرت . ومكانها اليوم مقابر واقعة غربى طريق الجبانة المذكورة فى الشمال الغربى لمقام الشيخ سلامة أبى طرطور وعلى بعد سبعين مترا منه . وأما المدرسة الحسامية التى أنشأها الأمير طرنطاى المذكور فى سنة ٦٨٤ هـ فمكانها اليوم المسجد المعروف بجامع أبى الفضل بحارة الصاوى من درب ســعادة بالقاهرة . ولا يزال يوجد بجوار هــذا الجامع قبــة أثرية تحتها قبر الأمير طرنطاى الذى دفن فيه بعد نقل جثته من القرافة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

قال الشيخ قُطْب الدين اليُونِينِي قال الشيخ تاج الدين الفَزَارِي[1] : حدّثني تاج الدين بن الشِّيرَازِي المحتسب[2] : أنّهم وجدوا في خزانة طُرُنْطَاي من الذهب العَيْن ألفي ألف دينار وأربعمائة ألف دينار وألفي حِياصة ذهب وألف وسبعمائة كَلّوته مُزَرْكشة[3]، ومن الدراهم ما لا يُحْصَى؛ فاستولى الأشرف خليل على ذلك كلّه، وفرّقه على الأمراء والمماليك في أيسر مدّة؛ واحتاج أولاد طُرُنْطَاي هذا وعِيالُه من بعده إلى الطلب من الناس من الفقر .

وقال غيره : وُجِد لطُرُنْطاي ألف ألف دينار وستمائة ألف دينار. ثم ذكر أنواع الأقمشة والخيول والجمال والبِغال والمتاجر ما يُسْتَحَى من ذكره كثرةً. ومات طُرُنْطاي المذكور ولم يَبْلُغ خمسين سنة من العُمر .

وفيها تُوُفّي الأمير علاء الدين طَيْبَرَس بن عبد الله الصالحي المعروف بالوزيري، كان أحد الأمراء المشهورين بالشجاعة والإقدام، وكان من المبرّزين وله التقدّم في الدول والوجاهة، ولم يزل على ذلك إلى أن مات، رحمه الله تعالى .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّي العلّامة رشيد الدين عمر بن إسماعيل الفَارِقي خُنِقَ في المحترم وقد كمّل التسعين . والإمام نور الدين علي ابن ظهير بن شهاب بن الكفتي المقرئ الزاهد في شهر ربيع الآخر . وقاضي الحنابلة نجم الدين أحمد ابن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر في جُمادى الأولى ،

---

(١) هو تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري الإمام العلامة فقيه الشام سيذكره المؤلف سنة ٦٩٠ هـ . (٢) هو تاج الدين أحمد بن العماد بن الشيرازي توفي سنة ٧١٢ هـ كما في شذرات الذهب ولم نعثر على ترجمة له في بقية المصادر التي تحت يدنا . (٣) عبارة عيون التواريخ : «إن جملة ما أخذ من الذهب العين ستمائة ألف دينار مصرية ومن الفضة النقرة مائة وواحد وسبعون قنطارا بالمصري ، وأخذوا له من العدد والسلاح والقماش والأواني الصيني والفضيات شيء كثير وحوائص بزمرّوج وبلخ ما لا يوجد عند ملك » .

وله ثمان وثلاثون سنة . وخطيب دمشق جمال الدين عبد الكافى بن عبـد الملك ابن عبد الكافى الربعى فى سلْخ جُمادى الأولى. والزاهد فخر الدين أبو طاهر إسماعيل عزّ القضاة بن علىّ بن محمد[1] الصوفىّ فى رمضان . والشيخ شمس الدين عبد الرحمن آبن الزّين أحمـد بن عبد الملك المقدسى فى ذى القعدة . والسلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألْفِىّ الصالحىّ فى ذى القعدة .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم ثلاث أذرع و إصبعان . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا، ولم يوفّ فى هذه السنة .

⁂

انتهى الجزء السابع من النجوم الزاهرة و يليه الجزء الثامن ،

وأوّله : ذكر ولاية الملك الأشرف خليل على مصر

---

(١) فى الأصلين : «ابن محمود» . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والمنهل الصافى

استدراكات على بعض تعليقات وردت فى الجزأين الرابع والخامس من هذا الكتاب ، لحضرة الأستاذ محمد رمزى بك

قنطرة عبد العزيز بن مروان

بما أن الشرح الخاص بتعيين موقع هذه القنطرة المدرج فى صفحة ٤٤ بالجزء الرابع من هذه الطبعة جاء غير وافٍ فيستبدل به الشرح الآتى :

لما تكلم المقريزى على ظواهر القاهرة المعزية (ص ١٠٨ ج ٢) قال : كان أول الخليج الكبير عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقايات وكان ما بين هذا الخط وبين المعاريج بمدينة مصر (مصر القديمة) غامرا بماء النيل .

ولما تكلم على قناطر الخليج الكبير (ص ١٤٦ ج ٢) قال : ان قنطرة ابن مروان كانت فى طرف الفسطاط بالحمراء القصوى بناها عبد العزيز بن مروان والى مصر فى سنة ٦٩ هـ . وموضعها خلف السبع سقايات على فم الخليج الكبير وكان المرور على هذه القنطرة بين الحمراء القصوى وجنان الزهرى .

ولما تكلم على حكر أقبغا (ص ١١٦ ج ٢) قال : وفى هذا الحكر تقع قنطرة عبد العزيز بن مروان .

وقد تبيّن لى من البحث : (أوّلا) أن خط السبع سقايات هو الذى عرف فيما بعد بحكر أقبغا أى أن مكانهما واحد ، وفقط اختلفت التسمية باختلاف الزمن والمناسبات . (ثانيا) أن حكر أقبغا مكانه اليوم المنطقة التى فيها حارة السيدة زينب وفروعها وجنينة لاظ وشوارعها . (ثالثا) أن النيل كان يجرى وقت فتح العرب لمصر فى الجهة الغربية من جنينة لاظ حيث الطريق المسماة شارع بنى الأزرق وما فى امتداده جنوبا وشمالا . (رابعا) أن فم الخليج المصرى كان فى ذاك الوقت واقعا حذاء مدخل الشارع المذكور من جهة شارع الخليج .

ومما ذكر يتضح أن قنطرة عبد العزيز بن مروان التى كانت على فم الخليج الكبير مكانها اليوم النقطة الواقعة بشارع الخليج المصرى تجاه مدخل حارة حكر أقبغا بأرض جنينة لاظ التى هى جزء من حكر أقبغا . وهذا الخط هو الجزء الشمالى من الحمراء القصوى ويقابله على الشاطئ الأيسر للخليج أرض جنان الزهرى حيث خط الناصرية الآن وما فى آمتداده إلى شارع غيط العدة .

بستان الخشاب

بما أن الشرح الخاص بتحديد هذا البستان المدرج فى صفحة ٤٤ بالجزء الرابع من هذه الطبعة جاء غير واف فيستبدل به الشرح الآتى :

تكلم المقريزى على هذا البستان فى جملة مواضع بالجزء الثانى من خططه فذكره عند الكلام على ظواهر القاهرة المعزية (ص ١٠٨) وعلى بر الخليج الغربى (ص ١١٣) وعلى الخليج الناصرى (ص ١٤٥) وعلى قنطرة السد (ص ١٤٦) وعلى قنطرة الفخر (ص ١٤٨) وعلى الميدان الناصرى (ص ٢٠٠) وعلى حكر الست حدق (ص ١١٦) ويستفاد مما ذكر فى المواضع المذكورة البيان الآتى :

(أولا) أن بستان الخشاب كان واقعا فى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشوارع المبتديان ومضرب النشاب والبرجاس والجزء الغربى من شارع إسماعيل باشا إلى النيل . ومن الغرب نهر النيل . ومن الجنوب مستشفى قصر العينى وشارع بستان الفاضل وما فى آمتداده من الجهة الشرقية إلى شارع الخليج المصرى . ومن الشرق شارع الخليج المصرى وشارع سعد الدين إلى أن يتقابل مع الحد البحرى .

(ثانيا) أن هذا البستان كان منقسما إلى قسمين الشرقى منهما وهو الواقع بين شارع المنيرة وشارع الخليج المصرى وكان يعرف بالمريس حيث كان يسكنه طائفة من السودان وبه يتخذون المزر وهو نوع من البوظة يسميه أهل السودان المريسة ، والقسم الغربى وهو الواقع بين شارع المنيرة وشاطئ النيل كان يعرف

بالميدان الناصرى ، ومكانه اليوم خط القصر العالى المسمى « جاردن ستى » وكان بالجهة الجنوبية من هذا الميدان على شاطئ سيالة جزيرة الروضة عند كوبرى محمد على يوجد مواقع فم الخليج الناصرى وقنطرة الفخر وموردة الجبس وموردة البلاط .

أرض الطبّالة

بما أن الشرح الخاص بتحديد هذه الأرض المدرج فى صفحة ١٢ بالجزء الخامس من هذه الطبعة جاء غير واف بالنسبة للحد الغربى للأرض المذكورة فيستبدل به الشرح الآتى :

يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على جزيرة الفيل (ص ١٨٥ ج ٢) أن أرض الطبالة كانت ممتدة إلى شاطئ النيل القديم تجاه جزيرة الفيل التى كانت وسط النيل . ومكانها اليوم منطقة شبرا بالقاهرة . ومن هذا يتضح أن أرض الطبالة كانت واقعة فى المنطقة التى تحدّ اليوم من الشرق بشارع الخليج المصرى . ومن الشمال بشارع الظاهر فشارع وقف الخربوطلى وما فى آمتداده حتى يتقابل بشارع مهمشة . ومن الغرب بشارع غمرة إلى محطة كوبرى الليمون فميدان محطة مصر إلى ميدان باب الحديد حيث كان النيل يجرى قديما . ومن الجنوب بشارع الفجالة وسكة الفجالة ويدخل فيها الآن محطة كوبرى الليمون والفجالة وبركة الرطلى . وباقى الشرح الوارد بالجزء الخامس صحيح .

*
* *

تنبيـــه : التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية على آختلاف أنواعها ، والمدن والقرى القديمة وغيرها مع تعيين وتحديد مواضعها هى من وضع حضرة الأستاذ محمد رمزى بك المفتش بوزارة المالية سابقا . فنسدى إليه جزيل الشكر ونسأل الله جلّت قدرته أن يجزيه خير الجزاء عن خدمته للعلم وأهله .

استدراكات على الجزء السادس من النجوم الزاهرة

نبّهنا إليها الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان من علماء دمشق فنسدى إليه جزيل الشكر

(١) ورد فى ص ٣٥ س ١٥ : « تسلّم أصحابه مدينة غزة و بيت جبريل والماطرون» وذكرنا فى الحاشية رقم ٣ أن تصويبه الماطرون عن شرح القاموس ومعجم البلدان لياقوت . والصواب أنه النطرون بالنون ، لأن الماطرون آسم موضعين بالقرب من دمشق ، وفتوحات صلاح الدين كانت فى فلسطين ، كما فى سيرة صلاح الدين والروضتين وتاريخ أبى الفدا وتاريخ آبن الوردى فى حوادث سنة ٥٨٣ هـ .

(٢) ورد فى ص ٩٩ س ١١ و ١٢ : «و بنت تربة بقاسيون على نهر بردى» . وعلقنا عليه فى الحاشية رقم ٥ أن « بردى نهر بدمشق » . وصوابه : «و بنت تربة بقاسيون على نهر يزيد » ، لأنّ نهر بردى لا يمرّ بقاسيون، و إنما يمرّ به نهر يزيد . ولا تزال هذه التربة حتى اليوم على حافة نهر يزيد (راجع شذرات الذهب فى حوادث سنة ٥٨١ هـ) .

(٣) ورد فى ص ١٢١ س ٩ : « بمرج عدواء » . وعلقنا عليها فى الحاشية رقم ٩ نقلا عن آبن الأثير رواية أخرى : « أنه بمرج الريحان » . وصوابه : « بمرج عذراء » وهو مرج مشهور خارج دمشق قرب قرية يقال لها عذراء ، كما فى شرح القاموس مادّة « مرج » .

(٤) ورد فى ص ١٥٠ س ٥ : « وأما الأفضل فإنه سار إلى مصر فأرسل العادل وراءه أبا محمد نجيب الدين إليه بالزبدانى » . وعلقنا عليه فى الحاشية رقم ٢ بأن الزبدانى : نهر بدمشق . وصوابه : الزبدانى : كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعلبك (راجع تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل ومعجم البلدان لياقوت) .

(٥) ورد فى ص ٢١٨ س ١١ : «ودفن بقاسيون» . وعلقنا عليه فى الحاشية رقم ٣ بأن رواية الأصلين : « مات بقاسيون » وما أثبتناه عن شذرات الذهب وعقد الجمان . وتعتبر قاسيون مقبرة دمشق . والصواب فى ذلك أن قاسيون : جبل شمالى دمشق يطل عليها . وفى عصر نور الدين الأتابكى هاجرت طائفة من المقادسة هربا من إرهاق الصليبيين لهم فسكنوا هذا الجبل وبنوا فيه دورا ومساجد فأصبح إحدى ضواحى دمشق التى لها مقبرة لا أنه مقبرة فقط فعليه تكون عبارة الأصلين صحيحة .

(٦) ورد فى ص ٢٤٠ س ١٦ : « فلما كان الغد أقبلت الأطلاب » وذكرنا فى الحاشية رقم ٦ أن الأطلاب : العساكر . ونزيد عليه أن الأطلاب لفظة استعملت فى كتب التاريخ من عصر نور الدين الأتابكى إلى آخر أيام دولة المماليك الشراكسة، ويراد بها فرق الجيش وكتائبه، والظاهر أنه مشتق من طلب الشيء إذا حاول أخذه فهو طالب وجمعه طلب وجمع الطلب أطلاب ، ويدلّ على ذلك ماجاء فى ص ٢٩٣ من هذا الجزء : «قطع التتار دجلة فى مائة طلب، كل طلب فى خمسمائة فارس » .

(٧) ورد فى ص ٢٦٦ ص ٤ : «ودُفِن بقرب الصليحية» . وذكرنا فى الحاشية رقم ١ رواية أخرى نقلا عن شذرات الذهب : « بقرب القليجية » . وصوابه ما ورد فى شذرات الذهب . والقليجية : مدرسة بدمشق معروفة، تنسب إلى قليج أرسلان .

(٨) ورد فى ص ٢٦٨ س ٤ فى الكلام على ترجمة الملك المعظم عيسى : « ودفن مع والدته فى القبة عند الباب » وعلقنا على ذلك فى الحاشية رقم ١ نقلا عن ابن خلكان بأنه : نقل إلى تربته فى مدرسته التى أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير » . وعلقنا أيضا فى الحاشية رقم ٢ نقلا عن ابن خلكان وشذرات الذهب أنه : « دفن خارج باب النصر أحد

أبواب دمشق فى مدرسة شمس الدولة » . وكلا التعليقين خطأ . وصوابه أن الملك المعظم عيسى دفن فى مدرسته التى أنشأها بصالحية دمشق . وبالرجوع إلى تاريخ ابن خلكان وجدناه بعد أن انتهى من ترجمة الملك المعظم عيسى يقول : « وتوفى عز الدين أيبك صاحب صرخد، إلى أن قال : ودفن خارج باب النصر فى مدرسة شمس الدولة وحضرت الصلاة عليه ودفنه ثم نقل إلى تربته فى مدرسته التى أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميـدان الأخضر الكبير » . ولا يخفى أن هذا الكلام الذى أدمجه ابن خلكان فى ترجمة الملك المعظم عيسى على عز الدين أيبك (راجع ابن خلكان فى ترجمة الملك المعظم عيسى وشذرات الذهب فى حوادث سنة ٦٢٤ هـ) .

(٩) ورد فى ص ٣١٧ س ٣ « وإمام الربوة » وعلقنا على ذلك فى الحاشية رقم ٣ : «يريد ربوة دمشق وهى مغارة لطيفة الخ» . وصوابه : «وبالربوة مغارة لطيفة...الخ» راجع نزهة الأنام فى محاسن الشام، نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٤٢ تاريخ) .

(١٠) ورد فى ص ٣٢٩ س ٧ : « ودام الحصار إلى أن قدم البـادرانى للصلح » وذكرنا فى الحاشية رقم ١ أن البادرانى، نسبه إلى بادران: قرية بأصبهان . وهو عز الدين رسول الخليفة، قدم للصلح بين الملك الصالح نجم الدين والحلبيين . وصوابه : « البادرائى » بالهمزة . وهو نجم الدين أبو محمـد عبد الله بن أبى الوفا الشافعى الفرضى الذى قـدم من عند المستنصر للصلح . وقال السـيوطى فى لب اللبـاب فى تحرير الأنساب : «البادرائى» : نسبة إلى بادرايا» : قرية من عمل واسط » . وراجع شـذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٩ فى حوادث سـنة ٦٥٥ هـ وتنبيه الطالب للعليمى .